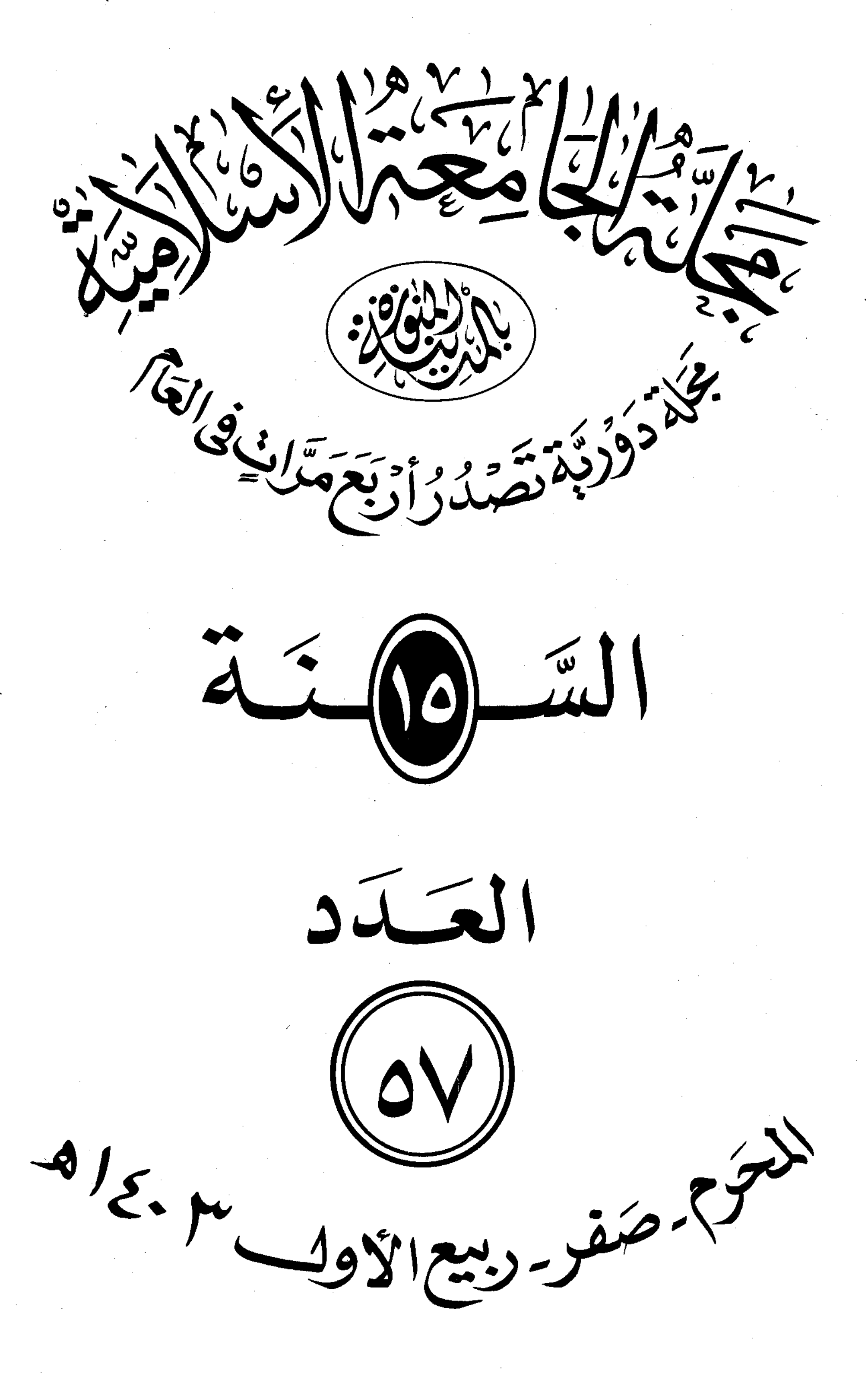
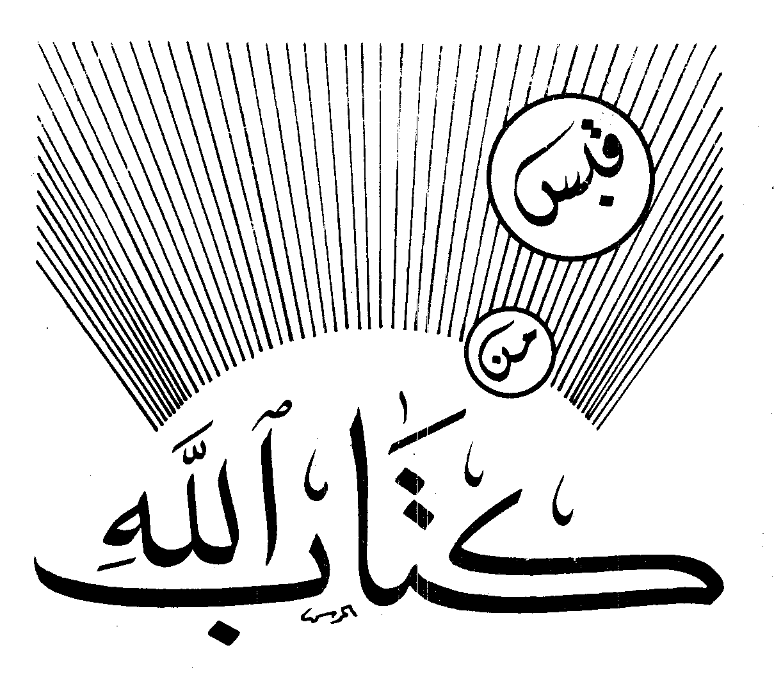


المحرم - صفر - ربيع الأول ١٤٠٣هـ



بسم الله الرحمن الرحيم





قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

من سورة البقرة





عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

« سَتَكُونُ فِتَنٌ، ٱلْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ ٱلْقَائِمِ وَٱلْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَاشِي، وَٱلْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ ٱلسَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ »

« أَخْرَجَهُ ٱلْبُخَارِي »



"لِكُلِّ زارعٍ مِثْلُ ما زرَعَ، لا يَسْبِقُ بَطِيءٌ بِحَظِّهِ، ولا يُدْرِكُ حَرِيصٌ ما لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ مَنْ أُعْطِيَ خَيْرًا فاللهُ أعطاهُ، وَمَنْ وُقِيَ شَرًّا فَاللهُ وَقاهُ."

مِن كلام عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ

كلمة صاحب الجلالة

الملك فهد بن عبد العزيز

في زيارته للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

لقد سمع الإخوان البارحة عن المشاريع التي ذكرت من ١٤٠١ هـ إلى ١٤٠٣ هـ ، وأودُّ أن أقول : إنه من الصعوبة بمكان أن يستوعب الإنسان دائماً كمية المشاريع أو نوعيتها التي تم إنجازها في المدينة من ١٤٠١ هـ إلى السنة الحالية الآن ١٤٠٣ هـ .

هناك الكثير من المشاريع التي قاربت على النهاية ، وبقية هذه المشروعات سيتم إنجازها خلال العام الثالث . فقد بلغ ما رصد لإنجاز هذه المشروعات في السنوات من ١٤٠١ هـ إلى ١٤٠٣ هـ بلغ ١٤ ألف مليون ريال ، و ٢٠٠ مليون ريال خلال هذه الفترة .

ومثلما ذكرت : إن أكثر سكان المدينة بطبيعة الحال مثلي أنا ومثل أي شخص آخر ، لا يمكن له أن يستوعب كل ما ينشر في الجريدة بين شهر وآخر ؛ وإنما إذا رأينا الآن ما نفذ في الثلاث سنوات الأخيرة سنجد أنه بلغ ١٤ ألف مليون ريال كلها في خلال سنتين ؛ لأن السنة الثالثة بدأت الآن ، ما هى بالبساطة بمكان ، ولا يعتبر هذا إهمالاً للمدينة ، أو أن هناك تغافلاً .

مع هذا كله قرر مجلس الوزراء أن تكون هناك هيئة ، ويشرفني أن أكون مشرفاً عليها لتطوير المدينة ، وعلى رأس ما ينفذ في هذا المجال :

التوسعة للمسجد النبوي ، وكذلك الأمور الأخرى التي ستجعل المدينة تأخذ وضعها المتكامل لأنها في الواقع لها حق كبير على الدولة . وعلى المواطنين . وعلى أي إنسان .

أحب أن أطمئن سكان هذا البلد العظيم ألا يفكروا أبداً أن المدينة مغفلة أو مهملة ، نأمل أن نرى - إن شاء الله - في القريب العاجل إضافة مشاريع أخرى خلاف هذه المشاريع ، والمسألة كلها مسألة وقت حتى يمكن لو أردنا أن نرصد مبالغ طائلة ، قد يجوز أن التنفيذ فيه صعوبة أو قد يجوز نأتي إلى السؤال الأول وهو :

كيف تصرف الأموال وأين صرفت ؟ ولماذا وجدت الأموال ؟ ولماذا لا تصرف .. ؟ هذا ما هو موجود أمامي الآن من ١٤٠١ هـ / إلى ١٤٠٣ هـ - ونأمل أن نلمس في السنة الحالية كذلك ما يجد من جديد . وفي السنوات الأخرى - سوف نعمل جاهدين ما نستطيع عمله لجعل المدينة تأخذ الوضع اللائق بها .

وشكراً لمعالي الدكتور نائب رئيس الجامعة الإسلامية - وما قُدِّم من أسئلة من الإخوان . وقرأتها الآن . وستكون الزيارات ليس فقط هذه الزيارة . ولكن ستكون زيارات متتالية . والإجتماع بالإخوان وبالأساتذة في هذه الجامعة التي نعتبرها في الحقيقة جامعة قيادية .

وأعود مرة أخرى . وأكرر : يسرنا أن نعمل لها فروعاً . ولكن ذكرت بعض الصعوبات التي أشير إليها لأنني لا أريد أن يكون فيه إحراج بالنسبة لأي دولة إسلامية أو قادتها أو حتى لو أردنا أن نفتح لها

فروعاً - وأي دولة لا تريد ، ما في إمكاننا نعمل أكثر من الطلب والرغبة ، والتأكيد على أن أي فرع يعمل في أي بلد إسلامي لن تكون له أهداف سياسية أو خلق مشاكل لمجتمع هذا البلد الذي يمكن أن يفتح فيه فرع إسلامي ٠

بقى شيء واحد وهو أن أوجه كلمة قصيرة لطلبة الجامعة الإسلامية ، وهى أن يواصلوا هذا المجهود الخير ٠ سواء في ذلك إخواننا الذين قدموا من جميع البلدان الإسلامية ، أو من السعوديين الموجودين فيها ، وأن يتبصروا في العقيدة الإسلامية التبصر الصحيح ، والعقيدة الإسلامية والحمد لله أبانت الأمور بشكل غير قابل للنقاش إلا من أراد أن يوهم بأشياء أخرى ، والدين الإسلامي وسط ، فلا رهبنة في الإسلام ، وقد يعتقد البعض أن التصوف أو بعض النواحي الأخيرة البعيدة عن منطق الإسلام هى الإسلام ٠

إنه على العكس ٠ فالإسلام فيه المرونة والمحبة والتقوى والعمل والجد والنشاط ، ولم تأمر العقيدة الإسلامية بالكسل أو التكاسل أو التصوف على غير معنى ٠

وهذا البلد والحمد لله بلد إسلامي ، وكل ما أرجوه أن تكونوا رسلاً للبلاد الإسلامية بعد أن شرفت المملكة العربية السعودية ورحبت بكم أن تعودوا إلى أوطانكم دعاة للإسلام في الإطار الصحيح ، وكلنا نعرف ما أدخل على العقيدة الإسلامية ٠ لكن السبب في ذلك من المسلمين أنفسهم ، فالعقيدة الإسلامية في القمة إلى أن تقوم الساعة ٠

لذلك أرجو أن ندرك معنى العقيدة الإسلامية ، وأن لا نقع فيما وقع فيه الغير بواسطة من يريد أن يبعدنا عن مسار العقيدة الإسلامية الصحيح ٠

فشكراً لفضيلة الدكتور وشكراً لطلبتنا في الجامعة الإسلامية ، وشكراً للإخوة الذين حضروا هذا الاجتماع ، وأرجو إذا حصل أي لبس في التفسير أو في الإجابة أن نستكملها في مرة أخرى قادمة ، وأن أجيب على جميع الأسئلة ، وسوف نسير في الخط المستقيم إن شاء الله ، ونجعله دائماً الهدف الرئيسي لنا ونتمسك بعقيدتنا الإسلامية ، فقد وعدنا الله سبحانه وتعالى بالحق : « إن تنصروا الله ينصركم » ونحن لا ندعي أبداً بأي حال من الأحوال أننا نحن المسلمون فقط ، ففي جميع أنحاء العالم دول إسلامية قيادة وشعباً ، وفي كثير من الدول غير الإسلامية عشرات مئات الملايين من المسلمين · وكل يوم وكل شهر وكل سنة نجد أن العقيدة الإسلامية تسير بخطى حثيثة وقوية · وفي بلدان لها أهميتها الكبرى ، مثل أوربا وأمريكا واليابان · وحتى الصين الشعبية أو الاتحاد السوفيتي ، نحن نسمع الآن أنهم قد بدأوا في تفكير آخر وهو احترام العقيدة الإسلامية واحترام المسلمين ، ونأمل أن يتحقق ذلك بصرف النظر عن عقيدتهم ، ونأمل أن يعطى المسلم الحرية المتكاملة في أن يمارس عقيدته الإسلامية في إطارها الصحيح · وأرجو أن تكونوا الرسل للعقيدة الإسلامية في بلدانكم عندما تعودون إليها بمفهوم العقيدة الإسلامية الصحيحة ·

وشكرا مرة أخرى ، وأرجو أن نلتقي دائما في هذا الإطار المحبب للنفس ، وأكرر مرة أخرى الشكر لمعالى الدكتور ، وأرجو أن يوفقنا رب العزة والجلالة لما فيه الخير للاسلام والمسلمين ·

•••••••••••••••

كلمة التحرير

زيارة كريمة

بقلم الشيخ سعد ندا

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ومن تبع هديه ووالاه ·

وبعــد : فقد كانت لفتةً كريمةً لها مدلولها الرائع أن يولى جلالة الفهد - ثبتَ الله قَلْبَهُ على الهدى ومُلْكَهُ على الحق - مدينةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رعايته بزيارته الميمونة ، ويعطيها من جهده ووقته ، ويخطط لرفع مستواها إلى المقام اللائق بها ، ما نسأل الله تعالى أن يسدد له فيه الخُطى ، وأن يجزيه به خير ما يجزى به المخلصين الصادقين ·

وكيف لا تكون المدينة النبوية أحق بالعناية والرعاية ، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنها ستكون آخر معقل للإيمان ، في قوله : (إن الإيمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) (١) ، كما أخبر أن الله تعالى قضى بحمايتها ممن يريد بأهلها سوءا وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم : (من أراد أهلها بسوء - يريد المدينة - أذابه الله كما يذوب الملح في الماء) (٢) · وفضلا عن ذلك فإن ساكن المدينة الصابر على لأوائها حتى يموت جعل له الرسول صلى الله عليه وسلم الجزاء العظيم يوم القيامة في قوله : (لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنتُ له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة إذا كان مسلماً) (٣) · ولهذا رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في سكنى المدينة بقوله : (والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون) (٤) ·

ثم كانت لفتةً كريمةً ثانيةً أن يزور جلالة الفهد - رعاه الله - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - التى شرفها برئاسته العليا لها ، وأن يفتح صدره لمنسوبيها من مسئولين واساتذة وطلاب ، فيجلس بينهم ، ويتحدث إليهم حديث الأب الحنون لأبنائه البررة ، ويبثهم جياش عواطفه النابعة من حبه لهذه الجامعة التى هيئت لتكون جامعة المسلمين في أنحاء الدنيا

---

(١) صحيح مسلم - حديث أبى هريرة رضى الله عنه

(٢) المرجع السابق - حديث ابى هريرة رضى الله عنه

(٣) المرجع السابق - حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه

(٤) المرجع السابق - من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ·

جميعا ، والتى شاء الله لها أن تكون في هذا البلد الطيب الذى شعَّ منه نور الإسلام ، فأضاء الدنيا كلها ، وانطلقت منه أسمى حضارة عزٍّ من استظل بظلها ، ومن ثم كانت هذه الجامعة رمزاً يذكرنا بأمجادنا الأولى ، ويفتح أمامنا أبواب العمل الجاد لتحقيق آمالنا في عودة تلك الأمجاد ، ونشر الإسلام في أرجاء العالمين .

ألا حيا الله المليك الكريم فهد بن عبد العزيز ، وبارك أعماله ، وسدد خطواته ، ونصره بالحق ، ونصر الحق به ، واعزه بالإسلام ، وأعز به الإسلام والمسلمين ، إن ربنا جواد كريم ، وبالإجابة جدير .

وصلى الله وسلم وبارك علي عبده الكريم ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه .

افتتاحية العدد

لفضيلة الدكتور عبد الله الصالح العبيد
نائب رئيس الجامعة الإسلامية المنتدب

ان الحمد لله احمده واستعينه . واصلي واسلم على خير خلقه . واساله سبحانه الصدق في القول والإخلاص في العمل . وبعد :

اخي القارئ : بهذا السفر تطوى مجلة الجامعة الإسلامية اربعة عشر عاما من عمرها المديد بإذن الله – وقد حملت على اكتافها خلال تلك السنين مختلف الجوانب العلمية والإعلامية لمختلف الكليات والاقسام والمجالس والمعاهد والدور التابعة للجامعة الإسلامية وقد حاولت جاهدة على تعدد المسئولين الكتاب والمحررين واختلاف التخصصات والمستويات والمشارب والرغبات أن ترضي الجميع . وتحملت في سبيل ذلك ما كان على الكليات والاقسام والمجالس المتخصصة أن تقوم به كل منها في مجال تخصصه . ولذا فلا عتب إن سارت أحيانا وئيدة الخطى مثقلة الكاهل فترى المجلد منها يضم بين دفتيه العددين والثلاثة لأنها تحمل اثقال غيرها فصعبت عليها المواءمة بين تلك المتطلبات والتخصصات بين علمية وثقافية واجتماعية .. الخ .

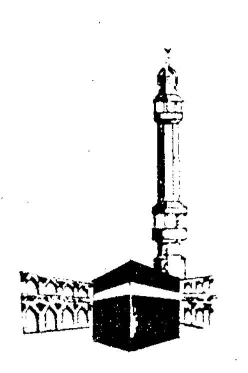
وبهذه المناسبة ازجي الشكر لكلية الدعوة واصول الدين على ما قامت به من إصدار « صوت الجامعة » التي تولت جانبا من اعباء هذه المجلة . وكلي أمل ان لا ينقضي العام الخامس عشر من عمر هذه المجلة إلا وقد قامت الكليات والأقسام والمجالس الأخرى بإصدار المجلات المتخصصة كل في مجاله اداء لواجبها ووفاء بالتزامها نحو رسالتها ومساهمة منها في نشر العلم والمعرفة في مجالها وليس ذلك من باب الاكثار والاستكثار من الصحف والمجلات وإنما هو من باب الالتزام بالتخصص الذي من شأنه توثيق الصلة بين العاملين في كل حقل ومتابعة الأمور والقضايا التي تهم العمل والعاملين فيه . ثم إن ذلك رصد لمساهمة كل هيئة في مجالها ومحاسبة لها امام نفسها أو غيرها .

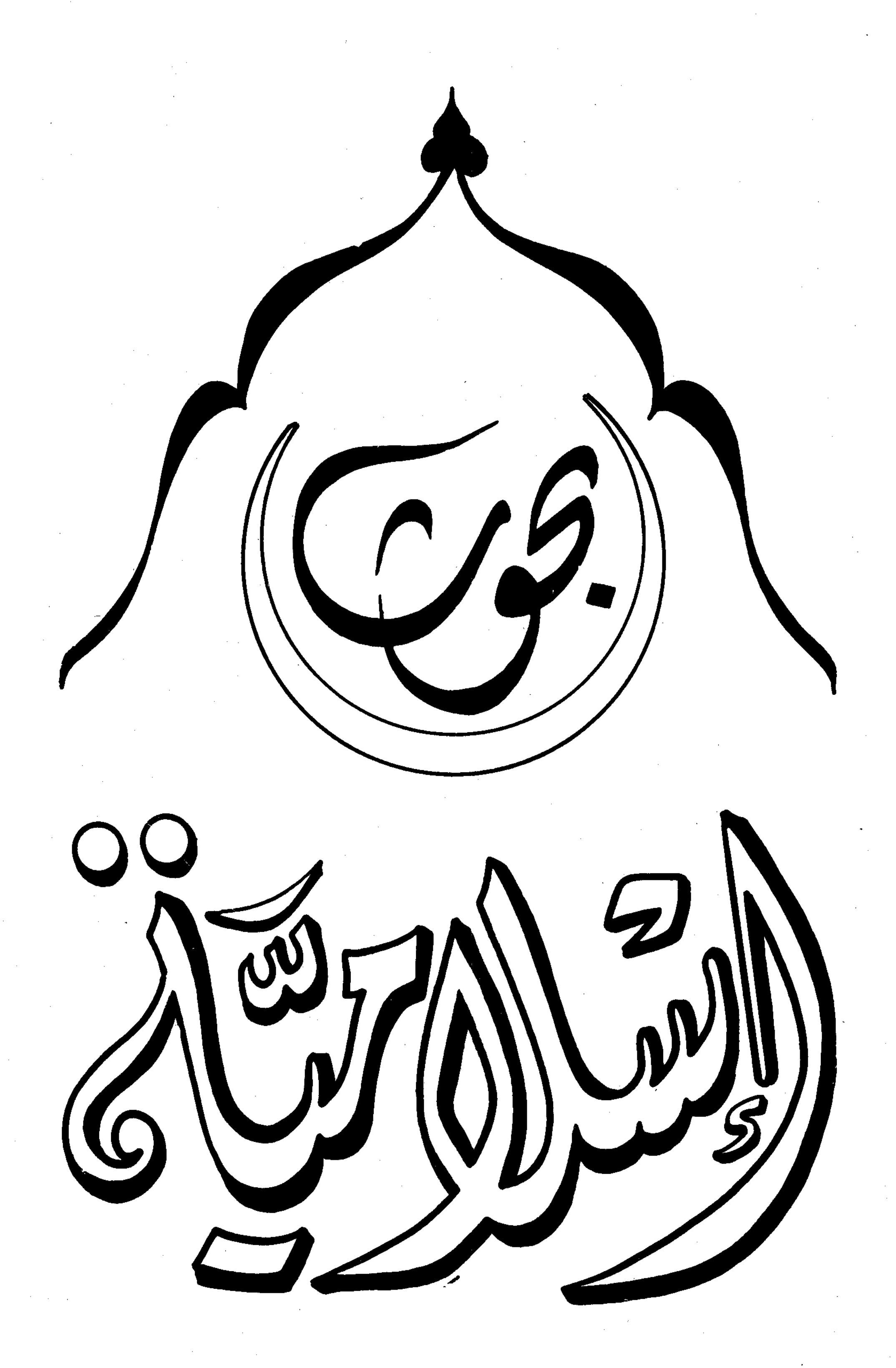
إن التخصص هو المطلب الملح لمواجهة التخطيط المنظم الذي يحاك ضد رسالة الله سبحانه وتعالى ودعوة رسوله المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام .

إن المجلة واحدة من أقوى الصلات والروابط بين المختصين من العلماء في مختلف الحقول والمعارف فيما بينهم من جهة وبينهم وبين تخصصهم من جهة أخرى وذلك من خلال بحث ودراسة ومتابعة القضايا والأحداث والتطورات في عالمنا الإسلامي التي تتعلق بعلمهم وفنهم وهو أمر يحتاج إلى درس وقضية تحتاج إلى بحث ومنهج يحتاج إلى توجيه وفكر يحتاج إلى تصويب .

ومن للقيام بهذه الامور غير المختصين بها وعلى راسهم المشايخ وطلبة العلم في دور العلم .

وهذه الجامعة ولله الحمد من أقدرها وأولاها وهى ماضية في سبيل ذلك بعون من الله وسند منه وأسأله سبحانه الأجر والمثوبة والعون والتوفيق لكل من ساهم في هذا المجال وساعد عليه والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .




بحوث
إسلامية



التفسير
و
أصوله



الهجرة في سبيل الله

للشيخ أبي بكر الجزائري
رئيس قسم التفسير بالجامعة الإسلامية

(وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيل الله يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً ٠ وَمَنْ يخرجْ من بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، ثُم يُدْرِكْهُ الموتُ فقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ على اللهِ ، وكانَ الله غفُوراً رحيماً) ٠

« النساء ، الآية (١٠٠) »

مناسبة هذه الآية لما قبلها :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد : فإن مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها من قوله تعالى : **(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الآية) ٠**

في كون هذه الآية مُعينةً للمؤمن على أداء فريضة الهجرة التي يترتب على تركها مع القدرة عليها ما ذكر تعالى من الوعيد الشديد في الآية قبل هذه ٠

فإن الله تبارك وتعالى لما ذكر ما يترتب على ترك الهجرة من العذاب في نار جهنم في الآية قبل هذه ذكر هذه الآية فضمن جزءها الأول الوعد الصادق بإكرام المهاجر في دار هجرته ، ومثلُ هذا الوعد يساعد القاعدين عن الهجرة على الهجرة ، وضمن الجزء الأخير منها ثبوت أجر الهجرة للمهاجر وإن مات في طريقه قبل الوصول إلى دار هجرته ، ومثل هذا يشجع على الهجرة ، ويساعد على القيام بها حتى ولو كان من يريد الهجرة مريضاً يخاف الهلاك في طريقه ٠

الغرض الذي سيقت له الآية :

لقد سيقت هذه الآية الكريمة لتحمل بشريين عظيمتين الأولى تضمنها جزؤها الأول ، وهى بشرى المهاجر في سبيل الله بالخلاص من الاضطهاد ، والحصول على الرزق الواسع ، وحسن الحال ، الأمر الذي يرغم به أنوف أعدائه ٠ والثانية هى بشرى المهاجر إن مات في

طريق هجرته بثبوت الأجر له كاملاً لا ينقص منه شيء وهو المغفرة ودخول الجنة ، كما قال تعالى : « **والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً ، وإن الله لهو خير الرازقين ، ليدخلنهم مدخلاً يرضونه ، وإن الله لعليم حليم)** الحج الآية ٥٨ .

فالمدخل المرضي هنا هو الجنة دار الأبرار .

مباحث الألفاظ في الآية :

● **المهاجر :** اسم فاعل من هاجر يهاجر مهاجرة إذا خرج من بلد إلى آخر غيره ، والمراد به هنا من ترك دار الشرك إلى دار التوحيد ، أو دار الحرب إلى دار الإسلام .

● **سبيل الله : الطريق المفضي بالسالك إلى رحمة الله تعالى ورضوانه . والمراد به هنا :** طلب التمكن من عبادة الله تعالى بما شرعه لعباده من الإيمان وصالح الأعمال .

● **المراغم :** ما يُرغم به أنوف أعدائه الذين كانوا يضطهدونه من أجل دينه ، وذلك بأن يهيء الله تعالى له في دار هجرته الأمن والعز وسعة الرزق وطيب المعاش الأمر الذي يغيظ به أعداءه ، ويشعرهم بالذُّلّ والإهانة ، والكمد والحزن .

● **السَّعة :** الاتساع في الرزق وصلاح البال والحال .

● **يدركه الموت :** يلحقه وهو في طريقه إلى دار هجرته فيموت قبل وصوله إليها .

● **وقع أجره على الله :** وَجَبَ لَهُ وثبت وهو مغفرة ذنوبه ودخوله الجنة .

معني الآيـة الإجمالى :

إن هذه الآية الكريمة مكونة من ثلاث جمل شرطيتين وخبريّة .

فالشرطية الأولى هى قوله تعالى : **(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيرا وسعة) .**

وهى تدعو إلى الهجرة وترغب فيها بذكر أعْظَم الجزاء وأحسنه وأوفره .

والثانية هى : **(ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) .** وهى تطمئن المهاجرين على جزائهم الحسن ولو ماتوا في طريق هجرتهم قبل أن يصلوا إلى دار الإسلام ، كما حصل لمن نزلت فيه الآية وهو ضَمرة بن جندب حيث نظر في حاله فلم يجد عذراً له إلا المرض فأمر ذويه أن يحملوه على راحلة ويخرجوا به إلى المدينة فمات في بعض الطريق فنزلت فيه هذه الآية .

والجملة الخبريّة هى قوله تعالى : ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ وهى مقررة لما تضمنته الجملة قبلها من ثبوت الأجر لمن مات في طريق هجرته ، وهو مغفرة ذنوبه ودخول الجنة .

شرح الآية :

يخبر تعالى – داعيا إلى الهجرة مرغباً فيها – أنه ما من أحد من المؤمنين ذَكَراً كان أو أنثى يهاجر بترك بلاده ، وما فيها من حال ومال – طلباً لمرضاة الله بعبادَتِه وحده ، ونصرة دينه وأوليائه . إلا أوجد الله تعالى له في دار هجرته من الأمن والرزق الواسع والعزة والكرامة ما يغيظ به أعداءه الذين آذوه في داره بين أهله وعشيرته ، الأمر الذي يشعرون معه أنه أذلهم وأرغم أنوفهم ؛ بنجاته منهم ، وحصوله على أعظم مطلب له وهو حرية العبادة ، وصلاح الحال مع الرزق الواسع .

وأنه ما من أحد يخرج مهاجراً إلى الله ليعبده وحده سبحانه ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم لينصره ويتعلم الهدى الذي جاء به ثم يوافيه أجله فيموت في طريق هجرته ، إلا أعطاه الله سبحانه وتعالى أجر ما نواه وخرج له كاملاً غير منقوص . وهو أن يغفر له ما فرط منه من ذنوب كبيرة أو صغيرة ، ويدخله الجنة دار كرامته ومنزل الأخيار والأبرار من عباده .

حكم الهجرة وأنواعها :

إذا كانت الهجرة هى الذهاب في الأرض هرباً أو طلباً فإنها حينئذ أنواع ، ويختلف حكمها بحسب أنواعها :

ففي الهرب تكون الهجرة فريضة إذا كانت من دار الشرك إلى دار التوحيد ؛ إذ لا يحل لمسلم أن يقيم بدار كفر يضطهد في دينه أو يؤذي في جسمه أو عرضه . وتكون واجبة دون الأولى وهى أن يلحق المؤمن أذىً في بلد أو دار أو عمل فيهاجر إلى مكان آخر ليسلم من الأذى في دينه أو بدنه أو عرضه أو ماله . وتكون سنة مستحبة إذا كان الضرر خفيفاً لا يبلغ حداً يترك معه بعض واجبات الدين .

وفي الطلب : تكون فريضة إذا كانت لطلب العلم الضروري ؛ إذ لا يحل لمؤمن أن يقيم بدار ليس فيها عالم يتعلم عنه أمور دينه ، أو يسأله عنها ؛ لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم . وتكون واجبةً دون الأولى ، وذلك كالخروج للغزو والجهاد في سبيل الله ، وكطلب الرزق الحلال إذا تعذر وجود الحلال في بلده ، فإنه يجبُ عليه أن يهاجر إلى بلد آخر يطلب

فيه الحلال ، إذ طلب الحلال واجب ، يقول الله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)** . والمراد من الطيب الحلال .

. وتكون مستحبة إذا كانت لطلب العلم غير الضروري ، أو لطلب سعة من الرزق إن ضاق أو معاشرة أهل العلم والإيمان والتقوى .

الهجرة المحرمة :

. وتحرم الهجرة إلى دار الحرب كما تحرم إلى دار الكفر إذا كان المهاجر لا يأمن على حرماته الثلاث جسمه وعرضه وماله ، أو كان لا يتمكن من عبادة ربّه التي هى العلة في وجوده ، والمراد من العبادة طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل الأوامر الواجبة ، وترك المنهيات المحرمة .

كما يحرم هجران المسلم أى صرمه ومقاطعته أكثر من ثلاثة أيام لحديث البخاري : (لا يحل لِرَجُلٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) .

هداية الآيـــة :

إن في هذه الآية الكريمة كغيرها من آيات الكتاب العزيز هدايات نذكر منها ما يفتح الله تعالى به علينا فنقول : من هدايات الآية ما يلى :

١ - إن على المسلمين أن يكوّنوا دولة قويّة تكون مأمناً للمسلمين يهاجر إليها كل مؤمن يضطهد في دينه ، فيجد فيها الأمن والكفاية . فإن لم يفعلوا فهم آثمون ، إذ ترك الواجب إثم ، كفعل الحرام إثم ، فليتق الله المسلمون اليوم في هذا الواجب وليوحّدوا دويلاتهم في دولة واحدة قوية عظيمة تحمي الإسلام والمسلمين وتقوم بواجب دعوة الخالق ليعبدوه عبادة تهيّئهم لسعادة الدارين .

٢ - إذا كان الغرض الأصلي من الهجرة الواجبة هو توفير الأمن والعيش للمرء المسلم ليعبد الله تعالى عبادة تزكي نفسه ، وتؤهله لجوار ربّه في الملكوت الأعلى ، في الجنة دار النعيم المقيم . فكيف يسُوغ للعبد المسلم أن يعيش في بلد آمناً غير خائف ، شبعان غير جائع ويترك

عبادة الله تعالى بإهمال فرائضه كالصلاة أو بتعدي حدوده كالزنى أو سفك الدماء مثلاً ٠ أو بغشيان محارمه باغتياب المؤمن ، وأذيته بسب أو احتقار وانتقاص ٠

٣ – إذا كان من أغراض الهجرة تعلّم أمور الدين والعمل بها ، فكيف يجوز للمسلم أن يعيش في دار الإسلام آمناً من الخوف والجوع ، وبين العلماء يغدو عليهم ويروح ويعمّر عشرات السنين ، ولا يتعلّم أمور الدين ، فتجده لا يحسن قراءة الفاتحة ، ولا يعرف كيفية الطهارة ، ولا الصلاة ٠ فيقضي عمره الطويل جاهلاً بدين الله يعبد الله عبادة لم تغيّر من نفسه شيئاً والعياذ بالله تعالى ٠

٤ – وجوب الوثوق في وعد الله تعالى وطمأنينة النفس به ولا سيما وقد رأى الناسُ مؤمنهم وكافرهم كيف صدق الله وعده للمهاجرين الأولين فبدل فقرهم غِنىً ، وذلهم عزاً ، وجهلهم علماً ، وضعفهم قوة ، ومكن لهم في الأرض واستخلفهم فيها فسادوا البشرية وهدوا من شاء الله هدايته فسعد وكمل بهدايتهم من البشر خلق لا يحصون عدًّا ٠

٥ – إنه ما زال فضل الهجرة وبركتها وثوابها كما كانت ٠ فما من عبد مؤمن اليوم أو بعد اليوم يخرج خروجاً في سبيل الله لا يريد فيه إلا وجه الله عز وجل بعبادته والتقرب إليه إلا صدقه وعده ، فأعطاه في دار هجرته ما يراغم به عدوه من الأمن والعز والسعة في الرزق ٠ هذا إن وصل إلى دار هجرته ، وإن مات في طريقه قبل وصوله أعطاه من الثواب ما يُعطى المهاجرين في سبيله من مغفرة ذنوبهم ، وإدخالهم الجنة منازل الأبرار ومأوى الأخيار ٠ جعلنا الله تعالى منهم ، وحشرنا في زمرتهم ، وأدخلنا الجنة في مواكبهم آمين ٠

عَنْ أبى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ
صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
" ٱلْمُسْلِمُ أَخُو ٱلْمُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ
وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْمُسْلِمِ حَرَامٌ
عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، ٱلتَّقْوَى هَاهُنَا بِحَسْبِ
ٱمْرِئٍ مِنَ ٱلشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ ٱلْمُسْلِمَ.

رواه الترمذى، وقال: حديث حسن


الحديث
و
أصوله



تحية المسجد

للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي

أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس (١) ·

فقه الحديث : الحديث يدل على مشروعية الركعتين لمن دخل المسجد قبل أن يجلس فإنه من حق المساجد على المسلمين كما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه : أعطوا المساجد حقها ، قيل له : وما حقها ؟ قال : ركعتان قبل أن يجلس ·

ولكن إذا خالف الرجل هذا الحكم عمداً أو ناسياً فجلس فهل يشرع له التدارك أم لا · فالصحيح فى هذا أنه يشرع له أن يقوم فيصلى ركعتين لما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي ذر أنه دخل المسجد فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أركعت ركعتين · قال : لا · قال : قم فاركعهما · ومثله قصة سليك الغطفاني الآتية بعد قليل ·

واختلف العلماء من صيغة الأمر على قولين :

(القول الأول) إن الأمر للندب وليس للوجوب · وهو قول الجماهير من الفقهاء والمحدثين · قال مالك عقب رواية الحديث : هذا حسن وليس بواجب ·

(القول الثانى) إن الأمر للوجوب أو قريباً من الوجوب · وهو مروى عن داود الظاهرى كما نقله عنه ابن بطال · ولكن الذى صرح به الحافظ ابن حزم غير هذا فقد قال

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١٣٥/٨ مع التنوير) ومنه الجماعة · البخارى (٥٣٧/٨ مع الفتح) ومسلم (٤٩٥/٨) وابو داود (٣١٩/٨) والترمذي (١٢٩/٢) والنسائي (٥٣/٢) كلهم عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن عمرو بن سليم الزرقي ، عن أبي قتادة ·

ولفظ أبي داود : فليصل سجدتين قبل ان يجلس وزاد في رواية أبي عميس عتبة بن عبد الله عن عامر : ثم ليقعد بعد إن شاء ، أو ليذهب لحاجته « وروى البخارى (٤٨/٣) بطريق عبد الله بن سعيد عن عامر : إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين » بصيغة النهي ·

اتفق جميع الرواة عن مالك بأنه عن أبي قتادة ، وروى سهيل بن أبي صالح عن عامر فقال عن جابر ـ بدل أبي قتادة · وقد خطأ الترمذي هذه الرواية وقال : وهذا حديث غير محفوظ والصحيح حديث أبي قتادة « وقد نبه إلى هذا الخطأ على بن المديني كما قال الترمذي · وأما حديث جابر فهو في سياق آخر وسوف يأتي بعد قليل ·

رحمه الله : « لولا البرهان الذى ذكرنا قبل هذا بأن لا فرض إلا الخمس لكانت هاتان الركعتان فرضاً ، ولكنهما في غاية التأكيد ، لا شيء من السنن أوكد منهما لتردد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما » (١) .

ونحن لا نحتاج إلى إقامة الأدلة لعدم وجوب ركعتى تحية المسجد لتوافر أدلتها التي مرت في صلاة الوتر وركعتي الفجر بأن لا وجوب إلا خمس صلوات .

وقد روى ابن أبي شيبة عن زيد بن أسلم قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلون المسجد ثم يخرجون ولا يصلون . ولكن يمكن لقائل أن يقول : إن الركعتين لمن أراد الجلوس وليس في هذه الرواية التصريح بإرادة الجلوس وكما اختلف العلماء في أداء تحية المسجد في وقتين .

(الوقت الأول) في حال الخطبة .

أ ـ فذهب فقهاء المحدثين ، والشافعى وأحمد وداود الظاهرى إلى استحباب إتيان ركعتى التحية . وكرهوا الجلوس قبلها حتى قال النووى : وإن دخل والإمام في آخر الخطبة ، وغلب على ظنه أنه إن صلى التحية فاته تكبيرة الإحرام مع الإمام لم يصل التحية بل يقف حتى تقام الصلاة ولا يقعد لئلا يكون جالساً في المسجد قبل التحية وإن أمكنه الصلاة وإدراك تكبيرة الإحرام صلى التحية . هكذا فصله المحققون . انتهى (٢)

وكان استدلالهم في ذلك بالأدلة التالية :

١ ـ **حديث جابر :** قال جاء سليك الغطفانى يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فقعد سليك قبل أن يصلي . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أركعت ركعتين فقال : لا . فقال : قم فاركعهما .

روى هذا الحديث بثلاثة وجوه :

(الأول) فيه تصريح باسم الآتي وهو سليك الغطفانى .

روى مسلم (٣) عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن روح كلاهما عن الليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، وروى أيضاً عن إسحاق بن ابراهيم وعلي بن حشرم كلاهما عن عيسى ابن يونس عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر . ورواه عبد الرزاق (٤) عن معمر والثورى

---

(١) المحلى : ١٠٢/٥ .

(٢) انظر شرح المهذب : ٤٣٩/٤ .

(٣) ٥٩٧/٣ .

(٤) المصنف ٢٤٤/٣ .

عن أبي سفيان ، ورواه أبو داود (١) عن محمد بن محبوب ، واسماعيل بن ابراهيم قالا : حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش نحوه ، ثم رواه بطريق أحمد بن حنبل قال : حدثنا محمد بن جعفر عن سعيد ، عن الوليد أبى بشر عن أبي سفيان ، وبطريق الوليد رواه الدارقطنى (٢) كما رواه أيضا عن معاوية ، عن الأعمش مثله ·

وسليك : هو ابن هديل وقيل ابن عمر الغطفانى ·

قال الحافظ : هكذا رواه حفاظ أصحاب الأعمش عن أبي سفيان ووافقه الوليد أبو بشر عن أبي سفيان عند أبي داود والدارقطنى ، وشذ منصور بن أبي الأسود عن الأعمش بهذا الإسناد فقال : النعمان بن نوفل ـ أخرجه الطبراني قال أبو حاتم : وهم فيه منصور (٣) ·

(**الثانى**) الوجه الذي أبهم فيه اسم الآتى :

رواه البخارى (٤) عن أبي النعمان والترمذى (٥) عن قتيبة بن سعيد كلاهما عن حماد ابن زيد عن عمرو بن دينار · كما روى البخارى أيضا عن علي بن عبد الله ، والترمذى عن محمد بن أبي عمر ، والنسائى (٦) عن محمد بن عبد الله بن يزيد كلهم عن سفيان عند البخارى عن عمرو بن دينار عن جابر ، وعندهما عن محمد بن عجلان ، عن عياض بن عبد الله بن أبي سرح عن أبي سعيد ، كما روى النسائي (٧) أيضا عن ابراهيم بن الحسن ويوسف بن سعيد قالا : حجاج عن ابن جريج عن عمرو بن دينار ·

وحديث أبي سعيد أطول من حديث جابر ولفظه من النسائي : قال جاء رجل يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب بهيئة بذة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت ؟ قال : لا · قال صل ركعتين وحث الناس على الصدقة فألقوا ثيابا فأعطاه منها ثوبين ، فلما كانت الجمعة الثانية جاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فحث الناس على الصدقة · قال : فألقي أحد ثوبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاء هذا يوم الجمعة بهيئة بذة فأمرت الناس بالصدقة ، فألقوا ثيابا فأمرت له بثوبين ، ثم جاء الآن فأمرت الناس بالصدقة فألقي أحدهما فانتهره وقال : خذ ثوبك » ·

---

(١) : ٦٦٧/٨ ·
(٢) ١٣/٢ ·
(٣) انظر فتح البارى : ٤٠٧/٢ ·
(٤) : ٤١٧/٢ مع الفتح ·
(٥) : ٣٨٤/٢ ·
(٦) : ١٠٦/٣ ·
(٧) : ١٠٣/٣ ·

ورواه الترمذى (١) عن عياض بن عبد الله بن أبي سرح أن أبا سعيد الخدرى دخل يوم الجمعة ، ومروان يخطب فقام يصلى ، فجاء الحرس ليجلسوه فأبى حتى صلى فلما انصرف أتيناه فقلنا رحمك الله إن كادوا ليقعوا بك . فقال : ما كنت لأتركهما بعد شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر قصة رجل جاء يوم الجمعة في هيئة بذة ...

قال الترمذى حسن صحيح .

والدليل فيه من قول أبي سعيد « ما كنت لأتركهما بعد شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قوله بذة : بفتح فتشديد ذال معجمة - أى هيئة تدل على الفقر . وقد فسر هذا الحديث ممن لم يأخذ به بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره للصلاة ليراه الناس فيتصدقون عليه ، ولكن السؤال ياترى هل يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأمر لا يجوز فعله في تلك الحال وسوف يأتي بعض تأويلاتهم أيضاً لحديث جابر والجواب عنها .

قال ابن دقيق العيد : وقد عرف أن التخصيص على خلاف الأصل ، ثم يبعد الحمل عليه مع صيغة العموم وهو قوله صلى الله عليه وسلم : إذا جاء أحدكم ... (٢) .

(**الوجه الثالث**) وفيه تعميم لمن دخل المسجد والإمام يخطب أن يصلى ركعتين .

رواه البخارى (٣) عن آدم ، ومسلم (٤) بإسناده عن محمد بن جعفر والدارقطني بعدة أسانيد كلهم عن شعبة عن عمرو بن دينار وقد تابع شعبة في تعميم أبو سفيان طلحة بن نافع عند مسلم بطريق إسحاق بن ابراهيم وعلى بن حشرم كلاهما عن عيسى بن يونس عن الأعمش عن أبى سفيان ، وعند الدارقطنى بطرق عن الوليد بن بشر و الأعمش عن أبي سفيان . وروى الدارقطني عن عبد الرزاق عن سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان على العموم وهو في الحقيقة بالتصريح باسم سليك ثم روى الدارقطنى بإسناده عن روح بن القاسم وسفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار على التعميم . قال الإمام البغوى قوله : في هيئة بذة أي رثاً الهيأة - يقال : رجل باذ الهيئة وفي هيئة بذاذة وبذة . وفي الحديث : البذاذة من الايمان . وهى الرثاثة وترك الزينة . وقد فسر ابن ماجة : البذاذة بأنها القشافة أى التقشف .

---

(١) : ٣٨٥/٢ .
(٢) انظر الاحكام : ١١٢/٢ .
(٣) : ٤٩/٣ مع الفتح .
(٤) : ٥٩٦/٢ .

(٢) **حديث أبي قتادة** وفيه العموم لمن دخل المسجد ·

هذه بعض الأدلة لمن ذهب إلى جواز أداء ركعتى تحية المسجد في حال الخطبة ·

ب ـ وذهب الإمامان مالك وأبو حنيفة إلى أن الداخل في المسجد في حال خطبة الإمام لا يصلى تحية المسجد بل عليه أن يجلس ويستمع إلى خطبة الإمام · واحتجا في ذلك بالأدلة التالية :

١ـ عموم قوله تعالى : وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ·

ويجاب بأن الخطبة كلها ليست قرآناً · وإن كان بعضها قرآنا فيخصصها حديث جابر وأبي سعيد وغيرهما ·

ثم إن الذى يؤدى تحية المسجد يقال له أيضاً أنه منصت · لأنهَ لم يأت بشيء مخل للخطبة ·

٢ ـ وذكر صاحب الهداية قوله تعالى : فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ·

يجاب : من يصلى تحية المسجد فهو في ذكر الله ·

٣ ـ وذكر أيضا صاحب الهداية فقال : ولأبي حنيفة رحمه الله تعالى قوله عليه السلام : إذا خرج الإمام فلا صلاة ولا كلام ·

فقال الشيخ ابن الهمام : رفعه غريب والمعروف كونه من كلام الزهرى رواه مالك في الموطأ · قال خروجه يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام ·

ثم قال : واخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم كانوا يكرهون الصلاة والكلام بعد خروج الإمام والحاصل إن قول الصحابي حجة فيجب تقليده عندنا إذا لم ينفه شيء آخر من السنة (١) · انتهى ·

يقال له فقد عارض قول الصحابي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حديث جابر وأبي سعيد وغيرهما ·

٤ ـ واحتجوا أيضا في ذلك بحديث عبد الله بن بسر أنه قال : جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب · فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلس فقد آذيت (٢) ·

---

(١) انظر شرح فتح القدير : ٤٢١/١ ·

(٢) رواه أبو داود (٦٦٨/١) قال حدثنا هارون بن معروف ، ثنا بشر بن السرى · والنسائي (١٠٣/٣) قال أخبرنا وهب بن بيان قال أنبأنا ابن وهب ، كلاهما عن معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية عن عبد الله بن بسر ·

وبهذا الحديث استدل الإمام الطحاوى على عدم جواز الركعتين ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالجلوس ولم يأمره بأداء ركعتي تحية المسجد (١) ٠

ولكن في استدلاله بهذا الحديث نظر لأنه من الممكن أن الرجل أدى تحية المسجد فى ناحية من المسجد ثم بدأ يتخطى رقاب الناس ليصل إلى أوائل الصفوف ، أو كان ذلك قبل الأمر بإتيان ركعتي تحية المسجد ٠ ثم هو أيضا واقعة عين لا عموم فيها فيحتمل أنه أمره بالجلوس لبيان عدم وجوب تحية المسجد ، ويحتمل أنه أراد بذلك أن يقدم قبل الجلوس تحية المسجد ثم يجلس لما كان معروفاً لديهم ٠

٥ ــ كما احتج الإمام الطحاوى أيضاً بعموم الأحاديث الواردة في النهي عن اللغو يوم الجمعة كمن مس الحصى ، ونزع الثياب أو يقول أحد لصاحبه : أنصت وغير ذلك من الأعمال ٠

فإذا كان الأمر بالمعروف وهو أمر اللاغي بالإنصات ممنوع مع قصر زمنه فالاشتغال بالتحية مع طول زمنه أولى ٠

أجاب الشوكاني عن هذا فقال : حديث الإنصات وارد في المنع من المكالمة للغير ولا مكالمة في الصلاة ٠

٦ ــ وقالوا أيضا : لا يجوز التطوع لمن هو جالس في المسجد والإمام يخطب فكذلك لا يجوز الابتداء في التطوع للداخل والإمام يخطب ٠

وفي هذا نظر لأن للنبي صلى الله عليه وسلم أمرين ٠ أمر للجالس في داخل المسجد أن يستمع إلى الخطبة ، وأمر للداخل بأن يبدأ بتحية المسجد قبل أن يجلس ٠

٧ ــ واستدلوا أيضاً بحديث ضعيف وهو حديث ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل أحدكم المسجد والإمام يخطب فلا صلاة ولا كلام حتى يفرغ الإمام (٢) ٠

٨ ــ وقالوا أيضا : إن حديث جابر يبيح الصلاة وحديث الإنصات يحرم فاجتمع المبيح والمحرم ، فيترجح المحرم كما هو معروف ٠

وإسناده صحيح ٠ وأبو الزاهرية هو حدير بن كريب الحضرمي ويقال الحميرى الحمصي وثقه ابن معين والعجلي ويعقوب بن سفيان والنسائي وغيره ٠ انظر تهذيب التهذيب : ٢١٨/٢ ٠

(١) شرح معانى الآثار : ٣٦١/٨ ٠

(٢) رواه الطبراني ٠ وفيه أيوب بن نهيك منكر الحديث ٠ وقد عارضه الأحاديث الصحيحة ٠

يجاب بأن هذا إذا لم يكن الجمع ٠ والجمع هنا ممكن وهو الإنصات لمن هو جالس في المسجد ، والصلاة لمن يدخل لأن كلاهما من أمر الشارع ٠ وأمر الشارع لا يتعارض ٠

٩ ـ وأجاب العلماء الحنفية عن حديث جابر بأجوبة بعضها لا يستحق الذكر وأحسنها مما قاله العيني (١) وتواتر نقله في الكتب الحنفية منه وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر سليكاً بالركعتين وتوقف عن الخطبة ثم استأنف واستدل العيني في ذلك بحديث أنس رواه الدارقطني (٢) قال حدثنا محمد بن اسماعيل الفارسي ثنا محمد بن ابراهيم الصدرى ثنا عبيد بن محمد العبدى ثنا معمر عن أبيه عن قتادة عن أنس قال : دخل رجل من قيس ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ٠ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : قم فاركع ركعتين وأمسك عن الخطبة حتى فرغ من صلاته ٠ وقال : اسنده هذا الشيخ عبيد الله ابن محمد العبدى عن معتمر عن قتادة عن أنس وهم فيه ٠ والصواب عن معتمر عن أبيه مرسلاً كذا رواه أحمد بن حنبل وغيره عن معتمر ثم أخرجه عن أحمد بن حنبل عن معتمر عن أبيه قال : جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال : يافلان أصليت ٠ قال : لا ، قال : فصل ثم انتظر حتى صلى ٠ انتهى ٠

وذكر هذا أيضا الشيخ ابن الهمام وقال : والمرسل حجة فيجب اعتقاد مقتضاه علينا ثم رفعه زيادة إذ لم يعارض ما قبلها فإن غيره ساكت عن أنه امسك عن الخطبة أولا ، وزيادة الثقة مقبولة ، ومجرد زيادته لا توجب الحكم بغلطه وإلا لم تقبل زيادة وما زاده مسلم فيه من قوله : إذا جاء أحدكم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما لا ينفي كون المراد أن يركع مع سكوت الخطيب لما ثبت في السنة من ذلك أو كان قبل تحريم الصلاة في حال الخطبة فتسلم تلك الدلالة عن المعارض ٠ انتهى كلامه ٠

أقول : على فرض كون المرسل حجة عنده فإن في إسناده عبيد بن محمد العبدى من الضعفاء وقد قال عنه الحافظ بعد ذكر حديث الباب عن الدارقطني : « وقال في حاشية السنن عبيد بن محمد هذا ضعيف ٠ وقال في العلل : بصرى ليس بشيء (٣) » انتهى ٠

فالزيادة هذه غير مقبولة لأنها جاءت من الضعيف ٠

ولهم مرسل ضعيف آخر عن أبي معشر عن محمد بن قيس أن النبي صلى الله عليه

---

(١) انظر عمدة القارى : ٢٣١/٦ ٠

(٢) سنن الدارقطني : ١٥/٢ ٠

(٣) انظر لسان الميزان : ١٢٣/٤ ٠

وسلم حين أمره أن يصلي ركعتين أمسك عن الخطبة حتى فرغ من ركعتين ثم عاد إلى الخطبة ·

قال الدارقطني بعد نقله : هذا مرسل لا تقوم به الحجة وأبو معشر اسمه نجيح وهو ضعيف · انتهى (١) ·

ثم ذكر العيني الوجوه الأخرى وهي في الحقيقة جواب عما قاله الحافظ في الفتح ·

١٠ ـ وقالوا أيضاً إن في حديث جابر بن عبد الله شذوذاً اعتماداً على قول الدارقطني فإنه قال أخرجا جميعاً حديث شعبة عن عمرو بن دينار عن جابر بلفظ « إذا جاء أحدكم ، والإمام يخطب فليصل ركعتين » ·

ورواه ابن جريج ، وابن عيينة ، وحماد بن زيد ، وأيوب ، وورقاء ، وحبيب بن يحيى كلهم عن عمرو بن دينار بلفظ « إن رجلاً دخل المسجد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صليت ...... (٢) ·

فخالف شعبة هؤلاء الجماعة في سياق المتن واختصره فوهم · وإنما أوردوه على حكاية قصة رجل وهي محتملة للخصوص ، وسياق شعبة يقتضي العموم في حق كل داخل ·

الجواب : الغريب من الدارقطنى كيف حكم على هذا الحديث بالشذوذ والادراج كما نقله عنه الأئمة الحنفية في كتبهم مع روايته عن روح بن القاسم وابن عيينة عن عمرو بن دينار في سننه بوجهين ، كما تابع عمرو بن دينار ، أبو سفيان طلحة بن نافع عن جابر عند أحمد ومسلم وأبي داود والدارقطني أيضاً فدعوى الشذوذ والادراج باطلة · وإليكم الخريطة التوضيحية :

---

(١) وأما العيني الإمام الحافظ المحقق فذكر هذا المرسل وعزاه لابن أبي شيبة وسكت عن أبي معشر ولا أدرى هل هذا غفلة منه أو تعمد ·

(٢) هدى السارى : ص ٣٥٥ ·

خـــريطـــة توضيحيـــة

جابر بن عبد الله

عمرو بن دينار	أبو سفيان طلحة بن نافع (إذا جاء أحدكم على العموم) (حم ـ م ـ د ـ قط)
١ ـ ابن جريج ٢ ـ ابن عيينة ٣ ـ حماد بن زيد ٤ ـ أيوب ٥ ـ ورقاء ٦ ـ حبيب بن يحيى (قصة رجل داخل)	١ ـ شعبة خ ـ م ٢ ـ روح بن القاسم قط ٣ ـ ابن عيينة قط (إذا جاء أحدكم على العموم)

وأبو سفيان وثقه أبو زرعة وأخرج عنه أصحاب الستة ٠

فأنت ترى كأن جابراً روى بوجهين فاكتفى أبو سفيان بوجه عام بينما روى عمرو ابن دينار بوجهين ٠ ثم روى تلاميذه بوجهين أيضاً فانتفى حكم الشذوذ والإدراج وقد سرد هذه الروايات بطرقها ٠

هذه هي بعض أدلة المانعين من أداء ركعتي تحية المسجد والإمام يخطب ويظهر من دراستها أن ما قال به المحدثون هو الراجح في الموضوع وقد قال الإمام ابن حزم « وسبحان من يسر هؤلاء لعكس الحقائق فقالوا : من جاء والإمام يخطب فلا يركع ، ومن جاء والإمام يصلي الفرض ولم يكن أوتر ولا ركع ركعتي الفجر فليترك الفريضة وليشتغل بالنافلة فعكسوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عكساً [1] ٠ انتهى ٠

---

(١) انظر المحلي : ١٠٢/٥ ٠

(الوقت الثاني) تحية المسجد في الأوقات المنهي عنها :

١ ـ قال الإمام الشافعي وأحمد يجوز أداء تحية المسجد في الأوقات المكروهة ·

٢ ـ وقال الإمام مالك والإمام أبو حنيفة يكره ذلك ·

والسبب في ذلك ورود العمومين المتعارضين ، الأمر بالصلاة لكل داخل من غير تفصيل ، والنهي عن الصلاة في أوقات مخصوصة فوقع الخلاف بين العلماء فى تخصيص أحد العمومين وتفرع عن ذلك عدة أقاويل في الموضوع :

(القول الأول) أحاديث النهي عن الصلوات في الأوقات المكروهة منسوخة بأحاديث الإجازة فيجوز للرجل أن يصلي في الأوقات المكروهة مثل صلاة الكسوف والركعتين عند دخول المسجد والصلاة على الجنائز وسائر ما أمر به من التطوع مستدلاً في ذلك بحديث أبي قتادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنه ليس في النوم تفريط إنما التفريط في اليقظة فإذا نسى أحدكم صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها · رواه النسائي وغيره وإسناده صحيح ·

قال ابن حزم « وهذا عموم لكل صلاة فرض أو نافلة » (١) ·

(القول الثاني) يجوز أن يصلي الفرائض المنسيّة كلها في الأوقات المكروهة ولا يجوز التطوع بعد الصبح وبعد العصر وكذلك من دخل المسجد في الأوقات المكروهة فلا يصلي تحية المسجد ·

وهذا قول الإمام مالك أخذاً بعمل أهل المدينة · وهو أصل مختلف فيه بين العلماء ·

(القول الثالث) يجوز قضاء الفائتات من الفرائض وكل تطوع ذى سبب ، ومأمور به شرعاً في الأوقات المكروهة · وإنما المنع هو ابتداء التطوع بدون سبب من الشارع إلا يوم الجمعة وبمكة فإنه يتطوع في جميع هذه الأوقات ·

وهذا قول الإمام الشافعى · وقال ذلك مستدلاً بالأحاديث التالية :

١ ـ حديث جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت ، وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار » ·

رواه أبو داود ، والترمذى والنسائي وابن ماجة وأحمد والشافعى وابن حبان ، والدارقطني والبيهقي ، والحاكم ، والطحاوى والدارمي كلهم من طريق سفيان بن عيينة ، عن

---

(١) انظر المحلي : ٣/٣٣ ·

أبي الزبير ، عن عبد الله بن باباه ، عن جبير بن مطعم (١) ٠

قال الترمذي : حسن صحيح ٠

وسكت عليه أبو داود وأقر المنذرى تصحيح الترمذى ٠

وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافق عليه الذهبي ٠

وأبو الزبير وإن كان مدلساً فقد صرح بالسماع في رواية النسائي وغيره ٠

وسوف يأتي مزيد من التحقيق لهذا الحديث في موضوع : أداء ركعتي الطواف في الأوقات المكروهة ٠

٢ ـ حديث أبي هريرة : قال إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس إلا يوم الجمعة » ٠

رواه الشافعى عن ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن إسحاق بن عبد الله عن سعيد المقرى عن أبي هريرة ٠

ومن طريق الشافعى رواه البيهقي (٢) ٠

وفيه ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي كذاب ٠ فقد كذبه بشر بن المفضل ويحيى بن سعيد وابن معين والنسائي وعلي بن المدني والدارقطني وابن حبان ٠ حتى قال فيه ابن معين : « كان فيه ثلاث خصال ، كان كذاباً ، وكان قدرياً ، وكان رافضياً إلا أن الإمام الشافعى كان يدافع عنه ويقول : لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يكذب وكان ثقة في الحديث ٠

وقد حاول بعض العلماء الإجابة على هذه القضية فقالوا : إنما يروى الشافعى عنه في الفضائل فقط ٠ ولكن هذا مردود فإنه يكثر عنه الرواية حتى في الأصول ٠ وعند الرواية أحياناً يصرح باسمه وأحياناً يقول : حدثني الثقة ٠

ومن هنا احتاط العلماء في قول من يقول : حدثني الثقة أو فلان لا يروى إلا عن الثقة فقالوا : إن هذا ليس بتعديل فإنه قد يكون ثقة عنده لا عند غيره كعبد الملك بن أبي المخارق عند مالك وابراهيم بن محمد بن أبي يحيى عند الشافعي وعامر بن صالح عند أحمد وغيره ٠

---

(١) أبو داود (٤٤٩/٣) والترمذي (٢١١/٣) والنسائي (٢٨٤/١) وابن ماجة (٣٩٨/١) وأحمد (٨٠/١) والشافعي في الأم (١٤٨/١) وابن حبان (موارد الظمآن ١٦٤ـ١٦٥) والدارقطني (٤٣٣/١) والبيهقي (٤٦١/٢) والحاكم (٤٤٨/١) والطحاوي (١٨٦/٢) والدارمي (٧٠/١) ٠

(٢) السنن الكبرى : ٤٦٤/٢ ٠

وكذلك في إسناده إسحاق بن عبد الله وهو ضعيف أيضاً .

كما روى هذا الحديث الطبراني في الكبير عن واثلة وفيه بشير بن عون ضعيف قال عنه ابن حبان : يروى مائة حديث كلها موضوعة (١) .

كأن الإمام الشافعي نظر إلى جملة من المخصصات للنهي عن الصلاة في الأوقات المكروهة منها : قضاء النبي صلى الله عليه وسلم سنة الظهر بعد العصر وإن كان ذلك خاص به ، وأمره صلى الله عليه وسلم للرجلين بإعادة الصلاة اللذين صليا في رحالهما وذلك في صلاة الصبح ، وكان ذلك في حجة الوداع ، وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لمن صلى ركعتي الفجر بعد صلاة الصبح ، وعموم حديث جبير بن مطعم لأداء ركعتي الطواف في الأوقات المكروهة وغيرها فقال به . ولا شك أنه أقرب إلى العمل بالنصوص .

(**القول الرابع**) ثلاثة أوقات لا يصلى فيها فرض فائت أو غير فائت أو نفل بوجه من الوجوه وهي :

١ ـ عند طلوع قرص الشمس إلا أن تبيض .

٢ ـ عند استواء الشمس حتى تأخذ إلى الزوال .

٣ ـ عند غروب الشمس إلا يوم عصره فإنه يصلى عند الغروب وقبله وبعده .

وبهذا يقول العلماء من الحنفية .

وتفرد الإمام أبو يوسف فجوز النفل يوم الجمعة عند استواء الشمس مثل الشافعي ومعنى قولهم : إلا عصر يومه كما في الهداية : أن السبب هو الجزء القائم من الوقت لأنه لو تعلق بالكل لوجب الأداء بعده ولو تعلق بالجزء الماضي فالمؤدى في آخر الوقت قاض . وإذا كان كذالك فقد أداها كما وجبت بخلاف غيرها من الصلوات لأنها وجبت كاملة فلا تؤدى بالناقص . انتهى .

وهذا التعليل لا دليل عليه من الكتاب والسنة وأقوال العلماء .

(**القول الخامس**) تكره الصلوات كلها سواء كانت مفروضة أو نافلة في الأوقات المنهي عنها نقل بعض العلماء عن الإمام أحمد .

والصحيح عنده : لا تكره الصلوات الفائتة ولا الصلوات ذوات الأسباب مثل قول الشافعي إلا أنه اختلف معه في يوم الجمعة .

---

(١) انظر مجمع الزوائد : ٢٢٨/٢ .

هذا هو المذهب المشهور عن الإمام أحمد نقله الشيخ ابن قدامة ولفظه : لا نفعل ولا نعيب فاعله (١) ·

أداء ركعتي الطـــواف في الأوقـــات المكروهـــة

١ ـ حديث جبير بن مطعم · أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يابنى عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت ، وصلى آية ساعة من ليل أو نهار ·

رواه أبو داود (٤٤٩/٢) والترمذى (٢١١/٣) والنسائي (٢٨٤/٨) وابن ماجة (٣٩٨/١) وأحمد (٨٠/٤) والشافعي في الأم (١٤٨/١) وابن حبان (موارد الظمآن ١٦٤ـ١٦٥) والدارقطني (٤٢٣/١) والبيهقي (٤٦١/٢) والحاكم (٤٤٨/١) وانطحاوى (١٨٦/٢) والدارمي (٧٠/٢) كلهم عن طريق سفيان بن عيينة ، عن أبي الزبير ، عن عبد الله بن باباه ، عن جبير بن مطعم إلا أن الدارقطني فإنه أخرج بوجهين آخرين عن جابر · قال الحافظ في التخليص (١٩٠/١) وهو معلول لأن المحفوظ عن أبي الزبير ، عن عبد الله بن باباه ، عن جبير ، لا عن جابر · انتهى ·

وقال الترمذي : حسن صحيح ·

وسكت عليه أبو داود ، وأقر المنذري تصحيح الترمذي ·

وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه · ووافق عليه الذهبي ·

قال المنذري : فيه دليل على أن الصلاة جائزة بمكة في الأوقات المنهي عنها في سائر البلدان · ومنع بعضهم ذلك لعموم النهي ، وتأول الحديث على معنى الدعاء وهو بعيد ·

وقال البيهقى : يحتمل أن يكون المراد بهذه الصلاة ، صلاة الطواف خاصة وهو الأشبه بالآثار ، ويحتمل جميع الصلوات · انتهى ·

وقد عزا المجد بن تمية هذا الحديث إلى مسلم وهو تسامح منه فإن مسلماً لم يخرج هذا الحديث في صحيحه ·

وقال صاحب الإمام : إنما لم يخرجاه لاختلاف وقع في إسناده · فرواه سفيان كما تقدم ورواه الجراح بن منهال ، عن أبي الزبير ، عن نافع بن جبير سمع أباه جبير بن مطعم ،

---

(١) انظر المغني : ٩٠/٢ ·

ورواه معقل بن عبيد الله ، عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً نحوه ، ورواه أيوب عن أبي الزبير قال أظنه عن جابر ، فلم يجزم به ، وكل هذه الروايات عند الدارقطني . قال البيهقي بعد إخراجه من جهة ابن عيينة : أقام ابن عيينة إسناده ومن خالفه منه لا يقاومه . فرواية ابن عيينة أولى أن تكون محفوظة . ولم يخرجاه . انظر نصب الراية (٢٥٣/٨) .

٢ ـ حديث عبد الله بن عباس : قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يابني عبد المطلب ، أو يابني عبد مناف لا تمنعوا أحداً يطوف بالبيت ، ويصلي ، فإنه لا صلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس ، ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس إلا بمكة عند هذا البيت يطوفون ويصلون » .

رواه الدارقطني (٤٢٦/٨) من طريق أبي الوليد العدني ، ثناء رجاء أبو سعيد ، ثنا مجاهد ، عن ابن عباس .

قال الزيلعي : أبو الوليد لا يوجد له ذكر في الكنى لأبي أحمد الحاكم . ورجاء بن الحارث أبو سعيد المكي ضعفه ابن معين قال الحافظ في التلخيص (١٩٠/٨) ورواه الطبراني من رواية عطاء ، عن ابن عباس ، ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان ، والخطيب في التاريخ من طريق ثمامة بن عبيدة ، عن أبي الزبير ، عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه وهو معلول . انتهى .

٣ ـ حديث أبي هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس » وزاد في آخر الحديث « ومن طاف فليصل » أخرجه ابن عدى ، والبيهقى (٦٢/٣) من طريقه ، من طريق سعيد بن أبي راشد ، عن عطاء ، عن أبي هريرة .

قال ابن عدى : وسعيد هذا يحدث عن عطاء ، وغيره بما لا يتابع عليه وكذا قال البخارى أيضاً .

٤ ـ حديث أبي ذر : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ، ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس الا بمكة . وكرر الاستثناء ثلاثاً .

رواه أحمد (١٦٥/٥) عن يزيد ، عن عبد الله بن المؤمل ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، عن أبي ذر . ورواه الشافعي ، والدارقطني (٤٢٤/٨) والبيهقي (٤٦١/٣) بطريق الشافعي عن عبد الله بن المؤمل ، عن حميد مولى عفراء ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد .

فاختلف على ابن المؤمل فمرة رواه عن قيس بن سعد ، ومرة عن حميد .

ورواه ابن عدى من حديث سعيد بن سالم عن عبد الله بن المؤمل ولم يذكر فيه قيسا ورواه أيضاً من طريق اليسع بن طلحة · سمعت مجاهداً يقول : بلغنا أن أبا ذر ..... ·

قال الحافظ : ذكر ابن عدى هذا الحديث من جملة مناكير عبد الله بن المؤمل · انتهى ·

وقال البيهقي : وهذا الحديث يعد في أفراد عبد الله بن المؤمل ، وعبد الله بن المؤمل ضعيف · إلا أن ابراهيم بن طهمان تابعه في ذلك عن حميد · وأقام إسناده · انتهى ·

قال أحمد : أحاديث ابن المؤمل مناكير ·

وقال ابن معين : هو ضعيف الحديث ·

قال الزيلعي : قال الشيخ في الامام : حديث أبي ذر هذا معلول بأربعة أشياء أحدها : انقطاع ما بين مجاهد وأبي ذر · الثاني : إختلاف في إسناده فرواه سعيد بن سالم عن ابن المؤمل عن حميد مولى عفراء عن مجاهد عن أبي ذر · لم يذكر فيه قيس بن سعد · أخرجه كذالك ابن عدى في الكامل · قال البيهقي وكذالك رواه عبد الله بن محمد الشامي عن ابن المؤمل عن حميد الأعرج عن مجاهد · الثالث : ضعف ابن المؤمل · قال النسائي وابن معين · ضعيف · الرابع : ضعف حميد مولى عفراء · قال البيهقي : ليس بالقوى · وقال ابن عبد البر : هو ضعيف · انتهى · نصب الراية (٢٥٤٨ـ٢٥٥) ·

وقال ابن عبد البر في التمهيد : وهذا حديث وان لم يكن بالقوى لضعف حميد مولى عفراء ، ولأن مجاهداً لم يسمع من أبي ذر ففي حديث جبير بن مطعم ما يقويه مع قول جمهور العلماء من المسلمين به ·

مذاهب الأئمة في الموضوع : في الموضوع رأيان للعلماء ذكرهما الترمذي في جامعه بعد حديث جبير بن مطعم ·

(الأول) جواز أداء ركعتي الطواف بعد العصر والصبح وهو قول الشافعي و أحمد وإسحاق (وحجتهم في ذلك أحاديث الباب) ·

(والثاني) عدم جواز أداء ركعتي الطواف بعد العصر والصبح · قال به مالك وأبو حنيفة واحتج هؤلاء بعموم أحاديث النهي عن الصلوات في الأوقات المكروهة ·

وبعموم حديث عقبة بن عامر الجهني قال : ثلاث ساعات نهانا رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان نصلي فيهن ، أو أن نقبر موتانا : حين تطلع الشمس بازغة حتى ترفع ، وحين يقوم قائم الطهيرة ، وحين تَضَيَّفُ للغروب حتى تغرب (١) .

قوله نقبر : بضم الباء الموحدة وكسرها . أى التعمد في تأخير الدفن إلى اصفرار الشمس . وقوله : تضيف : بفتح التاء والضاد وتشديد الياء : مال .

قال الملا علي القاري : والمذهب عندنا أن هذه الأوقات الثلاثة يحرم فيها الفرائض والنوافل وصلاة الجنازة وسجدة التلاوة إلا إذا حضرت الجنازة أو تليت آية السجدة حينئذ فإنهما لا يكرهان ، لكن الأولى تأخيرهما إلى خروج الأوقات واستدلوا أيضاً بحديث عمر أنه طاف بعد صلاة الصبح فلم يصل ، وخرج من مكة حتى نزل بذى طوى فصلى بعد ما طلعت الشمس » (٢) .

قال الإمام محمد في موطئه بعد رواية هذا الحديث : وبهذا نأخذ ينبغي أن لا يصلى ركعتي الطواف حتى تطلع الشمس وتبيض . وهو قول أبي حنيفة والعامة من فقهائنا (٣) وأجاب عن هذا الإمام الشافعي فقال : فإن كان عمر كره الصلاة في تلك الساعة فهو مثل مذهب ابن عمر . وذلك ان يكون علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن الصلاة بعد الصبح ، وبعد العصر فرأى نهيه مطلقاً ، فترك الصلاة في تلك الساعة حتى تطلع الشمس . ويلزم من قال هذا أن يقول : لا صلاة في جميع الساعات التى نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيها . لا الطواف ولا على جنازة ، وكذلك يلزمه أن لا يصلي فيها صلاة فائتة ، وذلك من حين يصلي الصبح إلى أن تبرز الشمس ، وحين يصلي العصر إلى أن يتتام مغيبها ، ونصف النهار الى ان تزول (٤) وقال الشيخ الطحاوي في شرح معاني الآثار (٥) فإذا كانت هذه الأوقات تنهي عن الصلاة على الجنائز ، فالصلاة للطواف أيضا كذلك . وقال الشوكاني : وذهب الجمهور إلى العمل بالأحاديث القاضية بالكراهة على العموم ترجيحاً لجانب ما اشتمل على الكراهة ، وأنت خبير بأن حديث جبير بن مطعم لا يصلح تخصيص أحاديث النهي المتقدمة لأنه أعم منها من وجه ، وأخص منها من وجه ، وليس أحد العمومين أولى بالتخصيص من الآخر لما عرفت غير مرة (٦) انتهى .

---

(١) رواه مسلم (١١٤/٥ مع النووى) وأبو داود (٢٢٦/٤ مع المنذري) والنسائي (٢٧٥/٨-٢٧٦) والترمذي (١١٥/٤ مع التحفة) . وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٢) رواه البخارى معلقا (٤٨٨/٣ مع الفتح) ووصله مالك في الموطأ (مع الزرقاني) عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن عبد القادر عن عمر .

(٣) انظر تحفة الاحوذي : ٦٠٧/٣ .

(٤) الأم : ١٥٠/٨ .

(٥) : ١٨٨/٢-١٨٩ .

(٦) نيل الأوطار : ١١٦/٣ .

وقال أصحاب القول الأول : إن هذه الأحاديث تخصص عموم أحاديث النهي عن الصلوات في الأوقات المكروهة · وتوجيه خطاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى سدنة بيت الله الحرام من عدم التعرض لمن أراد أن يصلي ، أو يطوف لا بد أن يكون له معنى زائد عما كان معروفاً من قبل من كراهة التطوع في الأوقات المكروهة ·

وأن الطحاوي من محققي العلماء الحنفية ذكر تفسيراً حسناً لحديث عقبة بن عامر بعد ذكر أدلة القائلين بعدم جواز أداء ركعتي الفجر وهذا لفظه :

فإذا كانت هذه الأوقات تنهي عن الصلاة على الجنائز ، فالصلاة للطواف أيضا كذلك وكذلك كانت الصلاة بعد العصر قبل تغير الشمس ، وبعد الصبح قبل طلوع الشمس مباحة على الجنائز ، ومباحة في قضاء الصلاة الفائتة ، ومكروه في التطوع · وكان الطواف يوجب الصلاة حتى يكون وجوبها كوجوب الصلاة على الجنائز · فالنظر على ما ذكرنا أن يكون حكمها بعد وجوبها ، كحكم الفرائض التي قد وجبت ، وحكم الصلاة على الجنائز التي قد وجبت · فتكون الصلاة للطواف ، تصلى في كل وقت ، يصلي فيه على الجنائز . وتقضي فيه الصلاة الفائتة ، ولا تصلى في كل وقت لا يصلي فيه على الجنائز . ولا تقضي فيه صلاة فائتة ·

ثم قال : وإليه نذهب خلافاً لقول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله (١) انتهى قوله ·

وقال الشيخ عبد الحي اللكنوي في التعليق المجد :

« ولعل المصنف (يقصد به الشيخ الطحاوي) المحيط بأبحاث الطرفين يعلم أن هذا يعنى جواز ركعتي الطواف بعد العصر وبعد الصبح قبل الطلوع والغروب هو الأرجح الأصح · قال : وعليه عملي بمكة قال : ولما طفت طواف الوداع حضرت المقام ، مقام ابراهيم لصلاة ركعتي الطواف فمنعني المطوفون من الحنفية ـ فقلت لهم الأرجح الجواز في هذا الوقت ، وهو مختار الطحاوي من أصحابنا وهو كاف لنا · فقالوا لم نكن مطلعين على ذلك ، وقد استفدنا منك ذلك انتهى (٢) وبالله التوفيق ·

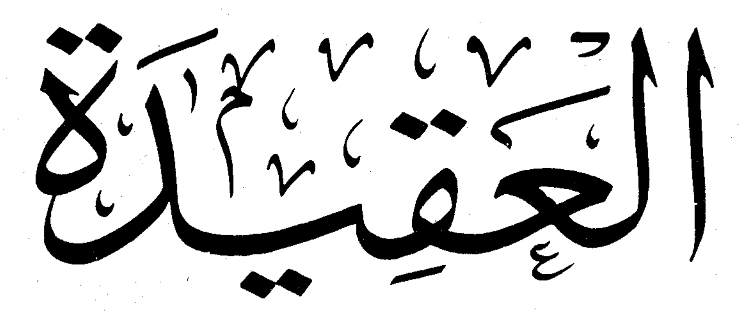
---

(١) شرح معاني الآثار : ١٨٩/٢ ·

(٢) نقلا من تحفة الاحوذي : ٦٠٦/٣ ·

أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ
كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ
أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ
وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

الـروم - ٩ -


العقيدة

مسلك القرآن الكريم

في إثبات الوحدانية



د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
عميد شئون المكتبات بالجامعة

تمهيـد :

توحيد الألوهية : هو توحيد الله بأفعال عباده ·

ولما كان هذا النوع من أنواع التوحيد هو مناط الإيمان بالله وحده ، واخلاص العبادة له « **ألا لله الدين الخالص** »(الزمر الآية ٣) « **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** » (البينة الآية ٥) . فقد أفصح عنه القرآن الكريم كل الافصاح ، وأبدا فيه وأعاد وضرب لذلك الأمثال المحسوسة والمشاهدة التي يعيشها المخاطب ويتعامل معها بعقله ومشاعره لذا نجد في كل سورة من سور القرآن الكريم الدلالة على هذا التوحيد إذ أن الخصومة بين الأنبياء وأممهم إنما كانت في هذا النوع من أنواع التوحيد . فالشرك الذي حدث من جميع الأمم إنما كان في هذا النوع ·

أما توحيد الربوبية : والتي سبقت الأدلة الواضحة عليه من القرآن الكريم فعامة مشركي الأمم مقرين بالخالق إلا من فسدت فطرته فانحرف عن خط العقلاء . ولكنهم مع اقرارهم به أشركوا معه غيره يقول عز من قائل : « **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون** » (الزخرف الآية : ٨٧) ·

أما توحيد الألوهية : فقالوا عنه « **أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** » (ص الآية : ٥) . ومن أجل ذلك تتابعت الرسل لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده ، وترك ما يدعون من دونه · « **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** » (**فاطر الآية ٢٤**) « **رُسُلاً مُبشّرينَ ومنذرين لِئَلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً** » (النساء الآية : ١٦٥) ·

وعبادة الله شاملة لكل أفعال العباد قال تعالى : « **قُل إنَّ صلاتي ونُسُكي وَمَحْيايَ وَمَمَاتِي لله ربِّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أولُ المسلمين** » (**الأنعام الآية : ١٦٤ - ١٦٥**) .

ثم أن عقيدة التوحيد أقدم في تاريخ البشرية من العقائد الوثنية جميعاً . ذلك أنها وجدت كاملة منذ اللحظة الأولى ، لأنها ليست نابعة من أفكار البشرية كما يرى أصحاب مذهب التطور ، وإنما هى فطرة الله التي فطر عباده عليها ، فقد خلقهم حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأضلتهم ، هذا ما يقرره القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وعليه التصور الإسلامي ، فقد أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض ليقوم فيها بالخلافة التي اختاره الله للقيام بها ، بعد أن تلقى كلمات من ربه فتاب عليه وأخذ عليه العهد والميثاق أن يتبع ما يأتيه من هدى الله ، وأن لا يتبع الشيطان فيضله عن سبيله . قال تعالى : « **قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يَأتينكم مِنى هُدًى فمن تبع هُداىَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** » (البقرة الآية : ٣٨ ، ٣٩) .

وما من شك أن آدم عليه السلام علمَ بَنِيه الإسلام وهو عقيدة التوحيد جيلاً بعد جيل ، وأن الإسلام كان أول عقيدة عرفتها البشرية في الأرض ، ثم انحرفت عن منهج الله وهديه ، قال تعالى : (**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ..**) (البقرة الآية : ٢١٣) . أي كان الناس أمة واحدة على الإيمان ودين الحق ، دون الكفر بالله والشرك به ، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين (١) .

يوضح ذلك قوله تعالى في سورة يونس : (**وما كان الناسُ إلاَّ أمةً واحدةً فاختلفوا ولولا كلمة سَبَقتْ من ربكَ لَقُضِيَ بينهم فيما فيه يختلفون**) (يونس الآية : ١٩) . فحين اختلفوا أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ، يبشرون من أطاع الله بجزيل الثواب وكريم المآب ، وينذرون من عصى الله فكفر به بشدة العقاب وسوء الحساب والخلود في النار .

فكان أول رسول إلى الناس بعد اختلافهم نوح عليه السلام دعاهم إلى عبادة الله وحده كما قال تعالى حكاية عنه : (**قال يا قومِ إنِّي لكم نذيرٌ مبينٌ . أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون**) (نوح الآية : ٢ ، ٣) . وقوله : (**يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله**

---

(١) ابن جرير في التفسير ج (٢/٣٣٥ - ٣٣٧) .

غيره) • وقد ردوا عليه دعوته متمسكين بعبادة آلهتهم التي اتخذوها من دون الله : **(وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكمْ ولا تَذَرُن وَداً ولا سُواعاً • ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً)** (نوح ٢٣ ، ٢٤) •

فنوح عليه السلام أرسل لاعادة الناس إلى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما قال تعالى : **(فأقم وجهك للدين حنيفاً فِطْرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيِّم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)** (الروم الاية ٣٠)

ويقول رسول الهدى صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه) (١) • وقوله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : **(خلقت عبادى حنفاء كلهم وأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)** (٢) •

وهنا نقول كذب علماء الأديان المقارنة القائلين بتطور العقيدة ، من التعدد إلى الانتخاب ثم التوحيد (٣) • وإنما كانت البشرية على دين الإسلام وهو دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها حتى اجتالتهم شياطين الجن والإنس ، فإشركوا بالله خالقهم وعبدوا معه غيره ، فأرسل الله إليهم الرسل ليعيدوهم إلى الطريق السوى قال تعالى : **(إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن مِن أمة إلاَّ خَلاَ فيها نَذِيرٌ)** (فاطر الآية : ٢٤) •

وقد عالج القرآن الكريم انحراف الناس عن توحيد الله بأنواع من الأساليب الواضحة المتصلة بحياة الناس ومشاعرهم ، وبين لهم أن كثيراً من أعمالهم التى يتوجهون بها لغير الله هى حق لله لا يجوز صرفها لغيره ، حتى استقاموا على أمر الله واتبعوا رسوله الذى تركهم على المحجة البيضاء ، ثم اختلط هذا الأمر بعد ذلك على كثير من الناس لا سيما في العصور المتأخرة فخلطوا بين ما هو حق خالص لله لا يجوز صرفه لغيره ، وبين أمور من هذا الباب ظنوا أنها من الأمور التي يجيزها الشرع •

---

(١) خ في الجنائز فتح الباري ٢١٩/٣ ح ١٣٥٨، ١٣٥٩ • و م / في القدر ٤ / ٢٠٤٨ ح ٢٤ •

(٢) م / في الجنة / ٤ / ٢١٩٧ ح ٦٣ •

(٣) انظر كتاب الدين . ص ١١١ -- ١١٩ للدكتور محمد عبد الله دراز •

ومن هذه الأنواع المشتبهة :

١ – الدعاء ·

٢ – الحب القلبي ·

٣ – الشفعاء ·

٤ – النية والقصد ·

٥ – حق التشريع ·

وسنعرض لهذه الأنواع بشيء من التوضيح بأمثلة من الكتاب والسنة ·

كما سنذكر في هذا البحث نماذج من طريقة القرآن في إثبات الوحدانية ، ونبين طريقة القرآن في توحيد الأسماء والصفات ، والغرض من دراسة هذا النوع من أنواع التوحيد وكيف كان القرآن يخاطب الناس به ·

مع ذكر نبذة قصيرة عن طريقة المتكلمين في إثبات هذا القسم من أنواع التوحيد لا للمقارنة ، وإنما لمعرفة ميزة طريقة القرآن التي تخاطب العقل والروح معاً · وطريقة المتكلمين الجافة المبنية على الجدل والخصام ·

فنقــول :

المتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن أكثر الحوار الذي دار بين الأنبياء وأممهم إنما هو في إثبات قضية الوحدانية لله تعالى ·

أما ما حدث من بعضهم من مثل ما حكاه الله عز وجل عن الدهرية في قوله تعالى : **(وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هُمْ إلا يَظُنون)** (الجاثية الآية : ٢٤) ·

فهو من قلة من الناس ممن فسدت فطرتهم فانحرفوا عن منهج العقلاء ، كما هو الحال في أتباع الماركسية في عصرنا الحاضر . وإلا فوجود الله تبارك وتعالى من بدهية الفطرة ، **(قالتْ رُسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض ··)** (إبراهيم الآية : ١٠) ·

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد ·

ولا دليل عند أولئك في نفي وجود الخالق ، إنما عندهم الظن · فقد قال الله لهم : « **وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** » فالجهل بالشيء لا يدل على عدم وجوده ، والظن لا يغني من الحق شيئاً ، وقد نفى الله العلم عنهم ، وبين قصور الحجة عندهم ، وبين

أن دعواهم بأنهم خلقوا من غير شيء دعوى باطلة ، إذ كل عاقل يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أولاده ، ولا السموات والأرض . قال تعالى : (**أم خُلِقوا من غير شيء أم هُم الخَالِقُون · أم خَلَقُوا السموات والأرض بل لا يُوقِنُون**) (الطور الآية : ٣٥ ، ٣٦) ·

وقد بين القرآن الكريم ، بأن المشركين جميعاً حتى المدعين للربوبية الحاداً يعترفون بهذه الحقيقة ، أي أنه لا خالق إلا الله تبارك وتعالى ، إذ لم يدع أحد صفة الخلق والايجاد عبر تاريخ البشرية كلها · « **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** » (لقمان الآية : ٢٥) ·

أما ما ادعاه النمرود بن كنعان ، كما ذكر الله ذلك عنه في محاجته لإبراهيم عليه السلام في ربه قال تعالى : (**ألَمْ تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم رَبِي الذي يُحْيِ ويميت قال أنا أُحْيِ وأميت ، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فَبهُت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين**) (البقرة الآية : ٢٥٨) ·

وفيها دعواه أنه يحي ويميت ، كما أن إله إبراهيم يحي ويميت · فهو يماثل إله إبراهيم في هذه الخاصة كما يزعم ·

وهو لعناده ومغالطته ، أو لبلاهته ، فقد فسر الحياة بالعفو عمن يستطيع قتله ، والإماتة بمن ينفذ فيه حكم الاعدام ·

ولذلك فإن إبراهيم عليه السلام قطع لجاجته ودحض حجته ، حيث بين له ، أن الله وهو إله إبراهيم ومعبوده يأتي بالشمس من المشرق ، فعليه إن كان رباً وإلهاً معبوداً كما يدعي أن يأتي بها من المغرب ، فبهت الذي كفر وانقطعت حجته ، والله لا يهدي القوم الظالمين ·

والملحد الآخر المدعي للربوبية والألوهية ، هو فرعون ، فقد تظاهر بادعاء الربوبية لنفسه كما حكى الله ذلك عنه بقوله : (**فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى**) (النازعات الآية : ٢٣ ، ٢٤) · (**وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري ··**) (القصص الآية : ٣٨) ·

وقد بين القرآن الكريم حين تحدث عن فرعون وملئه أنهم قد عرفوا الحق ، ولكنهم استكبروا عن اتباعه ظلماً وعلواً في الأرض · قال تعالى : (**فلما جاءتهم آياتنا مُبصرة قالوا هذا سحر مبينٌ · وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المُفْسِدِين**) (النمل الآية : ١٣ ، ١٤) ·

والماركسيون يعترفون بوجود قوة خفية تحرك هذا الكون وتدبره أسموها الطبيعة، وهى في الواقع إلههم إذ ينسبون إليها ايجاد هذه الموجودات، فهم لم يدعوا خلق أنفسهم، وعليه فهذه القوة التي أسموها الطبيعة هى الله عند المؤمنين به، كما أن الفلاسفة سموا الإله المحرك الاول .

ولذلك فإن الأدلة التي سبقت في مبحث إثبات وجود الله تعالى هي أدلة قاطعة على إثبات وحدانيته سبحانه وتعالى فالله يقول مبينا وموضحاً هذه الحقيقة : **(لو كان فيهما آلهة إلاَّ الله لفسدتَا فسبحان الله رب العرش عمَّا يَصِفُون)** (الأنبياء الآية : ٢٢) .

وهذا المسلك في الاستدلال : هو ما يسميه علماء الكلام بدليل التمانع .

وهو انتظام الكون وسلامته من الخلل، الذى يدل على أن هذا النظام والأحكام من تدبير إله واحد .

وتقرير الدليل هكذا :

لو كان هناك آلهة متعددة لحصل الفساد في نظام هذا الكون، إذ لكل إله إرادة تخالف إرادة الآخر، فمثلا هذا يريد احياء شخص والآخر يريد إماتته، أو هذا يريد طلوع الشمس، وهذا يريد غروبها، فتحصل معارضة الإرادتين، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين . والواجب لا يكون عاجزاً، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد، وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد فيكون محالا . فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان الغالب هو الواجب وهو الإله الحق، والآخر المغلوب ممكنا .

والواقع المشاهد يؤكد صلاح العالم وانتظام الكون وسلامته من الخلل والفساد، فثبت بذلك الوحدانية لله تعالى، التي بها صلاح العالم، وبطل ما يؤدى إلى فساده وهو تعدد الآلهة .

ومن هذا الباب (١) قوله تعالى : **(ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خَلق وَلَعَلاَ بعضهُمْ على بعضٍ سبحان الله عما يصفون)** (المؤمنون الآية : ٩١) .

حال العرب عند نزول القران :

والجاهليون حين نزول القران الكريم كانوا يؤمنون بالله وأنه هو الخالق وحده -- إلا من فسدت فطرته -- وإنما كانوا يشركون معه آلهة أخرى لا يدّعون لها الخلق والايجاد وإنما

---

(١) ابن كثير (٣ / ٢٥٤) .

يتقربون بها لتشفع لهم عند الله . ولذلك عجبوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة الله وحده . واتهموه بالسحر والكهانة والكذب .

يقول تعالى مخبراً عن ذلك : (**وَعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلِهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب**) (ص الآية : ٤ ، ٥) .

وقوله : (**أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أنَّ لهم قَدَم صِدقٍ عند ربهم قال الكافرون إنَّ هذا لساحر مبينٌ**) (يونس الآية : ٣) .

ومع هذا الانكار الشديد على توحيد الألوهية فهم يعترفون بتوحيد الربوبية قال تعالى : « **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض لَيَقُولُن الله ..** » (لقمان الآية : ٢٥) .

فكأنهم يقولون . فالله إذا كان خالقاً وحده . لا يلزم من ذلك أن يكون منفرداً بالعبادة « أجعل الآلهة إلهاً واحداً » ذلك أن عبادتنا لغيره ما هى إلاَّ وساطة بتلك المعبودات كى تقربنا إلى الله زلفى (**.. ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفَى ..**) (الزمر الآية : ٣) .

وسبب هذا التمسك والمحافظة على هذه الوسائط والاستمرار في اتخاذها شفعاء عند الله وإن كانت لا تنفع نفسها . هو الألف والعادة فلا مجال للعقل أن يفكر بل ما تلقوه عن الآباء وورثوه عن الأجداد هو الدين . ولو كان الآباء والأجداد لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون . « **إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون** » . (الزخرف الآية : ٢٣) .

وقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية لأبي طالب عند الوفاة : أترغب عن ملة عبد المطلب . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله فكان آخر كلامه أن قال : هو على ملة عبد المطلب (١) .

فلما دعاهم رسول الهدى صلى الله عليه وسلم إلى خلع هذه الأنداد المتخذة مع الله وطلب منهم أن يفردوا الله وحده بالعبادة لأنه الإله الحق . وأن يتركوا تلك الوسائط والشفعاء التي لا تدفع عن نفسها شراً . فضلا عن أن تنفع غيرها . أعظموا ذلك الأمر واستغربوه وتعجبوا من قائله . وانطلق سادات القوم وكبراؤهم يحثون أتباعهم على الاستمرار على دينهم والسدور في شركهم . يحثونهم على الصبر على آلهتهم . وأن لا يستجيبوا لدعوة محمد صلى الله

---

(١) خ / التفسير باب إنك لا تهدي من أحببت .. فتح الباري ٨ / ٥٠٦ . ح ٤٧٧٢ .

عليه وسلم التي يدعوهم فيها إلى توحيد الخالق في العبادة . الذي يعترفون له بأنه الواحد في الخلق . متهمين رسول الله أنه إنما يريد بهذه الدعوة الشرف والاستعلاء عليهم . وما دعواه النبوة وإنزال الوحي عليه إلا افتراء واختلاف إذ كيف اختصه الله من بينهم بذلك . يقول الله في ذلك : (**وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يُراد . ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة إن هذا إلا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذِكري بل لما يذوقوا عذاب**) (ص الآية : ٥ ، ٨) .

هكذا كان حال أولئك المشركين حين يدعون إلى توحيد الله وأفراده بالعبادة .

وقد سلك القرآن الكريم في دعوتهم إلى ترك هذه الآلهة المزعومة مسالك متعددة منها :

١ - بيان عجز الآلهة المدعوة من دون الله :

(**يا أيها الناس ضرِبَ مَثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذُباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئاً لا يَسْتَنْقِذُوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب . ما قدر الله حق قدره إن الله لقويٌ عزيز**) (الحج الآية : ٧٣ ، ٧٤) .

يبين تبارك وتعالى لعباده أن هذه الآلهة المزعومة المدعوة من دونه عاجزة وضعيفة فلو اجتمعت كلها لإيجاد مخلوق حقير مثل الذباب لا تستطيع ذلك . بل إن الذباب الحقير لو أخذ منهم شيئاً من حقير المطاعم ، وطار به . لما استطاعوا انقاذه منه وهذا يؤكد عجز هذه الآلهة وضعفها أمام هذا المخلوق الضعيف (**ضعف الطالب والمطلوب**) . أفمن كانت هذه صفته يصلح لأن يعبد ليَرْزق ويسْتَنصر . إذاً فالغارقون في عبادة هذه الأوثان ، لم يقدروا الله حق قدره وهو القوى العزيز . (**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**) (البقرة الآية : ٢١) .

٢ - بيان أن الخلق عنوان العبادة :

(**أفمن يَخْلُق كمن لا يخلق أفلا تذكرون**) (النحل الآية : ١٧) .

(**هذا خلقَ الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**) (لقمان الآية : ١١) .

(**ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل**) (الأنعام الآية : ١٠٢) .

وقد تعددت الآيات التي تنبه عقول المخاطبين وتبين لهم بأن أولئك الشركاء المدعوين مع الله لا يستطيعون تقديم شيء لمن دعاهم، بل إنهم عاجزون عن نصرة أنفسهم فيما إذا اعتدى عليهم فكيف يسوغ دعاؤهم عند أصحاب العقول والفطر السليمة. يقول تعالى: **(أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوهم إلى الهُدى لا يَتَّبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون . إن الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين . ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدٍ يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تُنظرون . إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يَتَولى الصالحين . والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون)** (الأعراف الآية : ١٩١ - ١٩٨) .

فهذه الآيات تضمنت الانكار الشديد من الله تبارك وتعالى على المشركين الذين يعبدون مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان، إذ كيف يسوغ لمخلوق منحه الله العقل والسمع والبصر أن يعبد مخلوقاً مثله، مصنوع مربوب لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا يملك من الأمر شيئاً، بل إن أكثر هذه المعبودات جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم، ولهذا قال: أيشركون به من المعبودات مالا يخلق شيئاً ولا يستطيع ذلك -) (١) .

ثم يتابع تبارك وتعالى بيان ضعف هذه الآلهة فيقول: **(ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم يَنْصُرون)** (الأعراف الآية : ١٩٢) . فهي لا تستطيع نصر عابديها، بل ولا نصر أنفسها ممن أرادها بسوء كما كان الخليل عليه السلام يحطم أصنام قومه التي يعبدونها: **(فراغ إلى آلِهتهم فقال ألا تأكلون . مالكم لا تنطقون . فراغ عليهم ضرباً باليمين) (الصافات الآية : ٩١ - ٩٣) . (فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون)** (الأنبياء الآية : ٥٨) .

ولننظر لقصة عمرو بن الجموح سيد قومه مع صنمه الذي كان يعبده، ويطلب منه أن يدفع عن نفسه الشر إن كان فيه خيراً بعد أن يقدم له السلاح . وكان من خبره أن له صنماً في داره اتخذه من خشب سماه مناة . كما كانت الأشراف يصنعون تتخذ إلهاً تعظمه وتطهره، فكان يطيب صنمه هذا وينظفه، فلما أسلم فتيان بني سلمة معاذ بن جبل، وابنه

(١) ابن كثير / ٢ / ...

معاذ بن عمرو بن الجموح في فتيان منهم ، ممن أسلم وشهد العقبة ، كانوا يَدْلجون بالليل على صنم عمرو فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة ، وفيها عذر الناس منكساً على رأسه ، فيلتمسه فيرى ما صُنع به ، فيغسله ويطيبه ، ثم يقول : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينّه . فإذا نام وأمسى عمرو ، عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدوا فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى . فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه ، فغسله وطهره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، ثم قال : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك ، فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة ، فيها عذر من عذر الناس ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتي وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه وأبصر شانه ، وكلّمه من أسلم من رجال قومه ، فأسلم وحسن إسلامه .

فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

والله لو كنت إلها لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قرن

أف لملقاك إلها مستدن ... الآن فتشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلى ذى المنن ... الواهب الرزاق ديان الدين

هو الذى أنقذنى من قبل أن ... أكون في ظلمة قبر مرتهن

بأحمد المهدى النبى المرتهن (١)

كما بين سبحانه في هذه الآيات أن هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها ، ولا تبصر من تقرب إليها ، فلا فرق بين دعائكم إياها وعدم دعائكم في أنها لا تسمع ولا تجيب **(وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون)** (الأعراف الآية ١٩٣) ذلك أنهم عباد الله أمثالكم .

وكما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه كما حكى الله ذلك عنه : « .. يا أبت لِمَ تَعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يُغنى عنك شيئاً » (مريم الآية : ٤٢) .

وأخيراً يوجه لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن بين لهم ضعف آلهتهم وعجزها تحدياً لأن يجتمعوا هم وشركاؤهم فيكيدون له إن استطاعوا . **(قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تُنْظِرُون)** (الأعراف الآية : ١٩٥) .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٤٥٢ - ٤٥٣ .

وذلك لأنه لا يعبد إلها عاجزاً مثل آلهتهم وإنما الهه ومعبوده ووليه هو الله جل جلاله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين بالنصر والتأييد · أما آلهتهم فلا تستطيع أن تعمل من ذلك شيئاً لأنها لا تسمع ولا تبصر وإن مثلت بصورة من يسمع ويبصر ·

(إن وَلِيّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين · والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم يَنْصُرُون · وإن تدعوهم إلى الهُدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) (الأعراف الآية : ١٩٦ ، ١٩٨) ·

وهكذا يسلك القرآن الكريم هذا المسلك ليقطع طمع هؤلاء في التعلق بهذه المعبودات فيبين لهم عجزها من الواقع المحسوس لهم ، فكما انها لا تستطيع ايجاد ذباب ، ولا أن تستنقذ منه ما سلبه منها ، ولا تستطيع نصر أحد ولا تدفع الضر عن نفسها ، فكذلك هى أوهى من بيت العنكبوت ·

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذتْ بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (العنكبوت الآية : ٤١) ·

ب - بيان أنهم عند الشدة يلجؤون إلى الله وحده :

فيلزمهم أن يخلصوا له الدين دائماً ·

قال تعالى : **(هو الذي يُسَيِّرْكُم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفُلك وَجَرَيْن بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين · فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون)** (يونس الآية : ٢١ ، ٢٢) ·

هكذا كان حالهم ، ففي حال الرخاء يشركون بالله تعالى ، أما في حال الأزمات والضيق والشدة فيعلمون أن المفرج لتلك الكربات ، والمنجى من تلك المهلكات هو الله العلى القدير ، فيخلصون له العبادة فلا يدعون معه غيره ، كما قال : **(وإذا مسكم الضر في البحر ضَلَّ من تدعون إلا إياه)** (الإسراء الآية : ٦٧) · **(قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخُفيةً لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين · قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون)** (الأنعام الآية : ٦٣ ، ٦٤) ·

وفرعون واحد من هؤلاء فقد رفض الإيمان بإله موسى ، وحين رأى الهلاك وأدركه الغرق ، انجلى عن الفطرة ما كان قد شابها ، فكرر الإيمان ثلاثاً علّه يستجاب له فينجو ، ولكن كان ذلك في وقت لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ٠

قال تعالى : **(وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدْواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين)** (يونس الآية : ٩٠) ٠

ولكن الله يقول : **(وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)** (النساء الآية : ١٨) ٠

ولذلك قال له : **(آلان وقد عصيت من قبل وكنتَ من المفسدين)** (يونس الآية : ٩١) ٠

وفى الحديث : عن عمر أن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى : كم تعبد اليوم إلها ؟

قال : سبعة ... ستة في الأرض وواحد في السماء ٠

قال : فأيهم تعده لرغبتك ورهبتك ؟

قال : الذي في السماء ٠

قال : أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك ، فلما أسلم الحصين ٠

قال : يارسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني ٠

قال : اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي (١) ٠

وإذا كانوا يخلصون لله العبادة في حال الشدة فيلزمهم أن لا يشركوا في حال الرخاء لأن الله لا يقبل من الدين إلا ماكان خالصاً ٠

كما قال : **(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ٠ ألا لله الدين الخالص)** (الزمر الآية : ٢ ، ٣) ٠

وفي الحديث القدسي : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) (٢) ٠

---

(١) سنن الترمذى ٥ / ٥١٧ ح ٣١٧٩ (تحقيق إبراهيم عطوة)٠

(٢) م / كتاب الزهد / باب من أشرك في عمله غير الله ٤ / ٢٢٨٩ ح ٤٦ (تحقيق فؤاد عبد الباقي) ٠



- ٩ -

أحمد الله ربى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ـ سبحانه ـ ويرضى على توفيقى إلى الدخول في شىء من بيان بعض معانى أسماء الله الحسنى ، وأسأله ـ جل وعلا ـ أن يديم علىّ توفيقه حتى أكمل ما بدأت من بيان ـ هو جهد المقِلّ ـ الذى أضرع إلى الله ـ عز وجل ـ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ٠

وقد بدأتُ في الحلقة الثامنة ببيان بعض معانى الاسم الثانى والأربعين ، وهو اسم (**الحميد**) سبحانه ، وانتهيتُ فيها ببيان اقترانه باسم (**العزيز**) عز وجل ٠

● وإتماما للفائدة أضيف في هذه الحلقة أن اسم (**الحميد**) قد اقترن كذلك باسم (**المجيد**) في القرآن الكريم مرة واحدة (١) في قوله تعالى (**قالوا أتَعْجَبِينَ مِنْ أمْرِ الله ؟ رحمةُ الله وبركاتهُ عليكمْ أهلَ البيت إنه حَمِيدٌ مَجِيدٌ**) (هود آية ٧٣) ٠

ومعنى هذه الآية : أن امرأة ابراهيم عليه السلام لما بشرتها الملائكة بإسحاق ومن ورائه يعقوب عجبتْ لقيام مانعْين من وجود الولد وهما : أنها عجوزٌ لا تلد ، وأن زوجها شيخ لا تحمل من مثله النساء ، فقالت لها الملائكة إنكاراً لتعجبها : لا تعجبى من أمر الله فإنه إذا أراد شيئاً أن يقول له : كُنْ فيكون ٠ فلا تعجبى من هذا وإن كنت عجوزاً عقيماً وبعلك شيخاً كبيراً ، فإن الله على ما يشاء قدير ، وهو سبحانه الحميد في جميع أفعاله وأقواله ، المحمودٌ المَمَجَّدٌ في صفاته وذاته ، ولهذا ثبت في الصحيحين أنهم قالوا : قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك يارسول الله ؟ قال : (قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد) (٢) ٠

---

(١) المعجم المفهرس ٠

(٢) تفسير الإمام ابن كثير الجزء الثانى ص ٤٥٣ ـ بقليل تصرف ـ ٠

ومعنى الآية المذكورة عند الإمام الشوكاني ، أن الملائكة قالت لامرأة ابراهيم عليه السلام إنكارا لتعجبها : كيف تعجبين من قضاء الله وقدره ، وهو لا يستحيل عليه شيء ؟ وقد كان إنكارهم عليها ـ مع كون ما تعجبت منه من خوارق العادة ـ لأنها من بيت النبوة ، ولا يخفى على مثلها أن هذا من مقدوراته سبحانه ، ولهذا قالوا : (**رحمةُ الله وبركاته عليكم أهلَ البيت**) أي الرحمة التي وسعت كل شيء ، أو النبوة والبركات وهي النمو والزيادة ، أو الأسباط من بني اسرائيل لما فيهم من الأنبياء . ومعنى (**إنه حميد**) أي بفعل موجبات حمده من عباده على سبيل الكثرة ، ومعنى (**مجيد**) أي كثير الإحسان إلى عباده بما يفيضه عليهم من الخيرات (١) .

والمعنى في تيسير الكريم الرحمن : أن الملائكة قالت لامرأة ابراهيم عليه السلام لا تعجبي من أمر الله ، فإن أمره لا عجب فيه لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء ، فلا يستغرب على قدرته شيء ، وخصوصاً فيما يدبّره ويمضيه لأهل هذا البيت المبارك ، ولاتزال رحمته وإحسانه وبركاته عليكم أهل البيت ، (**إنه حميدٌ**) أي حميد الصفات لأن صفاته صفات كمال ، حميد الأفعال لأن أفعاله إحسانٌ ، وجودٌ ، وبرٌّ ، وحكمةٌ ، وعدلٌ ، وقسطٌ ، وهو سبحانه (**مجيدٌ**) أي عظيم الصفات واسعها ، فله صفات الكمال ، وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعمها (٢) .

* **أقـــول :** والذى يبين لي من اقتران اسم (**الحميد**) سبحانه باسم (**المجيد**) جل وعلا ، أنه عز وجل قد عظمت ذاته وتمجدت على وجه مطلق ، وتمجدت كذلك أسماؤه الحسنى التى اختارها سبحانه لنفسه ، والتى تضمنت جميع صفات الكمال المطلق ، ومن ثم فإن أفعال هذا الإله العظيم (**المجيد**) إنما هى جميعها أفعال عظيمة مجيدة في اختيارها ، وتقديرها ، وإنفاذها ، ويستحق سبحانه على كل فعل منها كمال الحمد الذى لا يستحقه أحد غيره ، سواءٌ حَمِدَهُ بالفعل عبادهُ ، أم أعرضوا عن حمده ، فهو جل وعلا ـ وحده ـ المستحقُ لكافة أنواع الحمد رغم أنوف كل الجاحدين المعرضين .

• وقد اقترن اسم (**الحميد**) كذلك باسم (**الحكيم**) في القرآن الكريم مرة واحدة (٣) في قوله تعالى : (**لا يأتيه الباطلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تنزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حميدٍ**) (فصلت آية ٤٢) .

---

(١) فتح القدير الجزء الثانى ص ٥١١ ـ بقليل تصرف ـ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن الجزء الثالث ص ٢٠٨ ـ بقليل تصرف ـ .

(٣) المعجم المفهرس .

وهذه الآية جاءت بعد قوله تعالى : (**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**) (فصلت آية ٤١) والمعنى أن القرآن الكريم كتاب منيع الجناب لا يُرَامُ أن يأتى أحدٌ بمثله ، وليس للبطلان إليه سبيل لأنه منزلٌ من رب العالمين ، الحكيم في أقواله وأفعاله ، الحميد بمعنى المحمود في جميع ما يأمر به عبادَه وينهاهم عنه ، المحمودة عواقبه وغاياته (١) ٠

والمعنى في جامع البيان في تفسير القرآن أن القرآن الكريم أعزه الله ، ليس للبطلان إليه سبيل ، أو لا يبطله الكتب المتقدمة ، ولا يأتيه كتاب بعده يبطله ، فهو تنزيلٌ من حكيم حميد في ذاته وإن لم يحمده الحامدون (٢) ٠

والمعنى في تيسير الكريم الرحمن أنه كتاب جامع لأوصاف الكمال ، (**عزيز**) أى منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء ، ولهذا قال تعالى : (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**) أى لا يقربه شيطانٌ من شياطين الإنس والجن لا بسرقة ، ولا بإدخال ما ليس منه به ، ولا بزيادة ولا بنقص ، فهو محفوظ في تنزيله ، محفوظة ألفاظه ومعانيه ، قد تكفل مَنْ أنزله بحفظه كما قال تعالى : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) ، وهو (**تنزيل من حكيم**) في خلقه وأمره ، يضع كل شيء في موضعه وينزله منازله ، (**حميد**) على ما له من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، وعلى ما له من العدل والأفضال ، لهذا كان كتاباً مشتملاً على تمام الحكمة وعلى تحصيل المصالح والمنافع ، ودفع المفاسد والمضار التى يُحمد عليها (**المحمود**) عز وجل (٣) ٠

* **أقـــول :** ويظهر لى من اقتران اسم (**الحميد**) سبحانه باسم (**الحكيم**) أن الله جل وعلا ـ ومن صفاته الحكمة على وجه مطلق ـ قد وضع كل شيء في وضعه المناسب ، فأنزل الكتاب الحق المهيمن على الكتب السابقة على خير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله وأفضلهم ، وصاحب الدين الحق المهيمن على سائر الأديان السابقة ٠ وقد حفظ الله عز وجل هذا الكتاب بهيمنته على مدى الزمن ، لأنه لا كتاب بعده ، وضمَّنه الحق والهدى الذى إن تمسك به الناس فلن يضلوا أبداً ، فضلا عن أنه سبحانه خلق كل شيء على الوجه المناسب له ، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى ـ وهذه كلها أفعال تتم بحكمة الحكيم سبحانه ، وكلها تستأهل أن يُحمد عز وجل عليها الحمد كله ٠

• كذلك اقترن اسم (**الحميد**) سبحانه باسم (**الولى**) في القرآن الكريم مرة

---

(١) تفسير الإمام ابن كثير الجزء الرابع ص ١٠٣ ـ بقليل تصرف ـ ٠

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للإيجى الجزء الثانى ص ٢٥٠ ٠

(٣) تيسير الكريم الرحمن الجزء السابع ص ٨٨ ـ بقليل تصرف ـ ٠

واحدة (١) . في قوله تعالى : (**وهو الذى ينزلُ الغيثَ من بعد ما قَنطُوا وينشرُ رَحْمَتَهُ وهو الولىُّ الحميد**) (الشورى آية ٢٨) .

ومعنى الآية أنه بعد إياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه ، كقوله عز وجل (**وإن كانوا مِنْ قبلِ أن يُنَزَّلَ عليهم من قبله لَمُبْلِسِينَ**) وقوله جل جلاله (**ويَنْشُرُ رحمتَه**) أى يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية ـ قال قتادة : ذكر لنا أن رجلا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : ياأمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس ، فقال عمر رضى الله عنه : مُطِرْتُمْ ، ثم قرأ (**وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشرُ رحمتَه وهو الولىُّ الحميدُ**) أى هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله (٢) .

ومعنى الآية عند الإمام الشوكانى : أن الله تعالى ينزل المطر الذى هو أنفع أنواع الرزق ، وأعمها فائدةً ، وأكثرها مصلحةً من بعد ما أَيِسَ الناسُ عن ذلك ، فيعرفون بهذا الإنزال للمطر بعد القنوط مقدارَ رحمة الله تعالى لهم ، ويشكرون له ما يجب الشكر عليه ، وهو سبحانه (**الولىُّ**) للصالحين من عباده بالإحسان إليهم ، وجلب المنافع لهم ، ودفع الشرور عنهم ، (**الحميد**) أى المستحق للحمد منهم على إنعامه خصوصا وعموما (٣) .

والمعنى في تيسير الكريم الرحمن : أن الله تعالى ينزل المطر الغزير الذى به يغيث البلاد والعباد من بعد ما انقطع عنهم مدةً ظنوا أنه لا يأتيهم ، وأَيَسُوا وعملوا لذلك الجدب أعمالاً ، فينزل الله الغيثَ ، وينشر به رحمتَه من إخراج الأقوات للآدميين وبهائمهم ، فيقع عندهم موقعاً عظيماً ، ويستبشرون بذلك ويفرحون ، (**وهو الولىُّ**) الذى يتولى عبادَهُ بأنواع التدبير ، ويتولى القيامَ بمصالح دينهم ودنياهم ، وهو (**الحميد**) أى المحمود في ولايته وتدبيره ، والمحمود على ما له من الكمال ، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الأفضال (٤) .

* **أقـــول** : ومن اقتران اسم (**الحميد**) سبحانه باسم (**الولى**) جل وعلا قبله ، يبدو لى أنه تبارك وتعالى يتولى أمر عباده بصفة عامة بخلقهم ، وإبرائهم ، وتصويرهم ، ورَزْقِهِم ، وتدبير أمورهم وتصريفها جميعاً ، ويتولى كذلك أمرَ عبادِه المؤمنين بصفة خاصة بتوفيقهم دائما للخير والهدى ، وتوجيه قلوبهم إلى التزام الحق والوقوف عند حدود الله ، والبعد عن محارمه ، وكل هذه الولاية من الله عز وجل ـ وهى أمر لا يقوى عليه سواه ، ولو لم توفَّر

---

(١) المعجم المفهرس .
(٢) تفسير ابن كثير ـ الجزء الرابع ص ١١٦ .
(٣) فتح القدير ـ الجزء الرابع ص ٥٣٥ ـ بقليل تصرف ـ .
(٤) تيسير الكريم الرحمن ـ الجزء السابع ص ١٠٦ .

للخلق لضاعوا وهلكوا ـ تؤكد لنا أن الله تعالى هو (**الحميد**) أى المحمود حقًّا في ذاته ، وفي أسمائه ، وفي صفاته ، وفي أفعاله جميعاً . فسبحانه من إلهٍ عظيمٍ تفرَّدَ بكل صفات الكمال على وجه الإطلاق .

● وقد ورد اسم (**الحميد**) في القرآن الكريم غير مقترن بأى اسم من أسماء الله تعالى ، مرة واحدة (١) في قوله تعالى : (**وهُدُوا إلى الطيب من القول وهُدُوا إلى صراطِ الحميدِ**) (الحج آية ٢٤) ـ ويعود الضمير في قوله (وهُدُوا) على المؤمنين في الآية السابقة ، وهى قوله تعالى : (**إن الله يُدْخِلُ الذين آمنوا وعملُوا الصالحاتِ جناتٍ تَجْرِى مِنْ تحتِها الأنهارُ يُحَلَّوْنَ فيها من أساوِرَ من ذهبٍ ولؤلؤاً ، ولباسُهُمْ فيها حريرٌ**) (الحجَ آية ٢٣) .

ومعنى الآيتين : أن المؤمنين الذين عملوا الصالحات يدخلون جناتٍ تتخرق الأنهارُ في أكنافها ، وأرجائها ، وجوانبها ، وتحت أشجارها وقصورها ، يصرفونها حيث شاءوا وأين أرادوا ، يحلَّوْنَ فيها من الحِلية في أيديهم أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤاً ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : « تبلغ الحليةُ من المؤمن حيث يبلغُ الوضوء » ، (ولباسُهُمْ فيها حريرٌ) أستبرقه وسندسه ، كما قال تعالى : (**عاليَهُمْ ثيابُ سندسٍ خضرٍ وإستبرقٌ وحُلُوا أسَاوِرَ من فضةٍ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ، إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيُكم مشكوراً**) . (ولباسُهُمْ فيها حريرٌ) وفي الصحيح (لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا ، فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة) . ومعنى (وهُدوا إلى الطيب من القول) أى هُدوا إلى المكان الذى يسمعون فيه الكلامَ الطيبَ ، كقوله تعالى : **وأدْخِلَ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ جناتٍ تجرى من تحتها الأنهارُ خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام**) ، وقـوله : (**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**) وقـوله : (**لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً**) .

(**وهُدُوا إلى صراط الحميد**) : أى وهُدُوا إلى المكان الذى يحمدون فيه ربهم على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداه إليهم ، كما جاء في الحديث الصحيح : « إنهم يُلهمون التسبيح ، والتحميد ، كما يلهمون النفس) . وقيل : (وهُدُوا إلى الطيب من القول) : القرآن ، وقيل : لا إله إلا الله ، وقيل : الأذكار المشروعة .

---

(١) المعجم المفهرس .

(وهُدُوا إلى صراط الحميد) أى الطريق المستقيم في الدنيا ، وكل هذا لا ينافى ما ذكر قبله (١) ·

ويقول الإمام الشوكانى في معنى قوله تعالى : **(وهُدُوا إلى الطيِّبِ من القول)** أى أرشدوا إليه ، قيل : هو لا إله إلا الله ، وقيل : الحمد لله ، وقيل : القرآن ، وقيل : هو ما يأتيهم من الله سبحانه من البشارات · وقد ورد في القرآن ما يدل على هذا القول المجمل هنا ، وهو قوله سبحانه : الحمد لله الذى صدقنا وعده ــ الحمد لله الذى هدانا لهذا ــ الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ·

وقال في معنى قوله تعالى : **(وهُدُوا إلى صراط الحميد)** أنهم أُرشِدُوا إلى الصراط المحمود وهو طريق الجنة ، أو صراط الله الذى هو دينه القويم ، وهو الإسلام (٢) ·

ومعنى **(وهُدُوا إلى الطيب من القول)** في تيسير الكريم الرحمن : أنهم هُدوا إلى الطيب من القول الذى أفضله كلمة الإخلاص ثم سائر الأقوال الطيبة التى فيها ذكر الله أو إحسان إلى عباد الله · ومعنى **(وهُدُوا إلى صراط الحميد)** أى الصراط المحمود ، وذلك لأن جميع الشرع كله محتوٍ على الحكمة وحسن المأمور به وقبح المنهى عنه ، وهو الدين الذى لا إفراط فيه ولا تفريط ، المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح ــ أو وهُدُوا إلى صراطِ الله الحميدِ ، لأن الله كثيرا ما يضيف الصراط إليه لأنه يوصل صاحبه إلى الله · وفي ذكر **(الحميد)** هنا بيان أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ، ومنَّته عليهم ، ولهذا يقولون في الجنة (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) (٣) ·

* **أقـــــول :** وإفراد اسم **(الحميد)** سبحانه في هذه الآية دون أن يُقرن باسم آخر من أسماء الله الحسنى كما ذكرت في الآيات التى سبق أن أوردتُها ، أفهمُ منه أن اسم **(الحميد)** استقلَّ بنفسه ، كما استقلَّ اسم **(الرحمن)** في قوله تعالى : **(وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ؟ وزادهم نفورا)** (الفرقان آية ٦٠) ·

ويبدو لى أن اسم **(الرحمن)** سبحانه كما يتضمن صفة الرحمة التى بها يُرْحَمُ جميعُ من خلق الله تعالى ، بمعنى أنها صفةٌ ذاتيةٌ لله عز وجل لا تنفك عنه البتة ، وتظهر آثارها باستمرار على الخلق في كل لحظة ، فإن اسم **(الحميد)** سبحانه يتضمن كذلك صفة

---

(١) تفسير ابن كثير ـ الجزء الثالث ص ٢١٤ ـ بقليل تصرف ـ ·

(٢) فتح القدير ـ الجزء الثالث ص ٤٤٥ ·

(٣) تيسير الكريم الرحمن ـ الجزء الخامس ص ١٤١ ·

الحمد بكل أنواعه ، فهى صفة ذاتية لله عز وجل لا تنفك عنه ، وتظهر آثارها باستمرار في كل لحظة ، ومعناها أنه سبحانه مستحق لكل أنواع الحمد لأنه المحمود في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وليس ذلك لأحد سواه سبحانه .

كما يبدو لى أن العبد لا بد أن يسلك في حياته سلوكاً يُحْمَدُ عليه ، لأن أعماله جميعاً يجب أن تُجرّد (**للحميد**) سبحانه ، و (**الحميد**) لا يقبل إلا العملَ الحميدَ ، كما أن (**الطيب**) لا يقبل إلا العملَ (**الطيبَ**) . ولو أن كل فرد تحرى أن يكون عمله حميداً ، لصلح أمر الناس في الدنيا والآخرة ، ولاختفت المنازعات والخصومات فيما بينهم ، ولعاشوا جميعا إخوةً في الله متحابين .

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

سورة النحل

أعجب الأشياء

مِنْ أعجبِ الأشياءِ، أن تعرفه ثُمَّ لا تحبُّه، وأن تسمع داعيه ثُمَّ تتأخرَ عن الإجابة، وأن تعرف قدرَ الربح في معاملته ثُمَّ تعامل غيرَه، وأن تعرف قدرَ غضبه ثُمَّ تتعرَّض له وأن تذوق ألمَ الوحشة في معصيته ثُمَّ لا تطلب الأُنس بطاعته.

وأعجب من هذا، علمك أنك لابدَّ لك منه، وأنك أحوج شيءٍ إليه وأنت عنه معرضٌ، وفيما يُبعدك عنه راغبٌ.

الفوائد لابن قيم الجوزية ـ بتصرف

الفِقْهُ

وَ

أُصُولُهُ



رخصة الفطر في سفر رمضان وما يترتب عليها من الآثار

٣

الدكتور أحمد طه ريان
أستاذ مساعد بجامعة الأزهر

كيفية العمل بالرخصة :

بعد أن تناولنا في الحلقات السابقة : بيان المستفيدين بالرخصة والمدى الذى تتحقق به ، وحكم الأخذ بها ، ومدى شمولها لأنواع السفر ، نتناول الآن فى هذه الحلقة ، كيفية العمل بهذه الرخصة من بداية السفر إلى نهايته . فنقول وبالله التوفيق :

بداية سريان الرخصة :

يبدأ سريان الرخصة من اللحظة التى يتحقق فيها وصف السفر على الشخص سواء من حيث الزمان أو المكان ، ونوضح ذلك فيما يلى :

بدء سريان الرخصة من حيث الزمان :

من عزم على السفر ، لا يخلو أمره عن الأحوال الآتية :

أ ـ أن يبدأ سفره من قبل طلوع الفجر ، وهذا لا خلاف ـ نعلمه ـ بين أهل العلم ، أن الرخصة تحققت بشأنه · وله العمل بمقتضاها ، من حيث إباحة الفطر له منذ بداية سفره (١) ·

ب ـ أن يبدأ السفر بعد طلوع الفجر ـ بحيث لم يفارق عمران البلد إلا بعده ـ والحال أنه كان قد بيت نية الصيام من الليل ، فيرى أكثر أهل العلم هنا ، أنه يجب عليه الاستمرار في الصوم ولا تتحقق الرخصة لديه ، تغليباً لجانب الاقامة على جانب السفر فإن

(١) المجموع جـ ٦ ص ٢٠ . شرح عبد الباقى على مختصر خليل جـ ٢ ص ٢١٣ . دار الفكر · والأم للشافعى جـ ٢ ص ٨٧ . دار الشعب بالقاهرة ·

أفطر وجب عليه قضاء يوم بدل ذلك اليوم ولم يوجبوا عليه الكفارة لتأوله · ولم يخرج عن هذا الفريق فى عدم وجوب الكفارة إلا المغيرة وابن كنانة ، فإنهما أوجبا عليه الكفارة ·

وقد قال بهذا الرأى : مالك والشافعى والأوزاعى وأبو حنيفة ومكحول والزهرى ويحيى الأنصارى وإحدى الروايتين عن أحمد ·

وقال أحمد - فى الرواية الثانية عنه - وإسحاق وداود وابن المنذر وابن حبيب - إن من بدأ سفره بعد الفجر ، له الفطر منذ بدء السفر لإطلاق اسم المسافر عليه منذ هذه اللحظة (١) ·

واختلف النقل عن المزنى - من أصحاب الشافعى - فنقل الشوكانى عنه : أنه اختار رأى أحمد وإسحاق · وقال بعض الشافعية : إن المزنى رجع عن رأيه هذا ·

وقال ابن حزم : إنه يبطل صومه منذ بدء سفره وعليه قضاؤه (٢) ·

مستند الفريق الأول :

لم أجد مستنداً من السنة يشهد لقول هذا الفريق بعدم جواز الفطر لمن بدأ سفره بعد طلوع الفجر ·

وقد وجدت أثراً عن الحسن البصرى ، رواه عبد الرزاق عن معمر عمن سمع الحسن يقول : إذا أصبح الرجل صائماً فى شهر رمضان ثم خرج مسافراً نهاراً ، فلا يفطر ذلك اليوم إلا أن يخاف العطش على نفسه فإن تخوفه أفطر والقضاء عليه ، فإن شاء بعد أفطر وإن شاء صام (٣) ·

واضح من سند هذا الأثر : أن هناك راوياً مجهولاً بين معمر وبين الحسن · ثم فيه تعليق استمرار الصيام على عدم الخوف من العطش ·

كما استدل بعض العلماء لهذا الرأى ، بأن الصوم : عبادة تختلف بالسفر والحضر فإذا اجتمعا فيها غلب حكم الحضر قياساً على الصلاة ، فلو صلى مسافر خلف مقيم وجب عليه الاتمام (٤) ·

---

(١) المجموع جـ ٦ ص ٢١٤ ·

(٢) نيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٥٥ . فتح القدير جـ ٢ ص ٣٦٥ . الأم جـ ٢ ص ٨٧ . المجموع جـ ٦ ص ٢٦٥ . المغنى جـ ٣ ص ١١٧ مطبعة الفجالة · الموطا جـ ٢ ص ١٧١ من شرح الزرقانى عليه وشرح الزرقانى على خليل جـ ٢ ص ٢١٣ . المحلى جـ ٦ ص ٣٩٢ ·

(٣) المصنف جـ ٤ ص ٢٧٠ ·

(٤) المغنى جـ ٣ ص ١١٧١ ·

وقد قيل فى الرد عليه : إن الصوم يختلف عن الصلاة ، فإن الصلاة يلزم اتمامها بالنية بخلاف الصوم (١) ٠

أمـا أدلـة الفريق الثانى فأهمها مايلى :

١ ـ ما رواه أبو داود بسنده إلى عبيد بن جبير ، قال : كنت راكباً مع أبى بصرة الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفينة من الفسطاط فى رمضان ، فرفع (٢) أبو بصرة ، ثم قرب غذاؤه (غداء) ٠ قال جعفر (٣) فى حديثه : فلم يجاوز البيوت حتى دعا بالسفرة ٠ قال : أقترب ؟ قلت : ألست ترى البيوت ؟ قال : أترغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ قال جعفر فى حديثه : فأكل (٤) ٠

قال الشوكانى : سكت عنه أبو داود والمنذرى والحافظ فى التلخيص ورجاله ثقات (٥) ٠

فهذا تصريح من أبى بصرة بأن الإفطار للمسافر فى اليوم الذى خرج فيه من السنة وعبارة الخطابى فى الاستدلال منه : (فيه حجة لمن رأى للمقيم ذى الصيام إذا سافر من يومه أن يفطر) (٦) ٠٠

٢ ـ ما رواه البيهقى عن محمد بن كعب قال : أتيت أنس بن مالك فى رمضان ، وهو يريد السفر ، وقد رحلت له دابته ولبس ثياب السفر ، وقد تقارب غروب الشمس فدعا بطعام فأكل منه ، ثم ركب فقلت له سنة ، قال : نعم ٠ قال الترمذى : بعد أن ذكره : هذا حديث حسن (٧) ٠

قال الشوكانى عن هذا الحديث : سكت عنه الحافظ ، وفي اسناده عبد الله بن جعفر والد على بن المدينى ، وهو ضعيف ، ولكن صاحب التحفة قال : لا بأس يكون عبد الله فى الطريق الأولى فإنه لم يتفرد به بل تابعه محمد بن جعفر فى الطريق الثانية ، وهو ثقة (٨) ٠

---

(١) المغنى جـ ٣ ص ١١٧ ٠

(٢) بضم الراء وكسر الفاء بالبناء للمجهول أى رفع أبو بصرة ومن معه فى السفينة ٠

(٣) هو جعفر بن مسافر أحد رواة الحديث ٠

(٤) سنن أبى داود مطبوعة مع شرحها عون المعبود جـ ٧ ص ٥٣ ٠

(٥) نيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٥٦ ٠

(٦) عون المعبود جـ ٧ ص٥٥ ٠

(٧) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٤٧ . وسنن الترمذى جـ ٣ ص ٥١٢ ، ٥١٣ . مطبوع مع تحفة الأحوذى ٠

(٨) نيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٥٦ . وتحفة الأحوذى جـ ٣ ص ٥١٣ ٠

٣ ـ ما رواه البيهقى أيضا بسنده إلى إسحاق عن عمرو بن شرحبيل أنه كان يسافر وهو صائم فيفطر من يومه (١) .

والمختار : هو قول من يرى إباحة الفطر لمن سافر من بعد طلوع الفجر للأمور التالية :

أولا : لصحة اطلاق اسم المسافر عليه حقيقة . وقد قال تعالى : **(ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)** فقد علق سبحانه الرخصة على وجود السفر . وقد تحقق بمجرد حركته على الطريق . فينبغى أن تتعلق به أحكامه التى من بينها إباحة الفطر .

ثانيا : القول بإباحة الفطر ، فيه تيسير على المسافر ، والتيسير هو مناط الرخصة قال تعالى : **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)** .

ثالثا : أن القول بإباحة الفطر هو أقرب القولين الى السنة ، فقد نسب كل من أبى بصرة وأنس بن مالك فطره فى نفس اليوم الذى سافر فيه إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال تعالى **(وما أتاكم الرسول فخذوه ...)** الآية .

جـ ـ من عزم على السفر من الليل ونوى الفطر ولم يسافر إلا بعد طلوع الفجر :

يرى فقهاء المالكية والشافعية والحنفية ، أن الشخص المقيم إذا عزم على السفر من الليل وبيت نية الفطر حتى طلع عليه الفجر ولم يبدأ سفره إلا بعد طلوع الفجر ، فإنه يعتبر مخالفاً لأحكام الصيام فى السفر ، إذ كان يجب عليه أن يبيت الصيام مادام لن يبدأ سفره إلا بعد طلوع الفجر .

والأثر المترتب على ذلك : القضاء فقط مع إمساك بقية اليوم . أما المالكية فيوجبون عليه القضاء والكفارة .

وجهة الفريق الأول :

يرى هذا الفريق : أن فاعل ذلك وإن كان مخطئاً لكنه متأول نظراً لوجود نية السفر لديه ، فوجود هذه النية أورثه شبهة الإباحة ، وهذه الشبهة تنفى عنه الكفارة .

وجهة الفريق الثانى :

يرى هذا الفريق أن هذا الشخص يعتبر مقيماً صحيحاً قد عزم على ترك الصوم واستمر على الترك حتى انتهى وقت النية وهو طلوع الفجر ، وعدم معرفته بالحكم لا يؤثر فى وجوب

---

(١) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٤٧ .

الكفارة عليه ، فيكفيه العلم بوجوب الصيام على الحاضر ، وبما انه شهد بدء الصيام وهو حاضر فيترتب عليه الجزاء الذى رتبه الشارع على من ترك هذا الواجب (١) ٠

المختـــار : أرى أن مثل هذا الفعل خطأ من فاعله ، لأن الأمر في الرخصة منوط ـ كما قلنا سابقاً ـ بالسفر ، ولا يعطى الشخص صفة السفر حقيقة إلا إذا تحرك فعلاً في طريقه ، وكونه عازماً على السفر لا يصح أن يكون مبرراً للفطر لجواز أن يعدل عن السفر بعد الفجر لسبب من الأسباب ، كتحقق الغرض الذى كان سيسافر من أجله ، أو وجد مانع منه ، كانقطاع الطريق ، أو عدم وجود ما يسافر عليه ، والأسباب المانعة كثيرة ، لذلك كان يجب عليه أن يبيت نية الصوم فإذا ما بدأ سفره كان له حينئذ الأخذ بالرخصة ٠

أما الجزاء على هذا الخطأ : فأرى ـ والله أعلم ـ أن الرأى الذى يقول بوجوب إمساك بقية اليوم ـ إن لم يسافر ـ ثم قضاء هذا اليوم بعد ذلك هو الأنسب لمثل هذا الفعل لأنه متأول فهو معذور لوجود العزم على السفر عنده ٠

بـدء سريان الرخصة من حيث المكان :

نقل عن الحسن البصرى وعطاء ، أن من عزم على السفر فإن له أن يفطر في بيته قبل أن يخرج إلى طريقه ، وقد حكى هذا عن أنس رضى الله عنه ، فقد روى عن محمد بن كعب أنه قال : أتيت أنس بن مالك فى رمضان وهو يريد السفر وقد رحلت له راحلته ، ولبس ثياب السفر ، فدعا بطعام فأكل ، فقلت له : سنة ؟ فقال : سنة ٠ ثم ركب ، قال الترمذى هذا حديث حسن « وقد تقدم هذا الحديث قريباً وتقدم ما قيل فيه » ٠

وقد قال ابن عبد البر ـ تعليقاً على هذا القول ـ قول الحسن قول شاذ وليس الفطر لأحد فى الحضر ، فى نظر ولا أثر (٢) ٠

ولكن ابن العربى صحح هذا الرأى ونسبه إلى الإمام أحمد بن حنبل (٣) ٠

إلا أن الثابت في المغنى أن المذهب الحنبلى ، يرى مع أكثر الفقهاء ، ضرورة مجاوزة البيوت حتى يباح الفطر (٤) ٠

---

(١) المجموع جـ ٦ ص ٢١٧ ، فتح القدير جـ ٢ ص ٣٦٥ . شرح الزرقانى على خليل جـ ٢ ص ٢١٢ ٠
(٢) المغنى جـ ٣ ص ١١٨ وقوله ، فى نظر ، أى اجتهاد أو قياس ـ ولا أثر ، يعنى دليل قولى أو فعلى مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من أصحابه ٠
(٣) نيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٥٦ ٠
(٤) المغنى جـ ٣ ص ١١٧ ٠

وسنعرف ما هو الحق إن شاء الله بعد عرض الرأى الثانى وأدلته فيما يلى : يرى أكثر الفقهاء : أن الفطر لمريد السفر لا يجوز إلا إذا فارق بنيان البلدة التى يقيم فيها ، وذلك لما يأتى :

أ ـ أن الآية **(ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)** : علقت رخصة الفطر على حصول السفر ولا يطلق على الشخص وصف مسافر إلا بعد خروجه من مبانى البلدة التى يقيم فيها ، فلا يقال لشخص متحرك داخل بلده ـ راجلاً أو راكباً ـ مسافر . بل يطلق عليه هذا الوصف بعد خروجه من البلدة .

ويقوى هذا القول ، ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم فى قصر الصلاة ـ والقصر والفطر صنوان فى الرخصة ـ فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يبدأ القصر من ذى الحليفة ... فقد تقدم فى حديث أنس (صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة أربعاً وصليت معه العصر بذى الحليفة ركعتين » (١) .

وهناك رأى ثالث لإسحاق بن راهويه : وهـو : أن المسافر له الفطر متى تحرك فى بدء سفره ، قال إسحاق : إذا وضع رجله فى الرحل ، فله أن يفطر وحكاه عن أنس بن مالك . وقد تقدم حديث أنس المفيد لذلك قريباً .

ويمكن أن يستدل له بحديث أبى البصرة الغفارى أيضاً حيث طلب غذاءه فأكل بعد أن تحركت به السفينة وهو لا يزال بمرأى من مبانى بيوت البلدة . وقد تقدم قريباً وتقدم بيان ما قيل فيه .

المختـــار : كل من الآراء الثلاثة له مستند قوى من السنة : فحديث بدء قصره صلى الله عليه وسلم من ذى الحليفة يؤيد رأى الجمهور فى أن الفطر يكون بعد مجاوزة البيوت ، والحديث وإن لم يكن نصاً فى الموضوع إلا أن القصر والفطر يشتركان فى أكثر الأحكام .

وحديث أنس يقوى وجهة من قال بجواز الفطر قبل الخروج من البيت وهو وإن لم يصرح فيه بذلك ، إلا أنه مفهوم من السياق ، لأنه مادام قد أكل بعد أن رحلت له دابته ، فليس من الجائز أن يكون قد أكل فى الطريق وليس فى هذا الحديث دليل لإسحاق ، لأن أنس قد أكل قبل أن يركب ، لكن ما يشهد لإسحاق هو حديث أبى بصرة ، لأن فيه : أنه قد أكل بعد أن تحركت به سفينته ، وهو على مرأى من البيوت وإذا قيل : بأنه قد أكل بعيد مجاوزة البيوت أى بعد أن جاوزها بقليل ـ فهذا القول ليس ببعيد ـ لأن قول الراوى له :

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٤٤ .

ألست ترى البيوت ، يفهم منه ، أن الأكل قد حدث قبل مجاوزة البيوت أو بعدها بقليل بحيث لم تغب البيوت عن نظرهما ·

وعلى ذلك فليس هناك ما يمنع من حدوث الفطر فى البيت لمريد السفر بشرط أن يكون ذلك بعد أن ينتهى من الاستعداد له وان كان الأحوط أن يكون ذلك بعد مجاوزة البيوت · والله أعلم ·

انقطاع الرخصة بإجماع المسافر الإقامة أثناء سفره

اتفق أهل العلم على أن المسافر إذا عزم على الإقامة فى مكان ما أثناء سفره فإن حكم الرخصة ينتهى فى حقه ويصير مقيماً ويجب عليه الصوم إلا أنهم اختلفوا فى تقدير المدة التى يصير بها المسافر مقيماً ، وفيما يلى بيان موجز بأهم الآراء ووجهة كل منها ·

أ ـ يرى ابن حزم : أن من أجمع إقامة يوم واحد من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وجب عليه أن يبيت نية الصوم ·

ووجهته فى ذلك : أن المسلم يلزم بالفطر إذا كان على سفر ، ومتى نوى الاقامة المدة المذكورة ، فيعتبر مقيماً ويلزم بالصوم ، لكن إن أفطر عامداً ، فقد أخطأ ، ان كان جاهلاً متأولاً ، وعصى : إن كان عالماً ، ولا قضاء عليه ـ أى فى الحالين ـ لأنه مقيم صحيح ، ظن أنه مسافر (١) ·

ولم يذكر ابن حزم مستنداً لتحديده الإقامة بهذه المدة ، كما لم يذكر سبب اختياره لهذا التحديد بالذات ·

ويظهر أن الجمهور يحددون المدة بأربعة أيام كما هو الحال فى قصر الصلاة فى السفر وقد نص البعض على ذلك (٢) على حين لم يشر إليه كثير منهم ، والسكوت عن كثير من أحكام رخصة الفطر اتكالاً على ورودها فى القصر ؟ أمر جرى عليه أكثر الفقهاء ، وقد نبهنا إلى أشياء منه ·

والعلة فى تحديد الجمهور المدة بأربعة أيام ، واعتبارها مدة أقامة تنهى رخصة الفطر ، هى أن النبى صلى الله عليه وسلم سمح للمهاجرين بالبقاء فى مكة بعد انتهاء النسك ثلاثة أيام ، وقد أخرج البيهقى من حديث العلاء بن الحضرمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يمكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثاً » كما أخرجه النسائى وأبى داود

---

(١) المحلى جـ ٦ ص ٣٩١ ·

(٢) شرح الزرقانى على خليل جـ ٢ ص ٢١٣ ·

فى سننهما · وقد أورده مسلم بعدة ألفاظ وفى بعضها زيادة من العلاء الحضرمى : يقول فى هذه الرواية « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للمهاجر اقامة ثلاثة أيام بعد الصدر بمكة · كأنه يقول : لا يزيد عليها » (١) ·

كما أنهم يحتجون بما فعله عمر رضى الله عنه حينما حدد لليهود والنصارى والمجوس ثلاثة أيام إذا قدموا المدينة بقصد التجارة : فقد أخرج البيهقى عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن عمر « ضرب لليهود والنصارى والمجوس بالمدينة إقامة ثلاث ليال يتسوقون بها ويقضون حوائجهم ولا يقيم أحد منهم فوق ثلاث » (٢) ·

وقالوا إن تحديد النبى صلى الله عليه وسلم البقاء للمهاجرين ثلاثة أيام بمكة ثم اقتداء عمر بن الخطاب بتحديده ثلاثة أيام لغير المسلمين ، يشير إلى أن البقاء أكثر من ثلاثة أيام يزيل حكم السفر · ويصير الشخص مقيماً وأقل ما يتحقق به هذا الوصف هو البقاء أربعة أيام · ونقل مالك عن عطاء بن عبد الله الخراسانى : أن سعيد بن المسيب يقول : من أجمع على إقامة أربع ليال وهو مسافر أتم الصلاة (٣) ·

قال مالك ـ تعليقا على قول سعيد بن المسيب ـ : وذلك الأمر الذى لم يزل عليه أهل العلم عندنا (٤) ·

ويناقش هذا الاستدلال : بأن تحديد الرسول صلى الله عليه وسلم للمهاجرين ثلاثة أيام للبقاء فى مكة لا يتعين حمله على أن الثلاثة لا تقطع حكم السفر وأن ما زاد عليها يزيل حكمه ، إذ من الجائز أن تكون الثلاثة أيام لازمة لتسوقهم وشراء ما يحتاجون إليه من زاد أو هدايا أو غير ذلك ·

لكن يجاب على ذلك ، بأن هذه الأشياء لازمة للمهاجر وغيره ، فتخصيص المهاجر بهذا التحديد لا بد فيه من حكمة ، وهذه الحكمة تتمثل فى أن المهاجرين ممنوعون من الاقامة فى مكة ، فتحديد الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ثلاثة أيام للبقاء يفهم منه أن البقاء أكثر من ذلك يقطع حكم السفر ويدخلهم فى نطاق المنع وهذا هو ما يظهر من حكمة التحديد أو هو أقوى الاحتمالات الواردة عليه · والله أعلم ·

وما قيل فى تحديد الرسول صلى الله عليه وسلم للمهاجرين : يقال أيضاً فى تحديد عمر رضى الله عنه لغير المسلمين بالبقاء ثلاثة أيام بالمدينة ·

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٠٨ ·

(٢) السنن الكبرى جـ ٣ ص ١٤٨ ·

(٣) السنن الكبرى جـ ٣ ص ١٤٨ ·

(٤) السنن الكبرى جـ ٣ ص ١٤٨ ، بداية المجتهد جـ ١ ص ١٢٣ ، تحفة الأحوذى جـ ٣ ص ١١٣ ، ١١٤ ·

وذهب أبو حنيفة والثورى إلى تحديد المدة بخمسة عشر يوماً ونقل هذا عن ابن عمر رضى الله عنهما وقد استدل هذا الفريق بقول ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمسة عشر يصلى ركعتين ركعتين » (١) .

وقد نقل عن الحافظ ابن حجر تصحيحه لهذا الحديث وتوثيقه لرجاله عند النسائى (٢) .

ويناقش هذا الاستدلال بأن هذا التحديد الوارد فى الحديث لم يكن مقصوداً وإنما كان ذلك أمراً اتفاقياً - فقد مكث صلى الله عليه وسلم هذه المدة حتى يطمئن إلى استقرار الأحوال فى مكة عام الفتح ، وكانت المدة التى استلزمها هذا الأمر هو خمسة عشر يوماً كما فى هذا الحديث أو زيادة على هذه المدة كما فى أحاديث أخر .

وذهب إسحاق بن راهويه إلى تحديد هذه المدة بتسعة عشر يوماً ، لحديث ابن عباس : سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم سفراً فصلى تسعة عشر يوماً ركعتين ركعتين ، قال ابن عباس فنحن نصلى فيما بيننا وبين تسع عشرة ركعتين فإذا أقمنا أكثر من ذلك صلينا أربعاً « قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب صحيح (٣) » .

وهذا التحديد بتسعة عشر يوماً فى الواقع هو اختيار من ابن عباس رضى الله عنه والا فما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يفيد هذا التحديد لأن الظروف هى التى استدعت إقامته صلى الله عليه وسلم هذه المدة بمكة فكان يقصر الصلاة فيها ، مع العلم بأن هذا الحديث هو إحدى الروايات الكثيرة الواردة فى هذا الموضوع فإلى جانب رواية الخمس عشرة التى تمسك بها أبو حنيفة ، ومن معه ، ورواية تسع عشرة التى تمسك بها إسحاق ، هناك رواية ثالثة بسبع عشرة عند أبى داود وعن ابن عباس كذلك ، ورواية رابعة عن عمران ابن حصين (شهدت معه الفتح فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يصلى الا ركعتين) (٤) .

وبالجملة : فإن عنصر القصد غير واضح فى هذا الحديث والتحديد الوارد فيه ، هو أمر اتفاقى ، أى أنه حادثة عين وكما قيل : فإن حوادث الأعيان لا يستدل بها على عموم الأحكام .

وذهب مجد الدين بن تيمية صاحب منتقى الأخبار إلى تحديد المدة بعشرة أيام - أو بأحد عشر يوماً - المستفادة من حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم غزا غزوة

---

(١) النسائى جـ ٣ ص ١٢١ احياء التراث .

(٢) تحفة الاحوذى جـ ٣ ص ١١٣ .

(٣) سنن الترمذى مطبوع مع شرحه تحفة الأحوذى جـ ٣ ص ١١٥ .

(٤) سنن أبى داود جـ ٤ ص ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

الفتح فى رمضان وصام حتى إذا بلغ الكديد ، الماء الذى بين قديد وعسفان ، فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر (١) ٠

قال مجد الدين تعقيبا على هذا الحديث ، ووجه الحجة منه : أن الفتح كان لعشر بقين من رمضان هكذا جاء فى حديث متفق عليه (٢) ٠

وقد أوضح الشوكانى كيفية الاستدلال بهذا الحديث كما يلى :

الأصل فى المقيم ألا يفطر لزوال مشقة السفر عنه إلا لدليل يدل على جوازه وقد دل الدليل على أن من كان مقيماً ببلد وفى عزمه السفر يفطر مثل المدة التى أفطرها صلى الله عليه وسلم بمكة وهى عشرة أيام أو أحد عشر على اختلاف الروايات فيقتصر على ذلك ولا يجوز الزيادة إلا بدليل (٣) ٠

وما قيل فى التعقيب على الاستدلال الذى قال به كل من أبى حنيفة وإسحاق يقال هنا : أى أن التحديد الوارد فى هذا الحديث لم يكن مقصوداً وإنما حدث اتفاقا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حسبما جاء فى هذه الرواية ـ أن وصل إلى مكة فى اليوم التاسع عشر من رمضان وظل فى مكة بقية الشهر ليرتب أمورها بعد الفتح ، من تعيين حاكم لها وتسليم أصحاب وظائف الكعبة وظائفهم وغير ذلك مما يحتاج إليه فى مثل هذه الحالة وقد استغرق ذلك زمناً ، منه هذه المدة الباقية من رمضان ٠

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ، لو كان صلى الله عليه وسلم دخل مكة قبل هذا التاريخ ، أى فى اليوم العاشر مثلا من رمضان ؟ فهل كان سيستمر مفطراً إلى نهاية الشهر أم كان سيقطع الرخصة ويصوم بعد انتهاء مدة العشرة أيام أو الأحد عشر ؟

وأرى ـ والله أعلم ـ أن هذا الحديث يستدل به على أن الإنسان إذا نزل بمكان ما لأمر ما وفى نيته العزم على استمرار السفر ولا يدرى متى تنتهى مهمته من هذا المكان حتى يواصل سفره ـ فإن مثل هذا يستمر على فطره ولو قضى الشهر كله فى هذا المكان ٠

وموضع الشاهد من الحديث على هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى نيته فتح مكة والعودة إلى المدينة ولم يكن فى نيته العزم على الاقامة مدة محددة بل كانت اقامته مرهونة باستقرار الأحوال فى مكة فمتى استقرت الأحوال وعادت الأمور إلى طبيعتها غادر مكة إلى المدينة أو إلى مكان آخر ٠

---

(١) منتقى الأخبار جـ ٤ ص ٢٥٧ مع نيل الأوطار ٠

(٢) منتقى الأخبار المطبوع مع شرحه نيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٥٧ ٠

(٣) نيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٥٧ ٠

ويقوى ذلك أننا لم نجد فى هذا الحديث ولا فى أى حديث آخر من الأحاديث الواردة التى اطلعنا عليها فى هذا الموضوع قرينة يفهم منها أن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح أو ألمح إلى عزمه على الاقامة مدة محددة فى مكة فى هذه الغزوة ، بل بالعكس كانت هناك قرائن يستفاد منها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينوى الخروج من مكة - بعد استقرار الأحوال فيها - فى أقرب فرصة ٠

من هذه القرائن ، ازالة ما كان يجول فى خواطر كثير من الأنصار بل وقد صرح بعضهم به من أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيستقر فى مكة بين أهله وعشيرته بعد أن فتحها الله عليه ٠

ومنها : إزالة الهواجس من نفوس البقية الباقية من المكيين على شركهم والذين لا يزالون يعتقدون ، أن محمداً صلى الله عليه وسلم إنما يريد أن يكون ملكاً عليهم ، ثم من خلالهم على بقية العرب - فرحيله بسرعة عنهم بعد أن يسلم بعضهم مقاليد مدينتهم من شأنه أن يبدد هذه الهواجس ويفتح بدلاً منها نوافذ للتفكير فى أمر الدعوة والداعى يصل بهم إلى الإيمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ٠

ومنها : تلك الأنباء التى كانت ترد تباعاً عن هوازن وثقيف وعزمها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الحكمة تقضى بالخروج إليهم بسرعة قبل أن يستكملوا عددهم وعدتهم ٠

وهكذا نجد القرائن تفيد أن إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة مدة محددة لم تكن واردة وإنما كانت الظروف تنبىء بأنه سيغادرها فى أول فرصة تسنح له ٠ وعلى ذلك فمهما أقام فهو فى سفر ولو أقام شهوراً ، وقد قال الترمذى فى سننه « أجمع أهل العلم على أن للمسافر أن يقصر ما لم يجمع اقامة وإن أتى عليه سنون » (١) ٠

وأخرج البيهقى عن أنس أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاموا برامهرمز تسعة أشهر يقصرون الصلاة (٢) ٠

كما أخرج أيضا عن نافع عن ابن عمر أنه قال أرتج علينا الثلج ونحن بأذربيجان ستة أشهر فى غزاة ، قال ابن عمر وكنا نصلى ركعتين (٣) ٠

---

(١) سنن الترمذى المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذى جـ ٣ ص ١١٤ ٠

(٢) السنن الكبرى جـ ٣ ص ١٥٢ ٠

(٣) السنن الكبرى جـ ٣ ص ١٥٢ ٠

كما أخرج عن ابن شهاب أن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، قال خرجت مع أبى وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهرى عام أدرج - هكذا - فوقع الوجع بالشام فأقمنا بالسرغ خمسين ليلة ودخل علينا رمضان فصام المسور وعبد الرحمن بن الأسود وأفطر سعد بن أبى وقاص وأبى أن يصوم ، فقلت لسعد ياأبا إسحاق أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت بدراً والمسور يصوم وعبد الرحمن وأنت تفطر ، قال سعد : إنى أنا أفقه منهم (١) ·

المختـــار : الواقع أن مجال الاختيار هنا صعب وخصوصاً بين رأى الجمهور الذى يحدد المدة بأربعة أيام وبين اختيار مجد الدين بن تيمية صاحب منتقى الأخبار ، بتحديد المدة بعشرة أيام أو أحد عشر ·

وعنصر الصعوبة فى أن رأى الجمهور يستند إلى دليل فيه عنصر القصد لكنه بعيد عن مجال موضع النزاع وإن كان فيه رابط يربط بين الأمرين وهو أن كلا الأمرين وارد فى السفر · وكلا الأمرين يتعلق بالاقامة ·

أما بالنسبة لدليل ابن تيمية ، فهو وارد فى السفر وفى الصوم الواجب وفى الاقامة الطارئة أثناء السفر لكن ليس فيه عنصر القصد إلى التحديد وان كان هو أقرب الأمرين الى السنة · لذا كان هو المختار · إلا أنى أرى أن الأحوط هو تبييت نية الصوم لمن أجمع إقامة أربعة أيام ·

من نوى الصيام فى السفر هل يباح له الفطر أثناء النهار ؟

وبمعنى آخر من ترك العمل برخصة الفطر وعزم على الصيام من طلوع الفجر فهل يباح له نقض هذه النية والافطار فى بعض أجزاء النهار :

لبيـــان ذلك نقـــول :

إذا أخذ المسلم بالعزيمة وصام من بداية سفره أو من بعض مراحل الطريق ثم بدا له فى يوم ما وهو صائم أن يفطر فى أثناء النهار ، فقد أجاز له الشافعى وأحمد الافطار بلا أدنى حرج عليه ، وعليه أن يقضى هذا اليوم بيوم آخر بعد انتهاء السفر (٢) وذلك أخذاً بحديث ابن عباس المتقدم « سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بإناء فيه شراب فشربه نهاراً ليراه الناس ثم أفطر حتى دخل مكة » ·

---

(١) السنن الكبرى جـ ٣ ص ١٥٢ ، السرغ : قرية بوادى تبوك ·
(٢) المغنى ص ١١٨ ، والمجموع جـ ٦ ص ٢١٤ ·

ووجه الاستدلال من الحديث واضح ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدأ يومه صائماً ثم أفطر في أثناء نهار ذلك اليوم وقد جاء في بعض الأحاديث المتقدمة أن ذلك كان بعد العصر .

وقال الحنفية : لا يجوز له الفطر ابتداء ولكن لو أفطر ، فلا كفارة عليه لأن السبب المبيح - من حديث الصورة - وهو السفر قائم فأورث شبهة ، وبها تندفع الكفارة .

وقد أجابوا عن فطره صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي كان صائماً فيه والذي أشرنا اليه في حديث ابن عباس السابق ، بأن الجائز أن يكون صلى الله عليه وسلم علم من نفسه بلوغ الجهد الشديد من الصيام في هذا اليوم ، إلى الحد الذي إذا وصل اليه الصائم المقيم أبيح له الفطر (١) .

وهذا تأويل بعيد لأن بعض الروايات تفيد أنه صلى الله عليه وسلم طلب من أصحابه الفطر على أن يستمر هو صائماً وقال : « إني أيسركم إني راكب ، فلما أبوا نزل وشرب ما كان يريد أن يشرب » . وقد تقدم هذا الحديث بكامله ، وهو واضح في رده على تأويل علماء الحنفية لمدلول حديث ابن عباس .

أما المالكية : فقد حكى الزرقاني ، وجوب الكفارة على من نوى الصيام في يوم سفره ، ثم أفطر بعد ذلك في نفس اليوم .

وحكى ابن يونس في المسألة قولان ، أحدهما بوجوب الكفارة ، والآخر بوجوب القضاء فقط .

ووجه من أوجب الكفارة ، أن المسافر كان مخيراً في الصوم والفطر ، فلما اختار الصوم وترك الرخصة ، صار من أهل الصيام ، وعلى ذلك فيجب عليه ما يجب على أهل الصيام من الكفارة (٢)

وقد استدل الحنفية والمالكية ، بقوله تعالى : (ولا تبطلوا أعمالكم) (سورة محمد الآية رقم ٣٣) فالمسلم الذي اختار أن يعمل عملاً من أعمال العبادة وابتدأه بالفعل ، فيجب عليه أن يتمه .

لكنه قد نقل عن ابن عبد البر قوله : من احتج في هذا بقوله تعالى : (ولا تبطلوا أعمالكم) فهو جاهل بأقوال أهل العلم ، فإن الأكثر على أن المراد بذلك : النهي عن الرياء ، كأنه قال : لا تبطلوا أعمالكم بالرياء بل أخلصوها لله

---

(١) فتح القدير للكمال جـ ٢ ص ٣٦٥ ، ص ٣٦٦ .

(٢) شرح عبد الباقي الزرقاني جـ ٢ ص ٢١٤ .

وإن كان هذا القول من ابن عبد البر رحمه الله ليس بلازم ، إذ عموم اللفظ يتناول إبطال العمل بالرياء ، كما يتناول إبطاله بنية إلغائه ونقضه ، والعبرة بعموم الألفاظ فى النصوص التشريعية إلا لقرينة تفيد التخصيص .

والمختار من هذه الآراء ، هو رأى من يقول بجواز الفطر لمن كان عزم على الصيام من طلوع الفجر سواء كان ذلك بعذر أم لا وذلك لأن الاستدلال بقوله تعالى : (ولا تبطلوا أعمالكم) فهو وإن صلح باعتبار عموم اللفظ إلا أن حديث ابن عباس رضى الله عنهما يعتبر نصاً خاصاً وارداً فى الموضوع فيرفع النزاع ويكون مخصصاً للعموم المستفاد من الآية إن قلنا بشموله لمسألة البحث . والله أعلم .

احترز من عدوين هلك بهما أكثر الناس :
صادٌّ عن سبيل الله بشبهاته وزخرف قوله
ومفتونٍ بدنياه ورئاسته .

(١) نيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٩٠ .


ثقافة إسلامية

يريد الله بكم اليسر

للشيخ حسن عبد الوهاب مرزوق
مدرس بالجامعة الإسلامية

اطلعت على كتاب فى الصوم للأخ الشيخ محمد عبد السلام خضر ، فرأيت من الفائدة أن أقدم ملخصاً عنه فيما يلى :

الصيام شرعاً هو الامساك عن الأكل والشرب وغشيان النساء من الفجر إلى المغرب بنية خالصة لله عز وجل واحتسا باً لوجهه تعالى وإعداداً للنفس لتقوى به على مراقبته تعالى وعلى كبح جماح الشهوات ، وترك المعاصى والمحرمات ٠

يقول تعالى **(ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) ٠**

أى فرض عليكم كما فرض على المؤمنين من قبلكم **(لعلكم تتقون)** أى لعلكم بأداء فريضة الصيام تتربى نفوسكم وتطهر قلوبكم وتتزكى فتكونون من المتقين ٠

(أياماً معدوداتٍ) أى معينات محدودات تسهيلاً على المكلفين ٠

(فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) أى من كان مريضاً أو مسافراً فأفطر يوماً أو أكثر فواجب عليه قضاء الأيام التى أفطرها أى بعد شفائه أو استقراره ببلده ٠ والسفر الذى يباح فيه القصر يباح فيه الفطر ٠

روى أحمد والشيخان أنه صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه فقال ما هذا ؟ فقالوا : صائم ٠ فقال : « ليس من البر الصوم فى السفر » ٠

(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) أى على الذين يشق عليهم الصيام فدية طعام مسكين عن كل يوم يفطرونه من أوسط ما يطعمون به أهليهم فى العادة الغالبة ٠ لا أعلاه ولا أدناه ، أكلة واحدة ٠ والمراد من الذين يطيقونه هنا الشيوخ الضعفاء ونحوهم ٠ فقد روى البخارى أن ابن عمر قال : هى منسوخة ٠ وأن ابن عباس قال : ليست بمنسوخة هى للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً ٠

(**فمن تطوع خيراً**) كأن أطعم أكثر من مسكين فهو خير له لأن ثواب ذلك عائد له ·

(**وأن تصوموا خير لكم**) أى والصيام خير لكم لما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاق الرذيلة · فقد قال أبو أسامة للنبى صلى الله عليه وسلم : « مرنى بأمر آخذه عنك · قال : عليك بالصوم فإنه لا مِثْلَ له » رواه النسائى بسند صحيح ·

(**إن كنتم تعلمون**) ما فى الصوم من خير ومنافع ·

(**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن**) خص الله هذا الشهر بالصوم لأنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن ·

(**هدى للناس**) أى هدى كاملًا للناس كافة ·

(**وبينات من الهدى**) أى وآيات واضحات لا خفاء فى حكمها ·

(**والفرقان**) أى الذى يفرق الله به للمهتدين بين الحق والباطل ·

(**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) أى من شاهد منكم هلال الشهر فليصمه ·

وفى الحديث المتفق عليه · « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غُمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » ·

(**ومن كان مريضاً أو على سفر**) أعيد ذكر الرخصة للمريض والمسافر فى الإفطار لتأكيد هذه الرخصة لهما · ومثل المريض الحامل والمرضع والهرم ·

(**يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر**) أى يريد الله أن يكون دينكم يسراً لا عسر فيه · وفى الحديث « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » رواه أحمد والبيهقى والطبرانى وابن حبان ·

وعن حمزة الأسلمى أنه قال : « يارسول الله أجد منى قوة على الصوم فى السفر فهل على جناح ؟ فقال : هى رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » رواه مسلم ·

(**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم**) فكما يريد الله بكم اليسر يريد سبحانه أن تكملوا العدة بقضاء ما أفطرتم فمن لم يكملها بسبب المرض أو السفر أكملها قضاء بعده على الفور أو على التراخى ·

(**ولتكبروا الله على ما هداكم**) أى ما هداكم إليه من العلوم والأحكام النافعة

لكم ، بأن تذكروا عظمة الله وكبرياءه وحكمته فى إصلاح عباده ، وتأديبه لعباده المؤمنين بما اختاره لهم من التكاليف الشرعية وتفضله عليهم عند ضعفهم بالرخص التى تناسب حالهم ·

(**ولعلكم تشكرون**) أى تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق ·

ثم قال تعالى (**واذا سألك عبادى عنى فانى قريب**) ·

روى الطبرانى وابن أبى حاتم : أن أعرابياً جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فسكت عنه · فأنزل الله الآية ·

(**فإنى قريب**) أى أنه قريب من عباده وهو مستو فوق عرشه · وهذا لا يقتضى أن نرفع أصواتنا بالدعاء والذكر لأنه سبحانه أقرب ما يكون منا · ومثل هذا قوله تعالى : (**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**) ·

وقولـــه (**ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**) ·

(**أجيب دعوة الداع إذا دعان**) أى إذا توجه الىّ وخصنى وحدى ملتجئاً إلىّ فى طلب حاجته بدون واسطة من خلقه ·

(**فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى**) أى يجب أن يستجيبوا لما أمرتهم به من الإيمان والأعمال النافعة لهم ، كالصيام وغيره ·

(**لعلهم يرشدون**) أى يهتدون بالإيمان والطاعة الى ما ينفعهم ويرفع شأنهم فى الدين والدنيا ·

(**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم**) ليلة الصيام هى الليلة التى يصبح فيها المرء صائماً ، والرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة ·

(**هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**) أى أن الرجل للمرأة كاللباس المباشر للجسم الملازم له ، يسكن إليها وتسكن إليه ·

(**علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم**) روى البخارى من حديث البراء قال : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله الآية ·

وأخرج الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال : « كان الناس فى رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد ، فرجع عمر من عند النبى صلى الله عليه وسلم وقد سَهِر عنده فأراد امرأته فقالت انى

قد نمت · فظن أنها تعتل فوقع عليها · وصنع كعب مثل ذلك فغدا عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فنزلت الآية ومعناها أن الله قد علم أنكم ترتكبون بعض ما نهاكم عنه وحرمه عليكم من الطعام والشراب ومباشرة النساء فتاب عليكم أى فقبل توبتكم وعفا عن خطيئتكم ورخص لكم فى ذلك طوال ليالى الصيام · حيث قال تعالى (**فالآن باشروهن**) ·

(**وابتغـــوا**) أى اطلبوا بمباشرتهن ما كتب الله لكم من النسل الذى لا يتأتى إلا بإذن الله بمباشرة الزوجين لبعضهما · ومن كان عقيماً فله فى استمتاعه بزوجته صدقة فضلًا عن إحصان كل منهما للآخر ·

(**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**) أى يباح لكم الأكل والشرب ومباشرة النساء فى الليل حتى يتبين لكم بياض الفجر ، وقد ورد فى الصحيحين من حديث سهل بن سعد قال : أنزلت (وكلوا وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل (من الفجر) فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود · ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما · فأنزل الله بعد (من الفجر) فعلموا أن هذا يعنى الليل والنهار ·

(**ثم اتموا الصيام إلى الليل**) أى إلى غياب الشمس ·

(**ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد**) أى لا تباشروا النساء فى حالة اعتكافكم لأن المباشرة تبطل الاعتكاف ولو ليلا كما تبطل الصيام نهاراً ·

(**تلك حدود الله فلا تقربوها**) أى فلا تقربوا محارمه فتقعوا فيها فينالكم عذابه ·

(**كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون**) أى يبين لكم جميع أحكام دينكم فى الكتاب والسنة ·

بعض مـــا ورد فى فضـــائل صـــــوم رمضــــــان :·

روى أحمد والنسائى عن عرفجة فى حديث عتبة بن فرقد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« فى رمضان تغلق أبواب النار وتفتح أبواب الجنة ، وتصفد الشياطين · قال : وينادى فيه ملك : ياداعى الخير أبشر ، ويا باغى الشر أقصر ، حتى ينقضي رمضان » وأصله فى البخارى ·

روى النسائى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وأصله فى البخارى .

وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة . لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » .

روى البخارى (حديثاً قدسياً) عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى قال : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، والصيام جُنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم . والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه » .

وروى أحمد والطبرانى مرفوعاً عنه صلى الله عليه وسلم قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة . يقول الصيام : أى ربى منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه : فيُشَفَّعَان » .

أشياء ليس على الصائم جناح إن فعلها :

لا جناح على الصائم إن حصل ما يأتى :

الاغتسال ـ المضمضة عند الوضوء مع الحرص من عدم دخول الماء فى الحلق ـ الاستياك ـ بلع الريق ـ التكحل ـ الأكل أو الشرب ناسياً ـ دخول الذباب عفواً فى حلقه ـ ذرع القىء .

آداب الصـــــوم :

من آداب الصوم وجوب ترك الصائم للغيبة والفحش والكذب ـ فقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

وروى ابن خزيمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رب قائم حظه من قيامه السهر ، ورب صائم حظه من الصيام الجوع والعطش » (واخرجه أحمد والحاكم والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن عن أبى هريرة) .

استحباب تعجيل الفطر وتأخير السحور :

ويستحب تعجيل الفطر وتأخير السحور

روى البيهقى عن عمرو بن ميمون قال :

« كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعجل الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً » ·

وروى مسلم عن عمرو بن العاص قال : « فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر ·

النهى عن الوصال :

والوصال منهى عنه ، وهو مواصلة الصوم دون فطر · فعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والوصال (مرتين) قيل إنك تواصل · قال : إنى أبيت يطعمنى ربي ويسقيني ، فاكفلوا من الأعمال ما تطيقون » رواه البخارى ·

فإذا أراد الصائم الوصال فيكون الى السحر لحديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر » رواه البخارى ·

فضل الإفطار على التمر والماء :

ويسن الإفطار على التمر والماء · فقد روى الإمام أحمد وغيره : « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فإن لم يجد تمراً فليفطر على الماء فإنه طهور » ·

فضل إطعام الصائمين :

روى الترمذى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شىء » ·

الحث على الجود ومدارسة القرآن فى رمضان :

أخرج البخارى عن ابن عباس قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة » ·

الحـث على الاجتهـاد فى العشـر الأواخر من رمضان :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر : أي العشر الأخير من رمضان شد مئزره وأحيا ليله ، وأيقظ أهله ،) متفق عليه ٠

فضـل صـلاة القيـام :

أخرج البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » ٠

وأخرج البخارى عن أبى سلمة قال : سألت عائشة عن صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى رمضان فقالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة « يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ٠ ثم يصلى ثلاثاً » ٠

وفى الموطأ : أن عمر أمر أبى بن كعب وتميماً أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة وقد كان القارىء يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصى من طول القيام ، وما كنا ننصرف إلا فى بزوغ الفجر » ٠

فى فضـائل ليلـة القـدر والتماسـها فى العشر الأواخر :

روى البخارى فى صحيحه عنه صلى الله عليه وسلم قال : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » ٠

وجاء فى مسند أحمد عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « التمسو ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان فى وتر فانى قد رأيتها فنسيتها » ٠

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله أرأيت إذا علمت أى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ٠ قال : قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » (رواه الخمسة غير أبى داود وصححه الترمذى والحاكم) ٠

فضـائل الاعتكـاف وسـننه ووقتـه :

روى البخارى أنه صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه وأنه أمر بخباء فضرب له ٠

وروى البخارى أن صفية قالت : « كان رسول الله صلى عليه وسلم معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثنى ثم قمت لانقلب فقام معى ليقلبنى وكان مسكنها فى دار أسامة (أى الدار التى صارت بعد ذلك لأسامة بن زيد) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُدْخل علىَّ رأسه وهو فى المسجد فأرجّله ، وكان لا يدخل البيت الا لحاجة إذا كان معتكفا » متفق عليه واللفظ للبخارى .

وروى أحمد والبخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم اعتكف معه بعض نسائه وهى مستحاضة ترى الدم ، فربما وضعت الطست تحتها من الدم وهى تصلى .

وروى الشيخان أن عمر سأل النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كنت نذرت فى الجاهلية أن اعتكف ليلة فى المسجد الحرام . قال : فأوف بنذرك .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده . (متفق عليه) .

* * *

مـــــراجـع البحـــــث

- تفسير القرآن العظيم للحافظ ا بن كثير .
- تفسير الجلالـــــين .
- فضائل رمضان للشيخ محمد بن أحمد بن عبد السلام .
- شرح نونية ا بن القيم للشيخ محمد خليل هراس .
- فقه السنة للشيخ السيد سا بق .
- فقه الإسلام ، شرح بلوغ المرام للحافظ ا بن حجر العسقلانى ، للشيخ عبد القادر شيبة الحمد .

مجموعة نصائح

للشيخ ابراهيم الراشد الحديثي
رئيس محاكم منطقة عسير

١ ـ صفة حجـة النبى صلى الله عليه وسلم :

الحمد لله الذى فرض الحج على المستطيعين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد خاتم النبيين وعلى آله واصحابه والتابعين. اما بعد .

فلما دخل الناس في دين الله أفواجاً حج صلى الله عليه وسلم فخرج من المدينة متجرداً في ثوبين إزار ورداءً ، وطيبته عائشة طيباً فيه مسك ، وذلك في خمس بقين من ذى القعدة سنة عشر من الهجرة ، فصلى الظهر بذى الحليفة ركعتين ثم أحرم في مصلاه ، ثم أهل وركب راحلته ، وكان معه خلائق لا يحصون عن يمينه وعن شماله وبين يديه مد البصر قيل إنهم مائة وستة عشر ألفاً ، وساق معه مئة بدنة وأصبح يوم الأحد بسَرف ، وصلى المغرب والعشاء ثم صلى الصبح بعرق الضبية ثم نزل الروحئ فصلى العصر والمغرب والعشاء ، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج ، ويوم الأربعاء بالأبواء ، ويوم الجمعة بالجحفة ، ويوم السبت بقديد ، ومر بامرأة ومعها ابن لها صغير فأخذت بعضده وقالت ألهذا أحج ؟ فقال نعم ولك أجر . وكان يوم الأحد بعسفان ، ولما انتهى إلى الثنيتين بات بينهما فيما بين كرى وكدى ثم أصبح واغتسل .

ودخل مكة يوم الاثنين الرابع من ذى الحجة من أعلاها حتى انتهى إلى باب بنى شيبة . فلما رأى البيت رفع يديه وكبر وقال : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً ومهابة وبراً ولما دخل المسجد بدأ بالطواف وكان راكباً على راحلته ولما أتى إلى الركن استلمه وهو مضطبعٌ بردائه ، ثم رمل ثلاثة أشواط وكان يأمر من استلم الركن أن يكبر ويقول لا إله إلا الله ، الله أكبر ، اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك فلما قضى الطواف صلى ركعتين خلف المقام قرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله أحد .

ثم عاد واستلم الحجر وقال لعمر استلم الركن فأنت قوى ثم خرج إلى الصفا من باب بنى مخزوم وقال أبدأ بما بدأ الله به . وصعد الصفا وكبر وسعى على راحلته وقال لا إله إلا

الله وحده لا شريك له . له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ٠ ولما انصبت قدماه في الوادى رمل وقال ٠ أيها الناس اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى وقال في سعيه ٠ رب اغفر وارحم فلما قضى سعيه أمر من لم يسق هديه أن يفسخ حجه إلى عمرة ويتحلل ثم يهل بالحج ٠ وقال لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى ولجعلتها عمرة ودخل الكعبة وصلى فيها ركعتين وقام بها حتى يوم الخميس ، وكان يوم التروية فخطب بعد الظهر بمكة ووعظ الناس وقال من استطاع أن يصلى بمنى فليفعل فصلى في مكة بحجته أربعة أيام يقصر الصلاة ويقول أتموا يا أهل مكة فإنا قوم سفر وركب حين زالت الشمس يوم التروية بعد أن طاف بالبيت فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح بمنى ٠

ولما طلعت الشمس ركب إلى عرفة حتى أتى باطن وادى عرنة وخطب حين زالت الشمس على ناقته فلما فرغ من الخطبة أذن بلال وأقام العصر والظهر بأذان واحد وإقامتين ثم رفع يديه يشير إلى الناس ارفعوا عن بطن عرنة ثم قال في خطبته : يا أيها الناس إنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ٠ خطب خطبته المشهورة التى وعظ بها الناس الموعظة البليغة وفتح الله أسماع الناس في عرفة ووقف بعرفة خلف الصخرات ، وقال : كل عرفة موقف إلا بطن عرنة كل مزدلفة موقف إلا بطن محسر ، وقال : إن خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ٠ ووقف على راحلته حتى غربت الشمس . ونزل عليه وهو واقف بعرفة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) ٠

ثم انصرف بعد ما تحقق غروب الشمس عن يسار طريق المأزمين وصلى المغرب والعشاء بمزدلفة بأذان واحد وإقامتين ، ولما طلع الفجر صلى الصبح ، ثم ركب راحلته ووقف بمزدلفة حتى قرب طلوع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس من مزدلفة إلى منى ثم سار حتى رمى جمرة العقبة يوم النحر على ناقته ولا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ، ثم نحر هديه وقال نحرت هنا ومنى وفجاج مكة كلها منحر ٠ ونحر بيده ثلاثاً وستين بدنة ثم حلق ، ثم أفاض إلى مكة ، فطاف وأتى زمزم فأمر بدلو فشرب وصب على رأسه وقال : لولا أن تغلبوا لنزعت معكم ٠ وكان يرمى الجمار أيام التشريق بعد ما تزول الشمس ماشياً على قدميه وخطب في حجته ثلاث خطب ، الأولى يوم التروية بعد الظهر بمكة ، والثانية بعرفة يوم زالت الشمس ، والثالثة يوم النحر بمنى ٠ بعد الظهر على راحلته ٠

فلما انتهت أيام منى قال : نحن نازلون غداً إن شاء الله في ضيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى المحصب لقصد إظهار شعائر الإسلام في المكان الذى أظهروا فيه شعائر الكفر فنزل في المحصب وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ورقد رقدة خفيفة ، ثم نهض

وطاف بالبيت طواف الوداع ليلاً ، ثم خرج من أسفل مكة إلى المدينة · ولأن الحج اعظم مؤتمر إسلامى يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها وهو ركن من أركان الإسلام أحببت أن أبين لإخوانى صفة حجه صلى الله عليه وسلم بصفة مختصرة موجزة · وأرجو الله أن تكون خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بها من قرأها أو سمعها وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم : والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

٢ ـ في فضل الزكاة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده . آما بعد .

فقد ثبت في الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان . فهذه هى أركان الإسلام وهى محك التمحيص لصحة الإسلام ومن يتأمل القرآن العظيم يجده مملوءاً بالأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . لأن الصلاة عمود الإسلام كما أن الزكاة أمانة الله في مال كل إنسان لأن الله سبحانه قد افترض في أموال الاغنياء زكاة تؤخذ منهم وتعطى الفقراء وأداء الزكاة هو عنوان على شكل الغنى بالمال الذي إذا دفعه للفقراء يلهجون بالثناء عليه ·

وقد سميت الزكاة لأنها تزكى أى تطهر المال وتنميه وتنزل البركة فيه حتى في يد وارثه إذا كان صاحبه يؤدى زكاته وتزكي إيمان مخرجها من مسمى البخل ·

وقد اقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها مانقصت الصدقة مالاً بل تزيده · بل تزيده · بل تزيده · ويقول الرب العظيم (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) أما الذى لا يخرج الزكاة فقد استحوذ عليه الشيطان وأما من أخرج الزكاة فإن الله يخلف عليه بأضعاف مضاعفة قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) أيها الاخوة المسلمون حصنوا أموالكم بإخراج زكاتها فإنه ليس من مال لا تخرج زكاته إلا يعذب به صاحبه يوم القيامة وفي إخراج الزكاة طهرة للمال وتنمية له . فمن أعطاه الله مالاً فيجب عليه إخراج زكاته والصدقة منه وصلة رحمه والنفقة فى وجوه الخير . وما من مال لا تخرج زكاته إلا عذب به صاحبه يوم القيامة قال تعالى (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) ·

والزكاة أيها المسلمون قدر يسير يترتب عليها أجر كثير وخلف من الله كبير وتجب الزكاة فى كل مال أريد للتجارة إذا حال عليه الحول سواء كان وديعة فى البنوك أو فى جهة أو مودعاً فى أسهم فى شركة فيه كله زكاة ، ومن حلى النساء ولو كان للاستعمال فتجب فيه الزكاة ، وما من مال لا تخرج زكاته إلا ذهب وكان عاراً على صاحبه ٠

وما هلك مال فى برٍّ ولا فى بحر إلا بسبب منع الزكاة ، أمّا الغنىّ الذى يخرج الزكاة فيكتسب زيادة فى ماله وبركة فيه ويدل على قوة إيمانه ٠ والزكاة فطرة الإسلام ودليل على صحة الإيمان ٠ والواجب على كل مسلم عند حلول وقت الزكاة أن يحسب ماله ويؤدى زكاته طيبة بها نفسه ٠ لأن المال فى هذا الزمان قد فاض على الناس والمال غاد ورائح ويبقى لمخرج الزكاة شرف الذكر وُعظم الأجر ، ولمانع الزكاة عظم الوزر ٠ وإننى أرجو الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين إلى المسارعة إلى أداء الزكاة لأن اخراجها ينمى المال ويبارك فيه ويزيده ويحصل لمخرج الزكاة الأجر العظيم ٠ هذا ما أردت جمعه ، وأرجو الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم ٠ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

٣ ـ فى فضل الجهاد وثوابه

الحمد لله الذى شرع الجهاد بالنفس والمال واليد واللسان وجعل جزاء من قام به الغرف العالية فى الجنان واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك المنان وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد ولد عدنان ، وعلى اله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ٠ أمـــا بعـــد :

لما أكرم الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالرسالة كان يغشى الناس فى أنديتهم فى أيام المواسم وغيرها وفى أسواقها ويتلو عليهم القران ويدعوهم إلى الله ويصبر على ما يناله من الأذى من قريش ومن يتبعه ينال منهم أشد العذاب كبلال وآل عمار وغيرهم كانوا يذيقونهم ألوان العذاب ٠ وقد أمر الله بالجهاد فى آى كثيرة من كتابه العزيز كما فى قوله تعالى : (وقاتلوا فى سبيل الله) وقوله تعالى : (انفروا خفافا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) فالجهاد وإن كان مكروهاً للنفوس لما فيه من التعرض للقتل فقـــد رتب الله عليه من الأجر ما لا يخطر على بال ولا على قلب بشر قال عكرمة إنهم كرهوه ثم أحبوه وقد تظاهرت آيات الكتاب العزيز والسنة النبوية على الترغيب فى الجهاد والحرص عليه قال تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فَيَقْتلوُن ويُقْتلوُن وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل

والقرآن ومن أوْفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) فجعل سبحانه هاهنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن ، وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد وأخبرهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة إن والإخبار بذلك بصيغة الماضى الذى قد وقع وثبت واستقر . وأضاف هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأخبر أنه هو الذى اشترى هذا البيع . وأنه وعدا بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه إنه أتى بصيغة على التى للوجوب إعلاماً لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه وأكد ذلك بكونه حقاً عليه وأخبر عن محل هذا الوعد وأنه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهى « التوراة والإنجيل والقرآن » إعلاماً لعباده بصيغة استفهام الإنكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه وأمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشروا به بعضهم بعضا بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسقه وأخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذى بايعوه به هو الفوز العظيم والبيع هاهنا بمعنى المبيع الذى أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة .

ولأن المسجد الأقصى له مكانته بالأفضليّة لأنه أولى القبلتين وثالث الحرمين وأسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم إليه . وفى الحديث أن الصلاة فى المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة وقد عبثت فيه أعداء الله وأعداء رسوله وأحرقته ومنعت الإطفاء وخربت مضخات الماء لكى لا يستعملها الجمهور لإطفاء الحريق وأعلن زعيمهم اللعين أن المسجد الأقصى لهم وأنه لا معنى لليهود بدون القدس . وقد أدرك جلالة الملك الراحل عبد العزيز أسكنه الله الجنة بثاقب فكره وغيرته على المقدسات الإسلامية خطر هجرة اليهود إلى فلسطين كما جاء فى كتابه الموجه إلى الحكومة البريطانية المؤرخ فى ٢١ ربيع الثانى ١٣٥٧ هـ والذى فيه أنه يفضل أن تفنى الأموال والأولاد والذرارى ولا تؤسس دولة لليهود فى فلسطين وكذا كتابه إلى رئيس الحكومة الأمريكية فى ٧ شوال ١٣٥٧ هـ الذى فيه : أما دعوى اليهود التاريخية فلا نجد ما يبررها لأن فلسطين كانت مشغولة بالعرب وكان السلطان فيها لهم وغيرها مما ذكر مما تخوفه من هجرة اليهود واستيطانهم فلسطين . رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء .

ويحدثنا التاريخ أن المسجد الأقصى سبق وأن استولى عليه الصليبيون وذلك فى عام ٤٩٢ هـ وقتلوا فيه ما يقرب من سبعين ألف نسمة وظل فى أيديهم مدة ٩٢ سنة يعملون فيه المنكرات . حتى أتاح الله تبارك وتعالى بفضله السلطان صلاح الدين ففتحه وطهره من الأفرنج ونظف الصخرة والمعبد وصلوا فيه الجمعة ٤ شعبان فى السنة المذكورة وتولاه المسلمون ولله الحمد .

وقد كان جلالة الملك الشهيد / فيصل أسكنه الله الجنة ينوى أن يصلى فيه وقد أدركته منيته وإن شاء الله له قدر على أجر نيته وقد قطع الملك نور الدين زنكى على نفسه عهداً لا يظله سقف حتى يثأر من الإفرنج الذين فى بيت المقدس وظل ملتزماً بعهده حتى وافته المنية وحكومتنا الرشيدة وعلى رأسها جلالة الملك وولى عهده ورجاله المخلصون ينوون أن يخلصوه من أيدى الشرذمة اليهودية لأنه قبلتهم الأولى · ولكل ما ذكر فاننا نهيب بجميع المسلمين من ملوك وأمراء ورؤساء وأثرياء أن يستعينوا بالله وأن يصمموا على جهاد أعداء الله لتكون كلمة الله هى العليا ويبشروا بالنصر كما وعدهم الله فى كتابه وقال : (ولينصرن الله من ينصره) لأن الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام الإسلام · وأرجو الله أن يهيئ ويوفق ولاة المسلمين وحكامهم لما فيه الخير والسعادة واستعادة مقدسات الإسلام · وقد حررت هذه العجالة للتذكر · وأرجو الله أن تكون خالصة لوجهه وأن تلقى أذناً واعية وأنا الفقير الى الله ابراهيم الراشد الحديثى أرجو أن تحوز القبول والرضاء · وصلى الله على عبده ورسوله محمد إلى يوم الدين ·

٤ ـ وجوب الحجاب للمرأة المسلمة

الحمد لله القائل : (يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يلزم نساء المسلمين أن يدنين عليهن من جلابيبهن والجلباب الثوب الواسع ليعرفن بالتقوى والعفاف فلا يؤذين· إن المرأة المسلمة لا تدانيها امرأة من العالم وقد أعطيت حقوقها كاملة فكرامة المرأة المسلمة فى الإسلام قد بلغت كرامة ما تبلغها كرامة امرأة فى الوجود ·

وفى الحديث « ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم » وفى الحديث أيضاً (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » وفى آخر عمره صلى الله عليه وسلم قال (إستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم) وقوله تبارك وتعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) والخطاب للمؤمنات يعلمهن البارى سبحانه وتعالى أن الخمار من قوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) وهو ما يغطى الرأس وأن الجيب هو فتحة على الصدر وإن الله تبارك وتعالى أمر كل مسلمة أن تغطى وجهها وعنقها بالخمار لا رأسها فحسب ويقول تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) وهذا صحيح بوجوب غطاء رأسها وصدرها ، فمن كشفت عن رأسها وصدرها فإنها عاصية ولم تتمثل أمر الله ·

ومن أخطر ما يكون الذى حذر الله منه المسلمين الاختلاط بين الجنسين الذكر والأنثى ومن أكبر الأسباب الميسرة لفعل الفاحشة . ولهذا حذرت منه الشريعة السمحاء لقوله صلى الله عليه وسلم « لا يخلو رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » وكذلك اتخاذ الخدم الرجال والسائقين الأجانب الذين يحملون معهم نساء فى سيارات وينفردون بهم دون محارم فهذا يذهب بها الى المدرسة ويأتى بها بدون محرم وإن المسلم لا يرضى أن يخلو أجنبى بمحارمه . ويوجد من يحضر امرأة مربية لأبنائه وهى غير مسلمة وتربى الأبناء على غير الطريقة المستقيمة ويخلو بها وهى أجنبية وهذا لا يجوز لأن الله أمر بغض البصر سواء فى ذلك الرجال والنساء ، ولا يجوز للمرأة ان تكشف وجهها أو شيئاً من بدنها أمام رجل أجنبى .

فيجب على المسلم صيانة محارمه وامتثال أوامر الله بقوله تبارك وتعالى (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة) . هذا ما أردت جمعه لإخوانى المسلمين فى هذه العجالة ولو أخذنا تعدد مساوىء التبرج وما ينشأ من دخول غير المسلمات إلى بيوت المسلمين من الضرر الذى لا يعلمه إلا الله . فعلى المسلم أن يجتنب كل ما يضره فى دينه ويذكر وقوفه بين يدى الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من آتى الله بقلب سليم ؛ وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إن من الواجب أن تصان المرأة وكرامتها أن المرأة الشريفة العفيفة المؤمنة يأمرها البارى تبارك وتعالى فى الآية الكريمة فى اطار من الصون والكرامة وإن التبرج وبروز المرأة للمجتمعات من دواعى الفساد وما نهى الله ورسوله عنه . فعلى المسلم الغيور على دينه أن ينهى عنه وأن يراقب الله لأنه مسئول عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

جاهلية الغرب

– عثرت قوات الأمن البريطانية على جثة فتاة في الحادية عشرة من عمرها . مدفونة وهي حية . تحت التراب . من قبل أحد خاطفي الأطفال وتأكد لدى سلطات البوليس أن الطفلة (اورسولا هيرمان) دفنت وهي حية في صندوق طوله خمسة أقدام تحت الأرض .

(النور المغربية)

حقوق الإنسان في الإسلام

-٦-

الشيخ : عبد الفتاح عشماوي
محاضر بكلية الحديث

البــاب الثامن

ويشمل المواد الآتية من (إعلان حقوق الإنسان) وهي ثلاث مواد .

المادة الثانية والعشرون :

لكل شخص بصفته عضواً في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية ، وفي أن تحقق بواسطة المجهود القومي والتعاون الدولى ، وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها ، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته ، وللنمو الحر لشخصيته .

المــادة الرابعة والعشرون :

لكل شخص الحق في الراحة ، وفي أوقات الفراغ ، ولا سيما في تحديد معقول لساعات العمل ، وفي عطلات دورية بأجر .

المــادة الخامسة والعشرون :

(أ) لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كافٍ للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته ، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية ، وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة ، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة ، وغير ذلك من وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته .

(ب) للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين ، وينعَم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية ، سواء كانت ولادتهم ناتجة عن رباط شرعي أم بطريقة غير شرعية .

ونحن نقول : – لقد كانت فريضة الزكاة عندنا أضمن ضمان لكل أنواع البشر الذين أحسوا بنقص ما عن مستوى الضروريات الإنسانية . فتجد هذا النوع الذي تخلف في هذه القافلة الدنيوية جمع بكل فروعه بالرقم (٨) الحسابي . ولا يمكن أن تبحث عن بائس أو تعس أو محزون خارج هذا الرقم . فكانت الزكاة لهم لتكفكف دمعهم وتذهب همهم وتراب صدعهم . فيلحقوا بالسعداء والهانئين . وهم . الفقراء . والمساكين . والعاملين عليها . والمؤلفة قلوبهم . وفي الرقاب . والغارمين . وفي سبيل الله . وابن السبيل . وليس تسولاً منهم ولا منًّا من غيرهم . وإنما أعزهم الله بقوله : (فريضة من الله) . أي ليس تفضلاً من أحد سواه . وإنما هو حق يرغم به أنف مانعه على أدائه (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) . فإن أبى فعلاجه الموت . حيث أصبح عدواً لله وللمجتمع البشري بأسره . أنانياً لنفسه وليغني من عداه . إذاً فليمت هو ليسلم عدل الله من الظلمة الذين يعيشون على أنين الناس ونكدهم .

لقد ذكروا بعد ما أوردنا من آيات بينات عدة أحاديث عاطرات . نورد منها ما يلي:

عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث . ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس) رواه البخاري .

وأخبر ابن عمر رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) رواه البخاري – وأيضاً روى (أطعموا الجائع وفكوا العاني) وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له . ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له . قال : فذكر من أصناف المال ما ذكرحتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل) . رواه مسلم . وإن هذا الحديث وحده ناهيك عن قسطاس هذا الإسلام ككل . (لهو ضربات ماحقات للذين هوَوْا في مستنقع أقذار الشيوعية . التي كتبت العدالة على ورق نجس ودمرت بالظلم وتكبيل الجهود مجتمعها . حتى إن زعيمتهم روسيا لا زالت تشتري حبة القمح لتطعم شعبها المقيد المقهور بمبادئ ماركس ولينين ومن أتى بعدهما من كل عتل كفور . ولكن دعهم في أوحال عداوتهم يتمرغون . فلن نعطيهم من احتقارنا لهم إلا بما قال شاعرنا :

(لو كل كلب عوى ألقمته حجراً فالصخر يصبح مثقالاً بدينار)

وكقول آخر :

(كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يهنْها وأدمى قرنه الوعل)

إننا عندما نسمع هذا الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه فنسمع أعجب ما تسمع الدنيا من العدالة والمساواة والإيثار يقدمه معلم العالمين كلهم بأمر ربه محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقدم الحديث بلفظه وطوله أولاً . ثم نعلق عليه بقليل من الكلمات .

يقول أبو هريرة عن نفسه : الله الذي لا إله إلا هو ، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشبعني ، فمر ولم يفعل ، ثم مر بى عمر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشبعني ، فمر ولم يفعل ، ثم مر بى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، فتبسم حين رآني ، وعرف مافي نفسي وما في وجهي ، ثم قال : (أبا هِرّ) ، قلت لبيك يا رسول الله ، قال (إلحَقْ) ومضى فتبعته ، فدخل ، فاستأذن فأذن لى ، فدخل فوجد لبناً في قدح فقال : (من أين هذا اللبن ؟) قالوا : أهداه لك فلان أو فلانة . قال (أبا هِرْ) قلت لبيك يا رسول الله ، قال : (إلحَقْ إلى أهل الصفة فادعهم لى) قال - يعني أبو هريرة - وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ، ولا مال ، ولا على أحد ، إذا أتته صلى الله عليه وسلم صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها ، فساءنى ذلك فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ؟ كنتُ أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بد ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا ، فاستأذنوا فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت ، فقال : (أبا هِرّ) قلت لبيك يا رسول الله ، قال : (خذ فأعطهم) ، فأخذت القدح ، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد عَلَيَّ القدح ، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علّى القدح ، فيشرب حتى يروى ،

حتى انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده ، فنظر إلىّ فتبسم ، فقال : (أبا هر) فقلت لبيك يا رسول الله ، قال : « بقيت أنا وأنت » قلت : صدقت يارسول الله ، قال : (أقْعُدْ فاشرب) فقعدت فشربت فقال : (إشرب) فشربت ، فما زال يقول (إشرب) حتى قلت : لا ، والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا ، قال : (فأرنى) فأعطيته القدح ، فحمد الله وسمَّى ، وشرب الفضلة ، وفي رواية ، وشرب من الفضلة قال صاحب الفتح ، وفي هذا إشعار بأنه بقى بعد شربه شيء ، فإن كانت محفوظة فلعلها أعدها لمن بقى بالبيت من أهله صلى الله عليه وسلم ، انتهى هذا الحديث الشريف العظيم .

والحديث كما نرى لو بسطنا فيه القول من كل الجوانب المتصلة به لامتد بنا الأمر وأكثرها لا يتصل بالباب الذي نحن بصدده ، فنأخذ منه فقط بعض ما نريده :

١ - أبو هريرة امتحن في أمر يتصل بإزهاق روحه ، وهو الجوع ، ولكنه ازداد إيماناً بربه ، فلم ينحن ليأخذ لقمة خبز بسؤال ، ولم يردد كلمات الزور العالمية اليوم ، الإقطاع ، الطبقات ، التسلط ، الشيوعية ، لماذا أجوع وغيري شبعان ، إذاً نؤمم ، إذاً نصادر ، إذا نستولي على الحقوق ، باسم العدالة والمساواة والاشتراكية ٠

٢ - كوفيء أبو هريرة بوقوع معجزة عظيمة كان هو سببها ، فكأس من الحليب يشبع أهل الصفة ، وعددهم في أقل الروايات ثلاثون ، ثم يظل هو يشرب من تلك المعجزة حتى يقول للرسول صلى الله عليه وسلم : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً ، وهو الذي حدث نفسه وهو يدعو أهل الصفة بأن قدح اللبن لن يغني عنه ولا عن أهل الصفة شيئاً ، وساءه ذلك التصور كما ذكر عن نفسه في الحديث ٠

٣ - القائد العظيم والمشرّع الكريم بأمر ربه صلوات الله عليه لم يشرب إلا آخرهم جميعاً ، وهو خيرهم وسيدهم جميعاً ، أسمعت الدنيا بحكام وقيادات من هذا الطراز ، إلا طراز واحد هو شرع الله أرحم الراحمين بعباده ، وأقام على تنفيذه إنساناً معصوماً من الحيف والظلم والأنانية كما هو حال غالبية حكام اليوم من عرب ومسلمين بل شيوعيين واشتراكيين ورأسماليين إلى غير ذلك من أسماء ابتدعوها وحتى ما طبقوها إلا على الضعفاء ، واستثنوا منها أنفسهم والأقوياء ٠

ومشينا بعدالتنا النازلة من السماء أحقاباً سعيدة هنيئة ، حتى يأتي يوم في عصر الخليفة الراشد بعد الأربعة الراشدين وهو خامسهم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فيبعث بيحيي بن سعيد لجمع زكوات إفريقية ، يقول يحي بن سعيد ، طلبت الفقراء لأعطيهم حقهم في الزكاة ، فلم نجد فقيراً بها ، ولم نجد من يأخذها ، - وهكذا أغنت عدالة الإسلام كل الناس ، حتى الضار بين في الصحراء والفيفاء ، ويثني الشاعر جرير على عدالة عمر بن عبد العزيز وحدبه على جميع المسلمين ٠ بقصيدة منها :

كم باليمامة من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفى فقد والده كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر

أما عن إعطاء البدن الإنساني كفايته من الراحة ليستأنف بعدها سعايته ، فهل كان الإسلام يمنع ذلك ، ويطلب للإنسان أن يخر صريع الاجهاد هالك الإضناء ، أم أنه أسهل وأيسر وأرفق دين نزل على العباد من السماء طيلة هذه الدنيا ، (الذين يتبعون النبى الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراةوالإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) (فاتقوا الله ما استطعتم) ، وغير هذا من كتاب الرحمة والراحة ، من قرآن الله العظيم ٠

ومن الأحاديث الصحيحة قوله صلوات الله عليه :

(ما أمرتكم به من أمر فأتوا منه ما استطعتم) ٠

(إن لبدنك عليك حقا)٠

(إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) ٠

(إن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن هذا الدين متين ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فأوغلوا فيه برفق) ٠ الحديث الأخير ورد بعدة روايات ، ولكنه ثابت لاشتراك البخاري فيه فإذا كان أقدس وأجل عمل في هذه الدنيا وهو عبادة الله ، قد أمر سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله ، أن لا نكلف أنفسنا في هذه العبادة أى لغوب أو عناء ، فلا نطيل الصلاة أثناء الجماعة حتى لا يقع لأحد ملل منها ، أو إعنات لضعف صحة ، أو إجهاد لشيخوخة ، أو ضياع لحاجة عاجلة بعد الانتشار من الصلاة ، وإنما التطويل يكون للمصلى وحده بما يشاء من طول ، فقد وزن خصائص نفسه وصلى بما لا ينتقد به فيه أحد أو يلام عليه من الغير ، وحتى مع هذا الحال لم يسكت الإسلام عن الرفق مع أهله ، فقد دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد ، فرأى حبلًا ممدوداً بين ساريتين ، فقال : (ما هذا) ؟ قالوا : لزينب ، تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به ، فقال : (حُلوه ، لِيَصِلَ أحدكم نشاطه ، فإذا كَسُلَ أو فتر فليرقد) ، رواه البخاري عن أنس رضى الله عنه ٠

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس ، لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه) رواه مسلم ٠

وفي رواية (إذا نعس أحدكم وهو يصلي فلينصرف ، فلعله يدعو على نفسه وهو لا يدري) رواه الجماعة ·

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقرؤه) رواه مسلم ·

وعنه أيضاً - أنس - رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تشددوا على أنفسكم فَيُشَدَّدَ عليكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم ، فَشُدِّدَ عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم) رواه مسلم ·

فإذا كان هذا الحُنُوُّ قد وُجهنا إليه وَنحن نؤدى ما لَوْ أفنينا أنفسنا أثناء تأديته ما وفينا نعمة واحدة من نعمه علينا سبحانه ، أفيقسوا الإسلام أو يسمح باستغلال صاحب العمل للعامل حتى يضنيه ويعجزه ؟

بل لقد لفت القرآن النظر إلى ما يرغب ويشجع على التريض والتنزه ، عندما تسمع قوله تعالى (وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد) (فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار) (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) (والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه ، أنظروا إلى ثمره إذا أثمر ويَنْعِه ، إن في ذلكمْ لآيات لقوم يؤمنون) ، فهل تدبرت قوله تعالى في الآية الأخيرة : أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) فأنت إذا لم تخرج لتنظر ، لتريح نفسك من عناء العمل ، ومشاغل الدنيا ، ثم لترى جمال الخالق في جمال خلقه ، وعظمة المبدع في عظمة ما أبدع ، فقد يكون فيك نقص من إيمان ، لأن الآية قالت في النهاية : (إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ، وقد حدث أنى خرجت مرة إلى بعض الحدائق ووجدت شجرتيْ زيتون ورمان متقاربتين ، فظننتهمتا نوعاً واحداً لتشابه الصورة في الجذع والفرع والأوراق ، ولما شخصت بعيني إلى ثمرهما وجدت في إحداهما حب زيتون وفي الأخرى فاكهة الرمان ، فتذكرت قوله تعالى : (والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه) ، أى مشتبها في الصورة غير متشابه في الثمر ، فأخذت درساً عملياً في التفسير ماكان لى أن أتعلمه قبل ذلك ·

فأيهما أنفع للإنسان ، حقوقه التي وضعها لنفسه ، أم التي وضعها الله له ؟ · الله أكبر ·

(الباب التاسـع)

ويشمل مادتين من مواد (إعلان حقوق الإنسان) وهما المادتان السادسة والعشرون والسابعة والعشرون ٠

المادة السادسة والعشرون :

(أ) لكل شخص الحق في التعلم ، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان ، وأن يكون التعليم الأولي إلزاميا ، وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني ، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع ، وعلى أساس الكفاءة ٠

(ب) يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً ، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية ، وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية ، وإلى زيادة مجهودات الأمم المتحدة لحفظ السلام ٠٠

(ج) للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم ٠

المادة السابعة والعشرون :

(أ) لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكاً حراً في حياة المجتمع الثقافي وفي الاستمتاع بالفنون ، والمساهمة في التقدم العلمي ، والاستفادة من نتائجه ٠

(ب) لكلْ فرد الحق في حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني ٠

ونحن نقول : – إن أول ما يتحتم معرفته وإدراكه من العلم ، هو أن يعرف المخلوق من الذي خلقه ، ومن هذا المُتَّكأ الأعظم تنطلق كل المعارف والإحاطات العلمية ، بتأكد اليقين الفهمى لحياتَيْ ما قبل الموت وما بعده ، هذه هى النظرة الإسلامية لحقيقة العلم ، أما أن ينشغل كافر بموجودات الدنيا ، مبهوراً بما أودع فيها خالقها من عجائب يركز فيها خلايا مخه لأنه لا يؤمن إلا بها ، أو أن يقف مسلم مكذباً بما يكتشف الكافر صاحب الدنيا ، فينطوى على نفسه مكتفياً بعبادات محضية أو ترانيم كلامية ، تاركاً للكافر يتمتع وحده بما أودع الله في دنياه باسم التصوف والتبتل (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) ، فإن الإسلام يرفض الكافر السابق والمسلم اللاحق اللذين أشرنا إليهما ، وإني كما ذكرت في البداية

هو أن العلم بالصانع سيجعله ينتفع بكل صنعته ، الآن وبعد موته ، فهو الآن يجب أن يكون تاجراً أو صانعاً وزارعاً ، وباحثاً في أغوار اليابس ، وغائصاً في أعماق الماء ، وطائراً في الهواء ، ومتفكراً في عجائب الفضاء ، ومتبصراً في كواكب السماء ، على أن هذا من صنعة الصانع الذي عرفه وأيقن به عز وجل ، فلما سعد بدنياه حين استخدمها بما ذكرنا ، راح يذكر موجد هذه النعمة بالإنحناء راكعاً وبالكف صائماً وبالإخراج مزكياً وبشد الرحال حاجاً ، وَلِما نُهِيَ عن المعاصي تاركاً ، وَلِمَا أُمِرَ به من الطاعات فاعلاً مؤدياً ، وبهذا أخذ الطريق إلى حيازة ما هو أنعم وأدوم ، عندما يلقى الله بالفناء المحتم (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة - أي في الدنيا - ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) - أي في الآخرة - وفي آية أخرى قوله (لنبَوئنهم في الدنيا حسنة ، ولأجر الآخرة أكبر) ·

ولهذا صنع نوح السفينة الأم الكبرى ، فكان أن نجا بها في الدنيا ومن معه ، والنجاة العظمى في الآخرة تنتظرهم ، ومن هذه السفينة الهائلة ، حيث يوصف ضخامتها في الكتب المقدسة ابتداء من التوراة إلى القرآن ، لم يصنع أحد حجمها لا حاملات طائرات ولا غيره ، وإلا فما ظنك بسفينة تتسع لتحمل على ظهرها من كلٍّ زوجين اثنين ، ذكراً وأنثى من كل الأحياء إنساناً وحيواناً ·

ولهذا أيضاً صنع داود أسلحة القتال بغير أفران مجمعات الصلب والحديد ، وبغير أفران ذرية ، وبغير وغير ... مما نسينا به الصانع الأعظم الذي علم من صنعته نوحاً (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا) وعلم من صنعته داود ، ثم سخر له الحديد ليكون كالعجين في يده بغير نار ولا مصهار ، وإنما بكلمة (كن) (وألنّا له الحديد) ، فياللعجب من تلك القدرة والعظمة التي نسيناها ·

ولهذا أيضاً صنع ذو القرنين أعجب سد وأمنع سور بالصورة العجيبة التي ذكرها القرآن (أعينوني بقوةٍ أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتوني زُبرَ الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ، حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قِطرا - نحاساً - فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ، قال هذا رحمة من ربى ، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء ، وكان وعد ربى حقاً) ، أسمعت أيها القارئ بأن هذا السد - هذا الاختراع في بناء الحصون والأسوار على حد تعبيرهم - سيبقى لمتانة صنعته حتى يجيء وعد الله بيوم الساعة فيدكه هو - وحده - بقدرته (فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء) ، وغير هذا كثير من عجائب مبدع الملكوت بالمباشرة أو بتسْبيبه ، إذاً فكيف نُوجِّه بإعلان حقوق الإنسان يأتينا من عدونا ونحن الذين علمنا الدنيا من علم الذي قال (قد أحاط الله بكل شيء علما) (وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) (وقل (رب زدني علماً) (وما يعقلها إلا العالمون) ، وغير هذا وفير في الكتاب الذي

ضمنه الله علم الدنيا والآخرة . نظراً وكوناً وجِرْماً وفكراً وبحثاً ونقلاً (وكل شيء فصلناه تفصيلا) (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) . الله أكبر . فماذا بعد هذا ؟ ورحنا نستجدى ونحن الأكرم والأجدى بما علّمنا به الذى علمْنا به . سبحانه . ولكن أساس حيرتنا وتطلعنا إلى ما في يد الغير من كل شؤون الدنيا علماً أو غيره . هو فراغ قلوبنا من كامل الإيمان بالذي وسع كل شيء علماً . فالأزمة أزمة إيمان قبل كل شيء . ولقد أهاجني حقاً تلك الكلمات التي ذكرها الأستاذ نديم الجسر في كتابه القيم والذي عنونه بهذا العنوان الرائع (قصة الإيمان) . وسأنقل هذه الكلمات هنا لي ولمن يعجب بها معي . يقول الأستاذ نديم الجسر : -

إن الإيمان بالله هو : (أسُّ الفضائل . ولجام الرذائل . وقوام الضمائر . وسند العزائم في الشدائد . وبلسم الصبر عند المصائب . وعماد الرضا والقناعة بالحظوظ . ونور الأمل في الصدور . وسكن النفوس إذا أوحشتها الحياة . وعزاء القلوب إذا نزل الموت أو قربت أيامه . والعروة الوثقى بين الإنسانية ومثلها الكريمة . ولا يخدعنك عن هذا من يقول لك : إن مكارم الأخلاق تغنى - بوازع الضمير - عن الإيمان . لأن مكارم . الأخلاق التي تواضعنا عليها للتوفيق بين غرائزنا وحاجات المجتمع . لا بد لها عند اعتلاج الشهوات في الشدائد والأزمات . أن تعتمد على الإيمان . بل إن هذا الشيء الذي نسميه ضميراً . إنما يعتمد في سويدائه على الإيمان . وانقياد الناس لمكارم الأخلاق . إنما يكون بزاجر من السلطان . أو وازع من القرآن . أو رادع من المجتمع .

ثم يستمر الأستاذ نديم فيقول : -

فإذا كنا في نجوة من سلطان القانون والدين والمجتمع . لم يبق لنا وازع . إلا الضمير . ونحن في معركة الشهوات والغرائز مع الضمائر . قلّ أن نرى الضمير منتصرة إلا عند القلة من الناس . وهذه القلة نفسها لا تستمسك بضمائرها عند جموح الشهوات إلا إذا كانت تخشى الله يا حيران . ولو تركنا مكارم الأخلاق جانباً ونظرنا إلى حاجتنا إلى الإيمان . من حيث هو سند في الشدائد . وبلسم للمصائب . وسكن للنفوس . وعزاء للقلوب . وعلاج لشقاء الحياة . لوجدنا أننا عند فقد الإيمان . نكون أسوأ حظاً في الحياة . وأدنى رتبة في سلم المخلوقات من أذل البهائم . وأضعف الحشرات . وأشرس الضوارى . ... فالبهائم تجوع كما نجوع . ولكنها في نجْوة من هم الرزق . وخوف الفقر . وكرب الحاجة . وذل السؤال . وهى تلد كما نلد . وتفقد أولادها كما نفقد . ولكنها في راحة من هلع المثكلة . وجزع الميتمة . وهم اليتامى المستضعفين . وهى في أجسادها تلتذ كما نلتذ وتألم كما نألم . ولكنها في راحة مما يأكل القلوب . ويقرح

الجفون ، ويقض المضاجع ، ويقطع الأرحام ، ويفرق الشمل ، ويخرب البيوت من المهلكات كالحسد والكذب والنميمة والفرية والقذف والنفاق والخيانة والعتوق وكفر النعمة ونكران الجميل ، وهى تعرف بنوع من الإدراك ما يضرها وما ينفعها ، ولكنها في نجوة من أعباء التكليف ، وأثقال الأوزار ، ومضض الشك ، وكرب الحيرة ، وعذاب الضمير ، وهى تمرض كما نمرض ، وتموت كما نموت ، ولكنها في راحة من التفكير في عقبى المرض ، وفراق الأحباب ، وسكرات الموت ، ومصير الموتى وراء القبور ، والضوارى تسفك الدماء لتشبع بلا سرف ، ولكنها لا تسفكها أنفاً ولا جنفاً ، ولا صلفاً ولا ترفاً ، ولا علوا في الأرض ولا استكبارا .

ثم يمضي الأستاذ نديم ليختم هذا الجزء من كتابه (قصة الإيمان) فيقول :

أما هذا الحيوان الفيلسوف – يقصد الإنسان – الضعيف الهلوع ، الجزوع ، المطماع ، المختال ، المترف ، المتكبر ، المتجبر ، السافك الدماء ، الذي لا يأتيه شقاء الحياة إلا من تفكيره ، فإنه لا علاج لشقائه إلا بالإيمان ، فالإيمان هو الذي يقويه ، وهو الذي يعزيه ، وهو الذي يسليه ، وهو الذي يمنيه ، وهو الذي يرضيه ، وهو الذي يجعله إنساناً يسعى إلى مثله الأعلى لتسجد له الملائكة ، انتهى .

إذاً فكل العلوم التي تدرك من أمر الحياتين أولاها وأخراها ، مصدرها ومردها إلى الإيمان ، ذلك الينبوع الهادر بالخير كله ، في الحال والمآل ، فما أتعس من طلب العلم عن غير صفاء النبع ، وراح يوقف عمره تحت قيادة الشيطان ليخرب ما عمَّر الله بالمقاتلات والقاذفات ، ثم يجلس بجانب الركام يذرف الدمع على ما هدمه بيده على رأسه ، (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله) أما وعد الله الذي سيدمر فيه كل هذه الدنيا فسيكون نصيبه أوفر من هذا الدمار الذي ليس بعده إعمار .

أما نحن فهذا نوع علمنا الذي سعدنا به في اليوم وما بعده يقدمه رسولنا صلى الله عليه وسلم إلى الخليقة كلها (وأرسلناك للناس كافة) ، في هذه الأحاديث المتفق عليها ، وغيرها كثير .

(ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هدى ، أو يرده عن ردًى ، وما استقام دينه حتى يستقيم عقله) .

(إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر ، ليصلون على معلم الناس الخير) .

(لا حسد إلا في اثنتين . رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق . ورجل آتاه الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) .

(منهومان لا يشبعان . طالب علم . وطالب مال) – وشتان .

ولقد أعجب (كوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) أعظم الإعجاب من شغف العرب بالعلم . ولقد كان إعجابه أعظم أن رأى هذا الشغف مُنبعثاً منهم عن الدين نفسه . وقال في ذلك :

إن العلم الذي استخفت به أديان أخرى قد رفع المسلمون من شأنه عالياً . وإليهم ترجع في الحقيقة هذه الملاحظة الصائبة القائلة باسم الدين : (إنما الناس هم الذين يتعلمون والذين يُعلِّمون . وأما من عداهم فمضر أو لا خير فيه) مشيراً بذلك إلى الحديث الصحيح (ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردًى . وما استقام دِينه حتى يستقيم عمله . وفي رواية . حتى يستقيم عقله) . أى بالعلم . ثم يستمر (كوستاف) في كتابه فيقول :

إن النشاط الذي أبداه العرب في الدراسة كان مدهشاً جداً . ولئن ساواهم في ذلك كثير من الشعوب فلم يكن منهم فيما أظن من سبقهم . وكانوا إذا ما استولوا على مدينة وجهوا عنايتهم في الدرجة الأولى إلى تأسيس جامع وإقامة مدرسة . وعدا مدارس التعليم البسيطة فإن المدن الكبرى مثل بغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة الخ . كان فيها جامعات علمية مجهزة بالمخابر والمراصد والمكتبات الغنية . وبكلمة واحدة كانت هذه الجامعات مجهزة بكل المواد الضرورية للبحوث العلمية . وكان في أسبانيا وحدها سبعون مكتبة عامة . وكانت مكتبة الخليفة (الحكم الثاني) في قرطبة تحتوى كما ذكره المؤلفون العرب على ستمائة ألف مجلد كان فيها للفهرس فقط أربعة وأربعون مجلداً . وقد لوحظ بحق . أن (شارل الحكيم) لم يستطع بعد أربعمائة سنة من هذا التاريخ أن يجمع في مكتبة فرنسا الملكية أكثر من تسعمائة مجلد . وكاد أن يكون ثلثها فقط خارجاً عن علم الكهنوت .

وقال (كوستاف) أيضاً في كتابه : لقد بلغ شغف العرب بالتعليم مبلغاً عظيماً جداً . حتى إن خلفاء بغداد كانوا يستعملون كل الوسائل لجذب العلماء وأشهر الفنيين في العالم إلى قصورهم . وأن أحد هؤلاء الخلفاء بلغ به الأمر إلى إعلان الحرب على قيصر القسطنطينية ليجبره على السماح لأحد الرياضيين المشهورين بالحضور إلى بغداد والتعليم فيها . إنتهى وحسبنا أن شهد شاهد منهم .

(البـاب العـاشر)

ويشمل المواد الثلاث الآتية ، وبها نأتي على آخر مواد إعلان حقوق الإنسان :

المادة الثامنة والعشرون : -

لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحققاً تاماً .

المادة التاسعة والعشرون : -

(أ) على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نمواً حراً كاملاً .

(ب) يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقررها القانون فقط ، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ، ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق في مجتمع ديمقراطي .

(ج) لا يصح بأي حال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها .

المادة الثلاثون :-

ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أى حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه .

أما عن المادة الأولى من هذه المواد الثلاث (لكل فرد الحق في االتمتع بنظام اجتماعي دولى) ، فأي نظام هذا الذي قالوه وما بينوه ، أم هو التيه في ظلمات الأرض لما أظْلمت قلوبهم ، إنكاراً لموجد هذا المجتمع الدولى الذي تحدثوا عنه وما تحدثوا عن منظمه ، بأغرب وأعجب وأدق نظام أنزله على خير الأنام ، صلى الله عليه وسلم (أفغير دين الله يبغون ؟ وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون) ، (بديع السموات والأرض) فهل بديع السموات والأرض والإنسان ضمن إبداعه يمكن - عقلاً - أن يوجد المبْدَع نظاماً خيراً ممن أبدع ؟ ، لتتحقق بمقتضاه الحقوق أكثر مما حققها واقتضاها ؟ (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ، وسيظل الإنسان المسكين ذليل هواه ودنياه ، ترديه جيلاً بعد جيل ، حتى يعلم أنه - - وفي الدنيا قبل الآخرة - لا أحد أنظم ممن نظمْ صورة آدميته ، ثم أحكم له نظام تقلبه في نهاره ، وسكنه في ليله ، (أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً ؟) لكن تقول الآية (لقوم يوقنون) ، فهم وحدهم الذين يعلمون ذلك دون سواهم .

وعن المادة التاسعة والعشرين من حقوقهم تقول الفقرة (أ) :

على كل فرد واجبات نحو المجتمع) وإنها لكلمة حق أريد بها الباطل . وهل رأينا أفرادهم إلا متهالكين نحو شهواتهم وخصوصية ميولهم وما يلهثون إلاَّ وراء أنانيتهم الفردية . أما نحن فقلنا لبعضنا ما قاله لنا ربنا (وتعاونوا على البر والتقوى) وما قاله لنا نبينا – صلى الله عليه وسلم – (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) و (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وتاريخنا العاطر مشحون بأعمال رجالنا تنفيذاً لما أمرهم الله ورسوله ، من الإيثار وتقديم مصلحة الغير والمجتمع على النفس . وقد قدمنا منه العديد في بحثنا هذا . ونزيد فنقول ما رأي واضعوا هذه الحقوق التي ما أحقوها يوماً . عندما عُرِضت رأس شاة على جار فقير . فيقول : أعطوها لجاري فقد يكون أولى بها مني . وتظل رأس الشاة تنتقل من دار إلى دار حتى تعود إلى الجار الأول بعد أن تأكد أن غيره ليس أحوج إليها منه . تلك صورة من قاعدة مجتمعنا . أما من قمة مجتمعنا فيشعر عمر بن الخطاب بتقلبات في بطنه وقرقرة في أمعائه حيث ما كان له أدامٌ عامَ الرمادة إلا الزيت . فيقول لبطنه قرقري أو لا تقرقري . فلن تأتدمي السمن حتى يأتدمه المسلمون) فأي واجبات الفرد حاكماً أو محكوماً نحو المجتمع تُؤدَّى بأروع من هذا يا بنى الإنسان ؟ عندما تدور رأس شاة بين أيد محتاجة إليها حتى تستقر عند من هو أشد احتياجاً . وعندما يلزم رئيس أضخم وأوسع أمة في التاريخ بألاَّ يأكل السمن حتى يأكله كل شعبه ويكون هو آخر من يأكله .

أم هل أتى واضعوا حقوق الإنسان التي أسلموها للنسيان . نبأ المرأة العراقية التي سافرت الأميال الطوال سائلة عن بيت عمر بن عبد العزيز . فوجدته كوخاً ظنت من دلها عليه أنه يسخر منها . ولكنها تأكدت لما قالت لها زوجة الخليفة إنه نصيبه من القصور والدور والضياع والزروع التي كانت له . وتخلى عنها جميعها للمجتمع الإسلامي غداة أن استخلف . ويأتي الخليفة وتقص عليه المرأة قصتها : بأن زوجها مات في الجهاد في سبيل الله وترك لها خمس بنات لا تملك لهن شيئاً . وعندما نسمع جواب عمر بن عبد العزيز تدخل في الفقرة (ب) التي تتحدث عن ممارسة الحقوق وضمان الاعتراف بها للغير .

فطلب عمر قلماً وقرطاساً وأخذ يكتب بنفسه – فلا وكيل ولا سكرتير – .

من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى والي العراق . إذا أتتك هذه المرأة فتثبت من أمرها . فإن كان حقاً ما تقول . فاجعل لابنتها الأولى ألف دينار . فقالت المرأة : الحمد لله . فزاد الخليفة . : واجعل للثانية ألف دينار . فقالت المرأة : الحمد لله . فزاد الخليفة : وللثالثة ألف دينار . فقالت : الحمد لله . فقال : وللرابعة ألف دينار . فقالت الحمد لله . فزاد

الخليفة . وللخامسة ألف دينار . فقالت المرأة : شكراً لك يا أمير المؤمنين . فجرَّ بقلمه على نصيب الخامسة وألغاه . فقالت لمَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : شكرتِ الله في الأربعة الأول فأعطاهن من فضله . وشكرتني في الخامسة وليس لدى ما أعطيه إياها . إنما أنا قاسم والله معطى . فلتأكل مع أخواتها .

فأي ممارسة للحقوق وأي ضمان لها أرفع من هذا وأعز يا واضعوا حقوق الإنسان ؟ .

(أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا (دَعِيُّ) المجامع)

مع الاعتذار للشاعرين . جرير والفرزدق . حيث وضعْتُ (دعىّ) من عندى .

وهل بعد ادعاء من وضعوا حقوق الإنسان وأكلوها ادعاء ؟ .

أما عن الفقرة (ج) وهى الأخيرة من المادة التاسعة والعشرين فسأعيد فقط نصها لنضحك من أمرها معاً . تقول الفقرة :

لا يصح بأي حال من الأحوال . أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها .

ووجه الضحك والسخرية من هذه الفقرة أننا ما علمنا للأمم المتحدة أغراضاً أو مبادئ رأى العالم شيئاً من نفعها حتى تتناقض أو لا تتناقض . ما رأينا من مبادئها إلا بطش القوى بالضعيف في عدوان مسلح ينتشر في كل أرجاء الأرض . وابتلاع دول صغيرة بأكملها . وطردٍ لِشعوب بِمَلَايينها في صحراء الفاقة والعوز والهلكة . كما ذكرنا في بداية البحث . فأي أغراض ومبادئ لهيئة أممهم المختلفة . .... لقد أضحكونا ورفَّهُوا عنا .

أما المادة الثلاثون والأخيرة فتقول :

ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو أي فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى عمل هدم الحقوق والحريات الواردة فيه) أي (في كل إعلان المواد التاسعة والعشرين) .

أما عن الدول التي هدمت الحقوق والحريات الواردة في حقوق الإنسان . فلتسأل هذه الدول نفسها كم هدمت وأهدرت من تلك الحقوق ولا زالت . وقد فصلناها وفضحناها في أماكنها من هذا البحث . أما نحن فقد قدمنا إليهم نماذج الإسلام الفذة من حكامنا الحوالى الذين حكموا دولهم باسم حاكم الحكام ومالك الممالك . بل إننا مع تحري عدل الله في حكمنا زَهَّدَنا رسولنا وخوفنا من تولى المسئولية وأمانة الحقوق على عمومها .

فعنه صلى الله عليه وسلم قوله : (ويل للأمراء . **ويل** للعرفاء . ويل للأمناء . ليتمنَّينَّ أقوام يوم القيامة ، أن ذوائبهم معلقة بالثريا . يُدلّوْن بين السماء والأرض . وأنهم لم يلوا عملاً) . رواه ابن حبان . وفي رواية : (ليُوشِكن رجل أن يتمنى أنه خرَّ من الثريا . ولم يل من أمر الناس شيئاً) رواه الحاكم .

وعن كلمة (الجماعة) وأنها لا تخول أيضاً هدم الحقوق الواردة في الإعلان . فمن الذي يجهل ما تقوم به الهيئة المسماة (بالصليب الأحمر) . .

باسم العمل الإنساني والتطبيب العلاجي . وهي في الحقيقة ليست إلا هيئة تبشيرية عالمية كبرى ، وأداة تخريب دولية للعقائد والحقوق . وما هي إلا حكومة صليبية تمون بكل أسباب القوة والبأس والتأثير والإغراء من كل دول العالم الصليبية . وأكثر ميادينها التي تصول فيها وتجول هي الدول الإسلامية **خاصة المتخلفة منها** ، ووجدت فيها القصد المطلوب والرجاء المبتغى . وحتى في اختيار اسمها ما استطاعت أن تخفي تصلبها بالصليب والدم الأحمر السليب . وأخيراً . أخيراً جداً . أفاق المسلمون أو بعضهم على دنس قصد هذا (الصليب الأحمر) فقابلوا ذلك بـ (الهلال الأحمر) في بعض بلاد إسلامية . ولكن بعد أن غزيت نفس هذه البلاد بالصليب الأحمر من مستشفيات وملاجئ ورياض أطفال . إلى غير ذلك من منشآت شيطانية شتى . حتى لم يجد الهلال المتأخر في بلده **مكاناً للصليب** الذي سبقه إليها . وأصبح المئات كل عام بل كل شهر يقعون صرعى التنصر والارتداد عن الإسلام . بسبب العمل الإنساني الذي تقوم به جمعية الصليب الأحمر ولا تخرق به قانون الأمم المتحدة ولا حقوق الإنسان .

كل هذا والمسلمون الـ ١٠٠٠ مليون وحكامهم أشبه بثور هائل صرعه المرض . لا يستطيع دفع الزواحف والثعالب التي تنهش من لحمه وهو حي . ذلك لأن المرض ألزمه الأرض فلم يجد من يغينه على النهوض من جديد .

نعم . إننا لم نكتف بإلقاء ديننا وراءنا . بل وقَّعنا بأيدينا على دينهم وقوانينهم . فشاركناهم حيرتهم الدنيوية . فحيرتهم زادت بارتقائهم المادى الدنيوى . هكذا أدركناه ونحن نتنقل في أرقى دول أوربا . وهم الآن يبحثون عن راحة النفس متجهين إلى الروح . ونحن تركنا راحة النفس بالروح واتجهنا إليهم لتشقينا معهم المادة . وما نخشى إلا أن يدركنا ونحن على هذا الحال موعد إنهاء الوجود . فنكون ولا حتى من أصحاب (الأعراف) وإنما – ونعوذ بالله – لا هذه ولا الآية الآتية . لا دنيا ولا أخرى . فاللهم الطف بنا . وعجل بإنقاذنا . وإلى دينك ردنا . ولا تزدنا من هذا الهوان . يا خير من أكرمت بني الإنسان . والحمد لله رب العالمين .

صفحات مشرقة من حياة عمر بن عبد العزيز

للشيخ إبراهيم الجمل
مدرس بالمعهد الثانوى

كان عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى أُمَّةً وحده فى تاريخُ بنى أمية ، فلم تر الدنيا مثل عمر حاكما ، يخاف الله ، ويكره ويبغض لله ، فكان ورعاً ، زاهداً ، تقياً ، صابراً . كان من أشد الخلفاء حرصًا على أن ينال كل إنسان تحت امرته حقه ، لا فرق بين أمير وغير أمير ، أو قريب وبعيد . وإن أخباره مشهورة ، وأعماله تبارى فيها مع جده الفاروق عمر بن الخطاب (١) رضى الله عنه ، حتى عده المؤرخون الخليفة الخامس المتمم للخلفاء الراشدين الأربعة .

لقد أعاد عمر نهار الإسلام الساطع فى الخلافة الأموية ، برغم قصر مدة خلافته فقد كانت سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام .

أرسى قواعد الدين الصحيحة وأعاد للإسلام قوته ومبادئه ، فتفرع العلماء لتدوين الحنيفية السمحة ، فلا عجب أن ينبش العباسيون ـ وقد حاربوا الدولة الأموية واستولوا عليها ـ قبور الأمويين ، وأن يمثلوا شر تمثيل بمن فى القبور من خلفاء وقادة إلا قبر عمر بن عبد العزيز فقد احترموا رفاته ، وأثنوا عليه الثناء الكامل ؛ والفضل ما شهدوا به !!

تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد موت الخليفة سليمان بن عبد الملك ، والبلاد قد اتسعت رقعتها ، وكثر العدو الذى كان يهدد أطرافها ، وشغل عمر بأمر الناس والبلاد ليلا ونهارا . وما كان لكل هذا أن يشغله عن رعاية أولاده ، وأن يتعرف على أحوالهم ، وما يقتضيه واجب العناية والتربية .

---

(١) أم عمر بن عبد العزيز هى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب قيل اسمها : ليلى أو قريبة أو عنبة تزوجها عبد العزيز فولدت له عمر (سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم) .

لقد أشرف بنفسه على تربية أولاده . وخصص لهم جزءا من وقته ؛ ليطّلع على أعمالهم ، فيقوّم معوجهم . ويوجه من اختاره ليتولى تربيتهم إلى الطريق القويم ، فيضع بهذا منهجاً إسلامياً لا يصلح لأبنائه وحدهم ، وإنما هو قاعدة اساسية لتربية أبناء المسلمين ؛ وإن فى رسالته لسهل مولاه وقد اختاره ليؤدب أولاده ، منهجاً قويماً يخلق الأمة الصالحة التى تكون درعاً ووقاية للإسلام والمسلمين ٠

يقول الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لسهل مولاه ومؤدب أولاده :

« أما بعد : فإنى اخترتك على علم منى بك لتأديب ولدى . فصرفتهم إليك عن غيرك من موالىّ ، وذوى الخاصة بى ، فحدثهم بالجفاء ؛ فهو أمعن لإقدامهم . وترك الصحبة فإن عادتها تكسب الغفلة ، وقلة الضحك ، فإن كثرته تميت القلب ٠

وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بُغْضُ الملاهى التى بدْؤها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغنى عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف ، واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب ، كما ينبت العشب الماء ٠

ولعمرى لتوقى ذلك ، بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه ، وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شىء مما ينتفع به ٠

وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن ، يتثبت فى قراءته ، فإذا فرغ تناول قوسه ونبله ، وخرج إلى الغرض حافيا فرمى سبعة أرشاق ، ثم انصرف إلى القائلة ، فإن ابن مسعود رضى الله عنه كان يقول :

« يا بنيّ قيلوا فإن الشياطين لا تقيل » ٠

إن هذه الرسالة الخالدة لتضع أسس التربية الصحيحة فى كل زمان ومكان ؛ فهى تضع الجد فى معاملة المربى والمؤدب للدارسين عليه ، والبعد بهم عن طريق اللهو ، ومزج الجد باللعب ، حتى يكون ذلك أدعى لتقويم النفس ، وتعويدها على الشجاعة والإقدام ٠

ثم إن عمر رضى الله عنه يبغض الملاهى من حضور المعازف ، والاستماع إلى الأغانى ، وترديدها ، وتأثيرها في حياة الشباب ، والانحراف بقلوبهم عن طريق الحق والصواب ٠ والاشتغال بها قد يضيع على الشباب كل ما يفيده وينفعه فى دنياه وآخرته ٠

ويوصى رضى الله عنه بأن يحرص كل غلام على قراءة جزء من القرآن الكريم كل يوم ، والتثبت فى قراءته ، حتى ينطبع فى قلبه حب القرآن والعمل به ٠٠

ثم يختم رسالته بالاستعداد للجهاد ، وبإعداد فتيان المسلمين وشبابهم وتمرينهم على استعمال القوس والنبل ، واجادة الرمى ، حتى إذا دعا داعى الجهاد ، كانوا على أتم الاستعداد لقتال العدو ومغالبته والانتصار عليه ·

كان لعمر بن عبد العزيز من البنات : أمينة وأم عمار وأم عبد الله وقد حرص رضى الله عنه على تزويدهن بالنصيحة ، وبطاعة الله ، والعمل على مرضاته ، والرضا بما قسم لهن ، وقد استطاع حينما تولى الخلافة ، أن ينقلهن معه من حياة الترف والعز والنعيم الذى كن يعشن فيه إلى مشاركة أبيهن فيما اتخذ له من طريق ارتآها الموصلة إلى سعادة الآخرة التى أختارها فهى طريق النجاة والفوز ، فما عند الله خير وأبقى ·

لقد شاركن الأب فى حياة الزهد والتعفف والتقشف ، وكن سعداء مع هذا الوالد ، الخائف من الله ، والمتقرب إليه ، والذى يحاول إرضاءه ·

* * *

كان عمر يصلى العتمة كل ليلة ، ثم يدخل على بناته ، فيسلم عليهن ، دخل عليهن ذات ليلة ، فلما أحسسنه ، وضعن أيديهن على أفواههن ثم تبادرن الباب ·

قال عمر للحاضنة : ما شأنهن ؟

قالت إنه لم يكن عندهن شىء يتعشينه إلا عدس وبصل ، فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن ·

فبكى عمر ، ثم قال لهن :

يابناتى ما ينفعكنَّ أن تعشين الألوان ، ويمر بأبيكن إلى النار · فبكين حتى علت أصواتهن ، ثم انصرف ·

* * *

مرت أمينة ابنة الخليفة عمر بن عبد العزيز يوما عليه وهو جالس ، فدعاها الخليفة :

يا أمين ، يا أمين ·
فلم تجبه ، فأمر إنسانا فجاء بها ، فقال :
ما منعك أن تجيبى ·
قالت :
إن ملابسى ليست حسنة !
فقال : يامزاحم ، انظر إلى تلك الفرش التى فتقناها ، فاقطع لها منها قميصا ! ·

فذهب إنسان إلى أم البنين عمتها فقال :

ابنة أخيك ليس عندها من الملابس ما تستحسنه ، وأنت عندك ما عندك ، فأرسلت إليها بتخت من ثياب ، وقالت :

ويروى ابن عبد الحكم فى سيرة عمر : أن ابنته أرسلت إليه بلؤلؤة وقالت له :

ياأبتى إن رأيت أن تبعث لى بأخت لها حتى أجعلها فى أذنى .

فأرسل لها بجمرتين ثم قال لها :

إن استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك بعثت إليك بأخت لها !! .

كان عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة يعيش فى نعيم مقيم ، وترف لم يره أموى ، وهبت له هبات كثيرة ـ غير ما ورثه ـ وضياع منتشرة فى كل الآفاق ، كان له أرض تُدرّ عليه الغلات الكثيرة فى الحجاز والشام ومصر واليمن والبحرين ، فدخل له من الأموال مالا يحصى .

قال ابن عبد الحكم :

« وكان عمر بن عبد العزيز أعظم أموى ترفها وتملكا غُذى بالملك ، ونشأ فيه ، لا يعرف إلا وهو تعصف ريحه فتوجد رائحته فى المكان الذى يمر فيه ، ويمشى مشية تسمى « العمرية » فكان الجوارى يتعلمنها من حسنها ، وتبختره فيها ، وأنه ترك كل شىء كان فيه لما استخلف غير مشيته ، فإنه لم يستطع تركها ، فربما قال لمزاحم :

ذكرنى إذا رأيتنى أمشى فيذكره فيخلطها ، ثم لا يستطيع إلا إياها فيرجع إليها » .

وبلغ عمر من رفاهيته قبل الخلافة أن الناس كانوا ينتظرون يوم أن تؤخذ ملابسه إلى المغسل ، لتغسل ملابسهم بعد ملابسه حتى ينالها الكثير مما نزل منها من الطيب فى الماء .

لكنه ترك كل هذا لحظة تولى الخلافة ، ورأى أنه مسئول مسئولية كاملة أمام الله عن الدين وعن العباد بادئا بنفسه وأهله ، راجيا أن ينجو من العقاب فى آخرته .

كان له من البنين عبد الله وأبو بكر وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى والوليد وعاصم ويزيد وعبد العزيز وعبد الملك ولم يأل جهدا فى تربيتهم ونصحهم وتدريبهم وتوجيههم الى ما ينفعهم فى دنياهم وآخرتهم .

حكى عن ابنه عبد العزيز وكان يلى المدينة ومكة ـ بعد موت أبيه ـ ليزيد بن عبد الملك ، وثبته فيهما مروان بن محمد ، أن أباه كان دائم الوصية له ولإخوته ومما كان يقول له : « يابنى إذا سمعت كلمة من امرىء مسلم فلا تحملها على شىء من الشر ما وجدت لها محملا على الخير » .

ومما روى أن ابنه عبد الله ذهب إليه ، وقال له : اكسنى ياأبت !

فقال له : اذهب إلى الخيار بن رباح البصرى ، فإن لى عنده ثيابا فخذ منها ما بدالك .

قال : فذهبت إلى الخيار بن رباح ، فقلت له : استكسيت أبى ، فأرسلنى إليك ، وقال : إن لى عند الخيار بن رباح ثيابا .

قال : صدق أمير المؤمنين ، فأخرج إليه ثيابا رخيصة ، رأى عبد الله ابن الخليفة أنها لا تناسبه ، فسأل الخيار : هل عندك غيرها له ؟

قال : ما عندى غيرها لأمير المؤمنين فخذ منها ما بدالك .

لم يأخذ عبد الله منها شيئا ، ورجع إلى أبيه عمر ، فقال : يا أبتاه ، استكسيتك فأرسلتنى إلى الخيار بن رباح ، فاخرج لى ثيابا ليست من ثيابى ولا من ثياب قومى . قال : فذاك ما لنا عند الرجل . فانصرف عبد الله حتى إذا كاد يخرج ناداه فقال له : هل لك أن أسلفك من عطائك مائة درهم ؟

قال : نعم ياأبتاه .

فأسلفه مائة درهم ، فلما خرج عطاؤه حوسب بها ، فأخذت منه !

وقال مسلمة بن الخليفة عبد الملك يذكر عطاء عمر لأولاده :

« رحم الله عمر والله لقد هلك وما بلغ ابن له قط شرف العطاء »

كان عمر يكره أن يلى أحد أولاده ولاية أو منصبا ، مكتفيا بنفسه حيث سيحاسبه الله على كل صغيرة وكبيرة متأسيا بجده الخليفة الثانى عمر بن الخطاب حيث خوطب فى تولية ابنه عبد الله بن عمر فأبى وقال : أعمر وابنه ؟ !!

روى أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه :

« اتحبون أن أولى كل رجل منكم جندا فينطلق تصلصل به جلاجل البريد ؟

فقال ابنه ابن الحارثية (١) : لم تعرض علينا شيئا لست صانعه بنا ؟

فقال عمر : إنى لأعلم أن بساطى هذا يصير إلى البلى ، وإنى لأكره أن تدنسوه بخفافكم ، فكيف أقلدكم دينى تدنسونه فى كل جند !! »

وروى أن بعض أولاد عمر اتخذ خاتما ، واشترى له فصا بألف درهم فكتب إليه عمر :

أما بعد : فقد بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم فبعه وأشبع ألف جائع ، واتخذ خاتما من حديد صينى واكتب عليه : « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » .

---

(١) من زوجات عمر لميس بنت على بن الحارث وانجب منها عبد الله وبكر وأم عمارة .

ولقد بلغ أولاده منزلة كبيرة بعد وفاته . وكانوا محل احترام القريب والبعيد فى حياة عمر وبعد مماته . لما اتصفوا به من حسن خلق ، وجميل صفات عفة وزهدا وأدبا ، واضعين ما أخذهم به أبوهم نصب أعينهم حتى كان منهم المحدثون والولاة ٠

فكان ابنه عبد العزيز بجانب ولايته على المدينة ومكة فى عهد يزيد بن عبد الملك والخليفة مروان بن محمد راويا للحديث ٠

ذكر له الحافظ أبو جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى أحاديث منها ما رواه عن صالح بن كيسان عن عثمان بن عفان قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم خرج من بيته يريد سفرا أو غيره فقال حين يخرج : باسم الله آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله إلا رزق خير ذلك المخرج وصرف عنه شره » ٠

وروى له أيضا عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى ركعتين قبل أن يتكلم رفعت فى عليين » ٠

وكان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز واليا على الكوفة بعد موت أبيه ٠

* * *

ومن أنجب أولاده ، وأزهدهم ، وأقربهم من الله عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وأمه ليست فاطمة بنت الخليفة عبد الملك بن مروان زوجة عمر وإنما هى أم ولد فقد انجب منها عمر عبد الملك هذا والوليد وعاصما ويزيد وعبد العزيز وزيان وامينة وأم عبد الله ٠ كان أزكى أولاده عقلا ، وأحدهم تفكيرا ، وأقواهم إيمانا ، وأشدهم ـ على الرغم من صغر سنه ـ خوفا من الله ، واصبرهم على البلاء ٠

وكان منذ طفولته أكثر اخوته التصاقا بأبيه ، ملازماً له ، معاونا له فى الشدائد ، ناصحا له فى العمل ، داعيا له ، مخوفا لابيه من لقاء الله مع صغر سنه ، حتى لقد روى عن بعض مشيخة أهل الشام قال : « كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله فى العبادة ما رآه من ابنه عبد الملك » ! ٠

كتب عمر إلى عبد الملك ابنه مرة فقال : « إنه ليس من أحد ، رشده وصلاحه أحب إلىّ من رشدك وصلاحك ، إلا أن يكون والى عصابة من المسلمين ، أو من أهل العهد يكون لهم فى صلاحه ، ما لا يكون لهم فى غيره ، أو يكون عليهم من فساده ، ما لا يكون لهم من غيره » ٠

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى ابنه عبد الملك وهو صغير وقد ظهرت عليه مخايل النجابة والفهم الواعى ، وقد خصه والده بالعناية والاهتمام قال فى رسالته إليه :

أما بعد : فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسى أنت ، وإن أحق من وعى ذلك ، وحفظه عنى أنت ٠

إن الله له الحمد قد أحسن إلينا احسانا كبيرا بالغا فى لطيف أمرنا وعامته ، وعلى الله إتمام ما غبر من النعمة ، وإياه نسأل العون على شكرها ٠

فاذكر فضل الله عليك وعلى ابيك ٠ ثم أعن أباك على ما قوى عليه وعلى ما ظننت أن عنده فيه عجزا عن العمل فيما أنعم به عليه وعليك فى ذلك ، فراع نفسك وشبابك وصحتك ، وإن استطعت أن تكثر تحريك لسانك بذكر الله تحميدا وتسبيحا وتهليلا ، فافعل فإن أحسن ما وصلت به حديثا حسناً حمد الله وشكره ، وإن أحسن ما قطعت به حديثا سيئا حمد الله وذكره ، فلا تفتتن فيما أنعم الله به عليك فيما عسيت أن تقرظ به أباك فيما ليس فيه ٠

إن أباك كان بين ظهرى اخوته يفضل عليه الكبير ، ويدنى دونه الصغير ، وإن كان الله ـ وله الحمد ـ رزقنى من والدى حسبا جميلا ، كنت به راضيا أرى أفضل ببره ولده علىّ حقا حتى ولدت وولدت طائفة من اخوتك ، ولا أخرج بكم من المنزل الذى أنا فيه ، فمن كان راغبا فى الجنة ، وهاربا من النار فالآن التوبة مقبولة والذنب مغفور قبل نفاد الأجل وانقضاء العمل ، وفراغ من الله للمنقلبين ، ليُدينهم بأعمالهم فى موضع لا تقبل فيه الفدية ، ولا تنفع فيه المعذرة ، تبرز فيه الخفيات ، وتبطل فيه الشفاعات ، يَرِدُه الناس بأعمالهم ، ويصدرون عنه أشتاتا إلى منازلهم ٠

فطوبى يومئذ لمن أطاع الله ، وويل لمن عصى الله ٠ فإن ابتلاك الله بغنى فاقتصد فى غناك ، وضع لله نفسك ، وأد إلى الله فرائض حقه من مالك ، وقل كما قال العبد الصالح : **(هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم)** سورة النمل آية ٤٠ ٠

وإياك أن تفخر بقولك ، وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل إليك أن ما رزقته لكرامة لك على ربك ، وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك ، فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، وتركت منازل الفقر ، وكنت ممن طغى للغنى ، وتعجل طيباته فى الحياة الدنيا ، فإنى لأعظك بهذا ، وإنى لكثير الإسراف على نفسى غير محكم لكثير من أمرى ، ولو أن المرء لم يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه ، ويعمل فى الذى خلق له من عبادة ربه إذن لتواكل الناس الخير ، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة فى الأرض ، **(فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)** سورة الجاثية ٣٦ ـ ٣٧ ٠

هذا الابن البار ، والذى أخذه والدّه بالنصيحة ، لم يمض عليه زمن يسير ، حتى أصبح الأب الخليفة ينتظر منه توجيها له نصيحة يقدمها بين يديه ، ورأياً صائباً يعرضه عليه ، وأمرا يخوف أباه منه ، ودرجة عند الله يغرى بها الابن والده ، وأصبح عمر ينتظر كل يوم جديدا من عبد الملك ينقذه به من غفلة ومن سهو حتى لقد قال سيار بن الحكم :

« كان ابن لعمر بن عبد العزيز يقال له عبد الملك ، وكان رحمه الله يفضل على عمر · قال : ياأبت أقم الحق ولو ساعة من نهار » ·

وروى أن عبد الملك دخل على عمر فقال :

ـ يا أمير المؤمنين إن بى حاجة فأخلنى ـ وعنده مسلمة بن عبد الملك ـ فقال له عمر : أسر دون عمك ·

قال : نعم ·

وخرج وجلس بين يديه ، فقال :

ـ يا أمير المؤمنين ، ما أنت قائل غدا لربك إذا سألك ، فقال : رأيت بدعة فلم تمتها ، أو سنة فلم تحيها ؟

فقال عمر : يابنى أشىء حمّلك الرعية إلىّ أم رأى رأيته ؟

قال : بل رأى رأيته من قبل نفسى ، وعرفت أنك مسئول فما أنت قائل ؟ ·

قال أبوه :

رحمك الله ، وجزاك من ولد خيرا ، فإنى لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير ·

يابنى إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة ، وعروة عروة ، ومتى ما أريد مكايدتهم على انتزاع ما فى أيديهم ، لم آمن أن يفتقوا على فتقا تكثر فيه الدماء ، والله لزوال الدنيا أهون علىّ من أن يهراق فى سببى محجمة من دم ·

أو ما ترى أن لا يأتى على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ، ويحيى فيه سنة حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين ·

* * *

وجلس عمر بن عبد العزيز يوما للناس ، فلما انتصف النهار ضجر ومل وكل ، فقال للناس : مكانكم حتى انصرف إليكم ، ودخل ليستريح ساعة ، فجاء ابنه عبد الملك ، فسأل عنه ، فقالوا : دخل ·

فاستأذن عليه ، فأذن له ، فلما دخل قال :

يا أمير المؤمنين ما أدخلك ؟

قال :

أردت أن استريح ساعة ·

قال عبد الملك رحمه الله :

أو أمنت الموت أن يأتيك ، ورعيتك على بابك ينتظرونك ، وأنت تحتجب عنهم !!

فقام عمر من ساعته ، وخرج إلى الناس ·

وقال عبد الملك مرة يا أمير المؤمنين ما يمنعك أن تمضى الذى تريده ، فوالذى نفسى بيده ما أبالى أن لو غلت بى وبك القدور !!

قال :

وحق هذا منك !!

قال : نعم والله ·

قال عمر :

الحمد لله الذى جعل من ذريتى من يعيننى على أمر دينى ، يابنى : إنى لو باهت الناس بالذى تقول لم آمن أن ينكروها ، فإذا أنكروها لم أجد بدا من السيف ، ولا خير فى خير لا يجىء إلا بالسيف ، يابنى : إنى أروض الناس رياضة الصعبة ، فإن بطأ بى أرجو أن ينفذ الله مشيئتى ، وإن تعدد على منيتى فقد علم الله الذى أريده ·

ودخل عبد الملك على أبيه الخليفة عمر بن عبد العزيز فقال : ياأمير المؤمنين ، ماذا تقول لربك إذا أتيت ، وقد تركت حقا لم تحيه ، وباطلا لم تمته ؟ ·

قال : اقعد يابنى ·

إن أباءك وأجدادك خدعوا الناس الحق ، فانتهت الأمور إلىّ ، وقد أقبل شرها وأدبر خيرها ، لكن ليس حسنا جميلا أن لا تطلع الشمس علىّ فى يوم لا أحييت فيه حقا ، وأمت فيه باطلا ، حتى يأتينى الموت وأنا على ذلك ·

وغضب عمر يوما واشتد غضبه ، فلما سكت عنه ، قال له عبد الملك

ياأمير المؤمنين فى قدر نعمة الله عندك ، وموضعك الذى وضعكم الله به ، وما ولاك من أمر عباده أن يبلغ بك الغضب ما أرى ·

قال عمر :

كيف قلت ؟

فأعاد عبد الملك كلامه ·

فقال عمر :

أما تغضب أنت ياعبد الملك ؟

فقال الفتى رحمه الله :
ما يغنى عنى جوفى إن لم أرد الغضب فيه حتى لا يظهر منه شيء .

اجتمع نفر من بنى أمية من الذين يريدون المال والجاه والسلطان الدنيوى إلى عبد الملك بن عمر فقالوا له :

إن أباك قطع أرحامنا ، وانتزع ما فى أيدينا . وعاب على سلفنا وإنا - والله - لا نصبر على ذلك ، فقل له يكف عما نكره . ففعل ذلك عبد الملك ، ودخل عليه فأخبره بذلك .

فكأن عمر وجد فى نفسه مما قال ، فقال له عبد الملك :

ياأمير المؤمنين امض لما تريد . فوالله لوددت أنه قد غلت بى وبك القدور فى الله !

فقال له :

جزاك الله خيرا ياولدى ، الحمد لله الذى شد ظهرى بك ياعبد الملك .

لم يتجاوز عبد الملك السابعة عشرة من العمر حتى أصبح مستشارا للخليفة ، لا يُقْضى أمر إلا بعبد الملك ، فكان كلما أشكل موضوع نادى المقربون والفقهاء عبد الملك ، ليقضى الأمر برأيه حتى صار على صغره فى الصف الأول من فقهاء الشام علما وزهدا وورعا . حتى لقد قالوا عن عبد الملك « إنه أعجوبة تاريخ ونادرة فلك » .

عرض عمر رضى الله عنه يوما على وزيره مزاحم ما يفعله ببعض المال ، وكان ذلك العرض أمام الناس فقال مزاحم :

ولدك ياأمير المؤمنين أحق به !

فلما بلغ عبد الملك ما قاله مزاحم ، أسرع إليه فلقيه فقال له : بئس وزير الخليفة أنت يامزاحم !

ثم انطلق إلى أبيه ولم يزل به حتى دفع ذلك المال إلى بيت المال وحذره من وزراء السوء .

وكان عمر يرى أن الأموال التى أخذت من الناس في غير عهده ظلم ليس مسئولا عنها . واختلف الفقهاء ، ولم يصلوا لرأى ، فقالوا : نادوا عبد الملك .

فقال رحمه الله :

ياأمير المؤمنين أرى أن تردها ، فإن لم تفعل كنت شريكا لمن أخذها .

مواقف عديدة وكثيرة لعبد الملك ، ولا يملك الأب الخليفة إلا أن يضم ابنه النابغة الى صدره ويشبع رأسه ووجهه لثما وتقبيلا .

هذا الابن البار بأبيه ، والذى أوشك على السن التى يقضى بها بين الناس ، أصبح فجأة عديم الحركة ، قليل الكلام ، ملازم الفراش ، يتلوى من الألم .

كثر دخول الاطباء وخروجهم . والأب مشغول بالرعية . يمر على فتاه من وقت لآخر . والله أعلم بما يكابد ·

ولكن العلة أحكمت . وزاد المرض . والتفت عمر إلى الأطباء فقالوا :

إذا مسّ الطاعون وهو قرحة فوجد ليّنا طّمع لصاحبه فى البرْء منه . وإن كان خشنا يئس من صاحبه ·

دخل الخليفة على فلذة كبده . فقال :

دعنى أمسُّ قرحتك · فكره عبد الملك أن يمسّها أبوه فيجزع . وكانت متحجرة خشنة . فقال :

أو تعفينى ياأمير المؤمنين ؟ فعلم عمر لِمَ منعه . فقال :

ولِمَ يا بنىّ ؟ فوالله لأن أقدّمك فاجدك فى ميزانى أحبّ إلى من أنْ تقدّمنى فتجدنى فى ميزانك ·

فقال الابن البار :

وأنا ياأمير المؤمنين . لأن يكون ما تحبّ أحبّ إلىّ من أن يكون ما أحب . فلمسها . فقال :

ياعبد الملك ؟ **(الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)** (آل عمران آية ٦٠) ·

فقال :

(ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) (سورة الصافات آية ١٠٢) ·

* * *

غاب الأب قليلا . ثم رجع ملهوفا إلى ابنه . فوجده يجود بنفسه . فقال :

كيف تجِدك يا بُنَىّ ؟

قال :

أجدنى فى الموت . فاحتسبنى ياأمير المؤمنين . فإن ثواب الله خير لك منى ·

قال عمر :

رضى الله عنك يابُنىّ . فإنك لم تزل تَسُر أباك . وأنت فى الخِرَق . وما كنت قط أسَرّ إلىّ منك حيث يصيّرك الله فى ميزانى . فرضى الله عنك . وعن كل شاهد وغائب دعا لك بالخير ·

وما كاد عمر يخرج . حتى عاد إلى ابنه . وكان قد فارق الحياة . فكشف عن وجهه . وأنعم النظر .... ثم قال :

رحمك الله يابُنَىَ . سُررتَ بك يوم بُشِرْت بك ، ولقد عُمّرتَ مسرورا لك ، وما أتت علىّ ساعة أنا بك فيها أسر منى بك من ساعتى هذه . أما والله إن كنت لتدعو أباك إلى الجنة !!

* * *

دعا عمر رضى الله عنه أبا قلابة ، وكان يستعد لغُسْل عبد الملك رحمه الله ، وقال له :

إذا غسّلته وكفنته ، فآذنى به قبل أن تُغَطّى وجهه ، فنظر إليه ثم قال :

رحمك الله يابُنَىّ وغفر لك .

وخرج الناس بسريره ليصلى عليه ، فصف عمر الناس ، ثم قام حيال صدره أو رأسه ثم قال :

هكذا يقوم ولى الرجل من الرجل ، ومن المرأة يقوم حيال وسطها . فلما صار إلى القبر ، دخل فيه وأخذ برأس ابنه حتى وضعه فى اللحد .

قال زياد بن حسان :

إنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك رحمه الله وسوى عليه التراب ، سووا قبره بالأرض ، وصنعوا عند رأسه خشبتين من زيتون إحداهما عند رأسه ، والأخرى عند رجليه ، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة ، واستوى قائما .

فلما رآه الناس قائما قاموا ، فقال اجلسوا ، فإنما يجب القيام على أولياء الميت .

فلما انتهى من قبول التعزية أحاط به الناس ، فنظر إلى قبر ابنه ثم قال :

والله يابنى لقد كنت برا بأبيك ، والله مازلت مذ وهبك الله لى مسرورا بك ، ولا والله ما كنت قط أشد سرورا ، ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى المنزل الذى صيرك الله فيه . فرحمك الله ، وغفر ذنبك ، وجزاك بأحسن عملك ، ورحم الله لكل شافع يشفع لك بخير من شاهد أو غائب ، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره ، والحمد لله رب العالمين » .

انصرف عمر راجعا ، وفى أثناء سيره رأى قوماً يرمون ، فلما رأوه أمسكوا فقال :

أرموا ، ووقف عليهم .

فرمى أحد الرامين ، فأخرج . فقال له عمر :

أخرجت ، فقصّر .

ثم قال للآخر :

ارم

فرمى ، فقصّر فقال له عمر :

قصرت فبلغ ٠

فقال له مسلمة :

ياأمير المؤمنين أيفرغ قلبك لما يفرغ له ، وإنما نفضت يدك من تراب قبر ابنك الساعة ، ولم تصل إلى منزلك بعد ؟ !

فقال له عمر :

يامسلمة ، إنما الجزع قبل المصيبة ، فإذا وقعت المصيبة فَالْهَ عما فاتك ٠

ويقال : إن عمر بن عبد العزيز وهو يدفن ابنه عبد الملك رأى رجلا يشير بشماله ٠ فقال له :

ياهذا إذا تكلمت فلا تشر بشمالك ، أشر بيمينك ٠

فقال الرجل :

ما رأيت كاليوم أن رجلا دفن أعز الناس ثم إنه يهمه شمالى ويمينى ٠

* * *

خطب عمر بن عبد العزيز الناس بعد وفاة ابنه عبد الملك فكان مما قاله :

إن الله جل ذكره لم يجعل مسُىء ولا لمحُسْن خلودا فى الدنيا ، ولم يرْضَ بما أعجب أهلها ثوابا لأهل طاعنه ، ولا ببلائها عقوبة لأهل معصيته ، فكل ما فيها من محبوب متروك ، وكل ما فيها من مكروه مُضْمَحل ٠

كتب على أهلها الفناء ، واخبر أنه يرث الأرض ومن عليها ، فاتقوا الله واعملوا ليوم **(لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا)** (سورة لقمان آية ٣٣) ٠

كتب رجل إلى عمر يعزيه فأجابه :

إنى لم أزل فى صحة منه وسلامة ، موطنا نفسى على فراقه والسلام ٠

وكتب عمر إلى عماله :

إن عبد الملك بن عمر كان عبدا من عبيد الله أحسن إليه وإلى أبيه فيه ٠ أعاشه ما شاء ، ثم قبضه إليه ، وكان ما علمت ـ والله به أعلم ـ خيرا ، ومن صالحى شباب أهل بينه قراءة للقرآن ، وتحريا للخير ، وأعوذ بالله أن تكون لى محبة فى شىء من الأمور تخالف محبة الله ، فإن ذلك يَحْسُن بى فى إحسانه إلَىَ ، وتتابع نعمه علىّ ٠

وقد قلت عند الذى كان بما أمر الله عز وجل أن أقوله عند المصيبة ، ثم لم أجد بحمد الله إلا خيرا ، ولا أعلم ما بكت عليه باكية ، ولا ناحت عليه نائحة ، ولا اجتمع لذلك أحد ، فقد نَهيْنا أهله الذين هم أحق بالبكاء عليه ٠

لقد درب عمر منذ الصغر وقبل الخلافة على مواساة الناس ، واظهار منزلة الصبر فى حياة المؤمن ، والعمل بما وعى وفهم ، مستمدا كل هذا من معاملته مع ربه ، قوى الإيمان ، ثابت العقيدة .

قال له الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك يوما : ياعمر هل يكون المؤمن فى حالة تنزل به المصيبة ، فلا يألم لها ؟

قال عمر :

لا ، ياأمير المؤمنين ، لا يكون أن يستوى عندك ما تحب وما تكره ، أو تكون الضراء والسراء عند أحد سواء . ولكن مُعوّل المؤمن الصبر .

كان الناس يتكاثرون ، يبكون ويواسون الخليفة عمر بن عبد العزيز ، قاصدين التخفيف عن أمير المؤمنين فى موت عبد الملك ابنه ، ولكن عمر كان يسبقهم بالنصيحة والموعظة .

وقف مرة بين الناس ، وهم يواسونه ، فكان مما قاله :

الحمد لله الذى جعل الموت حتما واجبا على خَلْقه ، ثم سوَّى بينهم ، فقال :

(كل نفس ذائقة الموت) (آل عمران ١٨٥ ، الأنبياء ٣٥ ، العنكبوت ٥٧) .

فليعلم ذوو النّهى أنّهم صائرون إلى قبورهم ، مُفْرَدون بأعمالهم ، وأعلموا أن عند الله مسألة فاضحة ، فقال عز وجل :

(فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) (سورة الحجر آية ٩٢) .

قال أبو الحسن المدائنى : أخبرنا العباس بن معاوية قال :

عزى محمد بن الوليد بن عتبة بن أبى سفيان عمر بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك فقال :

ياأمير المؤمنين ، ليَشْغَلْك ما أقبل من الموت إليك عمن هو فى شغل عما دخل عليك ، واعْدد لما ترى عُدّة تكون لك جُنَّةً من الحزن ، وسِتْرا من النار .

فقال عمر : فَهَلْ رأيْتَ حزنا يُنْكر أو غفلة أُنبّه لها ؟

فقال :

ياأمير المؤمنين ، لو أن رجلا ترك تعزية رجل ، لِعلْمِه وانتباهه لكُنْتَه ، ولكنّ الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين .

رثى الناس عبد الملك ، وتكلم الكثيرون عن فضله مع صغره وذكائه النادر ، وعلمه الغزير ، وعمر يتقبل كل هذا بصبر الواثق بما عند الله ، وكان مما قيل ليواسوا به عمر ، وليصرفوا عنه حزنا ألم به .

تَــعزّ أمَير المؤْمـــــنـــين فإنَّــهُ   لِماَ قَدْ تَرَى يُغْذَى الصّغيرُ ويُولَدُ
هل أبنُك إلا من سلالة آدمٍ   لِكُلٍّ عَلى حَوْض المَنيّة مَوْرِدُ

* * *

ثم مرض عمر بن عبد العزيز بعد موت عبد الملك ، وكان من آخر ما تكلم به عمر أن قيل له : لقد تركت أولادك صغارا وهم كثيرون . وليس لهم مال ، ولم تولهم إلى أحد ، قال :

ما كنت لأعطيهم شيئا ليس لهم . وما كنت لآخذ منهم حقا لهم . أُوَلِي فيهم الذى يتولى الصالحين . إنما هؤلاء أحد رجلين رجل أطاع الله ورجل ترك أمر الله وضيعه ·

ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيه ، فقال : ياأمير المؤمنين ·

من توصى بأهلك ؟

فقال عمر رضى الله عنه :

إذا نسيت الله فذكرنى ·

فأعاد عليه القول مسلمة قائلا : من توصى بأهلك ؟

فقال عمر :

إن وليى فيهم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ·

ودخل عليه مسلمة بن عبد الملك فى روا ية أخرى فقال :

ياأمير المؤمنين ألا توُصى ؟

قال عمر :

وهل من مال أوصي فيه ؟

فقال مسلمة :

مائة ألف أبعث بها إليك ، فهى لك فأوص فيها ·

قال :

فهلا غير هذا يا مسلمة ·

قــال :

وما ذاك ياأمير المؤمنين ·

قال عمر رضى الله عنه :

تردُّها من حيث أخذتها !!

فبكى مسلمة ، وقال :

رحمك الله لقد ألنْت منا قلوبا كانت قاسية . وزُرعت فى قلوب الناس مودة . وا بقيت لنا فى الصالحين ذكرا (١) ·

وروى أيضا :

أن مسلمة دخل على عمر فى مرض موته فقال :

إنك افقرت ولدك من هذا المال فتركتهم عيلة لا شىء لهم . فلو أوصيت بهم إلىّ وإلى نظرائى من أهل بيتك ·

فقال عمر رضى الله عنه :

اسندونى . ثم قال : أما قولك إنى افقرت أفواه ولدى من هذا المال فوالله إنى ما منعتهم حقا هو لهم . ولم أعطهم ما ليس لهم ·

وأما قولك : لو أوصيت بهم إلىّ أو إلى نظرائى من أهل بيتك . فإن وصيتى ووليى فيهم الله الذى نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين ·

بَنِىّ أحد رجلين إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا . وإما رجل مكب على المعاصى فإنى لم أكن أقويه على معصية الله ·

ثم بعث إليهم - وهم بضعة عشر ذكرا - فنظر إليهم . فذرقت عيناه فبكى ثم قال :

بنفسى الفتية - كما يقولون - تركتهم عيلة لا شىء لهم . فإنى بحمد الله قد تركتهم بخير ·

أى بَنِىّ انكم لن تلقوا أحدا من العرب ولا من المعاهدين إلا أن لكم عليهم حقا ·

أى بَنِىّ إن أباكم ميل بين أمرين بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار . أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة . فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار · قوموا عصمكم الله !!

* * *

روى أحد المؤرخين قال :

مات الخليفة هشام بن عبد الملك . وخلف أحد عشر ابنا . فقسمت تركته . وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف دينار . ورأيت رجلا من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله عز وجل ورأيت ولد هشام يُتَصدق عليه ·

* * *

رحم الله عمر بن عبد العزيز وأولاده ورضى عنهم أجمعين ·

---

(١) التعازى للمبرد ص ٦٢ ·

الرَّسَائِلُ الحَرْبِيَّة في عصر الدَّوْلة الأيوبيَّة

للدكتور محمد نغش
أستاذ مساعد بكلية الشريعة بالجامعة

- ٢ -

كتاب بشأن الحصن الذي استجده الفرنج وهدمه السلطان صلاح الدين

أرسل القاضي الفاضل إلى بغداد رسالة عن هدم هذا الحصن الحصين ، وقدم لها مقدمة طويلة تشمل - كالعادة - تمجيداً للخليفة العباسي ، والدعاء له ، ومما جاء فيها :

« الدولة العباسية الإمامية المستضيئة ، يرفع الله منارها ، ويعمر قلوب البشر من بشائرها الموجبة لاستبشارها ، ويحرز لها من الفتوحات التي تتدارك لها خواطر القنوط ، وتمد الرجاء بعد تقلص ظله المبسوط ، وتمضي لها من عزائم الأولياء ، وتذل بها من أعناق الأعداء ، ويظهر من دلائل العنايات بأمرها ، ويرسل ملائكة سمائية إلى أرضه لنصرها ويقشع من ظلمات الخطوب برايتها السوداء ويدها البيضاء ، ونعمتها الخضراء ، وبحور أنعامها الزرقاء ، وسيوف انتقامها التي تخرق الآجال برايتها الحمراء (١) .

استدعى السلطان صلاح الدين أخيار البلاد الشامية وعشائرهم ، وكتائب من التركمان ، وحمل إليهم الأموال وآلات القتال ، ومن بينها المنجنيقات وعددها ، وسلاليم لمرمى القلاع ومصعدها .

وسار بهذا الجيش الجرار إلى المخاضة في يوم السبت ١٩ ربيع الأول سنة ٥٧٥ هـ - ٢٥ أغسطس ١١٧٩ م .

وهنا يصف القاضي الفاضل الحصن الحصين ، فهو مبني على تلال وعرة عالية ، وأبراجه مرتفعة متينة ، وقد عرض حائطه إلى أن زاد على عشرة أذرع ، وبنى من حجارة صلدة ، توعز للحديد بأنه من الصعب هدمه .

(١) من ترسيل القاضي الفاضل اللوحة ٧٥ .

وبداخل الحصن ما يزيد على ألف وخمسمائة رجل ، ولديهم الجروخ (١) الوثيقة ، « وقد نصبت عليه مجانيق يروع خاطر الجسارة منظرها ، وتلتهم الحصون فكيف الخيام حجرها ؟ ، ويسري إلى الأجساد خبرها ، وحفر له خندق أحاط بالمدينة سرادقه ، وفتحت أبوابها ثقة بما صانته مغالقه ، وقد بنوه حتى لا تنهار حروفه ، ووسعوه حتى لا تنجار جروفه (٢) .

ثم ركب السلطان صلاح الدين ثاني يوم الأحد إلى صفد ، فقطع منها قضب الكروم والأخشاب ، فأما الكروم فليجعلها ستائر للمنجنيقات للتمويه على العدو مثلما تفعل الجيوش المحاربة في العصر الحاضر ، وأما الخشب ونشارته فبغرض إيقاد النار في أسوار الحصن بعد نقبها .

وعاد السلطان صلاح الدين في نفس اليوم إلى المخاضة ، واستقر رأيه على قتال الحصن بطريقتين ، وهما القتال زحفاً مع نقب الأسوار في آن واحد

ونقف قليلاً أمام هذه العبارة « وعلم - أي صلاح الدين - أن أمراً أوله الاستخارة ، وأوسطه الاستشارة ، وخاتمته الجسارة ، فإن الجامع بينها لا يندم (٣) .

ففيها رغم إيجازها وصف كامل للحالة النفسية للمقاتلين الذين يستعينون بالله على محاربة عدوهم ، ثم يليها استشارة القائد ضباطه لأخذ آرائهم ، ثم الشجاعة والجرأة التي تنجم عن تعبئة روحية عالية ، تكون النتيجة الظفر على الأعداء بإذن الله .

ثم يلي ذلك وصف المعركة ، ومنه : « وفي الحال أطافت بالحصن المقاتلة من جميع أقطاره ، ولبوا تلبية الحجيج ، وكل يرمي جمرة سهم ، وعبرت الآجال المسماة على قناطر القسي المحنية ، وقدحت زنودها البيض شرار جمر المنية ، فصارت الأبرجة كأنها مستلئمة

---

(١) الجرخ : (Jarkh) مأخوذ عن الفارسية (تشرخ (Tcharkh) وهو نوع من القوس الرامي ، ترمي عنه النشاط أو النفط . هكذا تصفه النصوص وهكذا وصفه دوزي بأنه :

(Unearbolete avec la quelle on Lancait, Soit de Fleches soit le Naphte)

وقد ذكر مرضى بن علي في تبصرة أرباب الألباب ص ٦ . ٨ (أربعة أنواع للقوس الرامي الذي يشبه المنجنيق ، وهو قوس الزياد ، قوس العقاد ، وقوس الرجل ، ويقال للذي يرمي عن قوسه السهام أو النفط « الجرخي » . ويقابله بالفرنسية (Arbaletrier) والجمع « الجرخية » . وقد عقد الحسن بن عبد الله في كتابه آثار الأول ص ٦٠ فصلا عن صفة القسي والنشاب ، أضاف إليه فيه معلومات قيمة عن الشعوب التي تؤثر استعمال الجرخ ، والقوس العقاد ، وأين يستعمل كل منهما ؟ ، لأن قوس الجرخ يصنع من القرن ، والعقاد يصنع من الخشب .. الخ .

(٢) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٧٧ .
(٣) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٧٨ .

بسلاحها ، أو كأنها لكثرة ريش السهام طائرة بجناحها ، أو كأنها صدور قد أظهرت حسك (١) الضغائن ، أو كأن أبرجتها لازدحام السهام بها كتائن (٢) ، فنجدد عليهم حصر بان في البيوت بعد الحصر في المدينة ، وضاق مجال اليد عن أنجاد خواطرها اللعينة المبينة ، وفي الحال هجم الأولياء على الحوش ، وحازوا الخندق وأطلقوا النيران فتبسطت خطواتها ، وتسلطت سطواتها ، وأحاطت بالأعداء خطياتها (٣) .

ولم ير الصليبيون بدأ من النجاة بأنفسهم إلى أسوار الحصن ليحموا أنفسهم وحصنهم حتى يأتي إليهم المدد من طبرية ، غير أن المسلمين ألحوا في القتال رغبة في الوصول إلى نتيجة حاسمة قبل وصول المدد ، وأدرك الليل قبل أن تتضح النتيجة فأمر السلطان صلاح الدين بالمبيت في الباشورة إلى الغد ، وفي الصباح باشر النقابون تنقيبهم في أسوار الحصن وهى بالغة الفخامة ، حتى بلغ طول النقب ثلاثين ذراعاً في عرض ثلاثة أذرع ، وحشى النقب بالحطب ، وأشعلت فيه النيران فلم يسقط أيضاً . ولذا أمر السلطان صلاح الدين باطفاء النار ليتم نقبه ، وعاد النقابون إلى عملهم حتى خرّقوا السور وعمقوا الخرق ، ثم حشوه بالقش والحطب وأشعلوا النار ، فسقط السور يوم الخميس ٢٤ ربيع الأول سنة ٥٧٥ هـ = ٣٠ أغسطس ١١٧٩ م .

وكان الصليبيون قد جمعوا وراءه حطباً ، فلما وقع السور دخلت الرياح فردت النار على من به ، وأحرقت بيوتهم وطائفة منهم ، واجتمع الباقون إلى الجانب البعيد من النار وطلبوا الأمان فأمنهم صلاح الدين . وغنم المسلمون مائة ألف قطعة من الحديد من جميع أنواع الأسلحة ، عدا ألف زردية ، فضلا عما كان في الحصن من أقوات كان الصليبيون قد اختزنوها استعداداً لمقاومة طويلة .

ووجد السلطان صلاح الدين بداخل الحصن من أسرى المسلمين ما يزيد على مائة رجل ، فأمر بنزع القيود من أرجلهم ، ووضعها في أرجل الصليبيين المأسورين البالغ عددهم نحو السبعمائة .

وتقدم السلطان صلاح الدين فاقتلع بيده الأحجار من أسها ، ومحا حروف البنيان من طرسها ، وطم جب الماء الذي حفره الصليبيون وسط الحصن ، بأن ألقى فيه القتلى من الصليبيين والمحترق من دوابهم ، واستمر مقامه ثلاثة أيام ، إلى أن دمر ما كانوا يصنعون . وأعز الله الإسلام ، وأمر أمره ، ونصر الإيمان ، وكان حقاً على الله نصره .

---

(١) الحسك : أداة من أدوات الحرب .

(٢) الكتائن : مفردها كتانة : جعبة صغيرة من أدم للنبل .

(٣) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٨٩ .

ثم سار صلاح الدين إلى أعماق طبرية وصور وبيروت ، وأنزل بالصليبيين الذين احتلوها الهلاك وبحصونها الدمار ، وثل عروشها ، وأحل بالكفار الهزيمة المنكرة في ثلاثة أيام وهو في طريقه إلى دمشق .

وعاد السلطان صلاح الدين إلى دمشق في يوم الخميس ١٩ ربيع الآخر سنة ٥٧٥ هـ = ٢٩ سبتمبر ١١٨٠ م بالنصر الظاهر ، والظفر الباهر ، فمدحه عدة من الأمراء والشعراء وهنأوه بالفتح (١) .

والقاضي الفاضل يشيد بهذا الفتح الذي يعد فتوحا ، قد ضاعف الله بها بهاء الإسلام والملة ، وأن هذا الفتح كليلة القدر جمالاً وبهاء وقدسية ، وأنه قام مقام تجديد شباب الإسلام بل مقام مولده :

ثم يعرج إلى مدح الخليفة العباسي من خلال تمجيده لهذا الفتح ، فمن ذلك قوله : « وقد تخير الله له – أي الفتح – أفضل زمان ، وتخير للزمن أفضل قائم ، واشتملت أيامه على فتوحات يوصل منها كل خال بتال ، ويتجدد منها كل قديم بقادم (٢) .

ويحسن القاضي الفاضل الانتقال إلى موضوع قلج أرسلان إذ يقول : « وسقى جوده الفائض غرس إحسانه ، بأعذب وأطهر من سلالة الغمائم ، فلا يزال ذلك الغرس مستثمراً لا تخلف دلالته ، وذلك الصفو جمالاً ينزف زلالته ، غير أن الشوائب لا يخلو منها دهر ، والعوارض لا يصفو منها صدر (٣) » .

فقد كان قلج أرسلان سلطان السلاجقة بالروم ، وأولياؤه بآسيا الصغرى ممن يكرهون قيام دولة كبيرة على أنقاض الدولة النورية (٤) .

فبينما كان السلطان صلاح الدين مشغولا بالصليبيين ، تحرك قلج أرسلان نحو حلب ، وحاصر حصن رعبان مدعياً أن نور الدين اغتصبه منه ، وأن السلطان الصالح إسماعيل أمر برده إليه ، ولم يقم صلاح الدين وزناً لهذا الادعاء ، فكلف ابن أخيه تقى الدين عمر والأمير سيف الدين مشطوب بصده ، وقد نجحا في مهمتهما ، وقضيا على مطامعه التوسعية في تلك الجهة (٥) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ص ٣٠١ ، ٣٠٣ . أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ١١ ، ١٣ . ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٢ ص ٨٣ ، ٨٥ . المقريزي جـ ١ قسم ١ ص ٦٩ . والعين جـ ٢١ قسم ٣ ص ٦١٤ . Lane . Poob : saladin P . 159 .

(٢) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٨٣ .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) الدكتور نظير حسان سعداوي : التاريخ الحربي المصري ص ٥١ .

(٥) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٨ ، ٩ . ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢ .

ويوضح القاضي الفاضل أن السلطان صلاح الدين قضى بذلك على تطرف قلج أرسلان وتطرفه في ادعائه المذكور ، وأنه قطع عروة تعلقه بالفساد وبدد أحلامه التوسعية ·

ولم يكن أمام السلطان صلاح الدين غير هذا السبيل ، فقد أتى قلج أرسلان بكبيرة يحل بها قتاله ، وأقدم على عظيمة يجب بها استئصاله ، وتوجب الضرورة حينئذ موادعة الكفار ليكون الذرع خاليا لأمره ، والأمر مصروفاً عنانه إلى عقره ، والرمح مسدداً سنانه إلى عقره (١) ·

والقاضي الفاضل يستكثر من قلج أرسلان أن يهاجم سلطنة صلاح الدين القاهرة ، التي لم تجد خصماً يقهرها ، وينزل بأرضها · ولذا فقد قرر السلطان صلاح الدين أن يمهل العدو الصليبي ، إلى أن يؤدب هذا المعتدي الباغي ، الذي يشق عصا الطاعة على الإسلام بتعديه وظلمه ·

وقبل أن تنتهي هذه الرسالة يرد ذكر قاض كريم الخلال قائم بتبليغ هذه البشارة ، ولكن لم يذكر اسمه ، وإن كانت قد تحددت المهمة المنوطة به ، فهو نائب عن السلطان صلاح الدين يشرح بلسانه ما جاء في الرسالة ، والتعليق على بنودها من عنده ، وعليه أن يؤدى تحية الخلافة والثناء للخليفة ·

وتختم هذه الرسالة بالدعاء هكذا : « لازال المجلس السامي معان (٢) الأماني ومأواها ، وموئل الرغبات ومثواها ، ومجتبي ثمرات السعود ومجتلاها ، وملقى رحال الندى ومبتداها إن شاء الله (٣) ·

رسالة عن فتح آمد :

وهذه الرسالة الطويلة كباقي الرسائل من هذا النوع ، الذي يرسله القاضي الفاضل إلى الخلافة العباسية ، كتذكرة بالأمجاد التي يؤديها السلطان صلاح الدين ، ويطلب في أثنائها مجازاته بتقليده ما يفتحه من البلاد ·

وهو في مقدمتها يمدح الخليفة العباسي ، الذي امتد نفوذه ، واشتد سلطانه فالأخبار تتوالى عنده مبشرة بانتصار أوليائه ·

ثم يصف القاضي الفاضل شعور السلطان صلاح الدين عند ورود التقليد إليه بولاية آمد ، فقد فرح به وتناوله وكأنه كتاب أنزل من السماء أو نور يمشي به بين الناس ، وسار

---

(١) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٨٤ ·
(٢) في الأصل مغان ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، فالمعاني يراد بها الصفات المحمودة ·
(٣) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٨٥ ·

من توه لفتح آمد (بلاد بكر الحالية) ، فوصلها في يوم الأربعاء ١٧ ذي الحجة سنة ٥٧٨ هـ = أبريل سنة ١١٨٣ م ٠

ونرى القاضي الفاضل يسجل ما حدث قبيل الحرب في آمد ، وينتقل بعدها لوصف المعركة نفسها ، وما انتهت إليه ٠

فقد أمر السلطان صلاح الدين أن تكتب الرقاع للآمديين يعدهم بالخير والإحسان إن أطاعوه ، ويتهددهم إن قاتلوه ، وانتظر ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع ، أخذ في ردم أسوارها ، إذ أرسل النقابين لنقبها ، فما زالوا بها حتى نقبوها من عدة نواح ، فضلاً عن رميها بالمجانيق ٠ وهنا يتفنن القاضي الفاضل في تشخيص المعركة في أسلوب تشعر من خلاله بمدى ضراوتها ، فهى كجهنم وقودها الناس والحجارة ، وقد أزالت معالم المدينة ، مثلما يزال جلد الشاة ، والمنجنيقات تسقى الموت لأبرجتها ويعجز أهلها عن الذود عنها ، والنقابون ينقبونها فيهتكون حجابها ، فهو يصور في بلاغة ، قوة البطش بها وبمن بداخلها ٠

ثم تسلم السلطان صلاح الدين آمد بأموالها وذخائرها ، ورفع أعلامه على أسوارها يوم ١٤ محرم ٥٧٩ هـ = ٦ مايو ١١٨٣ م ، فقد فضل الآمديون التسليم على المقاومة ٠

ويفتخر القاضي الفاضل بهذا الفتح المبين ، وما تم بعد إحراز النصر المؤزر ، فيقول : وهذه مدينة آمد ، فهى مدينة ذكرها بين العالم متعالم ، وطالما صادم جانبها من تقادم ، فرجع عنها مفدوغاً أنفه ، وإن كان محلاً ، وقرعها مزيداً بهجة ، وإن استصحب حفلاً ، ورأى حجرها فقد رأته لا يقال له حجر وسوادها فحسب أنه لا يتوشحه فجر ، وحمية أنف أنفها فاعتقد أنه لا يستجيب لزجر ، من ملوك كلهم طوى صدره على العليل إلى موردها ، ووقف بها وقفة المحب المائد فلم يفز بما أمل من جواب معهدها (١) ٠

ثم وهب السلطان صلاح الدين البلد بما فيه لنور الدين محمد بن قرا أرسلان (٢) وقد وعده بها من قبل (٣) ٠

وقضى السلطان صلاح الدين على الحلف الذى تزعم عز الدين مسعود صاحب الموصل ، واشترك فيه إيغلازى بن ألبي بن تمرتاش صاحب ماردين ، ومغيث الدين طغول شاه بن قلج أرسلان ، صاحب أرزن ، وغيرهم ٠

---

(١) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٧١ ٠

(٢) صاحب حصد كيفا ، توفى سنة ٥٨١ هـ = ١١٨٦ م (النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٩٨) ٠

(٣) Lane – Poob : saladin P . 170 .

ابن الأثير ، الكامل جـ ١١ ص ٣٢٠ ، أبو شامة ، الروضتين جـ ٢ ص ٤١ ٠

ويطلب السلطان صلاح الدين في هذه الرسالة التقليد لا بالموصل وما علق به أهل الموصل ، ذاكراً أن في ذلك خيراً كثيراً للدولة العباسية ، حيث أنه لا يوجد بين ولاتها من له مثل فضله وأمجاده . فيقول : « هذه آمد لما أرسل إليه مفتاحها ، وهو التقليد ، فتحها ، وهذه الموصل لما تأخر عنه المفتاح منعها وما منحها ، ولو أعين به لعظمت على الإسلام عائدته ، وظهر في رفع مناره فائدته ، لأن اليد كانت تكون به على عدو الحق واحدة ، والهمة لآلات النصر واجدة (١) .

ثم يبين للخليفة أن ذلك هو السبيل الوحيد إلى توحيد الأمة الإسلامية ، والقضاء على الحروب الصليبية ، والظفر بالمسجد الأقصى ، وهو أغلى أمنية ، فالسلطان صلاح الدين أبر أولياء الخليفة ، وأشدهم على أعدائه ، وأثبتهم رأياً وروية .

ويعود إلى الدعاء ولكن في هذه المرة للدين ، إذ يقول : أعاد الله يا أمير المؤمنين هدى الدين إلى معالم حقه ، وأطال يد سلطانه الطولى إلى أن أخذ الأمور مأخذها (٢) . وهو يريد أن يعود إلى الإسلام مجده التليد .

ويختم رسالته هكذا : « وللآراء علوها إن شاء الله (٣) » .

الأمـة الإسلامية

يقول لينين :

(يمكن أن تتحول كل أمة إلى الشيوعية إلا الامة الإسلامية ، لذلك يجب العمل على تجريد المسلمين من إيمانهم أولاً ..) .

من كتاب (من الرق إلى السيادة)

(سامحة أي ويردي : التركية)

---

(١) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٧٢ ، ٧٣ .
(٢) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٧٣ .
(٣) نفس المرجع السابق اللوحة ٧٣ .

تفاعل المسلمين مع دينهم

للدكتور محفوظ ابراهيم فرج
أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية

يحدثنا التاريخ الإسلامي قديمه وحديثه أن المسلمين تكون لهم العزة والسيادة إذا تمسكوا بدينهم في جميع شئونهم . وإذا لم يكن لدينهم واقع في حياتهم دبّ الضعف في صفّهم وتداعى عليهم المعتدون كما تتداعى الأكلة على القصعة وليس ذلك عن قلتهم بل إنهم كثير - ولكنهم غثاء كغثاء السيل كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح .

وقد حمل المسلمون السابقون شريعتهم قوية فتية في إطار جميل من المعاملة الطيبة والاحترام الصادق للحقوق والأموال والأعراض .

وساعد على ذلك ما أدركوه وفقهوه من أن تلك الشريعة أشبعت حاجة الناس إلى القواعد العادلة للعلاقات الاجتماعية ولجميع المعاملات ، فأيقظت بذلك الضمائر ، وأحيت فيها رقابة الله تعالى ، فقد علقت الامتياز والخيرية بأمر هو في امكان الناس جميعاً ذلك ما يوحي به قوله تعالى : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** وما نأخذه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) .

وكان من تفاعل المسلمين مع دينهم أن سلوك الواحد منهم في حياته الخاصة والعامة كان انعكاسا لما يقوم به من طاعة وما يؤديه من عبادة مرتفعاً عن الأغراض والأهواء لا تتحكم فيه الغرائز والميول .

تمتع المسلمون وهم على هذا المنهج القيم بالقوة والمنعة ودانت لهم الدنيا وملكوا العالم ، وسادوا الشعوب ومكن الله لهم في الأرض وتحقق وعد الله القائل : **(يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .**

ذلك أن مبادئ الإسلام الخالدة هى مبادئ الحضارة التقدمية ، ولم يشهد التاريخ قوة للإسلام ولا عزة للمسلمين إلا حينما كانوا يتخلقون بما في هذه المبادئ من أخلاق وقيم .

والقوة في هذه المبادئ أنها تنتظم جميع الأفراد وأنها عامة يتساوى أمامها الأمير والصغير، والغني والفقير. فليس هناك تفاضل بالأموال أو الأنساب أو الجاه. وإنما التفاضل بالعمل الصالح والتنافس فيه.

وإذا قدّر لواحد منهم أنه استجاب لداعي شهوة أو غريزة ذكر الله فاستغفره. كى تظل حياته عامرة بالإيمان، ولا يجد حرجاً أن يعلن عن مخالفته ليرجع إلى الله بالتطهير مما اقترف ولو كان في ذلك قضاء على حياته. لعلمه أنها فانية. وأن الدار الآخرة هى الحيوان

فنجد ماعزاً رضي الله عنه يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلًا: يا رسول الله زنيت فأقم عليّ الحدّ. فيراجعه الرسول صلى الله عليه وسلم مرة ومرة ويظلّ على رأيه لا يحيد عنه، فيأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإقامة الحد عليه.

وتجيء الغامدية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول له: زنيت. هذا الحمل من سفاح فيراجعها الرسول صلى الله عليه وسلم وتصر على الاعتراف فيؤخر الرسول صلى الله عليه وسلم إقامة الحد عليها حتى تضع حملها وتلد ويستغنى الولد عن اللبن بالفطام. وتأتي بعد كل ذلك مختارة ليقام عليها الحدّ. فتطهر من الدنس الذي علق بها وتلقى الله وهو راضٍ عنها.

كما نجد أن صحابياً تحت تأثير شهوة أتى امرأته في نهار رمضان ولما أفاق من غفلته تحرك فيه الوازع الديني فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلًا: هلكت ليجد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقا لنجاته. فيرشده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فعل الكفارة على ضوء الحديث الذي حدثنا به أبو هريرة رضى الله عنه من رواية البخاري.

هذه أمثلة توضح أن السلف الصالح رضوان الله عليهم حققوا المبادئ الإسلامية في تفكيرهم. وأحسنوا تنفيذها في معاملتهم. ورجعوا إليها إذا انحرفوا عنها تحت تأثير شهوة. لإيمانهم العميق بتلك التعاليم التي اعتنقوها مبدأ وسلوكا.

ولما بدأ التفاعل بين المسلمين ودينهم يضعف. أخذ الإسلام يتحول في نفوس أهله من حياة قوية متوثبة إلى تقاليد وشكليات. فكان أن دب الضعف في الصف الإسلامى. ولعب الاستعمار دوره فصرفهم عن دينهم. وقتل فيهم حيويته وقوة تعاليمه. فتفتتوا بعد توحد وتمزقوا بعد تجمع. وقلّ الوازع الديني الذي يجمع الكلمة ويوحد الصف.

وهكذا دار الفلك دورته. وعاد الإسلام غريبا كما بدأ. وهذه الغربة نعيشها اليوم في عصر العلم وغزو الفضاء. فمع التفوق العلمي في جميع ميادين الحياة. نشاهد طغيان المادة

على القيم والمبادئ . ونلمس أن الغرائز أضلت عقول الناس لبعدهم عن غذاء النفس وتقويتها ، فكان التصدع بين الأفراد والجماعات ، وبين الدول والشعوب نتيجة ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، وتعدي الجماعة على الجماعة ، وحرب الدولة للدولة .

في هذا الجو المكفهر المشحون بالمخالفات يتحقق قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يحدثنا به أبو هريرة رضى الله عنه مرفوعا من رواية لمسلم : (بدأ الإسلام غريباً ثم يعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس) .

فتعاليم الإسلام أصبحت غريبة غير مألوفة في المجتمعات الإسلامية وأصبح التدين رجعية ، والقابض على دينه كالقابض على الجمر ، وفقدت التربية الإسلامية ، وانعدمت الرحمة من القلوب ، فلا شفقة لصغير ، ولا تقدير لكبير ، واختلت الموازين ، وأصبح الأمر فوضى ، واستخفت الناس بشعائر الله ، وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وسيطرت الأنانية وانعدم الإيثار أو كاد . وضلّ الناس طريقهم ، فمنهم من ظالم يظن أنه عادل ، ومسيء يظن أنه محسن ، وجاهل يظن أنه عالم ، وغبى يظن أنه فاهم ، وضنين بنعم الله عليه يظنّ أنه من المزكين ، وسار الناس حياتهم في إطار من البغض والكراهية والتمزق ، ووهنت الروابط وكادت تنعدم الإنسانية .

وعاد الناس في أزمة ضمير ، وساعد على ذلك الأفكار المستوردة ، وسموم الاستعمار حتى طفح الكيل ، وحاربت مع الأسف الدولة المسلمة شقيقتها ، وكان ضياع آلاف الأرواح والخسائر المتعددة الأشكال والأنواع ، وتحقق قول الله تعالى : **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** .

فذل المسلمون بعد عز ، وضعفوا بعد قوة ، وأصبحوا فرقاً وأحزاباً بعد أن كانوا أمة واحدة قوية فتية لها وضعها ومكانتها في المجتمع الدوليّ .

ولن يلتئم الجرح النازف في الصف الإسلامي ، ولن يعود للإسلام مجده وحيويته ، ولن تعود للمسلمين قوتهم ومنعتهم إلا إذا فهموا دينهم كما فهمه السابقون من أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم عبادةً ومعاملة ومنهجا وسلوكا يسيرون على أضوائه في محيط حياتهم ، وفي جميع شئونهم الخاصة والعامة لا يجدون في أنفسهم حرجاً من تنفيذ أحكامه .

وصدق قول الإمام مالك رضى الله عنه إمام دار الهجرة (لا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها) .

وعندئذ يعود المسلمون سيرتهم كما وصفهم القرآن الكريم : (أشداء **على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً)** .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً)

هذا رجاؤنا ، وما ذلك على الله بعزيز .

زيادة النعم بالشكر عليها

قال أبو يوسف ينصح هارون الرشيد رحمهما الله : إن الله عزَّ وجل ، بمنه ورحمته ، جعل ولاة الأمر خلفاء فى أرضه ، وجعل لهم نوراً يضىء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم ، وبين ما اشتبه من الحقوق عليهم .. وإضاءة نور ولاة الأمر :

إقامة الحدود ، ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر البين ، واحياء السنن التى سنها القوم الصالحون أعظم موقعاً ، فإن إحياء السنن من الخير الذى يحيا ولا يموت ..

وجور الراعى هلاك الرعية ، واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة ..

فاستتم ما آتاك الله ، يا أمير المؤمنين ، من النعم بحسن مجاورتها ، والتمس الزيادة فيها بالشكر عليها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه العزيز :

(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدنَّكُمْ ولَئِنْ كَفَرْتُمْ إنَّ عذَابِي لَشَديدٌ)

الدين بين الشرق والغرب

للشيخ عادل رمضان

من جملة الظواهر التي تعاني منها المجتمعات الغربية بشكل عام ظاهرة التشكيك في كل شيء ، في القيم ، والمبادئ ، في المثل ، والأخلاق ، وحتى في الإنسان نفسه ، في وجوده المادي والروحي ، هل هو وجود حقيقي أم هو ضرب من الأوهام ؟

وتستشرى هذه الظاهرة حتى تمسّ الدين وتطرح التساؤلات حول صلاحيته لهذا العصر وما بعده .

وإننا سوف نقتصر في موضوعنا هنا على بحث ما يتعلق من هذه الظاهرة التشكيكية بمسألة الدين لكونها على درجة كبيرة من الأهمية ، لا سيما وأن الخطورة فيها تكمن في تسرب هذه الأفكار الخاطئة إلى رؤوس بعض الشباب داخل المجتمع المسلم ، وبشكل خاص أولئك الذين يستهويهم زيف الحضارة الغربية ويخطف لبهم بهرجها .

صحيح إن الشباب في الغرب يعيشون مزيجاً من القلق والضياع والاضطراب الفكري بعد أن فقدوا الثقة بما لديهم من قيم دينية .

لكنّ الأمر يختلف تماماً بالنسبة لنا وفيما يتعلق بديننا الحنيف ، إذ هو مناط وجودنا والمحافظ الوحيد على شخصيتنا ، وبه كان عزنا ومجدنا وانتصاراتنا . وحقائق التاريخ تثبت ذلك ، وتثبت أن الإسلام كان ولا يزال العامل الأساسي في حياتنا واستقلالنا الفكري والثقافي في عالم تضطرب فيه الموازين وتضيع فيه ملامح الشعوب الصغيرة أمام تجاوزات الدول الكبرى ، والقوى الاستعمارية العالمية والشيوعية الدولية التي تخطط للقضاء على الإسلام وتعمل لذلك ، انطلاقاً من خلفيات متعددة تحيك خيوطها في الظلام مسخرة في ذلك كلّ ما لديها من وسائل وضغوط واغراءات لتخريب كيان الأمة وتمييع شخصيتها تمهيداً لربطها بفلكها واخضاعها لسيطرتها الدائمة .

والحقيقة التي يجب أن لا تغيب عن البال مطلقاً هي أن هنالك حلفاً استعمارياً صهيونياً إلحادياً يعمل بمكر وخداع من أجل الهيمنة على العالم الإسلامي ونهب ثرواته واستغلال خيراته ، وإفساد عقيدته عقيدة أفراده وتسميم أفكار شبابه وإدخال التشكيك في حياتهم اليومية بطرح فلسفات مادية إلحادية وأفكار وجوديّة فوضوية تحمل لهم الفساد الاجتماعي والانحلال الخلقي وتشغلهم بجدليات فارغة تكرس الأفكار المشوهة ، والآراء المتطرفة ، مستغلة أجواء الحرية المتاحة في بعض الدول المسلمة في القول والتعبير ونشر الأفكار المسمومة في أوساط بعض أنصاف المثقفين ليجعلوا منهم أذناباً لهم .يتوصلون بهم إلى أهدافهم العدوانية والتوسعية ٠

والغريب في هذا الخصوص أن يسقط بعض شباب الأمة في شباك المجرمين دون تبصّر فينساقون وراءهم فيبعدون عن كل القيم والمبادىء ، متأثرين بمظاهر الحياة الأوربية الزائفة ، فيعيشون حياة ضياع فكري وخلو روحيّ ونفاق وجداني ، تمهيداً لربطهم بفلكهم واخضاعهم لسيطرتهم البغيضة ٠

ولئن كان للشباب في الغرب العذر في الخروج على تعاليم الكنيسة والتمرد على أوامرها لأنها تتنافى مع الحق والمنطق السليم فليس لشبابنا عذر في السير خلفهم وتقليدهم في كل شيء دون دراسة أو بحث مدفوعين بنظرة الإعجاب لكل ما هو غربي ٠

إن من الجهل الفاحش أن يغمض الإنسان عينه عن البحث والدراسة والمقارنة ،خاصة وأن الله تعالى مَنَّ عليه بعقل لو استعمله لاستطاع أن يصل إلى الحقيقة مهما بعدت ٠

صحيح أن الدين في أوربا مشوه مزيف يقوم عليه تجار الكنيسة وباباواتها ، وكان سبباً في التأخير والانحطاط ومبعث الفوضى والاضطراب عكس ديننا الحنيف الذي لم تمسه يد التحريف اطلاقاً ٠

وإذا كان اقليدس مثلاً قد تعرض للحكم عليه بالاعدام لقوله بكروية الأرض ودورانها من محكمة كنسية أصدرت حكمها باسم الدين ، فإن ديننا الحنيف جعل الحقائق الكونية من جملة المعارف الأصلية التي وفق بعض الباحثين إلى معرفتها ، ثم وجد السباق إلى معرفة كثير من الحقائق التي وقف العلم حائراً أمامها فترة من الزمن ٠

الدين في أوربا يأمر أتباعه أن يغمضوا أعينهم عن حقائق الكون ويسلموا لرجال الكنيسة بلا مناقشة أو اعتراض . وأول ما يعلم البطارقة أتباعهم المقولة المتخلفة « أطفئ نور عقلك واتبعني » ويلقنونهم بعد ذلك ما يحلو لهم من الأوهام والأباطيل ٠

هذه حقيقة ما يعرض باسم الدين في أوربا اليوم · وهو يتنافى مع أبسط قواعد العقل والمنطق · ولشباب الغرب كما أسلفنا العذر في نبذه والاعراض عنه إذ كيف يمكن للعقل السليم أن يقبل دعوى ألوهية المسيح وهو بشر يأكل كما يأكل البشر وينام كما ينامون مع زعمهم أن اليهود عدوا عليه فلم يملك أن ينجي نفسه منهم فأخذوه وصلبوه على حد دعواهم الباطلة ، وكيف يمكن للفكر أن يتصور أن الإله لا يملك أن يغفر لبني آدم - وهو الذي خلقهم - فيقدم على التضحية بابنه الوحيد أمام اليهود ليخلص البشر من وبال الخطيئة القديمة التي وقع فيها أبوهم قبل ملايين السنين وهم بريئون لا جريرة لهم في ذلك ، وهل يمكن أن نقبل هذا التلفيق في الوقت الذي نرى فيه الخوري أو البابا أو البطريق يغفر لمن يشاء ويحلل ويحرم كما يحلو له ·

إن الدين في أوربا اليوم يقوم عليه سماسرة ماكرون ، اتخذوا من الخديعة والافتراء مهنة لهم ، واستخدموا أساليب الحيلة واللف والدوران للسيطرة على الناس وابتزاز أموالهم · ولقد استنكر القرآن الكريم عليهم تشويه كتبهم السماوية وتحريف كلمها عن مواضعه وعاب عليهم أكلهم أموال الناس بالباطل ، ومضاهاتهم قول الذين كفروا ، وتعاملهم بالربا وتحايلهم على قواعد الشرع وأسسه ، فما يؤمنون به اليوم يخالفونه غداً ، **(يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض)** ·

إن دراسة الأديان ومقارنتها من خلال منظور التطور الحضاري للإنسان ومن خلال المخطط الإلهي لبناء الإنسان تبين أن الدين المسيحي في حد ذاته إنما كان يناسب فترة زمنية محددة من تاريخ البشرية ·

وبسبب المنافع الدنيوية الرخيصة أصر بعض رجال المسيحية المتأخرون على التوقف بمسيرة الإنسان عند حد معين لتبقى لهم الرياسة والزعامة والسيطرة ، فعادوا الإسلام وكادوا لأبنائه ، ووقفوا في وجه مسيرته المعطاءة الخيرة ، فخالفوا أمر ربهم ونقضوا ميثاقه الذي قطعه عليهم بالإيمان بالرسول الذي يأتي من بعد عيسى عليه الصلاة والسلام متمماً لشرائع الأنبياء قبله ومتمماً لمنهج الأديان وخاتماً للمرسلين ·

وبهذا اصطدم رجال الكنيسة بناموس الحياة فانفرط عقد الدين في أوربا ، وتفرق الناس أشتاتاً وشيعاً وحدثت لدى المثقفين منهم ردود فعل أدت بهم إلى رفض التدين مطلقاً بل والتهجم على الأديان عموماً ، وراح يصفها بالرجعية والتخلف حتى زعموا أنها أفيون الشعوب وأنها لا تصلح لهذا الزمن ·

ولقد استغل أنصار الشيطان ودعاة الإلحاد هذه الظروف ، فاتخذوا من الشيوعية المادية ، والوجودية الفوضوية مبادئ راجت عندهم ٠

وكانت ردود الفعل هذه بمغالاتها وتطرفها أكثر تهوراً ومثلها كمثل المستجير من الرمضاء بالنار ٠

وظهرت على الساحة الأوربية أفكار أخرى كانت أقلّ خطراً من ردود الفعل السابقة فصلوا فيها الدين عن الحياة ، فقالوا دع ما لقيصر لقيصر والدين للرب في الأعالى ٠

ووقف بعضهم من الصراع الدائر حول الكنيسة موقف اللامبالاة ، ووقع كثيرون غيرهم فى الحيرة ،ولجأ آخرون إلى القوانين الوضعية وراحوا يحدثون لأنفسهم أنظمة يسيرون عليها ٠ ولم تخلُ الساحة من أناس حكموا عقولهم وأعملوا فكرهم بالبحث ووضعوا المسيحية تحت الفحص والتمحيص وظهرت نتيجة ذلك حركات التحرر والمذاهب الإصلاحية ، وأزيلت الحواجز التي أقيمت بين الشباب وبين الإسلام للتعرف على حقيقة والاطلاع على دقائقه وتفاصيله التي ليس هناك مجال للمقارنة ولا يحتاج الإسلام للحكم عليه ٠

إن الإسلام لا يغفل العقل بل يحث على المحافظة عليه واستخدامه ويدعو إلى العلم ويطالب بفهم الحجة والبرهان ٠

وقد حث أتباعه على النظر في ملكوت السموات والأرض ، ونعى على المشركين عدم استخدامهم عقولهم ، واعتمادهم على الأصنام والأوثان ، وما يروجوه لهم سدنتها من الخرافات والأباطيل ، واستنكر تقليدهم الأعمى للآباء والأجداد ، واتباعهم الهوى والظن ٠

وأمر بالعلم وجعله فرضاً على كل مسلم ، ونفر من الجهل ، وكانت أول آية نزلت من عند الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم آمرة بالقراءة **(اقرأ باسم ربك الذي خلق)** ٠

وقرر الإسلام أنه لا واسطة بين العبد وربه وأن الرسل والأنبياء إنما هم مبلغون ٠ مبشرون ومنذرون ، وينحصر عملهم في الدلالة على الهدى وتوضيح معالم الطريق وكذلك العلماء من بعدهم ، وبذلك قطع الإسلام الطريق على كل من تسول له نفسه الدجل الرخيص والتلاعب بالمثل والقيم والتستر خلف الدين لتحقيق منافع شخصية ومآرب دنيوية رخيصة ٠

واستنكر على أصحاب الديانات قبله ما قاموا به من تشويه كتبهم السماوية وتحريف كلمها عن مواضعه ٠

ولقد وجد منصفون كثيرون غايتهم وضالتهم في الإسلام حين عرفوا أنه الدين الوحيد الذي يتلاقى مع العقل والعلم ويتناسب مع الفطرة البشرية السليمة ولا يُكره الإنسان على طقوس روحية غامضة ومرهقة ، فلم يكلفه مالا يطيق ، ولم يكبت فيه نوازع الغريزة وإنما وجهها الوجهة الصحيحة التي تتلاقى مع الفطرة الصافية وتدفع عن المجتمع أوضار الرذيلة والفساد ،كما راعى في تشريعاته التوفيق بين متطلبات النفس وضروريات الحياة ، وأقام التوازن بين المادة والروح ، في وضوح وعلى البصيرة ·

ثم إنه حارب الفقر والمرض ، وفرض فى أموال الأغنياء حقاً للفقراء والمساكين ·

وأعلن المساواة التامة بين الناس فلا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح ·

وضمن حقوق الإنسان كاملة وسهر على حماية روحه وعرضه وماله ·

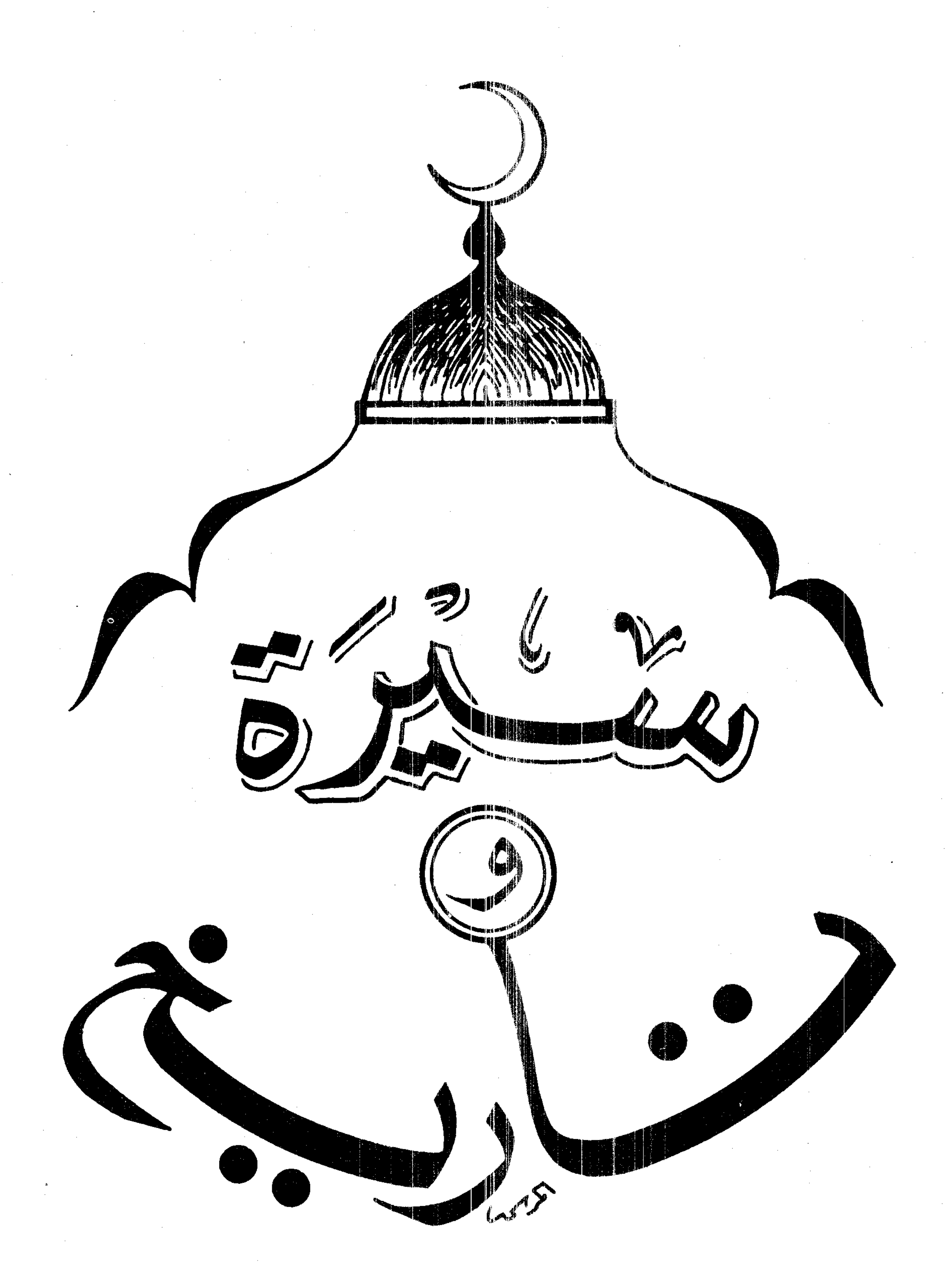
وقرر حرية الفرد كاملة وبما لا يتعارض مع حرية الآخرين ، وأنصف المرأة وأعطاها حقوقها وألزمها واجباتها ، وحماها من سوء تصرف الرجل ، ومنع الظلم ، ودعا إلى تحرير العبيد والقضاء النهائي على كل أشكال الاسترقاق ، فقد حث على العتق ، ورغب فيه ، وجعله من أفضل الطاعات والقربات ، بل لقد فرض العتق كحد وكفارة وعقوبة ·

وفي كنف الإسلام نشأ علماء أفذاذ مهدوا طريق العلم لمن خلفهم ، وكانت أوربا غارقة في ظلمات الجهل فأخذوا من المسلمين علمهم ونهضتهم ·

لقد تأسف مستشرقون منصفون على هزيمة العرب في معركة بواتيه واعتبروا ذلك سبباً في تأخر الحضارة عن أوربا عدة قرون ·

وفي مجال العلوم والمعرفة الحديثة كان الدين الإسلامي رائداً وسباقاً إلى الكثير من المعارف والحقائق العلمية · بحيث جاءت العلوم الحديثة تثبت بنظريات جديدة ما بادر القرآن الكريم إلى إثباته قبل آلاف السنين ·

من كل ما سبق يتبين لنا أن الفرق الواضح بين ما يعرض باسم الدين في أوربا وبين حقيقة الدين الإسلامي ، ليدرك الناس الحقيقة قبل أن يجرفهم تيار الهوى ويميت الشيطان قلوبهم - **(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)** ·


سيرة
و
تاريخ



معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لبني قريظة
والرد على ما يثار حولها من شبهات

للدكتور جمعة علي الخولي
رئيس قسم الدعوة بكلية الدعوة وأصول الدين

بالنسبة لمعاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لبني قريظة ، لا نريد أن نتعجل الحكم ونقول انه عليه الصلاة والسلام عالج الأمر بالعلاج الوحيد الذي لا ينفع غيره ، أو حل عقدته بالسلاح الذي يناسبه .. لا نريد أن نتعجل الحكم بذلك قبل أن نقف على حيثياته وظروفه .. معروف أنه بمجرد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عقد بينه وبين اليهود الموجودين بها معاهدة رائدة بمثابة أقدم دستور مسجل في العالم (١) ، كان من بنود هذه المعاهدة :

أ – التزام كل من المسلمين واليهود بالمعايشة السلمية فيما بينهما وعدم اعتداء أى فريق منهما على الآخر في الداخل (٢) .

ب – تعهد كل من الطرفين بالدفاع المشترك عن المدينة ضد أي اعتداء خارجي وعلى اليهود أن يتفقوا مع المؤمنين ما داموا محاربين (٣) .

وحدث في العام الخامس من الهجرة أن مر المسلمون بظروف قاسية عندما تجمعت أكبر قوة معادية للمسلمين في ذلك الوقت للقضاء عليهم داخل المدينة ، وأحاطت جيوش الأحزاب بالمدينة في عشرة آلاف مقاتل (٤) من مشركي قريش وقبائل غطفان وأشجع وأسد وفزارة وبني سليم على حين لم يزد عدد المسلمين على ثلاثة آلاف مقاتل (٥) ، وكان المتوقع أن ينضم يهود بني قريظة إلى صفوف المسلمين ضد القوات الزاحفة على المدينة بناء على نصوص المعاهدة المبرمة بين الفريقين .. لكن الذي حدث هو عكس هذا ، فقد فوجيء المسلمون ببني قريظة يخونهم في أخطر أوقات محنتهم ولم يرعوا للجوار حقاً ، ولا للعهود حرمة ، ولقد كانوا يسعون من وراء انضمامهم هذا إلى صفوف الأحزاب التعجيل بسحق المسلمين والقضاء عليهم قضاء تاماً .

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة د / محمد حميد الله ط ثالثة سنة ١٣٨٩ .
(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ / ٥٠١ ط ثانية سنة ١٣٧٥ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق جـ ٢ / ٢١٧ ط ثانية .
(٥) السيرة لابن هشام جـ ٢ / ٢٢٠ ط ثانية .

ولقد أحدث نقض بني قريظة لعهدهم مع المسلمين ، وإعلانهم الإنضمام إلى صفوف الغزاة فزعاً شديداً في صفوف المسلمين لأنهم ما كانوا يتوقعون أن يحدث هذا في مثل تلك الظروف ، لدرجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرص أول الأمر على كتمان الخبر على المسلمين لما كان يخشى من وقعه على نفوسهم . وبمجرد أن انتهى إلى سمعه النبأ أرسل وفداً مكوناً من سعد بن معاذ سيد الأوس . وسعد بن عبادة سيد الخزرج ، وعبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير ليذكروا القوم بما بينهم وبين المسلمين من عهود ، ويحذروهم مغبة ما هم مقدمون عليه ، وأوصاهم قائلا « انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ، فإن كان حقاً فألحنوا لى لحناً أعرفه ، أي ألحوا لى في الكلام تلميحاً دون تصريح ، حتى لا يفت ذلك في عضد الناس ، وأما إن كانوا على الوفاء بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .. فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم . وقالوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبينه ، فرجع الوفد وأخبر رسول الله تلميحاً لا تصريحاً ، بأن قالوا له عضل والقارة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الله أكبر ، أبشروا يا معاشر المسلمين (١) .

وهكذا ركب القوم رؤوسهم ، وقرروا الانضمام الفعلي للغزاة ، وأخذوا يمدونهم بالمال والعتاد .. وكانت خيانتهم الاثيمة تلك بمثابة طعنة للمسلمين من الخلف أشق على نفوسهم من هجوم الأحزاب من خارج المدينة ، لأنهم ما كانوا يظنون أن يأتيهم الروع من مأمنهم الحصين ، وعند ذلك عظم البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ، وظهر النفاق من بعض المنافقين يفتون بذلك في عضد المسلمين ويرجفون به في المدينة ، حتى أن أحدهم ليقول كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن أن يذهب إلى الغائط (٢) .

هكذا كان الوضع ابان معركة الأحزاب حتى لتصور السيدة أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ظروف المسلمين وقتئذ بقولها « شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد فيها قتال وخوف ، شهدت المريسيع ، وخيبر ، وكتاب الحديبية ، وفي الفتح ، وحنين ، لم يكن ذلك أتعب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أخوف عندنا من الخندق ، وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة ، وأن قريظة لا نأمنها على الذراري ، فالمدينة تحرس حتى

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ / ٢٢٢ ط ثانية .
(٢) المرجع السابق . نفس الصحيفة .

الصباح تسمع فيها تكبير المسلمين حتى يصبحوا خوفاً (١) . لكن عناية الله تدخلت لنصرة الإيمان وأهله وهزيمة الشرك وحزبه . وشاء الله أن يندحر ذلك التحالف الوثني اليهودي **(ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال)** (الأحزاب الآية ٢٥) .

وبعد أن ولى المشركون وحلفاؤهم الأدبار . يحملون معهم كل معاني الاخفاق . رجع المسلمون إلى منازلهم بالمدينة يغسلون أنفسهم من وعثاء الجهاد والتعب ويلتقطون أنفاسهم بعد قلق نفسي بالغ دام شهراً كاملاً .. ويبدو أن البعض ظن أن الموضوع انتهى إلى ذلك الحد لكن أيترك الناكثون للعهود دون محاسبة وتأديب .. ذلك ما لا يكون .. وتأباه العدالة الإلهية . ولذلك كان عقابها عاجلاً . فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل من وعثاء المرابطة في غزوة الأحزاب في بيت أم سلمة رضى الله عنها إذ تبدى له جبريل عليه السلام فقال : « أوضعت السلاح يا رسول الله . قال نعم . قال : ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها . وهذا أوان رجوعي من طلب القوم . ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم (٢) . فنادى عليه الصلاة والسلام في المسلمين « ألَا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة . فسار الناس فأدرك بعضهم العصر في الطريق . فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها . وقال بعضهم بل نصلي . ولم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحداً منهم (٣) .. وتبعهم عليه الصلاة والسلام بعد أن استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم .وحاصر القوم شهراً أو خمسة وعشرين يوماً (٤) .. ولما طال عليهم الحصار .. عرضوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتركهم ليخرجوا إلى « أذرعات » .. بالشام تاركين وراءهم ما يملكون . ورفض عليه الصلاة والسلام إلا أن يستسلموا دون قيد أو شرط واستسلم يهود بني قريظة . ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوكل عليه الصلاة والسلام الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ أحد رؤساء الأوس (٥) . وفي اختيار سعد دلالة على حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم . وبعد نظره . وإدراكه لنفسيات هؤلاء القوم . لأن سعدا كان حليف بني قريظة في الجاهلية . وقد ارتاح اليهود لهذا الاختيار . وظنوا أن الرجل قد يحسن إليهم في حكمه . لكن سعداً نظر إلى الموقف من جميع جوانبه . وقدره تقدير من عاش أحداثه وظروفه . وشاهد كروبه ومآزقه وعرف النذر المستطيرة التي

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٢١ / ٥٤٨ ط سابعة سنة ١٣٩١ هـ .
(٢) السيرة لابن هشام جـ ٢ / ٢٣٢ ط ثانية .
(٣) صحيح البخاري . باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب .
(٤) تاريخ الرسل والملوك للطبري . جـ ٢ / ٥٨٣ والسيرة لابن هشام جـ ٢ / ٢٣٤ .
(٥) تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ / ٥٨٦ .

تراءت في الأفق فأوشكت أن تطيح بالعصبة المؤمنة لولا عناية الله عز وجل التي أنقذت الموقف .. وسعد هو نفسه الذي شفع لديهم بادئ ذي بدء ليرجعوا عن غدرهم وغيهم ، لكن القوم مضوا في عنادهم لا يقدرون للنتائج عاقبة . ولا يراعون الله في حلف ولا ميثاق ، ولذلك لما كُلّم في شأنهم أكثر من مرة قال رضى الله عنه « لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم » (١) .

وبعد أن أخذ رضى الله عنه المواثيق على الطرفين أن يرضى كل منهما بحكمه (٢) أمر بني قريظة أن ينزلوا من حصونهم وأنْ يضعوا السلاح ففعلوا ، ثم قال « « إني أحكم أن تقتل مقاتليهم وتسبي ذريتهم وأموالهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة (٣) ، أي سموات .. وأمر عليه الصلاة والسلام بتنفيذ الحكم فسيقوا إلى خنادق في المدينة ، فقتل رجالهم وسبى نساؤهم وذراريهم ومن لم ينبت من أولادهم ولاقى بنو قريظة أسوأ مصير على أفظع خيانة .. وهذا مصداق قول الله عز وجل « **وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صَياصِيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً**) (الأحزاب الآية ٢٦ ، ٢٧) .. وهنا يحلو للبعض أن يتقولوا على الإسلام ، وأن يتطاولوا على تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاملته لبني قريظة ويعتبروا أن الإعدام الجماعي الذي تم لهؤلاء الناس يتسم بالوحشة والقسوة ، وأنه كان من الممكن أن يعاقبوا بأي عقاب آخر كالاجلاء أو النفي .. ونقول لهؤلاء :

أولاً : ماذا لو أن نتيجة غزوة الأحزاب تمت حسبما كان يخطط لها بنو قريظة وأحزابهم ، ألم تكن هي الإبادة التامة للمسلمين أجمعين ، على أن اليهود لم يَقْدِمُوا على هذا العمل الخسيس إلا بعد أن تكون لديهم ما يشبه اليقين بأنهم - بمساعدة المشركين - سوف يقومون بتدمير الكيان الإسلامي تدميراً كاملاً ، واستئصال شأفة المسلمين استئصالاً كلياً ، ولهذا لم يترددوا في الغدر بحلفائهم المسلمين وعلى تلك الصورة البشعة (٤) .. ولقد كانوا حريصين الحرص كله على المصير إلى هذه النتيجة ، حتى لقد طلبوا من الأحزاب والمشركين أن يسلموا إليهم سبعين شاباً من أبنائهم رهائن عندهم ليضمنوا أن جيوش الأحزاب لن تنسحب من منطقة المدينة إلا بعد أن تفرغ من المسلمين وتقضي عليهم قضاء تاماً (٥) .. على أن اليهود ترددوا في

---

(١) المرجع السابق ٥٨٧ .
(٢) تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ / ٥٨٧ .
(٣) الطبقات الكبرى جـ ٢ / ٧٥ ط بيروت ١٣٧٦ .
(٤) غزوة بني قريظة - محمد أحمد باشميل - ٢٤٣ .
(٥) السيرة الحلبية جـ ٢ / ٣٤٧ ط التجارية سنة ١٣٨٢ .

الاشتراك مع صفوف المشركين في بداية الأمر وأخذ كعب بن أسد القرظي يقول لحيى بن أخطب الذي جاءه يغريه بالانضمام إليهم أخذ يقول له « إنك أمرؤ مشئوم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه (١) لكنهم لما تلقوا تأكيدات تفيد أن وضع المسلمين يائس ، وأنهم لن يصمدوا طويلاً أمام تلك الاعداد الضخمة سارعوا بالانضمام إليهم ، فاليهود ـ لا قدر الله ـ **لو** أمكنهم القدر من رقاب المسلمين ما ترددوا لحظة في القتل والإبادة تمشياً مع مزاجهم الدموي الذي لا يرى بأساً في قتال الآخرين واستحلال دمه (**ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأمّيين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**) (آل عمران الآية ٧٥) .

وفي سفر التثنية « حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً ، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً (٢) أي تستأصلها استئصالاً .

ولذلك يعلق مولانا محمد على ، على هذا النص في كتابه « حياة محمد ورسالته » بقوله « وهكذا حكم سعد وفقاً للشريعة الموسوية بقتل ذكور بني قريظة وبسبي نسائهم وأطفالهم وبمصادرة ممتلكاتهم .. ومهما بدت هذه العقوبة قاسية ، فقد كانت على درجة الضبط للعقوبة التي كان اليهود ينزلونها – تبعاً لتشريع كتابهم – بالمغلوبين من أعدائهم ، فأي اعتراض على قسوة هذه العقوبة هو في الواقع انتقاد لا شعوري للشريعة الموسوية ، وتسليم بأن شريعة أكثر إنسانية يجب أن تحل محلها ، وأيما مقارنة بالشريعة الإسلامية في هذا الصدد خليق بها أن تكشف – في وضوح بالغ – أي قانون رفيق عطوف رحيم قدمه الإسلام إلى الناس » (٣) .

ثانياً : أن اليهود لم يلقوا من المسلمين طيلة الأعوام التي تلت المعاهدة إلا كل بر ووفاء ، كما شهدوا أنفسهم بذلك ، فعندما ذهب جبى بن أخطب إلى كعب بن أسد القرظي

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس جـ ٢ / ٥٩ .

(٢) سفر التثنية – الإصحاح العشرون ١٠ : ١٨ .

(٣) حياة محمد ورسالته ص ١٧٥ نقلاً عن غزوة بني قريظة / محمد أحمد باشميل ص ١٧٩ .

يغريه بنقض العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً (١) .. لكنه لم يزل به حتى أقنعه بالخيانة ونقض العهد .

ثالثاً : هذا الحكم وإن كان صادراً من سعد بن معاذ ، إلا أنه بمثابة الحكم الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم إذ هو أقره ، وتقرير الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله وفعله مما هو معروف عند أهل الحديث .. ورسول الله لا ينطق عن الهوى ، فكأن ذلك هو حكم الله والرسول في هؤلاء الخونة الغادرين ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لسعد ، لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (٢) ، وفي رواية الطبري : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله (٣) .. ثم أليس جبريل عليه السلام هو الذي وقف على النبي عليه الصلاة والسلام وهو يغسل رأسه ابان مرجعه من غزوة الأحزاب ويأمره بالمسير إلى بني قريظة ويقول له إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم فمزلزل أركانهم ، وفي رواية قم فشد عليك سلاحك فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا (٤) .. فعلام يدل هذا إلا أن يكون الهلاك التام والعقاب الصارم من رب العالمين لكل مجرم خائن .

رابعاً : أن قانون أي دولة الآن يحكم بالإعدام على من يخون وطنه ويقيم اتصالات مع العدو أو يتجسس لحسابه ، ويقول أحد الكتاب المعاصرين ، لو درس الذين يطعنون في حكم سعد على بني قريظة القوانين المعاصرة دراسة نافذة وطبقوها على قضية بني قريظة لرأوا أن قوانين القرن العشرين لا تختلف في شيء عما أصدره سعد بن معاذ ، لقد كان بين الرسول وبين يهود بني قريظة معاهدة تحفظ حقوق الفريقين وتقضي على كل فريق أن ينصر الآخر إذا واجهه خطر في حرب ، ولكن اليهود تآمروا فانضموا إلى أعدائه وأوقعوه بين شقى الرحى في المدينة مصطليا بنار أعدائه المشركين من جهة واعتداء حلفائه اليهود في ساعة العسرة من جهة ثانية .. فاقترفوا بذلك الغدر ثلاث جرائم .

١ – رفع السلاح ضد سلطان المدينة مع الأجنبي المعتدي .

٢ – دس الدسائس لدى العدو ضد المسلمين .

٣ – تسهيل دخول العدو للبلاد .

وقوانين العقوبات العصرية تجعل الإعدام عقوبة كل جريمة من الجرائم الثلاث (٥) .

---

(١) البداية والنهاية ٤ / ١٠٣ ط ١٩٦٦ .

(٢) السيرة لابن هشام جـ ٢ / ٢٤٠ ط ثانية .

(٣) تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ / ٥٨٧ .

(٤) عيون الأثر لابن سيد الناس جـ ٢ / ٦٨ ط دار المعرفة بلبنان .

(٥) غزوة بني قريظة – محمد أحمد باشميل نقلاً عن مقال للدكتور محمد رجب البيومي بمجلة الحج العدد ١٢ السنة ١٨ .

خامساً : قد يقال : كان من الممكن أن يعامل النبي صلى الله عليه وسلم يهود بني قريظة كما يعامل القائد المنتصر رجال جيش عدوه الذي انهزم أمامه واستسلم ، أو يعاملهم كما عامل يهود بني النضير وبني قينقاع .. والجواب على ذلك أن بني قريظة لم يكونوا أسرى حرب حتى يميل بهم إلى الشفقة ، ولم يكونوا في حالة حرب مع المسلمين ، وإنما كانوا جيراناً متحالفين يشكلون مع المسلمين وحدة وطنية ملزمة بالدفاع المشترك عن المدينة ضد أي عدوان ، لكنهم ظهروا أخطر من الأعداء ، وشراً منهم ، إذ يبيتون لأناس يأمنونهم ويخصونهم بحقوق الجار ، وواجبات الذمام ، فكانوا بمثابة الخائن المتآمر المتواطئ مع العدو على أمته ووطنه في حالة الحرب القائمة وهذه خيانة عظمى ليس لها في جميع الشرائع إلا الإعدام السريع .. وموقفهم هنا يختلف اختلافاً واضحاً عن موقف بني قينقاع وبني النضير . فالأولون قد أبدوا البغضاء من أفواههم وأشاعوا الرعب والشكوك ورأوا في الدعاية المغرضة سلاحاً لا يفل .. وبنوا النضير ائتمروا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحالفوا مع بعض المنافقين على المناجزة دون أن تتيح لهم الفرصة طريقاً يصلون منه إلى التنفيذ ، وهؤلاء وأولئك أهون خطباً من الذين سلوا السيوف ووقفوا في صفوف العدو وأوقعوا الهلع في قلوب يحيط بها الروع من كل ناحية ، فتعادل الكفتين بينهما طيش لا يقره انصاف ، وقد جلا بنو قينقاع وبنو النضير عن المدينة ، فكانوا مثار القلق والفتنة ومبعث الضيق للمسلمين فهم الذين حزبوا الأحزاب وجمعوا القبائل مع المشركين ليوم الخندق فأعطوا بمؤامراتهم المزعجة محمداً درساً حاسماً يحتم استئصال شأفتهم ، وتتبع أفاعيهم في كل مكمن ، ليطفئ لهيباً يستعر إذا هبت عليه الريح (١) .

فعلى الذين يستبشعون الحكم على بني قريظة ، ويصفونه بأنه كان قاسياً شديداً ، عليهم أن يحيطوا علماً بجوانب الموضوع وظروف القضية ليدركوا أن اليهود هم الذين جروا الوبال على أنفسهم « وعلى نفسها جنت براقش » والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

---

(١) المرجع السابق - ٢٧٤ .

المستشرقون ... والسيرة النبوية

للدكتور عوض عبد الهادي العطا
أستاذ مساعد بكلية الحديث

أهتم المسلمون في الفترة المعاصرة بأمر الاستشراق . وأخذوا يدرسون ويقرأون ما كتبه المستشرقون حتى يقفوا على حقائق الموضوعات التي درسوها وخاصة ما يتعلق بالسيرة النبوية العطرة .

وقد اتسع نطاق الاستشراق وتشعبت موضوعاته حتى شملت جميع موضوعات الدراسات الإسلامية ، فتعرضوا لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم في بيته ومع أهله وفي ميدان الدعوة والجهاد ، وبالرغم من أن وقائع السيرة النبوية قد لا تحتاج إلى كثير من الشروح والتفاسير والتعليقات فهي قد تحتاج إلى قدر معقول من تنسيق المادة الأولية وترتيبها . إلا أن هؤلاء المستشرقين استعرضوا تلك الأخبار وعارضوها بآرائهم وأفكارهم ليصلوا إلى نتائج وأحكام متأثرة بعواطفهم وخلفياتهم الدينية . وسبب ذلك أنهم اتبعوا منهجاً خاصاً وضعوه بأنفسهم إذ أنهم يبيتون فكرة مسبقة ثم يأخذون وقائع الأحداث ليأخذوا منها ما يؤيد فكرتهم ويستبعدوا ما دون ذلك فيتمسكون بالخبر الذي يؤيد رأيهم أو الذي يمكنهم تأويله حسب اغراضهم مهما كان ضعفه (١) .

وخطورة الأمر تنجم من كثرة حجم التأليف عند هؤلاء حتى غزوا بهذا الحجم الكبير أفكار الناس في الشرق والغرب . ففي القرن التاسع عشر والقرن العشرين كما يذكر (جب وباون) (٢) اللذين تفرغا فترة لمراجعة المخطوطات التركية والعربية ، إنه بالرغم من ضخامة التأليف في موضوعات هذه المناطق إلا أن بعضها عديم القيمة بسبب ما بها من قصور واضح ، كنقص الخبرة الوثيقة بالموضوع أو جهل بلغة البلاد أو اعتماد بعض الكتاب (ويقصد كتاب الغرب) على السماع المشكوك في صحته أو عدم الدراية بالأساس التاريخي (٣) .

---

(١) عماد الدين خليل ، **دراسة في السيرة** ، ص ١٣ (١٣٩٨ هـ) .

(٢) Gibb, H . and Bowen, H ., Islamic Society and the west , oxford 1937 .

انظر ترجمة هذا الكتاب لأحمد عبد الرحيم مصطفى (القاهرة) .

(٣) جب وباون ، **المصدر السابق** ، (مترجم) ص ٧ ، ٨ .

ويتضح من هذا أن مدخل هؤلاء الكتاب لدراسة الإسلام وعلومه المختلفة أمر تنقصه مقومات أساسية فى تحرى الحق والتزام جانبه · وتظهر هذه المسائل بالذات في كتب الرحالة والتى كثيراً ما تمتلىء بالخيال أو استبعاد المصادر الأساسية والاعتماد على مصادر غير دقيقة أو ذات أسلوب قصصى ·

والواقع فإن المجتمع الغربى قد اكتشف أهمية الفكر الإسلامى منذ العصور الوسطى ، ونقل ذلك التراث نقلاً لا يظهر فيه التصرف إلا فى تجاهل ذكر المؤلفين الحقيقيين ، وعن طريق ذلك خطت أوربا خطواتها التاريخية فى مجال النهضة المعروفة بالنهضة الأوربية renaissance . وبذلك الفكر وعلى هديه أخذت أوربا منهج التطور العلمى وبنت لنفسها الشخصية العلمية الرائدة · وأرادت بعد ذلك أن تطمس معالم الخلفية التاريخية لكل هذا التطور العلمى حتى وصمت بلاد المسلمين بالتخلف والركود والجمود الاقتصادى والعلمى وغيره سواء فى صدر الإسلام أو بعد ذلك ، علماً بأن هذا الشمول فى المجالات الإسلامية أمر تحسه فى الدراسات الموسعة لهؤلاء ·

ثم لجأت أوربا مرة أخرى فى العصور الحديثة تدرس الفكر الإسلامى وعلومه المختلفة عندما أصبح لها أطماع وأغراض سياسية واقتصادية ، وأرادت بذلك حصار الإسلام واقتسام البلاد الإسلامية كجزء من مناطق النفوذ الأوربى الاستعمارى ، فلجأت إلى دراسة اللغة العربية والتاريخ الإسلامى وغير ذلك فزاد هذا من انتاج المستشرقين فى هذا المجال ·

وكان أسلوبهم فى غزو الإسلام والمسلمين أسلوباً ناعماً متنوعاً ، جاء فى شكل معاهد علمية وشركات أجنبية وبضائع وملابس وأثاثات منزلية وكان للغزو الفكرى أثر كبير على أبناء المسلمين ، وقد وجدت الارساليات التبشيرية مساحة واسعة للتحرك فى بلاد المسلمين ، كما وجد دعاتها الفرصة السانحة للدراسة والتأليف فى موضوعات إسلامية مثل (ترمنجهام) trihingham الذى ألف عدة كتب عن الإسلام وأثره فى عدة مناطق من العالم الإسلامى ·

وقد اتخذت الدول المسيحية من التربية وسيلة مباشرة حيث منحت بعض أبناء المسلمين فرصاً واسعة للدراسة والتعليم فى معاهدها وكلياتها لينهلوا من آدابها وفنونها وعلومها الاجتماعية والتطبيقية ، ويعودوا إلى بلادهم وقد تشبعوا بافكار الغرب وحضارته ·

وليس من السهل فصل ما تقوم به هذه الدول عن المجهودات التى يقوم بها المستشرقون فى كتاباتهم ، فقد كانت تلك الوسائل وغيرها من أساليب النشاط التبشيرى مجالاً لنشر حضارة الغرب وفكره وأسلوبه فى الحياة ، كما أصبحت الدراسات المختلفة ومن بينها علوم تتعلق بالدراسات الإسلامية تصل لأبناء المسلمين عن طريق قنوات الغرب المسيحى

التعليمية ، وهو أسلوب مكن المستشرقين من فرض أفكارهم وتخريجاتهم وتحليلاتهم لكثير من الأحداث فى تاريخ الإسلام والمسلمين ولحركة الجهاد الإسلامى بما فى ذلك عصر النبوة .

وقد لاحظ (جب وباون) أن التعليم كان له دور كبير فى اضعاف الأثر الدينى لدى الدارسين وذلك لتأثر التعليم فى بلاد المسلمين بالطابع العصرى الغربى المسيحي فقد أخذ المظهر الدينى الخالص للتعليم فى الانزواء رويداً رويداً وذلك بفعل ازدياد الطرائق التعليمية الغربية كنتيجة لارسال البعثات التعليمية إلى أوربا وازدياد عدد المدارس الأوربية ومن نتائج ذلك تمكن اللغات الأوربية فى التعليم وأثرها على لغة الكلام ولغة الأدب وغير ذلك من الآثار (١) .

ومن الواضح أن العالم الإسلامى فى هذه الاثناء يعانى من أثر الانهيار أمام التيار الثقافى الغربى والذى تأثر به كثير من المثقفين والمتعلمين من أبناء المسلمين وانساق الكثير منهم خلفه باعتباره المنهج العلمى الذى تقوم عليه الحضارة الحديثة ، ولعلهم تناسوا الجذور الإسلامية التى قام عليها ذلك الفكر حتى انتبهوا أخيراً لذلك .

وقد اتفق كثير ممن ألف فى السيرة النبوية العطرة فى الفترة الحديثة والمعاصرة على أن المستشرقين أو الغربيين قد استغلوا بعض الأخبار كمادة للطعن فى الإسلام وفى نبى الإسلام عليه أفضل الصلاة واتم التسليم ، فضلاً عما ذكروه من مثالب أو مطاعن نسبوها زوراً إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بقصد الاساءة مدفوعين بتعصبهم الأعمى ضد الإسلام والمسلمين (٢) .

وبالرغم من هذه المواقف فإن بعض المستشرقين انتقدوا بعضهم بعضاً فى تفنيد منهجهم الذى مارسوه فى دراسة التاريخ الإسلامى وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة ، فقد ذكر أنه من المتعذر إن لم يكن من المستحيل أن يتجرد المستشرقون عن عواطفهم وبيئتهم ونزعاتهم المختلفة ، وهم يمارسون الكتابة عن الإسلام أو عن بلاد الإسلام أو عن المسلمين . ورغم ما يزعمونه من اتباعهم لأساليب النقد البريئة ولقوانين البحث العلمى الجاد فإنا نلمس من خلال كتاباتهم من يتحدث وهو متأثر ببيئته التى نشأ فيها أو خلفياته العلمية التى درسها ولذلك تأثر منهجهم بحسب منطقهم الغربى وخيالهم العصرى .

وأبرز مثال لذلك ما ذكره بعض الدارسين لمنهج المستشرقين مما هو ملاحظ فى تفكيرهم المادى للأشياء والمسائل المختلفة . فالمفكر منهم مثلا تجده يصلى فى الكنيسة ويقرأ فى كتابه المقدس ولكنه إذا دخل المعمل نظر للمسألة نظرة مجردة عن الاطار الدينى .

---

(١) جب وباون ، **المصدر السابق** ، (سترجم) ص ٢١ .

(٢) محمد عبد العزيز خير الدين ، **محمد خاتم الرسل** ، (صلى الله عليه وسلم) جـ ١ ص ٥ القاهرة (١٣٨٨ هـ) .

والواقع فإن منهجهم يقوم على افتراضات يفترضونها ، وقد لا ينطبق ذلك على حقيقة الوقائع والأحداث ، وبالتالى تكون نتائجهم خاطئة لأنهم يريدون الوصول إلى هذه النتائج عن طريق استنتاجاتهم واخضاعهم الحقائق الثابتة والمعروفة والتى تضمنتها مؤلفات إسلامية عريقة إلى منهجهم العلمى ، ولذلك فهم عندما يلجأون إلى تأييد رأى من الآراء يهدمون بعض الأخبار أو يحللونها ليصلوا إلى نتيجة يقصدونها ومن الأمثلة لهذا المنهج نشير إلى ما كتبه (مونتجمرى وات) W. Montgomery Watt عن السيرة النبوية العطرة ، فقد ألف كتابين هما (محمد فى مكة) و (محمد فى المدينة) (١) صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

وناقش فى كتابه الأول الفترة المكية وتعرض لموضوعات كثيرة يضيق المجال لعرضها هنا ، ولكن من ضمن الموضوعات التى ذكرها هجرة المسلمين إلى الحبشة ، وهو موضوع احتوته وحفظته وشرحته كتب السيرة النبوية المتداولة لدى المسلمين جميعاً مثل سيرة ابن هشام والروض الانف للسهيلى وابن كثير وغيرهم ممن تناول السيرة النبوية من المؤرخين والكتاب ٠

وقد ذكر السهيلى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عز وجل ومن عمه أبى طالب وإنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم) (٢) ٠

ومن ثم فقد أصبحت هجرة المسلمين إلى الحبشة فى هذا الظرف حدثاً تاريخياً هاماً فى مراحل الدعوة الإسلامية ، إذ أن اختيار الحبشة كان خطوة موفقة من خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم الواعية لأن ذلك ينطوى على معرفة تامة بحقيقة الوضع فى الجزيرة العربية واطرافها المجاورة وظروف الدول المحيطة بها من الفرس والروم ، فقد كانت القبائل العربية فى الجزيرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقريش تجارياً ودينياً وكان لبعضها أحلاف ومعاهدات ، والمعروف أن لقريش رحلة تجارية إلى الشام ورحلة تجارية إلى اليمن ، وكانت كل رحلة عبارة عن مدينة تجارية متحركة فقد بلغت كل رحلة ألف بعير أو تزيد تحمل سلعاً وبضائع متنوعة بعضها محلى من انتاج أهل الجزيرة وبعضها مستورد من الشام واليمن

---

(١) W. Montgomery, watt , Muhammed At MECCA , Oxford , 1953 .
W. Montgomery . watt , Muhammed At MEDINA , Oxford, 1956 .

(٢) عبد الرحمن السهيلى ، الروض الانف ، جـ ٣ ص ٢٠٣ تحقيق عبد الرحمن الوكيل ٠

والهند بل من أوربا وبلاد الصين وكلها تصب فى مكة وتصنف من بعد إلى الجهات التى تكون سوقا لها تبعاً للخبرة التجارية وفن التسويق ونوع الرحلة ، ولقريش أسواق مشهورة بعد مكة (١) . ومن ثم جاءت الهجرة إلى الحبشة رغم ما فيها من مشقة ، ولكنها بلا شك رمز صادق للعزم والاصرار على المبدأ . ولذلك لا يمكن قبول استنتاجات (وات) WATT حول أسباب هذه الهجرة فهو يذكر أن من ضمن دوافعها الأساسية اغراض اقتصادية - وإلا فى نظره لماذا اقام هؤلاء المهاجرون فى الحبشة حتى عندما انتفت الأسباب التى ذكرتها كتب السيرة فى مكة بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة (٢) وهو يتناسى هنا عودة بعض المهاجرين إلى مكة عندما بلغهم أن قريشاً قد أسلمت .

ثم يذكر أن هؤلاء المهاجرين قد تولاهم يأس قاتم حملهم على التخلى عن كل أمل فى الاصلاح الدينى فى مكة ، ولكن (وات) يذهب إلى أن هذا حتى لو كان موقف المهاجرين فإنه ليس موقف محمد صلى الله عليه وسلم (٣) وكان يشير إلى أن هذه الهجرة إنما هى هروب من ميدان الجهاد والاختفاء بعيداً عنه .

وهو قول ينطوي على دس واضح لأنك عندما تستعرض أسماء الذين هاجروا تجدهم الرواد الأوائل للدعوة الإسلامية وهم الذين حملوا لواءها فيما بعد وماتوا مجاهدين فى سبيلها . بل يذهب هذا الكاتب إلى أكثر من ذلك فيقول : « إن هذه الهجرة عبارة عن جزء من مخطط بارع لمحمد على أمل أن يحصل على مساعدات حربية من الاحباش كما سبق أن سعى جده من قبل للحصول على مساعدات حربية من أبرهة (٤) .

والمعروف أن أبرهة جاء إلى مكة غازياً ينوى هدم الكعبة فلا يمكن بأى حال أن يطلب عبد المطلب خادم البيت الحرام أى مساعدات من عدوه ليدافعه بها . وقد حفظ لنا ابن هشام هذه القصة كاملة فقال رحمه الله تعالى « وكان عبد المطلب اوسم الناس وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل ابرهة عن سريره فجلس على بساطه واجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه قل له : ما حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال : حاجتى أن يرد علىّ الملك مئتى بعير اصابها لى ، فلما قال له ذلك ، قال ابرهة لترجمانه قل له : قد كنت اعجبتنى

---

(١) أحمد عبد الرحمن عيسى ، « فى دلالات سورة قريش » **مجلة كلية العلوم الاجتماعية** ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ص ١١١ - ١١٥ ، العدد الأول ١٣٩٧ هـ .

(٢) يذكر المستشرق محمداً مجرداً ، وقد أوردت أمام اسم الرسول الصلاة عليه .

(٣) Watt , M . op. cit , P. 114 .

(٤) Ibid , E .

حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى ، اتكلمنى فى مئتى بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ، لا تكلمنى فيه ! فقال له عبد المطلب : إنى أنا رب الابل ، وإن للبيت رباً سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك » (١) ·

فأين موضوع الأسلحة هنا وأين الحجة التى تجعل عبد المطلب يطلب مساعدات حربية من ابرهة · وإذا كان المستشرق قد افترض افتراضات على ضوء أحداث معينة فإن الافتراض لم يكن صحيحاً وبالتالى فقد جاءت نتيجته أيضاً غير صحيحة ، ثم يأتى بافتراض آخر ليثير جدلاً لا يستوى ومكانة الصحابة رضوان الله عليهم بأى حال من الأحوال ، ولكنه لا يتورع عن ذلك ليصل الى القول بانه قد حدث انقسام قوى فى الرأى بين الجماعة الإسلامية الناشئة (٢) · فى حين تتفق جميع المصادر الإسلامية بأن هذه الجماعة الإسلامية فى طور الدعوة السرية فى مكة المكرمة وبعد أن صدع الرسول صلى الله عليه وسلم بما أمره الله ، قد كونوا جماعة إسلامية متجانسة منسجمة فيما بينها تؤمن بالله وبرسوله وتتسلح بقيم اخلاقية وسلوكية ربطت بينها رابطة الأخوة الصادقة ، فقضت على كل نعرة للعصبية أو الخلافات الشخصية أو العرقية ، وأصبحت العقيدة الإسلامية هى الرابطة بين هذه الجماعة ، فلم يكن هناك مجال للخلاف أو الانشقاق ، ولو كان من دوافع الهجرة إلى الحبشة أى خلاف مثل هذا الذى دسه المستشرق لما اقلقت تلك الهجرة قريشا ولما جعلها تهتم هذا الاهتمام الشديد بأمر الذين هاجروا وتسعى فى طلبهم من النجاشي وبالتخلى عن حمايتهم وعودتهم إلى مكة مرة أخرى · ولكن أسماء المهاجرين تشير إلى اتساع دائرة الإسلام وكسبه لعناصر من شتى بطون قريش فقد هاجروا من بنى هاشم وبنى أمية وبنى أسد وبنى عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار وبنى قصى وبنى زهرة وبنى هذيل وبنى تميم وبنى مخزوم وغيرهم (٣) · فأصبح هناك تنوع كبير فى أصول الذين اعتنقوا الإسلام وبالتالى أصبحت للدعوة الإسلامية صفة الشمول فى مكة رغم قلة اعضائها ولم يعد هناك مجال للخلاف بسبب العصبية والقبلية أو النسب أو الجاه أو المال ·

وإذا كان الكاتب المستشرق قد تعرض لكل هذه الموضوعات بهذا المنهج فإن هذا يعكس تماماً مقومات الدراسة والقواعد التى ارتكز إليها وهى قواعد مسيحية وعلمانية وبالتالى لا يمكن بأى حال أن يكون موافقاً لمقومات الإسلام والبيئة الإسلامية ·

---

(١) ابن هشام ، **السيرة النبوية** ، تحقيق مصطفى السقا واخرين جـ ١ ص ٥٠ ·

(٢) WATT, M. op.cit , p. 115 .

(٣) السهيلى ، **المصدر السابق** ، جـ ١ ص ٢٠٥ ـ ٢١٣ ·

وعموماً فإن الاحاطة بكل المسائل التى أثارها الكاتب فى كتابيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من المستشرقين فى موضوع واحد أو كتاب واحد أمر يصعب اثباته ولكن توسيع نطاق البحث فى مثل هذه الموضوعات قد يعطى الفرصة للرد على مثل هؤلاء وبالله التوفيق ٠

أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا
كيف كان عقبة الذين من قبلهم
ولدار الآخرة خير للذين اتقوا
أفلا تعقلون

يوسف - ١٠٩ -

من نماذج الدّعاة الصّالحين

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

الشيخ أبو بكر الجزائري
رئيس قسم التفسير بالجامعة

حقاً إذا ذكر الدعاة الصالحون في أمة الإسلام أن يذكر على رأسهم أحمد بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، وإمام الهدى، محي السنة وقامع البدعة، وناشر راية الاصلاح في العالم الإسلامي.

وحقـــاً أن في حياة هذا الداعى الكبير لأسوة حسنة، لمن يرغب في الإتساء بالصالحين وتمثل جوانب الكمال في حياتهم. ولما كانت حياة شيخ الإسلام كلها مجالاً للقدوة والإتساء فإنا نكتفى بذكر أبرز الجوانب فيها: تعلمه وزهده، وحلمه، وشجاعته، وصبره، وكمال عبوديته، وحسن دعوته. وقبل عرض هذه الجوانب الكمالية في الحياة الأحمدية. نعرف به رحمه الله تعالى فنقول:

من هو أحمد بن تيمية ؟

فنجيب بأنه: الإمام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن الإمام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله بن تيمية (١) الحرانى. ولد يوم الاثنين العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ. وهاجر به والده إلى دمشق عندما أغار التتار على بلاد الإسلام سنة ٦٦٧ وتوفى بقلعة دمشق ليلة الاثنين لعشرين خلت من القعدة الحرام سنة ٧٢٨ هـ.

---

(١) تيمية هذه هى أم الجد الأعلى لشيخ الإسلام نسب إليها ولدهما لكونها كانت عالمة واعظة. فنسب إليها ولدها وعرف بها.

علمـــــه رحمـــه الله :

نبدأ في الحديث عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى من منطلق كماله ألا وهو العلم وطلبه وحصوله عليه وتفوقه فيه ، فنقول لقد طلب أحمد بن تيمية العلم صغيراً ولازم الدرس والتحصيل كبيراً حتى فاز بأنواع العلوم والمعارف ما أصبح به إماماً للعلماء ، وشيخاً للإسلام والمسلمين في سائر أنحاء العالم الإسلامي ·

وها هي ذى شهادات فحول علماء عصره ومصره له بذلك فلنستمع إليها :

قال ابن النجار ـ كما ذكر ذلك بهجة البيطار ـ : قدم بابن تيمية والده إلى دمشق ، فأخذ الفقه والأصول على والده · وسمع من خلق كثيرين منهم الشيخ شمس الدين ، والشيخ زين الدين بن المنجا والمجد بن عساكر · وقرأ العربية على ابن عبد القوى ، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه وعنى بالحديث ، وسمع الكتب الستة ، والمسند مرات وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه ، وأحكم أصول الفقه ، والفرائض والحساب والجبر والمقابلة ، وغير ذلك من العلوم ، ونظر في الكلام والفلسفة ، وبرز في ذلك على أهله ، ورد على رؤسائهم وكبارهم ، وتأهل للفتوى والتدريس ، ولم يبلغ العشرين سنة ، وتضلع في علم الحديث وحفظه ، حتى قال من قال : إن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث · وأمده الله تعالى بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم ، وبطء النسيان ، حتى قال غير واحد : إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه ، وألف في أغلب العلوم التآليف العديدة · حتى قال الحافظ الذهبي : وما أبعد أن تصانيفه تبلغ خمسمائة مجلد ·

وقال الحافظ المـزى : ما رأيت مثله (أى ابن تيمية) ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه ·

وقال ابن دقيق العيد : لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه ، يأخذ ما يريد ويدع ما يريد ، وقلت له : ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك ! ! !

وقال الشيخ إبراهيم الرقى : إن تقى الدين يؤخذ عنه ويقلد فإن طال عمره ملأ الأرض علماً وهو على الحق ، ولا بد أن يعاديه الناس لأنه وارث علم النبوة ·

وقال : قاضى القضاة ابن الحريرى : إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو ؟

وقال الحافظ الزملكانى : قد أعطى ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف ، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين ، وقد ألاَنَ الله تعالى له العلوم كما ألاَنَ لداود الحديد ، كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحداً

لا يعرفه مثله . وقال :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربت عن الفجر

هذه بعض شهادات العلماء لابن تيمية وغيرها كثير . وهى شهادات حق وصدق ليس فيها مجازفة ولا مواربة أبداً . فإن الرجل أجل مما وصف به ، وأعظم قدراً مما قيل فيه .

زهده رحمه الله :

إن الزهد وهو الرغبة عن المال والجاه وسائر أعراض الدنيا لتفاهتها وحقارتها وقلة قطرها . صفة كمال في الرجال وشيخ الإسلام ابن تيمية كان أكمل أهل عصره في هذا الوصف وصف الزهد ، لأنه كان أعرف الناس بفضل الزهد ، وشرف أهله ولولا زهده لما نال ما نال من العلم والتقى والبصيرة في دين الله والهدى . وحسبنا تدليلاً على زهده أن نذكر الروايتين التاليتين :

الأولى : قال ابن فضل الله العمرى كان يجيىء ابن تيمية من المال في كل سنة مالا يكاد يحصى ، فينفقه جميعه آلافاً ومآت ، لا يلمس منه درهماً بيده ، ولا ينفق آخر في حاجته ، وكان إذا لم يجد ما ينفقه على من يسأله يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه اليه . قال وهذا مشهور عند الناس من حاله .

والثانية : قال أحدهم : كنت يوماً جالساً بحضرة شيخ الإسلام ابن تيمية فجاءه إنسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجاً إلى ما يقيم به ، فنزع الشيخ عمامته ومن غير أن يسأله الرجل وقسمها نصفين فاعتم بنصفها ، وأعطى الرجل المحتاج نصفها الآخر فاعتم به .

حلمه رحمه الله تعالى :

إن الحلم خلق فاضل ، وكمال نفسى قل من يظفر به ، والعلماء كثيرون ولكن أهل الحلم فيهم قليل .

إذ الحلم : ضبط النفس عند الغضب ، أو هو عدم الغضب . والغضب فطرى ، ولكن الحلم كسبى ومن لا يغضب لا يحلم . وأكثر مظاهر الحلم عند اشتداد سورة الغضب وحب الانتقام ممن اعتدى وظلم . فمن أوذى وقدر على أذية من آذاه ولم يفعل فقد حلم وعفا وغفر وفي القرآن الكريم (**ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**) .

ومن هنا كان عظماء الرجال وخاصة دعاة الحق والخير من أعلم الناس وأكثرهم صفحاً وعفواً ولقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية المثل في باب الحلم، فإنه على كثرة من آذاه وعاداه لم يثبت أنه انتقم يوماً من أحد منهم حتى ولو مكن منهم ... وهذا غاية الحلم ونهايته أنه لما نقل ابن تيمية إلى الديار المصرية وسجن بالجب بقلعة الجبل سنة ونصفاً، ولما أفرج عنه واجتمع بالسلطان في حفل كبير ضم القضاة والأمراء وأعيان البلاد، وأكرم الشيخ إكراماً عظيماً، وشاوره السلطان في قتل بعض أعدائه وخصومه فامتنع الشيخ من ذلك، ولم يقبل أن يقتل أحد بسببه، وجعل كل من آذاه في حل من أمره . وهكذا تتجلى في أحمد صفة الحلم التى هى عنصر من أقوى عناصر الكمال في الدعاة الصالحين، وبذا كان ابن تيمية نموذجاً صالحاً في حياة الدعوة ودنيا الدعاة .

شـــجاعته وصـــــبره :

إن شجاعة أحمد بن تيمية بنوعيها العقلية والقلبية كانت نادرة في الرجال وقد أصبح بها والحق يقال أسوة صالحة للمؤمنين، وليس أدل على شجاعته القلبية والعقلية معاً من تلك الوقفة الجبارة التى وقفها في وجه جيوش التتار، وما أقام به من حشد القوات وجمع الطاقات لقتالهم، وهو العالم الزاهد الرباني فقد جعل الله تبارك وتعالى طرد تلك القوة الفاتكة العاتية التى دمرت وخربت وعاثت في ديار الإسلام فساداً، على يديه وبسبب ما قام به . وقد كانت له مواقف مع بعض ملوك التتار نادرة فى الشجاعة والتضحية والفداء .

فقد روى أن ملك الكرج أراد أن يفتك بأهالى دمشق فيسبى نساءهم وذراريهم ويغنم أموالهم فبذل مالاً كثيراً للسلطان غازان المغولى الذى كان قد أسلم أول من أسلم من ملوك المغول، بذل له أموالاً طائلة ليخلى بينه وبين سكان دمشق . وبلغ الخبر شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية فقام من فوره، وانتدب رجالاً من وجوه البلاد وكبرائهم، من ذوى النهى والعقول الراجحة . ولما وصلوا إلى السلطان المغولى أخذ الشيخ يحدثه بقول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فى العدل وغيره، ويرفع صوته على السلطان ويقرب منه فى أثناء حديثه حتى كاد يلصق ركبته بركبتى السلطان، والسلطان مع ذلك مقبل عليه، مصغ لما يقول، شاخص ببصره إليه لا يعرض عنه، وذلك مما أوقع الله تعالى في نفسه من المحبة والهيبة للشيخ حتى سأل قائلاً من هذا الشيخ ؟ فانى لم أر مثله، ولم أر من هو أوقع منه حديثاً في نفسى ولا رأيتنى أعظم انقياداً لأحد منه ! وقال الشيخ للترجمان قل للسلطان أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا، وأبوك وجدك كانا كافرين وعملا الذى عملت، عاهد قومنا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت وَجُرْت . فبذل الشيخ نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه الله ذلك، فكان سبباً، وكان رحمه الله تعالى يقول : لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه .

ومن مظاهر شجاعته أيضاً أن أحداً من المسلمين شكا إليه ما فعل به أحد السلاطين وكان هذا السلطان ذا جبروت ، ظلم واعتدى وأخذ أموال الناس ، فذهب إليه الشيخ ولما دخل عليه قال له السلطان في تهكم وازدراء : إنى كنت أريد أن آتى إليك ، لأنك عالم زاهد ، فاجابه الشيخ قائلاً : موسى كان خيراً منى ، وفرعون كان شراً منك وكان موسى يجيء إلى باب فرعون كل يوم ثلاث مرات ، ويعرض عليه الإيمان ·

ومن مظاهر شجاعته أيضاً أن وشى به أحد خصومه المبطلين إلى الملك الناصر لدين الله فأحضره السلطان ووجه إليه تهمة الخيانة فقال له : بلغنى أنك قد أطاعك الناس وأن في نفسك أخذ الملك ، فلم يكترث أحمد بالتهمة الباطلة وقال في هدوء ورباطة جأش وثبات قلب وبصوت عال : أنا أفعل ذلك ؟ والله أن ملكك لا يساوى عندى فلساً واحداً ، فتبسم السلطان من ذلك وقال : والله انك صادق ، وأن الذى وشي بك لكاذب وهذا من جراء ما ألقى الله تعالى في قلبه من الهيبة العظيمة والمحبة الدينية ، ولولا ذلك لكان يفتك به ·

هذا عن شجاعة ابن تيمية رحمه الله تعالى ·

أما عن صبره فحدث ولا حرج ، وحسبنا أن نعرف أن حياته كلها قضاها في جهاد متواصل بالسيف واللسان والقلم فما كلّ ولا ملّ ، ولا ترك دعوة الاصلاح في كل حياة المسلمين حتى توفاه الله تعالى في قلعة دمشق ·

وماذا نقول عن صبر ابن تيمية وهو القائل : ماذا يبغى الأعداء منى : أو ما يصنع أعدائي بي أنا جنتي وبستانى في صدرى أين رحت فهى معى لا تفارقنى · أنا حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة وكان يقول : المحبوس من حُبس قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه ·

كمـــــال عبوديتــــــه :

إن تحقيق العبودية بالعبادة والتوكل ، وصدق اللجأ ، والإنابة إلى الله تعالى بكل حال من صفات شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الغالبة عليه · فلننظر إليه عندما يؤمر به إلى السجن كيف يكون حاله : ذكر صاحب الكواكب الدرية : إن الشيخ لما أمر به إلى السجن بقلعة دمشق أظهر السرور بذلك ، وقال إنى كنت منتظراً ذلك ، وهذا فيه خير عظيم · وروى أنه لما سجن بمصر بسجن القضاة ، بحارة الديلم صار الحبس بالعلم والتعلم والعبادة والدين خيراً من كثير من الزوايا والأربطة والمدارس ، وصار عدد كبير من المساجين إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده ، وكثر المترددون إلى الشيخ حتى صار السجن يمتلىء بهم ·

وكان رحمه الله تعالى يقول في سجوده وهو محبوس : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وكان يقول : المحبوس من حبس قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه . ولما دخل القلعة وأصبح داخل سورها قال فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . فكان يرى في السجن جنة الدنيا لما يحققه له من القرب من ربه بالتفرغ لعبادته والانقطاع إلى الله تعالى فيصبح في جنة أنس ونعيم نفس . حكى عنه عارفوه أنه مع كثرة ما يهدد ، ويضايق ويحبس كان أطيب الناس نفساً وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وما هذا إلا لقوة إيمانه ، وكمال عبوديته ، وصدق توكله .

حســـــــن دعـــــــوته :

إن من غير المشكوك فيه أن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية كما كان رجل جهاد ، بالنفس والمال في سبيل الله ، كان رجل دعوة وإصلاح ، وقد كملت رجولته في ذلك فلم يدانيه أحد من معاصريه ، ولا ممن جاءوا بعده بحال من الأحوال . وهذا من فضل الله عليه ، والله يؤتى فضله من شاء وهو الحكيم العليم .

تصدى ابن تيمية لمحاربة الفساد المستشرى في أمة الإسلام والمتمثل في الحكام والعلماء والعباد من المتصوفة والمبتدعة والخرافيين ، فقاومه بالحجة والبرهان وانبرى لمقاومته الحكام بالوعيد والتهديد ، والسجن والحرمان ، وتصدى له العلماء ، بالإنكار والتشنيع والوشايات لدى الحكام وتصدى له المتصوفة والمبتدعة بالكيد والمكر والدس والخداع والكذب والتضليل .

ووقف الشيخ وحده في الميدان ليس له من ولى ولا نصير إلا ربه تعالى وكفى بالله ولياً ونصيراً . وكان ما أجمع عليه أعداؤه فيه ثلاث مسائل ادعوا أنه خالف فيها الإجماع وهى طلاق الثلاث ، والوسيلة ، وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة . هذه أبرز ما اجتمع عليه أعداء الشيخ فحاربوه عليها حرباً ضروساً بلا رحمة ولا شفقة ، فما تركوا وسيلة للنيل من الشيخ إلا استعملوها ، فكذبوا عليه ، وزودوا وافتروا . وقالوا ما لم يقله عدو في عدوه والشيخ صابر محتسب يقرع الحجة بالحجة ، ويبين زيف الدعاوى ، وافتراء المفترين ، كل ذلك بأسلوب نزيه ، وكلام طيب ، وقول حسن فلا يغلظ في قول ، ولا يجفو في عبارة ، ولا يحاول انتقاص أحد ، أو النيل من كرامته إن كان من ذوى الكرامات . الأمر الذى يعد فيه ابن تيمية فريداً وحيداً أشبه رجل بنبى فى دنيا الرجال ، وكان اذا التبس عليه أمر أو خفيت عليه حال أو لم يتبين وجه الحق في مسألة فزع إلى ربه يستعمله ويستهديه فكان يقول في جوف الليل وقد انقطع إلى ربه : اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب

والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم · فيعلمه ربه ويهديه إلى وجه الحق الذى التبس عليه ·· وما مات ابن تيمية حتى أوضح منهج الإسلام ، وأقام سبيل الدعوة ، وفتح الله به عيونا عمياً وأسمع بدعوته آذاناً صماً ، وهدى به قلوباً زائغة عن الحق حائرة في طلب الهدى · وكل من أتى بعده من رجال الإصلاح والدعوة في هذه الأمة إنما هو من مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية · فرحمه الله رحمة واسعة ·

وفاتـــه رحمــــه الله تعالى :

بعد أن اظهر الله تبارك وتعالى الحق على يدى عبده ووليه ، أحمد بن تيمية ، فى مسائل كثيرة من أهمها العقيدة الإسلامية بجوانبها الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ·

وبعد أن استنارت ديار الإسلام بعلوم شيخ الإسلام ، وتبددت دياجير الظلام التى عاشتها بلاد الإسلام زمناً غير قصير وفي ليلة الاثنين لعشرين خلت من شهر القعدة عام ٧٢٨ هجرية قبض الله تعالى إليه روح عبده الصالح ، ليكرمها على ما قدمت من تضحيات جسام طلباً لمرضاة ربها ، ورغبة فيما لديه من الكرامة · وفي ظهر يوم الاثنين خرجت جنازة شيخ الإسلام من المسجد الأموى بدمشق بعد أن صلى عليها عقب صلاة الظهر يشيعها إلى مثواها الأخير خلق من النساء منهن فقط تمكن خمسة عشر ألف أمرأة مشيعة لجنازة الإمام وقالوا : إنه لم يتخلف عن جنازة الإمام ابن تيمية من سكان دمشق من حكام وأمراء ورجال علم ، وصلاح وعامة الناس إلا ثلاثة نفر كانوا أعداء الداء للشيخ تخلفوا خوفاً على أنفسهم من أن يرجمهم المسلمون بالحجارة لغضبهم عليهم وحزنهم على شيخهم وهم يودعونه الوداع الأخير ·

فرحم الله أحمد بن تيمية ورزقنا الأسوة به في طلبه العلم وفي صبره وشجاعته وجهاده وحسن دعوته ·

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

إن الحلقة الأخيرة في سلسلة نماذج من الدعاة الصالحين هى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ·

تعـــــريف :

فمن هو يا ترى محمد بن عبد الوهاب ؟

إنه أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي · المولود بقرية العيينة سنة ١١١٥ هجرية من البلاد النجدية الواقعة شمال مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ·

جـــوانب من الكمـــال في الشيخ رحمه الله :

إننا في هذه السلسلة من أول حلقة فيها إلى هذه الأخيرة منها لا نعرض كثيراً لكمال في الداعية إذا كان وهبياً غير كسبي بعلة أن الوهبي لا تتأتى الأسوة فيه وإنما الأسوة تكون في الكمال الكسبى ، ولذا لا نبرز من حياة الداعى إلا جوانب خاصة في حياته لكونها محط الإتساء ، ومجال الاقتداء ·

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الحلقة الأخيرة في سلسلة الدعاة الصالحين ممن آثرنا الكتابة عنهم للاقتداء بهم والاهتداء بهديهم · حياته كلها عظات وعبر وما من جانب منها إلا وهو صالح لأن يكون قدوة صالحة للمقتدين ، وأسوة حسنة للمؤتسين ونظراً للحاجة الماسة للاختصار فإنا نكتفى بابراز الجوانب التالية من حياته المليئة بالبر والهدى وهى طلبه العلم ورحلته في سبيله :

كماله العلمى · دعوته الاصلاحية · صبره وما لاقى من أذى في سبيل الدعوة ، نجاحه في دعوته · سر نجاحه فيها ·

طـــلب الشـــيخ العلـم ورحلتـــه في ذلك :

ما من شك أن النبوغ في كل شيء لا بد له من عوامل تساعد عليه ، ومن عوامل نبوغ الشيخ التى أثرت في حياته العلمية وكانت السبب البارز في نبوغه في العلم وتفوقه فيه على

أقرانه أن والده الشيخ عبد الوهاب بن سليمان كان عالماً فقيهاً ملماً بالكتاب والسنة ، ففتح الشيخ عينيه على نور العلم في بيت والده فأخذ منه ما كان طاقة له اقتدر بها على استيعاب شتى الفنون والعلوم وبخاصة العلوم الشرعية ، وفي أثناء طلبه العلم ببيت والده قد ولع بمطالعة كتب الشيخين المصلحين الكبيرين شيخى الإسلام أحمد بن تيمية ، وابن القيم الجوزية ، فانفتح له بمطالعة كتبهما آفاق واسعة بعيدة في العلم والتطبيق · ونظر إلى ما حوله وإذا العلوم الشرعية في واد والناس في واد آخر ، العلوم الشرعية تدعو إلى أن يعبد الله تعالى وحده وأن لا يعبد إلا بما شرع ، والناس أكثرهم لا يعبدون الله وحده ، ولا يعبدونه بما شرع ولكن بما ابتدعوا وحسنوا ، فالشرك بأنواعه الأكبر والأصغر والخفى والجلى شائع ذائع معمول به وأكثر العبادات أعطيت حكم العادات فلا تأثير لها في تزكية النفس وإصلاحها وذلك لخلوها من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها · ومن روح الإخلاص لله تعالى ·

وهنا أخذ الشيخ تفكير عميق ، وتواردت عليه أسئلة عديدة :

هل ما عليه المسلمون اليوم في هذه الديار هو فرض لله تعالى ؟ وهل المسلمون في غير هذه البلاد أحسن حالاً من هؤلاء ؟ ما هى مقومات إصلاحهم ، وعلى ما يصلحون ، وتقفز إلى ذهنه إجابات متعددة ، قد يكون منها : أن مقومات إصلاحهم أن يعلموا فإن أكثرهم لا يعلمون · وأن ما يصلحون عليه لن يكون غير ما صلح عليه المسلمون الأولون : إنه الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تعلماً وعلماً وعملاً وتطبيقاً · وتحرَّك الداعية الموهوب في محيط بلده ينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف ، فتُقَابَلُ دعوته بالاستنكار الشديد بل وبالتجهيل له أحياناً والتسفيه ، ورأى أن الرسوخ في العلم ضرورة لمن أراد أن يقوم بالدعوة الإسلامية ، واقتنع برأيه · وهنا عزم على الرحلة إلى ديار الإسلام لتحقيق غرضين ساميين : أولهما التزود من العلم والإكثار من المعرفة ، والثانى الاطلاع على أحوال المسلمين · ومعرفة ما هم عليه من الهدى والضلال ·

وحان موعد الحج إلى بيت الله فخرج الشيخ حاجاً وتمكن بذلك من الاتصال المباشر بالعالم الإسلامى فعرف ما عليه المسلمون علماء وجهالاً ، وأن حالهم لا تختلف عن حال أهل بلاده النجدية ، وقضى حجه ، وجلس إلى العديد من علماء المسجد الحرام وأخذ عنهم ثم شد الرحْلَ زائراً المسجد النبوى الشريف ثم زار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وزار قبرى صاحبيه رضى الله عنهما وجلس إلى العلماء وكانوا كثيرين بالمسجد النبوى حتى لكان المسجد النبوى جامعة قائمة بذاتها فأخذ الحديث عن رجاله وأخذ التفسير عن رجاله كذلك وتضلع في كثير من العلوم كالفقه الحنبلى والتوحيد السلفى · ثم رحل إلى البصرة فطلب العلم بها من كبار

علمائها ثم رحل إلى الشام كما رُوِيَ راجلاً بلا زاد ولا راحلة حتى كاد يهلِك في بعض أسفاره إلا أن الله أنجاه ، وكذلك ينجى الله تعالى أولياءه ·

ولما امتلأ وطاب به وطال في العلم باعه ، ورسخت في المعرفة قدمه عاد إلى بلاده النجدية ، وقد عرف أحوال المسلمين ، وعرف ما هم عليه من شرك وضلال وجهالات جهلاء وغايات دهماء وأيقن أنه لا دواء ولا شفاء إلا بالعلم والعمل · العلم بشرع الله تعالى والعمل به · فوطن نفسه لذلك واستعان بالله تعالى وبدأ دعوته ·

كمـــــاله العلمـــــى :

إن آية كمال علم المرء ورسوخه فيه هو ما يتحلى به من صفات الكمال النفسي وما يقوم به من دعوة وعمل ومن هنا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب على درجة من الكمال العلمى لا تدانى ولنستمع إلى الشهادة التالية ؛ قال بعض من ترجم له : كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى علماً من الأعلام ناصراً للسنة مانعاً للبدعة ، خبيراً مطلعاً ، إماماً في التفسير والحديث والفقه وأصوله وعلوم الآلة كالنحو والصرف والبيان ، عارفاً بأصول عقائد الإسلام وفروعها ، كشافاً للمشكلات حلالاً للمعضلات ، فصيح اللسان قوى الحجة ، مقتدراً على ابراز الأدلة وواضح البراهين بأبلغ عبارة وأبينها ، تلوح على محياه علامات الصلاح ، وحسن السيرة وصفاء السريرة ، يحب العباد ويغدق عليهم من كرمه ويصلحهم ببره واحسانه ويخلص لله في النصح والارشاد ، كثير الاشتغال بالذكر والعبادة · قلما يفتر لسانه عن ذكر الله ·

ومن مؤلفاته العديدة ما يلى :

١ ـ استنباط من القرآن (يقع في جزئين) ·
٢ ـ كتـــاب التوحيـــد ·
٣ ـ مختصر صحيح البخارى ·
٤ ـ أصـــول الإيمــــــان ·
٥ ـ كتــــاب الكبائـــــر ·
٦ ـ آداب المشـــى إلى الصـــلاة ·
٧ ـ مختصر الانصـاف والشرح الكبـير في الفقـــه ·
٨ ـ كشـــف الشـــبهات ·
٩ ـ مختصـــــر الســـيرة ·
١٠ ـ الثلاثة الأصـــــول ·
١١ ـ نصيحـة المسلمين بأحـــاديث خاتم المرسلـــين ·
١٢ ـ مختصـــــر زاد المعـــاد ·
١٣ ـ مســـــائل الجاهليـــــة ·

وبهذه تبين أن الشيخ الداعية الكبير ما أطلق عليه لقب شيخ الإسلام إلا لكمال علمه ، وما حققه به من هداية لخلق لا يحصون عداً ، ولا يعدون كثرة ولا يخطىء المرء إن قال إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وإن كان تلميذاً للإمامين الجليلين ابن تيمية وابن القيم في علومه ، وأفكاره ، ومقومات دعوته ، وأسباب جهاده ، فإنه قد كان له الفضل الكبير في مد دعوة الاصلاح التى قام بها الإمامان المذكوران آنفاً بعد أن انكمشت ، وكادت تذوى وتموت ، فبعث الله الشيخ فجدد حياتها وأمدها بروح قوية ودفعها بحركة اطرد بها سيرها ، حتى بلغت ما بلغ الليل والنهار في هذه الأيام . وهذا عائد إلى ما وهب الشيخ من صدق نية وصفاء طوية ، وإخلاص لله تعالى في السر والعلانية .

دعـــــوته الاصـــــلاحية :

بدأ الشيخ دعوته الاصلاحية التى أطلق عليها المغرضون من ذوى النيات السيئة (المذهب الوهابى) بدأها رحمه الله تعالى بقرية الحريملا حيث انتقل إليها والده الشيخ عبد الوهاب من العيينة وكانت حالة البلاد النجدية العقائدية من أسوأ البلاد حالاً ، إذ كان بها بعض القبور المنسوبة إلى بعض الصحابة رضى الله عنهم يحج إليها ، ويَطلب منها حجاجُها وزائروها قضاء الحاجات ، ويستغيثون بها عند الشدائد ، وإلمام الملمات . ومن بين تلك القبور قبر زيد بن الخطاب . ولم يقف أمر أهل الجهل والباطل على عبادة القبور فحسب بل استغاثوا بالأشجار والأحجار ، فقد كان أهل المنفوحة يتوسلون بفحل نخل ، ومن ذلك قول العانس من النساء : يافحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول .

وما أن أعلم أهل بلاده بضلالهم ، وأنكره عليهم حتى قام الناس رجالاً ونساءً ينكرون على الشيخ ويناصبونه العداء لطول ما ألفوا من الباطل وما اعتادوا من الضلال ومع هذا فقد اهتدى أناس على يد الشيخ وأصبحوا أنصاراً وأعواناً .

ولما أذن الله بنصر دينه ، بيت بعض العبيد الأنكاد المناجيس الشيخ فتسوروا عليه جدار المنزل وأرادوا الفتك به ، غير أن الله أيقظ رجالاً من أهل الحى فصاحوا فيهم فهربوا . وهنا قرر الشيخ العودة الى بلاده وكان بها حاكم صالح يقال له عثمان بن حمد بن معمر ، فتلقى الشيخ بغاية الحفاوة والتكرم وعرض الشيخ عليه الدعوة فقبلها بعد أن عرف أنها حق وأن غايتها اصلاح العباد والبلاد وبانضمام هذا الأمير إلى الدعوة عزت فأمكن الشيخ أن يعلنها داوية وأن يغير الباطل بيده بعد أن عجز عن تغييره بلسانه ، فهدم قبة زيد بن الخطاب وقطع ما كان يعظم من الأشجار فعظم شأن الشيخ وذاع صيته في البلاد .

وهنا شعر حاكم الأحساء بخطر الدعوة إذا استفحل أمرها فكتب إلى واليه عثمان بن معمر يقول له : إن المطوع الذى عندك قد فعل وفعل فإذا وصلك كتابى هذا فاقتله ، وإلا قطعنا عنك خراجك . فخاف عثمان على مركزه فأمر بإخراج الشيخ من بلده ، فخرج الشيخ يمشى على رجليه ووراءه فارس موكل به .

ومن كرامات الشيخ رحمه الله أن الفارس الموكل به قد هم بقتله في الطريق بإيعاز من ابن معمر ، غير أنه لما هَمَّ ارتعدت يده وخارت قواه ولم يفعل ، فكفى الله الشيخ شره والحمد لله . وهذه ثمرة من ثمار ذكر الله تعالى والتوكل عليه ، إذ كان الشيخ في طريقه لا يفتر عن ذكر الله ، ومن الحين إلى الحين يردد قول الله تعالى : **(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .**

ووصل الشيخ قرية الدرعية ونزل ضيفاً على الشيخ عبد الرحمن بن سويلم ، وخاف الأخير على نفسه من الأمير محمد بن سعود أمير المنطقة ، فسكن الشيخ من روعه ، وطمأنه على نفسه فسكن وهدأ . وعلم بوجود الشيخ عند بن سويلم أعيانُ البلاد وضواحيها فزاروا الشيخ خفية فوعظهم ورغبهم في الخير ، وبين لهم أهداف دعوته وأنها دعوة حق وخير ، وكان للأمير محمد بن سعود إخوان وزوجة صالحة فعزموا ثلاثتهم على أن يذكروا للأمير عن وجود الشيخ ويرغبونه في زيارته والاتصال به ، ونصرته وتأييده ، ففعلوا ، فزار الأمير الشيخ فدعاه إلى التوحيد ، وبينه له ، ورغبه وبشره بنصر الله تعالى إن هو نصر دينه ، واقتنع الأمير بالمبدأ وأعلن تأييده للشيخ ونصرته على إبلاغ دعوته ، غير أنه اشترط على الشيخ شرطين الأول أن لا يرجع الشيخ عنه إن نصرهم الله ومكن لهم ، والثانى أن لا يمنعه من أخذ الخراج المضروب على أهل الدرعية وقت الثمار فأجابه الشيخ إلى ذلك فقال أما الأول فالدم بالدم والهدم بالهدم . وأما الثانى فلعل الله يفتح عليك الفتوحات وتنال من الغنائم ما يغنيك به عن الخراج .

وهنا دخلت الدعوة طوراً جديداً إذ علم الناس بانضمام الأمير محمد بن سعود إلى صف الدعوة فعرفوا أن الشيخ عز جانبه فأخذ الناس يفدون من أنحاء البلاد النجدية عليه لاسيما من سبق أن اقتنع بالدعوة وآمن بها وكثر عدد الأنصار فخافها أصحاب المنافع المادية فناصبوها العداء ، وبدأت الحرب بين فريق الهدى وفريق الضلال . ودارت المعارك دامية ، ونصر الله جنده ، فأخذت القرى النجدية تسقط الواحدة تلو الواحدة ولم تمضى سنوات حتى سقطت العاصمة الرياض ودخلها الإمامان إمام القلم وإمام السيف وتكونت أول دولة قرآنية في البلاد النجدية وذلك سنة ١١٨٧ هـ وبعدها بسنة توفى الإمام محمد بن سعود وبويع لولده عبد العزيز بن محمد بن سعود وهنا أسند الشيخ مهام الأمور إلى الأمير عبد العزيز بن محمد بن

سعود وتفرغ لنشر العلم ، والدعوة فأقبل على القاء الدروس ومراسلة العلماء والحكام في أنحاء العالم الإسلامى يشرح لهم الدعوة ويبين لهم حقائق التوحيد ويظهر لهم ما هم عليه من الباطل والضلال · ووصل صوت الشيخ إلى أقاصى البلاد الإسلامية وأجابه من أراد الله هدايته واعرض من لم يكن اهلاً للخير والفلاح · هذه دعوة الشيخ الاصلاحية التى اثمرت وجود دولة إسلامية بكاملها اتسع نطاقها حتى غزت على يد الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود العراق ووصلت إلى كربلاء واوقعت بأهلها خسائر جساماً وهدمت قبة الحسين بها ·

صبر الشيخ وما لاقى من أذى :

إن ما لاقاه الشيخ من الشدائد وما قاساه من أذى الناس في سبيل الدعوة إلى الحق أمر لا يوصف وحسبه أن عاش مجاهداً طيلة عمر مديد بلغ إحدى وتسعين سنة (١) وحسبنا من ذكر صبر الشيخ ذكر مواطنه وقد مر بنا بعضها من ذلك سفره في طلب العلم إلى الشام على رجليه حيث لم يجد راحلة ولا دابة يركبها ، وما لاقى من مشاق السفر مما اشرف معه على الهلاك خروجه من العيينة بأمر ابن معمر وهو حاسر الرأس حافى القدمين خائفاً يترقب وقد هم الفارس الموكل به في الطريق بقتله فاستل سيفه وأراد أن يضرب الشيخ غير أن الله تعالى أنزل به رعباً فشل معه في ضرب الشيخ ·

الحروب التى دارت في بلاد نجد وشنها عليه وعلى الأمير محمد بن سعود أعداء الاصلاح والتوحيد تلك الحروب التى دامت سنوات كلها خاضها الشيخ جنباً إلى جنب مع الأمير محمد بن سعود والموحدين · وقد يغنينا عن مزيد ذكر الأحداث الجسام التى يتجلى فيها صبر الشيخ وتحمله الأذى في سبيل دعوة الحق أن أخاه سليمان وهو شقيقه قد تصدى له يوماً فى ابان الدعوة وظهورها ، تصدى له أخوه فطعنه بسكين طعنات قاتلة وفر والتحق بصفوف أعداء الدعوة الإسلامية · غير ان الله تعالى رحمه ببركة دعاء الشيخ فتاب وعاد الى صفوف دعوة الحق وناصرها حتى مات ·

نجاح الشيخ في دعوته وسر ذلك النجاح :

إن نجاح دعوة الشيخ أمر ظاهر لا يشك فيه ، وقضية مسلمة لا يجادل فيها فما من دعوة اصلاحية ظهرت بعد دعوة الشيخ وفي كل ديار المسلمين شرقاً وغرباً إلا وهى ترديد لصدى دعوة الشيخ رحمه الله تعالى · وبالرغم من العنف الذى واجه دعوة الشيخ والشدة التى حوربت بها من قبل السياسيين والعلماء والانتفاعيين من ذوى النيات الفاسدة ، والأغراض الخبيثة فإنه لم يبق صقع من اصقاع العالم الإسلامي إلا وفيه مؤمنون قلوا أو كثروا يترحمون على الشيخ ويدعون بدعوته ، ويسيرون على منهجه في الدعوة إلى الله تعالى وخير ما يقال في

هذا الحديث عن نجاح دعوة الشيخ أن دعوة الشيخ شابهت دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم في كل مراحلها وإلى أن انتهت بنصرها ، ولنورد وجوه الشبه فنقول ، إن البلاد النجدية بصورة خاصة كانت عند ظهور الشيخ في غاية الفساد والضعف من حيث العقائد والأخلاق والسلوك العام والخاص وكذلك كانت حال مكة والبلاد حولها عند بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما بدأ الشيخ دعوته في نجد بدأها سراً وكان المؤمنون بها قلة لا تذكر ولاقوا من الضغط الشديد والعداء العنيد مما اضطر الشيخ إلى الهجرة من الحريملا إلى العيينة ثم إلى المدينة وكذلك أتباعه كالذى حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . حتى استقروا بدار الهجرة والإيمان بالمدينة المنورة .

عندما آمن بدعوة الشيخ الأمير محمد بن سعود وانتصر لها أصبحت الدرعية مركز الدعوة ومنطلقها كالذى تم للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة النبوية إذ بعد الهجرة إليها والاستقرار بها أصبحت مركز الدعوة ومنطلقها بدأ جهاد الشيخ المسلح من الدرعية كما بدأ جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم المسلح من المدينة . انتصرت الدعوة الإسلامية على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعد أن خاض الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المعارك البطولية ضد جيوش البغى والطغيان . انتهت بتطهير مكة وكل شبه الجزيرة من الشر ومظاهره والفساد وآثاره . واعلن فيها عن التوحيد والحق والعدل وسادها طهر وصفاء وعدل وأمن ورخاء . وانتصرت دعوة الشيخ في نجد أيضاً بعد معارك طويلة خاضها الشيخ واتباعه على الحق وانتهت بتطهير البلاد النجدية من الشرك والخرافة والباطل والشر والفساد وسادها العلم والعدل وحل بها الأمن والرخاء بتكوين دولة آل سعود بها الأمر الذى لا مجال لانكاره .

ففى هذه المراحل كلها كان الشبه بين الدعوتين كبيراً مع الفارق الذى هو النبوة وعدمها وآخر وجوه الشبه أن الرسول صلى الله عليه وسلم راسل الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام لسعادتهم وكمالهم فراسل كسرى وقيصر وغيرهما ، فكذلك الشيخ راسل أمراء وعلماء العالم الإسلامى يدعوهم إلى الإسلام ، ومن بين ما اذكر رسالة وجهها إلى علماء جامع الزيتونة بتونس ورسالة وجهها إلى الملك سليمان ملك المغرب ، وقد رحب الأخير بالرسالة وشرحها لرجاله وقدمها للأئمة في خطبة جمعة ضمنها أهداف الدعوة الإسلامية جزى الله تعالى كلاً من المرسل والمرسل اليه خير الجزاء .

واخيراً إن سر نجاح دعوة الشيخ يكمن في أمور يجب أن لا تغيب عن ذهن الداعى الإسلامى الذى يريد أن يبلغ الكمال في دعوته وتلك الأمور هى :

١ ـ العلم والمعرفة والرسوخ في ذلك الأمر الذى يمكن الداعى من اظهار الحجج ومقاومة الباطل واظهار زيف التضليل مهما طلى وحسن ونمق ·

٢ ـ قوة الصلة بالله تعالى وذلك بالاكثار من القربات وفعل الطاعات ·
٣ ـ الترفع عن الدنيا والزهد في حطامها الفانى ، وعدم الالتفات إلى ملاذها ·
٤ ـ الاخلاص في الدعوة إلى الله تعالى ، وعدم نسوبها بأمة شرك ما ·
٥ ـ الصبر والتحمل وعدم الكلل أو الملل بحال من الأحوال ·
٦ ـ توطين النفس على الجهاد وخوض معاركه عندما يحين وقته ويتعين القيام به ·

هذه الأمور كلها قام بها الشيخ واتصف بها في مثالية نادرة ، فكانت سر نجاحه في دعوته وبلوغها أهدافها في الهداية والاصلاح · ولا يسعنا هنا إلا أن نترحم على الشيخ ونسلم عليه فرحمة الله عليك يا بن عبد الوهاب وسلام عليك في المجاهدين ، وسلام عليك في الدعاة الصالحين ·

قيل لحكيم أى الأمور أعجل عقوبة فقال ظلم من لا ناصر له إلا الله ومقابلة النعمة بالتقصير واستطالة الغني على الفقير قيل فمن أظلم الناس لنفسه قال من تواضع لمن لا يكرمه ومدح من لا يعرفه قيل فمن أعظم الناس حلماً قال من قمع غضبه بالصبر وجاهد هواه بالعزم قيل فبم يسلم الإنسان من العيوب قال إذا جعل الشكر رائده والصبر قائده والعقل أميره والاعتصام بالتقوى ظهيره والمراقبة جليسه وذكر الزوال أنيسه ·

الدوريات الخليجية

عن مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي صدر كتاب بحصر الصحف والمجلات (الدوريات) التي تصدر في دول المنطقة الأعضاء في المركز باسم (الدوريات الخليجية ـ الصحف والمجلات الصادرة في أقطار الخليج العربي) ـ بغداد ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م ـ وذلك لتسهيل مهمات المركز ومهمات الباحثين والعاملين في المؤسسات الإعلامية والثقافية والعلمية داخل منطقة الخليج العربي وخارجها ٠

وقد تضمن هذا الكتاب بياناً عن مميزات الدوريات وأنواعها ـ وشمل حصراً لها فى الدول الآتية :

١ ـ دولة الإمارات العربية المتحدة ٠

٢ ـ دولة البحرين ٠

٣ ـ المملكة العربية السعودية ٠

٤ ـ الجمهورية العراقية ٠

٥ ـ سلطنة عمان ٠

٦ ـ دولة قطر ٠

٧ ـ دولة الكويت ٠

وإن مجلة الجامعة الإسلامية ليسرها أن تقدم الشكر إلى مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي ، لما يبذله القائمون عليه من جهد في إخراج هذا الكتاب المفيد ، ونسأل الله أن يجزيهم خيراً ، وأن يوفق الجميع لما فيه الخير للإسلام والمسلمين ٠


لغة وأدب

من نحاة الأندلس
ابن هشام الخضراوي

للدكتور أحمد محمد عبد الله
أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فمدرسة النحو الأندلسية ذات نشاط نحوى متميز ، فلقد تمثَّل علماؤها تراث أئمة النحو السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين ، ومنذ أوائل القرن السادس الهجرى وحتى منتصف القرن الثامن تقريباً ، نشطت الحركة النحوية بشكل لافت ، فظهر الاجتهاد في الفروع والكثرة الهائلة في وفرة الاستنباط ، والروعة الفائقة في حسن التعليل والاحتجاج .

وبالجملة فقد استطاع نحاة الأندلس ـ في الفترة الزمنية السابقة ـ أن يختطّوا لأنفسهم طريقاً يبعد إلى حدٍّ مَّا عن التأثير المشرقى ، فعوَّلوا على أنفسهم بعد أن برز فيهم كوكبة من النحاة الكبار ، مازالت آثارهم إلى يومنا هذا تشكل ثمرات يانعة في مجال الدراسات النحوية .

وبقليل من تفصيل هذا الإجمال يمكن القول : إن معرفة الأندلسيين للنحو في المشرق ترجع إلى أواخر القرن الثاني الهجرى وأوائل القرن الثالث : ـ

فقد تناهى إلى مسمعهم ما كان يدور في مدينتى البصرة والكوفة من توفُّر طبقة من العلماء على الدراسات النحوية واللغوية ... الأمر الذى أغرى بعضهم أن يشد رحاله إلى المشرق بحثًا عن مكنون هذه الدراسة وأسرارها .

وكان أول مرتحل إلى المشرق هو جودي بن عثمان المتوفى سنة ١٩٨ هـ (١) الذى اتصل بزعيم المدرسة الكوفية الكسائى المتوفى سنة ١٨٩ هـ وبتلميذه الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

---
(١) إنباه الرواة : ٣/٢٠٦ وبغية الوعاة ٤٩٠/٨ .

وبعد أن عرف الكثير عن هذه الدراسة قفل راجعاً إلى الأندلس ، ليكون بذلك أول عالم أندلسي يحيط بالنحو الكوفي ، ويؤلف فيه كتاباً وسمه بـ « منبه الحجارة » (١) .

وكان أول من اهتم بالنحو البصرى هو محمد بن موسى المعروف بالأفشنيق المتوفى سنة ٣٠٧ هـ (٢) الذى جعل وجهته مصر ليلتقى بعالمها الفذّ أبى جعفر الدينَورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ (٣) ليأخذ عنه كتاب سيبويه وليعود إلى سوطنه « قرطبة » مقرئاً ومدرسّاً إياه لتلاميذه الذين التفوا حول حلقته مبهورين بهذا المؤلف العظيم . ولتقوم بعد ذلك حركة نحوية نشطة عكفت على مدارسة هذا الكتاب وغيره من كتب النحويين البصريين والكوفيين .

وهكذا فقد بدأ علم النحو في الأندلس « كما بدأ في المشرق عبارة عن قطعة مختارة فيها لفظ غريب يشرح ، ومشكلة نحوية توضح على النحو الذى نراه في « أمالى القالى » و « الكامل للمبرد » ثم ألفوا نحواً في مسائل جزئيه كما فعل أبو على القالي نفسه في « فعلت وأفعلت » و « المقصور والممدود » وكما فعل ابن القوطيَّة في كتابه « الأفعال » فلما انتقل إلى الأندلس كتابا الكسائى وسيبويه ألف الأندلسيون في النحو من حيث هو كلٌ يشمل جميع الأبواب » (٤) .

ويعد صاحب المحكم ابن سيدة المتوفى سنة ٤٥٨ هـ أول أندلسي يشتغل بالنحو البغدادى على النحو الذى اشتغل به العلماء قبله بالنحو البصرى والكوفى ، وعلى الرغم من وصول النحو الكوفي والبغدادى إلى الأندلس فلقد كان نحو المدرسة البصرية هو الرائد الأول للأندلسيين ، فقد اهتموا ـ فى الأعم الأغلب ـ بمنهج السماع مبتعدين عن القياس ما أمكنهم ذلك (٥) ، وسنرى تأثير هذا المنهج على ابن هشام الخضراوى نفسه حين يأتى الحديث عنه بعد قليل .

وبإطلالة القرن السادس الهجرى نجد أن نحاة الأندلس قد اعتمدوا على أنفسهم بشكل يثير الإعجاب وقد برز في هذا القرن وما بعده علماء أفذاذ دوت شهرتهم في الآفاق أمثال :

ابن السيد البَطَلْيُوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ ، وابن الباذش المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، وابن الطراوة المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، وابن طاهر المتوفى سنة ٥٨٠ هـ ، والسهيلى المتوفى سنة ٥٨١ هـ ، والجزولي المتوفى سنة ٦٠٧ هـ ، وأبو على الشلوبين المتوفى سنة ٦٤٥ هـ ، وابن عصفور المتوفى

---

(١) تأريخ الفكر الأندلسى : ١٨٥ ط أولى مصر ١٩٥٥ م .

(٢) إنباه الرواة : ٢١٦/٣ .

(٣) بغية الوعاة : ٣٠٦/٨ .

(٤) ظهر الإسلام جـ ٣ ص ٩١ . وتأريخ الفكر الأندلسى : ١٨٥ .

(٥) المدارس النحوية : ٢٩٢ .

سنة ٦٦٣ هـ ، وابن مالك العظيم المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، وأبى حيان المتوفى سنة ٧٤٥ هـ اللذين رحلا الى المشرق وغير ذلك من جلة العلماء . ويمكننا بعد عرض ما تقدم أن نستخلص النتائج التالية : -

أولاً : بدأت معرفة الأندلسيين للنحو منذ أواخر القرن الثانى الهجرى وبداية القرن الثالث .

ثانياً : كان النحو الكوفى هو أول ما عرفه الأندلسيون متمثلا ذلك في رحلة جودي ابن عثمان والتقائه بإمام المدرسة الكوفية على بن حمزة الكسائى وتلميذه الفراء ، ثم عرفوا بعد ذلك النحو البصرى عن طريق كتاب سيبويه الذى نقله الأفشنيق عن أبى جعفر الدينورى .

ثالثاً : لم يتهيأ للأندلسيين الإلمام بالمذهب البغدادى إلا فى منتصف القرن الخامس على وجه التقريب على يد ابن سيده .

رابعاً : كانت للمذهب البصرى فى الأندلس السمة الغالبة ، فقد رأينا عشرات من علماء الأندلس وقد عكفوا يشرحون كتاب سيبويه ويعلقون عليه ويدرسونه ... الأمر الذى ترك بصمات واضحة في مؤلفاتهم .

خامساً : اعتمد الأندلسيون بشكل أساسي على المشرق حين بدأوا يشتغلون بهذا العلم ، ولكنهم بمرور الوقت عولوا على أنفسهم ، وحاولوا أن يضيفوا للنحو جديداً ، وقد تمثل هذا في بعض الآراء الاجتهادية في المسائل الفرعية ، وتمثل في دعوة ابن مضاء القرطبى وثورته العارمة على العامل النحوى والمطالبة بإلغائه ، أو إقصائه جانباً .

بل إنه يمكن القول : إن القرن السادس الهجرى يمثل قمة ازدهار النشاط النحوى ، إذ قاموا بالاستقلال في البحث والتأليف ، لذا كان إنتاجهم وافراً وأكسبهم ذلك فضلًا كبيراً على التراث ، حداهم في ذلك روح التفانى والجهد الدائب في سبيل خدمة العربية والإخلاص لها ، وقد كان الإنتاج الرائع لعلماء الأندلس تعويضا خلّاقاً عما فقده المشرق حين تهاوى تحت جحافل الغزاة والطامعين ، وبديلًا فعّالا لما افتقدته الدراسات النحوية من جهود علماء البصرة والكوفة الذين انْحلَّ عقدهم بعد القرن الرابع الهجرى تقريباً .

تلك فكرة عجلى عن الدراسات النحوية في الأندلس منذ نشأتها حتى عصر عَالِمنَا الذى سنتحدث عنه « ابن هشام الخَضْرَاوى » .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن هشام الخَضْرَاوى لم ينل حظه من الشهرة والذيوع مثلما نالها ابن هشام المصرى ذلك أن الأخير بلغ شأواً بعيداً في فنه فألف كتابه المشهور

(مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب) وغيره كأوضح المسالك ، وشرح اللمحة البدرية ... وهى مؤلفات تدل على علو كعبه في هذا الفن وقوة اقتداره وتمكنه العجيب ، ولو اقتصر على المغنى .. لكفاه منزلة ورفعةً ، ولهذا غطت شهرته الآفاق ، وتبارى الباحثون في الكتابة عنه مرّات ومرّات ، غاية القول أنه لم يترك لزميله في المغرب الفرصة للظهور حتى يمكن للدراسات أن تدور حوله ، فظل شخصية يكتنفها الغموض ، وعلى الرغم من ذلك فقد وجدنا ابن هشام المصرى يعتمد آراء ابن هشام الخضراوى ويعول عليها ، والقارىء لكتاب مغنى اللبيب يجده يشير إليه حينا يلقبه الخضراوى (١) وحيناً بدونه (٢) ، وكذا فعل في أوضح المسالك وشرح اللمحة البدرية ، وهذا يعطينا الدلالة على مكانة ابن هشام الخضراوى في مجال الدراسات النحوية وأثره في الخالفين بعده من العلماء · فمن هـــو ؟

هو محمد بن يحيى بن هشام الخضراوى الأنصارى الخزرجى الأندلسي ، وكنيته أبو عبد الله ، ولد سنة ٥٧٥ هـ (٣) بالجزيرة الخضراء التى نسب إليها والتى تحدث عنها ياقوت الحموى (٤) بقوله :

هى مدينة مشهورة بالأندلس ، وقبالتها من البَرِّ بلاد البربر « سبته » وأعمالها متصلة بأعمال شذونه وهى شرقي شذونه وقبلى قرطبة ، ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرْضًا ، وسورها يضرب به ماء البحر ، ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر لكنها متصلة ببر الأندلس ... ومرساها من أجود المراسى وبين الجزيرة وقرطبة خمسة وخمسون فرسخا ، وهى على نهر برباط ... الخ » ·

وقد تحدث العلماء عن مكانته العلمية فقالوا : إنه كان رأساً وأستاذاً فى العربية بعامة والنحو بخاصة فقد تلقى تعليمه عن أساتذة أفذاذ أمثال عمر بن عبد المجيد الرندى (٥) (بضم الراء) وعلى بن محمد بن يوسف (٦) ومصعب بن محمد بن ذرّ الخُشْنى (٧) وأخذ القراءات عن والده (٨) كما أفاد منه وتتلمذ عليه من كان لهم شأنهم مثل عمر بن محمد المعروف بالشلوبين والذى لقب بالأستاذ (٩) وغيره من الذين نهلوا من علمه ·

---

(١) مغنى اللبيب ، ص ١٦٩ ، ١٧١ ، ٣٣٧ ، ط دار المعرفة بيروت ١٩٧٢ م ·
(٢) المرجع السابق ، ٢٥٢ ، ٣٥٢ ، ٤٨٠ ، ٥٧٩ ·
(٣) بغية الوعاة ص ١١٥ ط دار المعرفة بيروت ·
(٤) راجع معجم البلدان جـ ١ ص ١٣٦ ط دار صادر - بيروت ·
(٥) ترجمته في بغية الوعاة ، ٣٦١ ·
(٦) ترجمته فى التكملة لابن الأبار ٦٧٦ ومعجم الأدباء ١٥ ، ٧٥ ، وفوات الوفيات ، ٧٩/٢ ، وبغية الوعاة ، ٣٥٤ ·
(٧) المغنى ، ٣٣٤ وبغية الوعاة ، ٣٩٣ ·
(٨) البغية ، ١١٥ ·
(٩) ترجمته فى إنباه الرواة ، ٢٣٢/٢ والتكملة لابن الأبار ٦٥٨ والديباج المذهب ١٨٥ وشذرات الذهب ٢٣٢/٥ ·

وقد ترك عدداً لا بأس به من المصنفات دلّت على المكانة المرموقة التى يتمتع بها هذا العالم وهى : فصل المقال في أبنية الأفعال ، المسائل النخب ، الإفصاح بفوائد الإيضاح ، الاقتراح في تلخيص الإيضاح ، شرح الإيضاح ، غرر الإصباح في شرح أبيات الإيضاح ، النقض على الممتع لابن عصفور ، وله نظم ونثر وتصرف في الأدب ... « وقد وافته المنية بتونس ليلة الأحد رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٦٤٦ هـ بعد حياة حافلة بالعطاء والعلم والمعرفة » (١) .

والقارىء لكتب النحو المختلفة يجد حشداً من آرائه النحوية التى تحمل سمات شخصيته ومذهبه النحوى ، فهناك آراء تفرّد بها وآراء وافق فيها البصريين والكوفيين ، وآراء وافق فيها العلماء قبله وآراء كانت موضع نقد من العلماء ويتمثل كل ذلك فيما يلى :

أولاً : له آراء اجتهادية أو آراء انفرادية إن صحَّ هذا التعبير تطالعنا في كتب النحو المختلفة ، وهى تكشف عن فكره واستقلال شخصيته في كثير من الأحيان ، فقد ارتضى كثيراً من الآراء وتفردَّ بها ، ورفض أن يكون مقلّدا فيما ذهب إليه ، والمقام يقتضينا أن نذكر طرفاً منها على سبيل المثال لا الحصر : -

● من أوجه « **حتى** » أن تكون عاطفة بمنزلة الواو ، إلا أنه يشترط في معطوفها ثلاثة شروط :

الأول : أن يكون المعطوف إمّا بعضاً من جمع قبلها نحو : قدم الحجاج حتى المشاة ، أو جزءا من كل نحو : أكلت السمكة حتى رأسها ، أو غير ذلك .

الثانى : أن يكون المعطوف غاية لما قبلها إمّا في زيادة أو نقص نحو : حضر الفقراء حتى الأغنياء ، ونحو : غلبك الرجال حتى الأطفال .

الثالث : أن يكون معطوفها ظاهراً لا مضمراً ، كما أن ذلك شرط مجرورها ، ذكر ذلك الخضراوى . قال ابن هشام المصرى : ولم أقف عليه لغيره (٢) ، أى الشرط الثالث .

● من أوجه « **لـــو** » أن تكون **للتمنى** نحو : لو تأتينى فتحدثنى ، وعلى هذا المعنى قوله تعالى : (فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين) (٣) أى فليت لنا كرة ، ولهذا نصب (فنكون) في جوابها ، كما انتصب (فأفوز) في جواب ليت في نحو قوله تعالى : (ياليتنى كنت معهم فأفوز) (٤) .

---

(١) راجع بغية الوعاة : ١١٥ والمدارس النحوية : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .
(٢) المغنى : ١٧١ ط بيروت وانظر الهمع ١٣٦/٢ .
(٣) الشعراء : ١٠٢ .
(٤) النساء : ٧٣ .

واختلف فى (لــو) هذه فقال ابن هشام الخضراوى : هى قسم برأسها لا تحتاج إلى جواب كجواب الشرط ولكن قد يؤتى لها بجواب منصوب كجواب ليت ، وتبعه في هذا ابن الضائع المتوفى سنة ٦٨٠ هـ (١) .

• جوز الزمخشرى فى قوله تعالى : (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) (٢) أن تعرب (مـنْ) فاعلا ، والواو قبلها علامة ، واختلف هل يقاس على هذه اللغة فيقال : جاءوا زيد وعمرو وبكر على أن الواو علامة وما بعدها فاعل ، منع ذلك ابن هشام الخضراوى (٣) وحده .

• أجاز النحاة إسناد « « **أوشك ، وعسى ، واخلولق** » من أفعال المقاربة إلى « **أن يفعل** » فتكون أن والفعل مغنية عن الخبر ، وسادة مسد الجزأين ، فتقول : اخلولق أن تمطر السماء . قال الخضراوى لا يجوز ذلك الإسناد في اخلولق ، بل يختص بأوشك وعسى فقط (٤) .

• ذهب قوم منهم الزمخشرى والسيرافي إلى أنه : يجب وقوع خبر « **أنَّ** » الواقعة بعد « **لولا** » فعلا ليكون جبراً لما فات « لــو » من إيلائها الفعل ظاهراً نحو قوله تعالى : (ولو أنهم صبروا) (٥) ولا يجوز عندهم : لو أن زيداً أخوك ، وجوز الخضراوى : وقوع خبر « **أنَّ** » بعد « لــو » جامداً ومشتقا غير فعل ، قال السيوطى (٦) : وهو الصواب لوروده في قوله تعالى : (ولو أنَّ ما في الأرض من شجرة أقلام) (٧) .

• ذهب ابن هشام الخضراوى إلى أن « **البـاء** » المفردة قد تكون بمعنى « **الكاف** » حين تدخل على الاسم ، ويراد التشبيه نحو : لقيت بزيد الأسد ، ورأيت به القمر ، فالباء عنده بمعنى الكاف أى بلقائى إياه الأسد والقمر ، أى يشبهه ، ولم يرتض هذا أبو حيان الذى قال : والصحيح أنها هنا للسبب ، أى بسبب لقائه وسبب رؤيته (٨) .

• تقع « **كـم** » **ظرفا** نحو : كم ميلًا سرت وكم يوما صمت ، **ومصدراً** نحو : كم ضربةً ضربت زيداً ، وتقع « **كـم** » **مفعولا له** نحو : (لكم إكراما لك وصلت) قال بهذا الخضراوى ، قال أبو حيان : ولا نعلم أحداً نصَّ على جواز وقوع « **كـم** » مفعولا له غيره (٩) .

---

(١) الهمع : ٦٦/٢ وراجع الأشمونى ٣٢/٤ .
(٢) مريم : ٨٧ .
(٣) المغنى : ٤٨ .
(٤) ارتشاف الضرب ٤٧٢/٨ ، ٤٧٣ والهمع ١٣١/٨ والأشمونى ١/ ٢٦٦ ، ٧
(٥) الحجرات : ٥ .
(٦) الهمع ١٣٨/٨ .
(٧) لقمان : ٢٧ .
(٨) الهمع ٢٢/٢ .
(٩) ارتشاف الضرب ٢٣٨/٨ .

• إذا قلت : نجح الطلاب لا سيّما زيد ، بجر زيد ، فسيبويه يرى أن « **سيّ** » مضافة إلى زيد وما زائدة ، وزيادة « **ما** » بين المضافين مسموعة ، ولهذا يجوز حذفها ، وزعم ابن هشام الخضراوى أنها زائدة لازمة لا تحذف ، قال السيوطى : وليس كما قال (١) .

• فى الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفعولات زاد فيها سيبويه « **نَبَّأ** » وزاد فيها الخضراوى (**أنْبأ**) (٢) .

ثانيا : وافق الخضراوى غيره من النحاة فى بعض الآراء ، تحريا للصواب ، ولم تمنعه أندلسيّته أن يكون موافقا للمشارقة فى آرائهم ، وهم الذين نشأ عندهم علم النحو ونما وترعرع ولم يصل إلى الأندلس إلا بعد أن اكتمل نموه تقريبا . فاختياره يدل على أنه ذو تفكير حر أيضا فهو يتحرى الحق ويسير إليه ومن أمثلة ذلك :

• يشترط فيما يصاغ منه **فعلا التعجب** أن يكون **فعلا ثلاثيا** ، فإن كان مزيداً على وزن « **أفعل** » فذهب بعض العلماء إلى عدم الجواز مطلقا ، وذهب بعضهم إلى أنه يجوز مطلقا ، وعلى ذلك سيبويه وقد اختار الخضراوى ما ذهب إليه سيبويه وصححه (٣) .

• **إذا أكد الضمير المتصل أعيد مع ما اتصل به :** نحو : قمت قمت ، أما الحرف فإن كان جوابياً أعيد وحده نحو : « لا لا » وإن لم يكن جوابيا فقال ابن مالك : يعاد مع ما اتصل به نحو : إنَّ زيدا إنَّ زيدا ، ولا يعاد وحده إلا ضرورة ، وأجاز الزمخشرى : إنَّ إنّ زيداً . بإعادة الحرف وحده دون ضرورة وتبعه على ذلك ابن هشام الخضراوى (٤) .

• يذكر النحاة أن **المركب تركيب إسناد لا يثنى ولا يجمع اتفاقاً** نحو : تأبط شراً ، وشاب قرناها . **وأما المركب تركيب مزج** كبعلبك وسيبويه فالأكثر على منعه أيضاً لعدم السماع ولشبهه بالمحكي غير أن الكوفيين أجازوا تثنية المركب المزجى وجمعه . وقد وافقهم في هذا ابن هشام الخضراوى (٥) .

• قال عمرو بن يعد يكرب :

تراه كالثّغام يُعَلّ مسْكاً ... يسوء الفاليات إذا فلينى

فقد اجتمع في (**فلينى**) نون الوقاية مع نون الإناث ، وحذفت إحداهما ، وقد اختلف العلماء في أى النونين حذفت ، فقال المبرد : هى نون الوقاية ، لأن النون الموجودة ضمير فاعل لا يليق بها الحذف ورجح ذلك ابن جنى واختاره ابن هشام الخضراوى (٦) .

---

(١) الهمع ٢٣٤/١ .
(٢) ارتشاف الضرب ٩٥٥/٢ وحاشية الصبان ٤٠/٣ .
(٣) ارتشاف الضرب ٩٢٦/٢ وحاشية الصبان ٢١/٣ .
(٤) ارتشاف الضرب ٨٥٧/٢ والتصريح ١٢٥/٢ .
(٥) الهمع ٤٢/١ .
(٦) المرجع السابق ٦٥/١ وراجع المغنى ٨٠٨ والخزانة ٤٤٥/٢ .

• في نحو قولك : (**ظننت زيدا قائماً**) **يجوز أن يحذف الفاعل ويقام المفعول الأول مقامه** فيقال : ظن زيدٌ قائما . وذلك عند البصريين حسن وذهب الجزولي المتوفى ٦٠٧ هـ إلى أنه لا يجوز إقامة المفعول الأول في المثال المتقدم . وتبعه في هذا ابن هشام الخضراوي (١) . والجزولي من علماء الأندلس كان إماما في العربية لا يشق غباره . لزم ابن برّي بمصر ثم عاد إلى بلده (**المريّه**) متصدرا للإقراء .

• **لحتى الداخلة على المضارع المنصوب ثلاثة معان :**

مرادفة « **إلى** » نحو (حتى يرجع إلينا موسى) (٣) ومرادفة « **كي** » التعليلية نحو (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم (٢) ومرادفة « **إلا** » في الاستثناء . وهذا المعنى قال به سيبويه حين فسَّر قولهم « والله لا أفعل إلا أن تفعل » المعنى عنده : حتى أن تفعل . وقد اختار هذا المعنى ابن هشام الخضراوي (٤) .

ثالثا : وكما وافق غيره من النحاة فقد وافقه بعضهم في كثير مما ذهب إليه تأثراً به واعتدادا بوجهته واعترافاً باستاذيته من ذلك : ـ

• **في باب العلم :** كنّوا عن اسم جنس غير علم **(بهن)** في المذكر . (**وهَنه**) بفتح و (**هنْه**) بسكونها في المؤنث . ولا يكنى بما تقدم عن علم عاقل أو غيره كأسامة . وعلى هذا الخضراوي والشلوبين (٥) . ومعلوم أن الشلوبين أخذ عنه وانتفع بعلمه .

• **لـــو** المستعملة في نحو : « لو جاءني زيد لأكرمته » تفيد ثلاثة أمور : ـ

أحدها : الشرطية . الثاني : تقييد الشرطية بالزمن الماضي . الثالث : الامتناع . وقد اختلف النحاة في إفادتها له وكيفية إفادتها إياه . فذهب بعضُهم أنها لا تفيده بوجه وأن « لـــو » في المثال المتقدم لا تدل على امتناع الشرط ولا على امتناع الجواب . بل على التعليق في الماضي . كما دلت (إنْ) على التعليق في المستقبل . ولم تدل بالإجماع على امتناع ولا ثبوت وعلى هذا الرأي ابن هشام الخضراوي والشلوبين (٦) .

• تمييز (**كـــم**) الخبرية يكون مجرورا ويكون مفردا وجمعا . وذهب الخضراوي والشلوبين إلى أن (**كـــم**) إذا انتصب تمييزها التزم فيه الإفراد . لأن العرب التزمته في كل تمييز منصوب (٧) .

---

(١) ارتشاف الضرب ٥٣٣/٨ وراجع الأشموني ٦٩/٢
(٢) طـــه : ٩١ .
(٣) البقرة : ٢١٧ .
(٤) المغني ١٦٩ وراجع معاني القران ١٣٦/٨ .
(٥) الهمع ٧٤/٨ .
(٦) المغني ٣٣٧ والهمع ٦٥/٢ .
(٧) ارتشاف الضرب ٢٣٩/٨ والهمع ٢٥٥/٨ .

رابعاً : وهو يرفض بعض الآراء بعد أن يقف عندها مليًا ثم يعرضها على منطق تفكيره وميزان عقله ثم يرفضها ويردها بالحجة القوية والدليل الواضح . مثال ذلك :

• ذهب بعض النحاة إلى جواز إضافة الصفة إلى الموصوف نحو : كريم زيدٍ أى زيد الكريم وأنكر ذلك أبو على . وقال : العرب لا تقول : قائم زيدٍ . ولا قاعد عمروٍ . ويريدون : زيد القائم وعمرو القاعد . قال ابن هشام الخضراوى : وقد جاء الذى منعه أبو على في قول الشاعر :

وكأن عافية النسور عليهم   حج بأسفل ذي الحجاز نزول

وإنما أراد النسور العافية (١) .

• جوّز الكوفيون جمع الصفة المؤنثة التى لا تقبل التاء جمع مذكر سالم واستشهدوا بقول أبى قيس بن رفاعة :

مِنَّا الذى هو ما إن طرَّ شاربه   والعانسون ومنا المرد والشيب

وقول الشاعر:

فما وجدت نساء بنى نزار   جلائل أسودين وأحمرينا

والبيتان عند البصريين من النادر الذى لا يقاس عليه . قال الخضراوى :

عادة الكوفيين إذا سمعوا لفظاً فى شعر أو نادر كلام جعلوه بابا أو فصلا . وليس بالجيد (٢) .

خامساً : وهو ذو مكانة علمية مرموقة . فالنحاة يثقون فى علمه وفيما ينقله عن العلماء . وحسبنا أن كتابه (الإفصاح) يعد أحد المصادر المهمة التى نهل منها أبو حيان والسيوطى وابن هشام المصرى وغيرهم وللتدليل على ذلك نذكر ما يلى :

• **(رُبَّ)** عند البصريين حرف . وعند الكوفيين وابن الطراوة اسم . وهى تفيد التقليل . ونقل فى (الإفصاح) أنها للتكثير قال بذلك جماعة منهم صاحب العين وابن درستويه (٣) .

• إذا وقع بعد **شبه الجملة مرفوع** ، فان تقدمها نفى أو موصوف أو موصول نحو :

ما فى الدار أحد . ومررت برجل معه صقر . وجاء الذى فى الدار أبوه . وزيد عندك أخوه .

---

(١) ارتشاف الضرب ٧٧٦/٢ وحاشية الصبان ٢٤٢/٢ .

(٢) الهمع ٤٥/٨ وراجع المغنى ٤٠٠ وشرح شواهد المغنى ٢٤٤

(٣) ارتشاف الضرب ٧٣٥/٢ .

ففى المرفوع ثلاثة مذاهب :

أحدها : أن الأرجح كونه مبتدأ ، مخبرا عنه بالظرف أو المجرور ، ويجوز كونه فاعلا .

والثانى : أن الأرجح كونه فاعلا واختاره ابن مالك .

والثالث : أنه يجب كونه فاعلاً . نقله ابن هشام الخضراوى عن الأكثرين (١) .

● **جمع التصحيح والمحمول عليه** كالهندات والبنات والأخوات وأولات ، الأفصح الوقف عليه بالتاء . ويجوز إبدالها (هــاء) وفى الإفصاح : ما حكاه الفراء وقطرب من الوقف عليها بالهاء شاذ لا يقاس عليه (٢) .

● أنكر المبرد أن تكون **(عــامَّة)** من ألفاظ التوكيد ، وقال : إنما هى بمعنى أكثر ، قال السيوطى : **(عامة)** لم يذكرها أكثر النحاة غير أن سيبويه قال بها على أنها بمنزلة **(كل)** معنى واستعمالا ، قال أبو حيان : وممن نقلها عن سيبويه صاحب الإفصاح (٣) .

● قال ابن هشام فى أوضح المسالك : « وإذا تعدى الفعل لأكثر من مفعول ، فنيابة الأول جائزة اتفاقا ، ونيابة الثالث ممتنعة اتفاقا ، نقله الخضراوى » (٤) .

سادساً : وعلى الرغم مما تقدم فقد تعقّبه بعض النحاة كابن هشام المصرى وأبى حيان الغرناطى والسيوطى ، واستدركوا عليه أموراً كان ينبغى عليه أن يتثبت منها وأن يقف عندها مدققا غير أنه لم يفعل ، وفى الحقيقة هى هنات لا تقلل من قيمة الرجل وشموخه في فنه ، ومن أمثلة تلك الهنات :

● **(كأنَّ)** حرف مركب عند أكثر النحاة ، والأصل فى « كأن زيداً أسدٌ » إنَّ زيداً كالأسد ، ثم قدم حرف التشبيه اهتماماً به ففتحت همزة أنّ لدخول الجار عليها ، ولقد حكى الإجماع على أنها مركبة ابن هشام الخضراوى قال ابن هشام المصرى : وليس كذلك فقد ذهب بعض العلماء إلى القول ببساطتها كأبى حيان ، لأن التركيب خلاف الأصل فالأولى أن تكون حرفا بسيطا ، إذن فادعاء الخضراوى الإجماع على التركيب غير سديد (٥) .

● ذهب بعض النحاة إلى جواز منع الصرف وعدمه فى المؤنث المعنوى إذا كان ثنائيا (كيد) ، أو ثلاثيا ساكن الوسط كهند ومصر ، وعلى جواز الأمرين اختلف فى الأجود منهما ، فالأصح أن الأجود المنع ، قال ابن جنى : وهو القياس والأكثر فى كلامهم ، وقال أبو على

---

(١) المغنى ٥٧٩ .

(٢) الهمع ٢٠٩/٣ .

(٣) الهمع ١٢٣/٣ وراجع الكتاب ١٨٩/٨ والواضح فى الدراسات النحوية ٦٤ ، ٦٥ .

(٤) أوضح المسالك ٢٦:/٨ .

(٥) المغنى ٢٥٢ والارتشاف ٤٨٣/٢ والهمع ١٣٣/٢ والأشمونى ٢٧١/٨ ، ٢٧٢ .

الفارسى : الصرف أصح · قال الخضراوى : ولا أعلم أحداً قال هذا القول قبله ، وبعد أن ذكر السيوطى آراء بعض العلماء علّق على كلام الخضراوى قائلاً : وما ذَهب إليه غلط جلى (١) ·

● تلزم اللام والنون في جواب القسم ، والاكتفاء بأحدهما أى اللام أو النون إن لم يفصل بينه وبين اللام ضرورة ، خلافا لأبى على الفارسى والكوفيين في تجويزهم ذلك فى الاختيار ، وعلى الرغم من تجويز أبى على الفارسى والكوفيين فقد نقل السيوطى عن أبى حيان أن الخضراوى وهم فادعى الإجماع على المنع ، وذلك غير سديد (٢) ·

● **يتعدى الفعل اللازم بتضعيف العين سماعاً** نحو : فرح زيد وفرَّحته ، ومنه قوله تعالى : (قد أفلح من زكَّاها) (٣) وقيل : يتعدى الفعل اللازم بتضعيف العين قياساً · قال السيوطى : وادعى ابن هشام الخضراوى الاتفاق على الأول ، قال أبو حيان : وليس بصحيح (٤) ·

(وبعـــــد)

فهذه لمحة عجلى عن ابن هشام الخضراوى الذى كان إماماً فى العربية ، مقدما فيها ، فهو عالم بالأدب والقراءات والنحو ، ويعد بحق واحداً من النحاة الأفذاذ فى موطنه الأندلس حيث تلقى النحو وغيره عن علماء لهم مكانتهم العظيمة كما انتفع بعلمه الكثيرون أمثال أبى على الشلوبين الذى لّقب بالأستاذ · ويبدو أن الخضراوى قد أعجب كل الإعجاب بأبى على الفارسى (٥) المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ، وبكتابه الإيضاح ، ومن ثم أخذ يشرح هذا الكتاب ويلخصه ويشرح شواهده وغوامضه ، ولا عجب فأبو على الفارسى كان واحدَ زمانه فى علم العربية ، وحسبنا أن ابن جنى (٦) المتوفى سنة ٣٩٢ هـ من تلاميذه ، وهو الأديب البارع والعالم المتبحر فى علوم النحو والصرف واللغة ·

ويبدو من خلال الآراء المتقدمة لابن هشام الخضراوى أنه يميل إلى مذهب البصريين ، فهو يهتم بالسماع الكثير ويقيس عليه مثلما يفعلون ، ومن ثم أخذ يعيب على الكوفيين أنهم يقيسون على الشاذ والنادر من الكلام ·

---

(١) راجع الهمع ٣٣/٨ ، ٣٤ ·
(٢) راجع الهمع ٤٢/٢ ·
(٣) الشمس / ٩ ·
(٤) المرجع السابق ٨٢/٢ ·
(٥) ترجمته فى إنباه الرواة ٢٧٣/٨ ونزهة الالباء ٣١٥ ومعجم الأدباء ٢٣٢/٧ وطبقات النحويين واللغويين ١٢٠ ·
(٦) ترجمته فى إنباه الرواة ٣٣٥/٢ وبغية الوعاة ١٣٢/٢ ونزهة الألباء ٣٣٢ ·

وقد ترك آثاراً نحوية تشهد بكثرة عطائه ورسوخ قدمه فى فنه . ولعل أهمها هو كتاب الإفصاح الذى يعد بحق مصدراً من المصادر المهمة التى اعتمد عليها النحاة بعده فى مؤلفاتهم كأبى حيان والسيوطى والمرادى وغيرهم ، ولا يزال هذا الكتاب (مخطوطا) ومن المفيد أن يحقق هذا الكتاب لينتفع به ولتعم فائدته .

والله نسأل أن يلهمنا السداد فى الفكر والقول والعمل فهو حسبنا .

وَإِنِّى لَأُغْضِى مُقْلَتَىَّ عَلَى ٱلْقَذَى
وَأَلْبَسُ ثَوْبَ ٱلصَّبْرِ أَبْيَضَ أَبْلَجَا
وَإِنِّى لَأَدْعُو ٱللَّهَ، وَٱلْأَمْرُ ضَيِّقٌ
عَلَىَّ، فَمَا يَنْفَكُّ أَنْ يَتَفَرَّجَا
وَكَمْ مِنْ فَتًى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ
أَصَابَ لَهَا مِنْ دَعْوَةِ ٱللَّهِ مَخْرَجَا



أختي العزيزة هل :

هذه هى الرسالة الثامنة تكتبها إليك أختك همزة الاستفهام ، وتحدثك فيها عن صيغ ثلاث جديدة من هذه الصيغ التي تدخل فيها على لم النافية الجازمة للفعل المضارع ، وقد كانت من قبل قد حدثتك في رسائلها السبع المتقدمة عن أربع عشرة صيغة ، أما الصيغة الخامسة عشرة فهي : « ألم يهد » ، وقد وردت في ثلاث آيات من آيات القرآن الكريم : :

الآية الأولى قوله تعالى : (**أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون**) · الأعراف / ١٠٠

الهمزة في هذه الصيغة (أو لم يهد) في آيتها الأولى للإنكار والتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على أهل مكة وغيرهم من العرب الذين استخلفوا في الأرض من بعد أهلها ، ينكر عليهم ويوبخهم أن لم يتعظوا بما أصاب أهل هذه الأرض قبلهم من عذاب وهلاك بسبب كفرهم وتكذيبهم الرسل ، مع علمهم بأن الله قادر على أن يصيبهم بما أصاب أولئك لو شاء ذلك ·

والفعل المضارع في هذه الصيغة وهو (يهد) أي يوضح ويبين مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء من آخره · وفي فاعله ثلاثة آراء ذكرها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط (١) وذكرها أيضا صاحب الفتوحات الإلهية نقلا عن السمين (٢) ·

أحدها : أنه المصدر المؤول من أنْ وجواب لو ، والمفعول به على هذا الرأي محذوف ، والتقدير : أو لم يتبين إصابتُنا إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك عاقبة أمرهم ، فإصابتُنا وهو المصدر المؤولَ فاعل ، وعاقبةَ أمرهم هو المفعول به المحذوف ·

الرأي الثاني : أن الفاعل ضمير اسم الله تعالى ، وعلى هذا الرأي فالمصدر المؤول من أنْ وجواب لو هو المفعول به ، والتقدير أو لم يهد أي يبين اللهُ لهم إصابتنا إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك ·

الرأي الثالث : أن الفاعل ضمير مستتر في يهد يعود على ما يفهم من سياق الكلام ، والتقدير : أو لم يبين لهم ما جرى للأمم السابقة إصابتنا إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك ·

ويبدو لى – والله أعلم – أن أقرب هذه الآراء الثلاثة إلى الصواب هو الرأي القائل : إن المصدر المؤول من أنْ وجواب لو هو الفاعل لأنه هو الذي يبدر إلى الذهن أول وهلة ، وعليه ظاهر اللفظ ، ويؤيده تفسير ابن عباس رضى الله عنهما ،وتفسير أبي جعفر بن جرير ، فقد جاء في تفسير ابن كثير (٣) : « قال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى : **(أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها)** أولم يُبين لهم أنْ لو نشاء أصبناهم بذنوبهم · وكذلك قال مجاهد وغيره ، وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيرها (٤) يقول الله تعالى أولم يُبين للذين يستخلفون في الأرض من بعد إهلاك آخرين كانوا أهلها ، فساروا سيرتهم ، وعملوا أعمالهم ، وعتوا عن أمر ربهم (أنْ لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) ا هـ ·

والظاهر من التفسيرين المتقدمين أن الفاعل هو أنْ وما في حيزها ، وليس فيهما ما يدل على أن الفاعل ضمير اسم الله تعالى ، أو ضمير يعود على غيره تعالى ·

الآية الثانية التي وردت فيها صيغة (ألم يهد) قوله تعالى : **(أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولى النهى)** طه / ١٢٨ ·

همزة الاستفهام في (أفلم يهد لهم) في آيتها الثانية للانكار والتوبيخ كما في الآية الأولى :

ينكر الله سبحانه وتعالى على أن المشركين من أهل مكة وغيرهم ويوبخهم أن لم يبيّن لهم ويعظهم كثرة من أهلكهم من الأمم قبلهم بسبب كفرهم وتكذيبهم الرسل ، مع أنهم يمشون في مساكن أولئك المهلكين وهم مسافرون إلى الشام وغيرها ، ويتقلبون في بلادهم ، ويشاهدون آثار العذاب الذى نزل بهم ··

وقد اختلفت الآراء أيضاً في فاعل يهد في هذه الآية ·

يقول أحدها : إن الفاعل ضمير اسم الله تعالى ، أي ألم يبيّن اللهُ لهم ·

ويقول رأي ثان : إن الفاعل مصدر مأخوذ من أهلكنا بدون سابك ، رعاية لما يقتضيه المعنى ، والتقدير أفلم يهد لهم إهلاكُنا ·

ويقول رأي ثالث : إن الفاعل مقدر ، تقديره الهدى ·

ويقول رأي رابع : إن الفاعل هو الجملة بعده ، أي جملة كم أهلكنا قبلهم من القرون ·

وأنا أميل إلى هذا الرأي الرابع ، وهو رأي كوفي يجوّز وقوع الجملة مسنداً إليها في الصورة وظاهر اللفظ ، مع تأويلها بمفرد يدلّ عليه المعنى (٥) ·

ويعجبني قول ابن مالك في شرح التسهيل : « وفي قوله تعالى (أو لم يهد لهم كم أهلكنا) إنه على تأويل أو لم يهد لهم كثرةُ إهلاكنا ، وجاز الإسناد في هذا الباب باعتبار التأويل ، كما جاز في باب المبتدأ نحو سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » اهـ قول ابن مالك (٦) ·

وقول ابن مالك هذا يشعر (كما قال القاسمي) بأن الفاعل الجملة لتأويلها بالمفرد ·

وقد فسر ابن كثير قوله تعالى : **(أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) (السجدة / ٢٦) فسره بقوله « يقول تعالى أولم يهد لهؤلاء المكذبين ما أهلك الله من الأمم الماضية » اهـ (٧) ويبدو من هذا التفسير أن فاعل (يهد) هو جملة كم أهلكنا ولكن باعتبار معناها ومضمونها ·**

وعلى الرأي القائل إن الفاعل هو جملة كم أهلكنا على تأويلها بالمفرد يكون المفعول به محذوفاً تقديره مآلَ أمرهم وعاقبةَ كفرهم ·

أما إعراب ما يتعلق بهذه الصيغة من كلمات في قوله تعالى : (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) ف (لهم) جار ومجرور يتعلقان بالفعل (يهد) · و (كم) تكثيرية مبنية على السكون في محل نصب مفعول مقدم لأهلكنا : و (أهلكنا) أهلك فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك أو مبني على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره السكون العارض لاتصاله بضمير رفع متحرك · والفعل على كلا الإعرابين لا محل له من الإعراب · و (نا) ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل · و (قبلهم) قبل ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره · و (هم) ضمير مبني على السكون في محل جر بالإضافة ، وهذا الظرف متعلق بالفعل قبله (أهلك) · و (من القرون) (من) بيان لكم والجار والمجرور يتعلقان بمحذوف صفة

لكم وهذا رأي ، وهناك رأي آخر يقول إن من البيانية ومجرورها في محل نصب على الحال . وجملة (يمشون في مساكنهم) في محل نصب حال من الضمير في (لهم) .

الآية الثالثة التي وردت فيها صيغة (ألم يهد) قوله تعالى : **(أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون)** . السجدة / ٢٦ .

الهمزة في هذه الصيغة في آيتها الثالثة للإنكار والتوبيخ بالمعنى الذي تقدم تفصيله في الآية السابقة .

وما قيل في فاعل (يهد) في آيتها الثانية المتقدمة يقال هنا في هذه الآية الثالثة ، فلا حاجة إلى الإعادة والتكرار .

وإعراب بقية كلمات هذه الصيغة قد تقدم ذكره في الآية الثانية .

أختي العزيزة هل :

أما الصيغة السادسة عشرة من هذه الصيغ التي أدخل فيها على لم النافية الجازمة للفعل المضارع فهي أو لم يتفكروا) وقد جاءت هذه الصيغة في آيتين اثنتين :

الآية الأولى قوله تعالى : (أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين) . الأعراف / ١٨٤ .

الهمزة هنا في هذه الصيغة (أو لم يتفكروا) للإنكار والتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على كفار مكة ويوبخهم أن لم يتفكروا في انتفاء الجنون عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو صاحبهم قد عرفوه من قبل هذا صغيرا وجرّبوه كبيرا ، فما رأوا فيه طيش شباب ولا انحرافاً عن صواب ، واستأمنوه فكان المستأمن الأمين ، واستمعوا إلى قوله فكان المحدث الصادق ، وحكّموه فيما شجر بينهم من خلاف فكان الحكم العدل والقاضي الثاقب الرأي ، فمن أين يجيئه الجنون بعد هذا كله ؟ !! لو كنتم يا كفار مكة تتفكرون في أنفسكم ، وتتدبرون الذي عرفتم عن صاحبكم هذا لقلتم حقاً وصدقاً إن هو إلا نذير مبين .

وإعراب (أولم يتفكروا) واضح بين قد مضى إعراب مثله كثيراً .

وإعراب (ما بصاحبهم من جنة) : (ما) نافية غير عاملة ، حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب . (بصاحبهم) جار ومجرور ومضاف إليه : الباء حرف جر وصاحب مجرور بالباء وهم ضمير مبني على السكون في محل جر بالإضافة . والجار والمجرور متعلقان

بمحذوف خبر مقدم ، ولك أن تقول الجار والمجرور في محل رفع خبر مقدم · (من جنة) من حرف جر زائد وجنة مجرور بمن وعلامة جره كسرة ظاهرة على آخره وجنة المجرور بحرف الجر الزائد مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها الكسرة التى أتي بها لمناسبة حرف الجر الزائد ، وعلى رأي من يرى أن المجرور بحرف الجر الزائد يكون إعرابه محلياً تقول (جنة) مبتدأ مؤخر وهو في محل رفع ·

وجملة (ما بصاحبهم من جنة) في محل نصب بالفعل (يتفكروا) بعد إسقاط حرف الجر (في) · ومن النحويين من يجوز أن تكون جملة (ما بصاحبهم من جنة) في محل جر بفي المقدرة ·

الآية الثانية التي وردت فيها هذه الصيغة قوله تعالى : **(أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون)** · (الروم / ٨) ·

همزة الاستفهام في هذه الصيغة في آيتها الثانية للإنكار والتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الذين يكفرون بالبعث ولا يؤمنون بالآخرة ، ينكر عليهم ويوبخهم ألا يتفكروا في أنفسهم ويتدبروا فيها هذه الأشياء العظيمة التي خلقَها الله تعالى ، هذه السموات والأرض وما بينهما ، وأنه تعالى ما خلقها عبثاً ولا لعباً ، وإنما خلقها متلبسة بالحق مقترنة بالحكمة مقدرة بأجل مسمى تنتهى إليه ، وهو يوم القيامة يوم الحساب والثواب والعقاب ، يوم لقاء رب العالمين ·

وإعراب **(أولم يتكفروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى)** واضح سهل . ومع ذلك أعرب بعض كلماتها :

(وما بينهما) الواو عاطفة (ما) اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على السموات ، و (بين) ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره · وبين مضاف وهما مضاف إليه مبني على السكون في محل جر بالإضافة · ومن المعربين من يجزئ (هما) فيقول في إعرابها : الهاء وحدها هى الضمير ، والميم حرف عماد ، والألف حرف دال على التثنية ، وقد سبق أن بينت ضعف هذا الرأي ، لأن الذي يدل على الاثنين الغائبين هو مجموع الأحرف الثلاثة ، وليس الهاء وحدها ·

وظرف المكان (بين) متعلق بفعل محذوف تقديره كان ، والجملة مكونة من هذا الفعل المحذوف وما تعلق به صلة الموصول (ما) وهي جملة لا محل لها من الإعراب ·

(إلا بالحق) (إلا) أداة حصر حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، (بالحق) جار ومجرور يتعلقان بمحذوف حال ، والمعنى : ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا متلبسة بالحق وأجل مسمى ·

(وأجل مسمى) الواو عاطفة و (أجل) معطوف على الحق و (مسمى) نعت لأجل مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره وهو الألف منع من ظهورها التعذر ·

وجملة **(ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى)** في محل نصب مفعول به لفعل (يتفكروا) على إسقاط الخافض ، ويجوز أن تكون هذه الجملة في محل جر بفي المقدرة ·

أختي العزيزة هل :

الصيغة السابعة عشرة من هذه الصيغ التي أدخل فيها على لم النافية الجازمة للفعل المضارع هى (ألم ينظروا) وقد جاءت في آيتين اثنتين :

الآية الأولى قوله تعالى : **(أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون)** (الأعراف / ١٨٥) ·

هذه الاستفهام في هذه الصيغة الواردة في هذه الآية للإنكار والتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الذين يكفرون بآيات الله ، وينكرون البعث والحساب ، ويكذّبون بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ينكر عليهم ويوبخهم أن لم يتأملوا في عظمة الله وسلطانه وبديع صنعه فيما خلق من سموات وأرض وأشياء كثيرة مختلفة لا تحصى مبثوثة أمام أعينهم في كل مكان تدل على أنه الواحد القادر على كل شيء ، فيؤمنوا بالله سبحانه وتعالى ، ويصدقوا برسوله صلى الله عليه وسلم ·

وينكر عليهم أيضاً ويوبخهم أن لم يتدبروا اقتراب أجلهم فيبادروا إلى الإيمان قبل الفوات ، قبل أن يأتيهم الموت بغتة فيهلكوا وهم على الكفر وبئس الممات ·

هذا ، وإعراب قوله تعالى (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) سهل واضح ، قد تقدم إعراب مثله أكثر من مرة ·

وأما إعراب قوله تعالى بعد ذلك (وما خلق الله من شيء) فالواو عاطفة ، و (ما) اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ملكوت · و (خلق) فعل ماض ولفظ الجلالة (الله) فاعل و (من شيء) من حرف جر ، وهى هنا بيانية تبين المعنى المراد

من اسم الموصول (ما) وشيء مجرور بمن ، والجار والمجرور (من شيء) في محل نصب على الحال من (ما) . وجملة (خلق الله من شيء) لا محل لها من الإعراب صلة الموصول ، والعائد محذوف ، والتقدير وما خلقه الله من شيء .

وإعراب قوله تعالى بعد ذلك **(وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) :**

الواو عاطفة و (أن) – بفتح الهمزة وسكون النون – مخففة من أنَّ الثقيلة ، حرف توكيد ، تنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها ، واسمها ضمير الشأن محذوف تقديره هو أي الحال والشأن .

وعسى فعل ماض جامد مبنية على فتح مقدر على الألف للتعذر لا محل لها من الاعراب .

وتستعمل (عسى) أحياناً فعلا ناقصاً فتعمل عمل كان ، وأحياناً فعلا تاماً فتكتفى بمرفوعها على أنه فاعل .

وتدل (عسى) على الترجى والطمع في خبرها أو فاعلها إن كان محبوباً ، وعلى الخوف والأشفاق منه إن كان مكروها .

وتفيد (عسى) الظن والشك في وقوع أمر مع توقع حصوله ، وقد تأتى لليقين ، وهى هنا في هذه الآية لليقين .

ويجوز في (عسى) الواردة في هذه الآية أن تكون ناقصة وأن تكون تامة ، وعلى اعتبار أنها ناقصة في (أجلهم) المذكور في آخر جملتها اسمها مرفوع وعلامة رفعه ضمة ظاهرة على آخره وهو اللام . (أجل) مضاف و (هم) مضاف إليه مبني على السكون في محل جر بالإضافة ، وعلى هذا الإعراب تكون المسألة من باب التنازع :

تنازع (عسى) و (يكون) و (اقترب) في (أجلهم) فأعمل الأول وهو عسى وأضمر في الثاني والثالث ، وأتم الإعراب على اعتبار أنها ناقصة وعلى اعتبار التنازع السابق الذكر فأقول : (أن يكون) أن حرف مصدري ناصب للفعل المضارع مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، و (يكون) مضارع كان الناقصة منصوب بأن وعلامة نصبه فتحة ظاهرة على آخره ، واسم يكون ضمير مستتر تقديره هو يعود على (أجلهم) المتأخر لفظاً المتقدم رتبة . (قد اقترب أجلهم) :

(قد) حرف تحقيق مبني على السكون لا محل له من الإعراب . و (اقترب) فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على

(أجلهم) المتأخر لفظاً المتقدم رتبة · وجملة (قد اقترب) في محل نصب خبر يكون ، والمصدر المؤول من (أن يكون) في محل نصب خبر (عسى) ·

وعلى اعتبار (عسى) تامة يكون فاعلها المصدر المؤول من (أن يكون) واسم (يكون) يجوز أن يكون ضمير الشأن المحذوف وحينئذ يكون أجلهم فاعل اقترب ويجوز أيضاً أن يكون أجلهم اسم يكون ، وفاعل اقترب حينئذ ضمير يعود على أجلهم المتأخر لفظاً المتقدم رتبة ·

وأيًّا كان الإعراب في (أنْ) المخففة من الثقيلة وما دخلت عليه في تأويل مصدر يكون في محل جر بالعطف على ملكوت المجرور بفي ، ولأن عسى فعل جامد لا يؤخذ منها مصدر يقدر المصدر من الكون على معنى أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيءٍ وكينونة عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ·

الآية الثانية التي وردت فيها صيغة (ألم ينظروا) قوله تعالى : **(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج)** · (ق / ٦) ·

همزة الاستفهام في هذه الصيغة الواردة في هذه الآية للإنكار والتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على الكافرين بالبعث ويوبخهم أن لم ينظروا بعيونهم نظراً يصحبه التدبر والتفكر إلى هذه السماء فوقهم عاليةً بعيدةً في علاها ، من غير أن تقوم على عمد ، قد أحكم بناؤها فلا فطور ولا فروج ولا اضطراب ، وهي مع ذلك جميلة رائعة الجمال ، تزينها أشعة شمس الصباح فتملأ الأعين وتأخذ بمجامع القلوب ، وتزينها أشعة شمس الغروب فتذهب النفس معها كل مذهب ، ويطير الخيال وراءها كل مطار ·

وللسماء بين هذه وتلك وجه مشرق وضيء يملأ الكون صفاء وبهاء ·

وفي الليل – وما أجمل ليل السماء ، وما أجمل سماء الليل – يزينها لألاء النجوم ، وبسمات الكواكب ، وأشعة القمر ، فلا تمل منها عين ولا يروى بصر ، يود الناظر إليها أن يطير وراء كل نجم ، وأن يسبح معها في كل فلك ·

لقد كان بناء هذِه الشمس وتزيينها بالشمس والقمر والكواكب من أعظم الدلائل على أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ، فما لهؤلاء الكافرين بالبعث لا يفكرون ولا يعقلون ، إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ·

أما إعراب هذه الآية : **(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج)** فسهل واضح في الكلمات الأولى (أفلم ينظروا إلى السماء) .

وأما إعراب ما جاء بعد ذلك فـ (فوقهم) (فوق) ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه فتحة ظاهرة على آخره ، وهو متعلق بمحذوف حال من السماء ، فوق مضاف وهم مضاف إليه مبني على السكون في محل جر بالإضافة . و (كيف بنيناها) (كيف) اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من (ها) في بنيناها و (بنيناها) مكونة من فعل ماض (بنى) مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك لا محل له من الإعراب . و (نا) ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل . و (ها) ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به . وجملة (كيف بنيناها) في محل جر بدل من السماء وهو بدل اشتمال . والمعنى أفلم ينظروا إلى السماء كيفيةِ بنائنا لها .

(وزيناها) الواو عاطفة ، وإعراب (زيناها) كإعراب (بنيناها) .

(ومالها من فروج) الواو للحال ، و (لها) جار ومجرور يتعلقان بمحذوف خبر مقدم و (من) حرف جر زائد ، و (فروج) مجرور بمن وعلامة جره كسرة ظاهرة على آخره ، وفروج المجرور بمن مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها الكسرة التي أتي بها لمناسبة حرف الجر الزائد ، وجملة (مالها من فروج) في محل نصب على الحال من (ها) في (زيناها) .

أختي العزيزة هل :

قبل أن أختم هذه الرسالة أحب أن أنبهك على أشياء :

أحدها : قد تقدم في إعراب قوله تعالى : **(أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة)** أن (من) حرف جر زائد ، وأحب أن أنبهك هنا على أن هذه الزيادة لا تعني أن هذا الحرف الزائد حشو في الكلام ، دخوله فيه كخروجه منه ، ولكنها اصطلاح نحوي يعني ثلاثة أشياء :

أحدها : أن المعنى الأساسي للجملة يتم بدون هذا الحرف الزائد .

الثاني : أن هذا الجار الزائد لا يحتاج إلى متعلق .

الثالث : أن مجرور هذا الحرف الزائد له حركة إعرابية غير هذه الكسرة التي جاءت لمناسبة حرف الجر الزائد .

هذا الذي سماه أهل النحو زائداً لا بد منه عند أهل البلاغة ، عند من يتذوقون أساليب القول الرفيع ، ويتعرفون وجوه البيان المشرق ٠

فالإتيان بهذا الحرف الزائد في هذا المكان من قوله تعالى يفيد نفي الجنون عن الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل العموم والشمول نصاً لا يقبل أي احتمال ، والحال التي كان عليها كفار مكة من وصفه صلى الله عليه وسلم كذباً وبهتاناً بالجنون أكثر من مرة ، حالهم تلك تقتضي مثل هذا القول ، وقد سبق بيان مثل هذا في قوله تعالى : **(أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال)** وذلك في الصيغة الثانية عشرة وفي الرسالة السادسة من هذه الرسائل ٠

الثاني : التعبير عنه صلى الله عليه وسلم **(بصاحبهم)** في قوله تعالى : **(أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة)** كان تعبيراً عميق الدلالة فالج الحجة ، كأنما هو يقول لكفار قريش : إن طول مصاحبتكم لهذا الرسول ، واطلاعكم الشامل على أحواله ، وتجاربكم الطويلة المتنوعة معه ، كل أولئك قد أثبت لكم صدقه في الحديث ، ورجاحة عقله في تصريف الأمور ، فمن أين يجيئه الجنون يا بله التفكير وياعمي البصائر ٠

الثالث : قد تقدم في هذه الرسالة بيان معنى الاستفهام في قوله تعالى : **(أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق وأجل مسمى)** وأحب أن أنبهك هنا على أن الأوضح والأرجح – في رأيي – أن يتعلق الجار والمجرور (في أنفسهم) بالفعل (يتفكروا) على اعتبار أن الأنفس ظرف للتفكر ٠

ولأن التفكر لا يقع إلا في القلوب والأنفس كان (في أنفسهم) زيادة تصوير وتوكيد للتفكر ، ومن هذا الأسلوب قولك اعتقده في قلبك وأضمرْهُ في نفسك ، وأبصرْه بعينك واسمعْه بأذنك ٠

وعلى هذا الاعتبار المتقدم يكون متعلق التفكر ومفعوله والشيء الذي وبخوا على عدم التفكر فيه هو ما تضمنه قوله تعالى بعد ذلك : **(ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق وأجل مسمى)** ٠

الرابع : ذهب الجلال المحلي في تفسير الجلالين (٨) إلى أن الاستفهام في قوله تعالى : **(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج)** ذهب إلى أن هذا الاستفهام للتقرير على معني أنهم نظروا وعلموا ما ذكر ٠ وليس هذا بصحيح لأنهم لو نظروا إلى ما تضمنته الآية الكريمة نظراً دقيقاً متدبراً ، وعلموه علم اليقين لآمنوا بقدرة الله تعالى على البعث ، ولصدّقوا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

والحق أن هذا الاستفهام للإنكار والتوبيخ على المعنى الذى تقدم بيانه ·

أختي العزيزة هل :

لقد آن أن أقول وداعاً ، فأقول وداعاً ، وأسأله جل وعلا أن يعين على رسالة قادمة أكتبها إليك يكون فيها النفع والسداد · والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ·

أختك
همزة الاستفهام

* * * * * *

المـــراجــع

القسم الأول : المراجع التي أشير إليها بالأرقام المسلسلة الواردة في هذه الرسالة :

١ – البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي – الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض – جـ ٤ ص ٣٤٩ ·

٢ – الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين – الناشر الحلبي بمصر – جـ ٢ ص ١٦٩ ·

٣ – تفسير ابن كثير – الناشر : الحلبى بمصر – جـ ٢ ص ٢٣٤ ·

٤ – تفسير الطبرى – الطبعة الثالثة – الناشر : الحلبى بمصر : جـ ٩ ص ٩ ·

٥ – حاشية الدسوقي على مغني اللبيب – الناشر : مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني : جـ ٢ ص ٥٧ ·

٦ – حاشية ياسين على التصريح – الناشر : دار الفكر / بيروت : جـ ١ ص ٢٦٨ ·

٧ – تفسير ابن كثير (السالف الذكر) : جـ ٣ ص ٤٦٣ ·

٨ – تفسير الجلالين (هامش الفتوحات الإلهية السالف الذكر) جـ ٤ ص ١٩١ ·

القسم الثاني : مراجع الصيغ الواردة في هذه الرسالة :

١ - مراجع (ألم يهد) وهى الصيغة الخامسة عشرة :

أ - البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (السالف الذكر) :

جـ ٤ ص ٣٤٩ / جـ ٦ ص ٢٨٨ ٠

ب - تفسير أبي السعود - الناشر : مكتبة ومطبعة محمد عبد الرحمن محمد بالقاهرة :

جـ ٣ ص ٢٥٤ / جـ ٦ ص ٤٨ / جـ ٧ ص ٨٧ ٠

جـ - تفسير ابن كثير (السالف الذكر) : جـ ٢ ص ٢٣٤ / جـ ٣ ص ١٧٠ / جـ ٣ ص ٤٦٣ ٠

د - الكشاف للزمخشري (الناشر : الحلبي بمصر) : جـ ٢ ص ٩٩ / جـ ص ٥٥٨ ٠

هـ - الفتوحات الإلهية (السالف الذكر) : جـ ٢ ص ١٦٩ / جـ ٣ ص ١١٦ / جـ ٣ ص ٤٢٠ ٠ ٠

و - تفسير القرطبي (الطبعة الثالثة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة) : جـ ١٤ ص ١١٠ ٠

ز - تفسير الجلالين (هامش الفتوحات الإلهية المتقدم ذكره) جـ ٢ ص ١٦٩ ٠

٢ - مراجع الصيغة السادسة عشرة وهى : (ألم يتفكروا) :

أ - البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (السالف الذكر) : جـ ٤ ص ٤٣١ / جـ ٧ ص ١٦٣ ٠

ب - تفسير أبى السعود (السالف الذكر) : جـ ٣ ص ٢٩٨ / جـ ٧ ص ٥١ ٠

جـ - الفتوحات الإلهية (السالف الذكر) : جـ ٢ ص ٢١٥ / جـ ٣ ص ٣٨٦ ٠

د - الكشاف للزمخشري (السالف الذكر) : جـ ٣ ص ٢١٥ ٠

٣ - مراجع الصيغة السابعة عشرة وهى : (ألم ينظروا) :

أ - البحر المحيط لأبي حيان الأندلسى : جـ ٤ ص ٤٣٢ ٠

ب - تفسير أبى السعود : جـ ٣ ص ٢٩٩ ٠

جـ : الفتوحات الإلهية : جـ ٢ ص ٢١٥ / جـ ٤ ص ١٩١ ٠

بحث في صيغة " أفعل "

(بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربية)

الدكتور مصطفى أحمد النماس
المدرس بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

- ٤ -

حسّ وأحسّ (١)

تقول : أحس الرجل بالبرد ، وأحس الرجل البرد بمعنى شعر به ونقول أحس الحنان والتقدير من صديقه أو أحس بالحنان بمعنى شعر به أو علمه أو عرفه أو ظنه أو تيقنه ويجوز أن نستعمل بهذا المعنى الفعل الثلاثى المجرد فنقول : حس الرجل البرد ، وحس الرجل بالبرد الا أن بعض اللغويين يتزمت فيمنع هذا وحجته أن ما ورد في القرآن بهذا المعنى هو الثلاثى المزيد لا المجرد قال الله تعالى « فلما أحس عيسى منهم الكفر » ، وقال تعالى : « فلما أحسوا بأسنا » وقال تعالى : « هل تحسُّ منهم من أحد » ولم يأت الثلاثى المجرد بهذا المعنى بل ورد بمعنى القتل أو القطع قال تعالى : ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه » فالمعنى تقتلونهم وتأتون على احساسهم فلا تبقون لهم حسا وبهذه الحجة يمنعون أن نقول بعض المشتقات من المادة الثلاثية المجردة فلا تقل على رأيهم : حاسّة : اسم فاعل من حسّ وجمعها حواس للسمع والبصر والشم والذوق واللمس ويسمونها المحسات ويمنعون كذلك اسم المفعول محسوس وجمعه محسوسات ولا يجيزون إلا المحس وجمعه المحسات لأنهم لا يجيزون المادة الثلاثية بل لا يستعملون في هذه الأغراض إلا الفعل المزيد بالهمزة وكأنهم رفضوا استعمال الثلاثى .

---

(١) انظر تصحيح الفصيح جـ ١ ص ٢٩٧ .

ودحض حجتهم هذه أن القرآن الكريم هو الحجة في فصاحة اللغة وبلاغتها ولكن لاشك أنه لم يستوعب كل كلماتها ، كما أنه لم يستعمل كل كلمة في معانيها اللغوية فاذا ترك كلمة ما لا يكون دليلا على عدم فصاحتها وكذلك اذا استعمل كلمة في معنى وترك بعض المعانى الأخرى لا يكون دليلا على حظر المعانى الأخرى ولقد جاء الفعل الثلاثى المجرد من هذه المادة في لغة العرب بمعانى غير القطع والقتل والذى يعنينى استعمال الثلاثى المجرد بمعنى الشعور وما يتصل به من العطف والتوجع قال الشاعر الجاهلى السفاح بن خالد التغلبى (١) ·

فَلَبَّيْتُ الصريخَ ولم يَرَونا ... ولا حَسّوا بنا حتى اعتلينا

فالمعنى فيه ولا شعروا بوجودنا حتى هجمنا عليهم ومن ذلك قول الكميت بن زيد الأسدى

هل من بكى الدار راجٍ أن تحس له ... أو يبكى الدار ماء العبرة الخضل

فالفعل تحس بفتح التاء مضارع من الفعل الثلاثى المجرد فإذا فسرناه بمعنى ترق له وتعطف عليه فهو من معانى الشعور ·

وأيضا حديث قتادة كما في اللسان (٢) « إن المؤمن ليحسّ للمنافق » أى يعطف عليه أو يتوجع له فبان بذلك ضعف الرأى الآخر الذى انكر الثلاثى من هذه المادة وان استعمال المصدر الذى هو الحس من الثلاثى والمصدر من المزيد هو الإحساس ويدل كذلك على أن كثيرا من الأفعال العربية يأتى الثلاثى المجرد والثلاثى المزيد بالألف بمعنى واحد أى أن فعل وأفعل بمعنى واحد وهو ما يقول به كثير من العلماء وأمثال الزجاج في كتاب فعلت وأفعلت ولذا كان قول ثعلب في كتاب الفصيح « والعامة تقول : حسست الشىء في أحسست وهو خطأ » دعوى من غير دليل » ·

أثمر :

وفي شفاء الغليل ص ٣١ اثمر يكون لازما وهو المشهور الوارد في الكتاب العزيز ولم يتعرض أكثر أهل اللغة لغيره : وورد متعديا كما في قول الأزهرى في تهذيبه يثمر ثمرا فيه حموضه ، وكذا استعمله كثير من الفصحاء كقول ابن المعتز :

وغرس من الأحباب غيبت في الثَّرى ... فأسقيته أجْفانى بسح وقاطرِ
فأثمر هماً لا يبيد وحسرة ... لقلبى يجنيها بأيد الخواطر

(١) انظر الأنوار ومحاسن الاشعار ص٢٥٧ ·

(٢) انظر اللسان (حسّ) ، تصحيح الفصيح جـ١ ص٢٩٨ ·

وقال ابن نباتة السعدى :

وتثمر حاجة الآمال نحجا اذا ما كان فيها ذا احتيال

وقال محمد بن شرف وهو من أئمة اللغة :

كأنما الأغصان لما علا فروعها قطر الندى نثرا

ولاحت الشمس عليها ضحى زبرجد قد أثمر الدرا

وقول ابن الرومى : سيثمر لى ما أثمر الطلع حائط .. الى غير ذلك مما لا يحصى وهكذا استعمله الشيخ في دلائله والسكاكى في مفتاحه ، ولما يره كذلك شراحه .

قال الشارح استعمل الاثمار متعديا بنفسه في مواضع من هذا الكتاب فلعله ضمنه معنى الافادة أو جعله متعديا بنفسه ولو قيل ان تعديه الى مفعوله كثر حتى صار كاللازم له لما دل عليه ، ولذا يذكر ان لم يكن كذلك لم يبعد الآتراك. إذا قلت أثمرت النخلة علم أنها أثمرت بلحا ونحوة ......

أخضر :

استعمل مدحا بمعنى مخضب رحب الجنان وكان يقال للفضل بن العباس رضى الله عنه الأخضر قال : -

وأنا الأخضر من يعرفنى أخضر الجلدة في بيت العرب

وذما بمعنى لئيم لا يأكل الا البقول :

كسا اللؤم تيما خضرة في جلودها فويل لتيم من سرا بيلها الخضر

حصيت وأحصيت :

يقال حصيت اذا عددته وأحصيته اذا ميزته بعضه من بعض قال الشاعر

ويربى على عد الرمال عديدنا ونحصى الحصاة بل يزيد على العد

والحصاة العقل أيضا قال الشاعر وهو طرفه بن العبد :

وان لسان المرء ما لم تكن له حصاة على عوراته لدليل

ويقال أحصيت الشيء اذا أطقته واتسعت له وقال الله عز اسمه :

« علم أن لن تحصوه فتابَ عليكم » أراد والله أعلم لن تطيقوه - وقال الشاعر :

فاقعد فإنك لا تحصى بنى جشم ولا تطيق علاهم أيةً وقعوا

يريد لا تطيق بنى جشم .

ومما يحتمل هذه المعانى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : إن لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدة إنّه وتْرٌ يحبُّ الوتْر من أحصاه دخل الجنة » .

قال محمد بن يزيد المبرد معناه عندى من عدها من القران لأن هذه الأسامى كلها مفرقة في القرآن فكانه أراد من تتبع جمعها وتأليفها من القرآن وعانى في جمعها من الكلفة والمشقة دخل الجنة » انظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٢٤ ٠

ما جاء على أفعل ثم أميت

وقد استعمل العرب بعض الافعال على وزن أفعل أصلا ولكنهم عدلوا عن الأصل وجعلوه ملحقا بالرباعى فأصبح ملحقا بغيره في الاستعمال بعد أن كان أصلا قال السيوطى في المزهر (١) واستعمل (الهث) ثم أميت والحق بالرباعى في الهثهثة وهو اختلاط الأصوات في الحرب أو في صخب قال الراجز (العجاج) :

وأمراء قد أفسدوا فعاثوا فهثهثوا فكثر الهثهاث

واستعمل (الجع) ثم أميت والحق بالرباعى في جعجع والجعجعة القعود على غير طمأنينة ٠ واستعمل (القح) ثم أميت والحق بالرباعى فقيل القحقح وهو العظم المطيف بالدبر واستعمل الكح ثم أميت والحق بالرباعى فقيل كحكح وهو الناقة الهرمة التى لا تحبس لعابها واستعمل (ألذع) ثم أميت وألحق بالرباعى فقيل ذعذع الشيء اذا فرقه ٠

أفعل فهو فاعـــل (٢)

المعروف أن صيغة فاعل إنما تصاغ من الثلاثى المتصرف ويكون كثيرا مطردا من الفعل المفتوح العين سواء كان متعديا أو لازما ومن مكسور العين المتعدى اما مضموم العين أو مكسورها اللازم فهو قليل وقد وردت صيغة فاعل من الرباعى الذى على وزن أفعل في بعض المواد سماعا ٠

قال في الغريب المصنف لم يجىء أفعل فهو فاعل الا ما قال الأصمعى : أبقل الموضع فهو باقل من نبات البقل ، وأورس الشجر فهو وارس اذا أورق ولم يعرف غيرها ٠

وزاد الكسائى : أيفع الغلام فهو يافع ـ قلت : وفي الصحاح بلد عاشب ولا يقال في ماضيه الا أعشبت الأرض وفيه أقرب القوم إذا كانت إبلهم قوارب فهم قاربون ولا يقال مقربون قال أبو عبيد وهذا الحرف شاذ وفي أمالى القالى : القارب : الطالب للماء ، يقال قربت الأبل وأقربها أهلها ، قال الأصمعى فهم قاربون ولا يقال مقربون وهذا الحرف شاذ وقال القالي : إنما قالوا قاربون لأنهم ارادوا : ذو قرب وأصحاب قرب ولم يبنوه على أقرب ٠

---

(١) انظر المزهر جـ٢ ص٤٦ ٠

(٢) انظر المزهر جـ٢ ص٧٦ ، وادب الكاتب لابن قتيبة ص٦٣٥ واصلاح المنطق ص٣٠٥ والمزهر جـ٢ ص٨٢ ٠

وقال السيوطى في المزهر : ليس في كلامهم أفعل فهو فاعل الا أعشبت الأرض فهى عاشب ، وأورس الرمث وهو ضرب من الشجر اذا تغير لونه عن البياض فهو وارس وأيفع الغلام فهو يافع ، وأبقلت الأرض فهى باقل وأغضى (١) الليل فهو غاض ، وأمحل البلد فهو ماحل ·

أفعله فهو مفعول (٢)

صيغة مفعول إنما تصاغ من الثلاثى التام المتصرف سواء كان متعديا أم لازما ويشترط مع اللازم أن توجد معها واسطة من جار ومجرور أو غيره تقول محمد محفوظ بعناية ربه وأنت ممرور بك ، ومنهوب إليك · وقد وردت صيغة مفعول من غير الثلاثى الذى على وزن أفعل من المواد الآتية :

ولم يأت أفعله مفعول الا أجنه فهو مجنون وأزكمه فهو مزكوم ، وأحزنه فهو محزون وأحبه فهو محبوب ·

وقال ابن جنى في الخصائص باب نقض العادة : ونحو ذلك ما جاء عنهم من أفعلته فهو مفعول وذلك نحو أحببته فهو محبوب ، وأجنه فهو مجنون وأزكمه فهو مزكوم ، وأكزه فهو مكزوز ، واقر فهو مقرور ، وآرضه آلة فهو مأروض ، واملأه الله فهو مملوء ، وأضأضه فهو مضؤود ، وأحمه الله فهو محموم ، وأهمه (من الهم) فهو مهموم ، وأزعقته فهو مزعوق أى مذعور · ومثله ما انشدناه ابو على من قوله (وهو خفاف بن ندبة)

اذا ما استحمت أرضه من سمائه جرى وهو مودوع (٣) واوعد مَصْدَق

وأما أحزنه الله فهو محزون فقد حمل على هذا غير أنه قال أبو زيد يقولون الا يحزننى (بفتح الياء) ولا يقولون حزننى الا أن مجىء المضارع يشهد للماضى فهذا أمثل ما مضى - وقد قالوا فيه أيضا محزن على القياس ومثله قولهم : محب منه بيت عنتره :

ولقد نزلت فلا تظنى غيرة منى بمنزلة المحب المكرم

ومثله قول الأخرى هند بنت أبى سفيان أخت معاوية رضى الله عنهما وهى ترقص ابنها عبد الله :

لأنكحنّ ببةْ : جارية خِدبّةْ مكرمة محبَّةْ تحب أهل الكعبةْ

وقال الآخر : ومن يناد آل يربوع يجب يأتيك منهم خير فتيان العرب

المَنْكِبُ الأيمنْ والرِّدفُ المُحب

---

(١) أغضى الليل : اظلم فالليل مغض لغة قليلة · والخصائص جـ٢ ص٢١٥ ·

(٢) انظر المزهر جـ٢ ص٨٢ ، والخصائص جـ٢ ص٢١٦ · وأدب الكاتب ص٦٣٦ تحت باب في شواذ التصريف ·

(٣) قوله مودوع مفعول من ودعه أى تركه والملحوظ أن الثلاثى منه قد ترك استغناء بترك ·

والملحوظ أن أحزنه جاء الثلاثي منه وان قرن بالمزيد استغناء به عن وصفه ، وما قبله ليس في هذا المعنى ٠

وهذه مجموعة من الأفعال تكلم فيها بأفعلت أو اختير فيها أفعلت على فعلت كما وردت في كتاب فعلت وأفعلت للزجاج : أبنّ بالمكان أقام ، وأبرَّ على القوم غلبهم ، وأبدع في الأمر إبداعا أتى فيه ببدعة ، وأبطا القوم صارت إبلهم بطاء وابلد القوم صارت ابلهم بليدة ، وابلق الفحل اذا ولد له ولد أبلق ٠

أتلد الرجل اذا كان له مال تليد أى قديم : وأتأرت الرجل بصرى اذا أتبعته بصرك ٠٠ وأتأمت المرأة وهى متئم اذا ولدت ولدين في بطن ··· وارتفتُ فلانا من الترفة وأتمر القوم إذا كثر تمرهم ، واتعب القوم أي تعبت ماشيتهم ··· وأترعت الاناء ملأتة فهو مترع ٠

أثغم الوادى صار فيه الثغام وهو شجر أبيض النَّوْر ويشبه به الشيب ، ويقولون أثغم رأس الرجل صار كالثغامة وأثغر الشراب صار فيه الثغر ··· وأثلج الرجل اذا حفر بئرا فبلغ الطين ٠

أجذى سنام البعير في أول ما يبدو ، وأجمل القوم كثرت جمالهم ، وأجنت الأرض كثر جناها ، وأجاد الرجل صار له فرس جواد ···· وأجرب الرجل صارت له إبل جربى ٠ وأجرز الرجل صار في أرض جرز وهى التى لا تنبت شيئا وأجها القوم انكشفت لهم السماء ، وأجدلت الظبية وجدلت وجذبت اذا مشى معها ولدها ٠

أحمص القوم أكلت ابلهم الحمص ···· وأحمق الرجل فهو محمق اذا ولد له ولد أحمق ··· وأحمر الرجل اذا ولد له ولد أحمر وأحذيت الرجل نعلًا ··· وأحلبت الرجل أعنته على الحلب وأحيينا الأرض وجدناها حية النبات غضة ٠٠ وأحوب الرجل الى الحُوب وهو الإثم ٠

آدمّ الرجل ولد له ولد دميم وهو الصغير الخَلْق ٠ وأدبت الأرض فهى مدبية اذا كثر فيها الدبا وهو صغار الجراد وأدمن الرجل على الشىء اذا داومه ··· وأدهيت فلانا وجدته داهيا ٠

اذعن الرجل بالطاعة ألزمها نفسه ···· وأذكرت المرأة ولدت ذكرا ··· وأذمّ الرجل ولد له ولد مذموم ، أو فعل فعلا مذموما ··· وأذدت الرجل أعنته على ذياد إبله ، وأذممت الرجل وجدته مذموما ٠

أرعت الأرض وهى مرعية خرج منها المرعى ، وأمكن رعيها وهو الكلأ ، وأركب المهر أمكن أن يركب ··· وأرهمت السماء مطرت مطرا ضعيفا ، وأربع القوم دخلوا في الربيع ، وأربع الرجل ولد له في شبابه وولده ربعيون وأردع الرجل حفر بئرا فرأى تباشير ماء كثير ، وأرتعت الأرض اذا شبعت فيها الماشية ·

أزمع الرجل على الأمر أى عزم عليه واجتمع رأيه فيه ···· وأزحف القوم للقوم صاروا لهم زحفا يقاتلونهم وقال العجاج : مثلين ثم ازحفتْ وأزحفا ·

أسمن القوم وهم مسمنون إذا كثر سمنهم وكذلك اذا كثرت ماشيتهم ·· واسنت القوم أصابتهم السنة وهى الجدب ··· وأسهل القوم صاروا الى السهولة ··· وأسبقت الناقة ولدت ولدا ذكرا ···· وأسنهنا وأسنينا دخلنا في السنة ···· وأسنعنا وأسوعنا انتقلنا من ساعة الى ساعة ، وأسهب الرجل في منطقه بلغ في القول ما كثر ···· وحفر الرجل فأسهب أى بلغ الرمل ·

أشفى فلان فلانا عسلا اذا جعله له شفاء ···· وأشهب الفحل ولد له الشهُبُ ·· أشب شب ولده وأشب الرجل بنيه اذا صاروا شبانا ···· واشحم القوم كثر شحمهم ···· وأشهر القوم أتى عليهم الشهر ·

أصرّ الرجل بانفه اذا شمخ ··· وأصبت المرأة فهى مصب ومصبيه اذا كان أولادها صبيانا وأصعبت الأمر وافقته صعبا « واصممت الرجل وجدته اصم ، واصهب الفحل اذا ولد له الصُهب ·

أضبَّ الرجل على ما في نفسه اذا أقام على الحقد ، وأضب يومنا كثر ضبابه وأضأن القوم كثرت غنمهم الضأن وأضال المكان كثر فيه الضال وهو السدر البرى وقيل أضيل المكان مثله ·

طيب الرجل وأطيب ولد له ولد طيب ···· وأطاب الرجل جاء بأمر طيب ····· وأطنب الرجل في الشىء اذا بالغ في صفته ···· وأطلى الرجل مالت عنقه ، وأطردت الرجل جعلته طريدا أظهر القوم دخلوا في وقت الظهر ···· وأظلموا ادخلوا في الظلمة ·

أعرب الرجل صار صاحب خيل عراب وهو معرب قال الجعدى :

ويصهل في مثل جوف الطــوّ ىّ صهيــلًا تبين للمعــرب

وأعرب الفرس صهل فتبين بصهيله أنه عربى ···· وأعوهوا إذا دخلت إبلهم العاهة ···· وأعوز الشىء اذا عز فلم يوجد ··· وأعطن القوم اذا عطنت ابلهم وأعشب المكان اذا نبت عشبه ، وأعشب الرائد اذا صادف عشبا قال أبو النجم :

يقلن للرائد أعشبت انزل

أغزر لبن الرجل كثر لبنه ···· وأغد القوم أصابت ابلهم الغدة ···· وأغفى الرجل نام ····· وأغم الرجل ·

أفردت الرجل جعلته فريدا ···· وأفقر المهر أمكن أن يركب ، وأمشى القوم كثرت ماشيتهم ···· وافرضت إبل فلان صارت فيها الفريض ···· وقد أفلى الرجل ركب فلوا من الخيل . وأفجر الرجل جاء بالغدر والفجور ·

أقمر القوم دخلوا في ضوء القمر ····· وأقلص البعير اذا بدا سنامه يخرج ···· وأقطف الشيء حان قطافه ···· واقفر المنزل خلا ···· واقلقت الناقة قلق جهازها وهو ما عليها من قتبها وآلتها ···· وأقوى الرجل صارت إبله قويه واقطف النخل اذا كانت دانية قطوفها ···· وأقرح القوم صارت إبلهم قرحى ···· واقتلت الرجل عرضته للقتل وأقدست الرجل تقدمت عليه ···· وأقدت الرجل خيلا جعلت له خيلا يقودها ·

أكثر الرجل وهو مكثر ···· واكشف القوم صارت ابلهم كشفا والكشف جمع ناقة كشوف والكشوف هى التى يحمل عليها في كل سنة ··· وأكلب الرجل أصاب إبله الكلب ···· وأكاس الرجل ولد له أولاد أكياس ·· واكفر البعير اذا ابتدأ سنامه يخرج ···· وأكسد القوم اذا كسدت سوقهم ·

ألأم الرجل مهموزا أتى باللؤم في أخلاقه ··· وألام فعل ما يلام عليه ··· وألمحت المرأة اذا ملت في النظر اليها وألهج الرجل لهجت فصاله بالرضاع ···· وألحم الرجل كثر عنده اللحم ·

امضغ اللحم استطيب وأكل ··· وأمات القوم وقع ابلهم في الموت ···· وأمغل القوم اذا مغلت شاؤهم وهو أن يتوالى حملها في كل سنة ···· ويقال امكنت الطير اذ كثر بيضها ···· وأمخّ العظم صار فيه المخ ···· وأملحت الابل وردت ماء ملحا ···· وأمعز الرجل كثرت غنمه المعزى ·

انفق القوم نفقت سوقهم ···· وأنهل ابله والنهل أول الشرب وانشط القوم نشطت ماشيتهم ···· وانتجت الخيل حان نتاجها ···· وأنوكت الرجل وجدته أنوك ···· وانقى القوم صارت ابلهم ذات نقة وهو المخ وأنزع القوم نزعت ابلهم الى أوطانها ، وأنحز القوم أصابت ابلهم النحاز وهو ضرب من السعال ···· وأنعمت الريح هبت نعامى وهى الجنوب ·

أهيج الرجل الأرض وجد نبتها قد هاج أي يبس قال رؤية :

وأهيجَ الخلصاءَ من ذات البُرَق

وأهملت الشيء اذا تركته ··· وأهزل القوم اذا أتى الهزال في ماشيتهم

أوقف له الشيء اذا ارتفع ويقولون ما يوقف لفلان شيء إلا أخذه ... وأوشى القوم كثرت غنمهم وأوصبوا أصاب أولادهم الوصب وهو المرض ...

وأوسع القوم صاروا الى السعة ... وأوعثوا وقعوا في الوعوثة .... وأوفر النخل كثر حمله ·

أهلك الله لهذا الأمر جعلك الله له اهلا ... وآسدت الكلب أغريته بالصيد ...وآد الرجل كثرت عنده آلة الحرب وآتيته الشيء أعطيته ... وآلى حلف ·

أيسر الرجل صار موسرا .... وأيبس القوم صاروا الى مكان يابس ... وأيمن الرجل اذا قصد نحو اليمن ·

حَضَرَ مَجْلِسَ ٱلْكِسَائِى أَعْرَابِىٌّ، فَوَجَدَ الْمُجْتَمِعِينَ حَوْلَهُ يَتَحَاوَرُونَ فِي ٱلنَّحْوِ، فَأَعْجَبَهُ ذَٰلِكَ، ثُمَّ تَنَاظَرُوا فِى التَّصْرِيفِ فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى مَا يَقُولُونَ.

فَفَارَقَهُمْ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَا زَالَ أَخْذُهُمُ فِي ٱلنَّحْوِ يُعْجِبُنِى

حَتَّى تَعَاطَوْا كَلَامَ ٱلزِّنْجِ وَٱلرُّومِ

بِمُفْعَلٍ فِعِلٍ، لَا طَابَ مِنْ كَلِمٍ

كَأَنَّهُ زَجَلُ ٱلْغِرْبَانِ وَٱلْبُومِ

منهج في دراسة المنهج

للدكتور أحمد بسام ساعي

أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية

يشكو البحث العربي الراهن ، ولاسيما الإنساني منه ، مثلما تشكو الموضوعات التى يتخذها مادة له ، من انحسار القاعدة والمنهج انحساراً خطيراً يتناقض مع ما تتجه إليه **الإنسانية** في خطها العام من دقة وموضوعية ومنطق ، وهذه الصفات ترتبط بكل خطوة من خطواتها التى يعوّل عليها وحدها في تطور هذه الحضارة ، دون الخطوات المزيفة الأخرى التى تواكبها ، والتى تتطفل على مائدة العلم والحضارة ، حتى تكاد تستأثر بها ، لولا أثارة من أصالة الحقيقة التى تتسلح بها تلك الخطوات الأصيلة الأولى المعوّل عليها ٠

وهكذا تزخر المكتبة العربية الحديثة بركام من الكتب التى يبهرنا منظرها ، وتكاد مُظاهرها المدلّسة ، وأغلفتها المتبرجة ، وحروفها المتأنقة ، وأوراقها السميكة ، تعشي عيوننا عن إبصار حقيقتها أو استكناه باطنها ، وإدراك غثاثة ما فيها ، وفقدانها لأبسط شروط الأبحاث ، من منهجية ، ودقة ، وأمانة ، وقدرة على التحليل والاستنتاج والابداع ، وقدرة على التعبير عن كل ذلك بلغة أمينة واضحة ، مما يسهم إسهاماً حقيقياً في حركة التطور البشرى ودفعها إلى الأمام ٠

ورغم الدراسات الجادة التي قدمتها خلال الأربعين سنة الأخيرة أقلام عربية رصينة في مجال التنظير للبحث ، ورغم اطّراد افتتاح فروع الدراسات العليا في الجامعات والمعاهد العربية ، مما يسهم في إيجاد مناخات طيبة للبحث العلمي وقواعده وأصوله ، ورغم أن مادة « منهج البحث » قد عُدّت إحدى المواد الأساسية التى يدرسها الطالب في معظم هذه الجامعات ، إن لم أقل كلها ، على الرغم من ذلك مازلنا نشهد الانحراف المنهجى في كتابة البحوث ـ أو ما كان يرجى لها أن تكون كذلك ـ يزداد اتساعاً يوماً بعد يوم ، مما يشعرنا باطّراد الحاجة ، مع اطّراد حركة البحث والتأليف ، إلى تدارك النقص فيما نظّرته أو ترجمته أقلام المنهجيين الرواد حتى الآن في طرائق البحث وأصوله وآدابه ٠

ويجدر بي هنا أن أنبه ـ بأسف ـ إلى غياب المصطلح المنهجي ، ليس عند الباحثين العاديين فحسب ، بل حتى عند بعض من ألف في مناهج البحث ، ومن المؤلم حقاً أن تزين واجهات مكتباتنا التجارية مثلاً نسخ من مؤلف وضع في « البحوث الأدبية ، مناهجها ومصادرها » ثم نجد واضعه وقد عجز عن التمييز بين « منهج » البحث و « خطته » فخلط بين المصطلحين ، وطبعيّ أن لا يستطيع بعد ذلك الخلوص إلى شيء مما يفيد الباحث ، إن لم أقل إنه يشكل ـ باضطرابه المنهجي وفوضاه الفكرية ـ ضرراً حقيقياً على طلاب مادة « منهج البحث » إن وقع في أيديهم ، وعلى رأسهم الطلاب الذين قام المؤلف بإلقاء فصول كتابه عليهم في إحدى جامعاتنا ٠

ونحمد الله على أن مثل هذا المؤلَّف قليل في مكتبة منهج البحث العربية ، وأظن من المفيد أن أعرّف تعريفاً سريعاً بأبرز كتبها ، وأكثرها عمقاً وإحاطة ومنهجية ، قبل أن أنطلق إلى بقية حديثي (١) وإن كنت سأقتصر في تعريفي على الكتب التي وصلت إلى يدي ، غير غافل عن وجود عدة من الكتب في هذا الباب قد تحتل مكانة هامة فيه ، مما لم أتمكن من الوصول إليه في فترة كتابتي لهذا البحث ٠ وهذه الكتب هي تبعاً لدرجة أهميتها عند الباحث المبتدىء :

١ ـ « **البحث الأدبي** » لشوقي ضيف : وهو أكثر مؤلفات مكتبة منهج البحث العربية إحاطة وشمولاً دون منازع ، وضعه مؤلفه عام ١٩٧٢ وجمع فيه حصيلة لخبرة عشرات من السنين قضاها في التدريس الجامعي والاشراف على الرسائل الجامعية ومناقشتها ، وفي وضع ما يقرب من ثلاثين مؤلفاً أحاط فيها بشتى جوانب الثقافة العربية ، الأدبية واللغوية والنقدية ، وكان له من كل ذلك تجارب وافرة في « **المنهج** » سمحت له بأن يحشد في كتابه كثيراً من الأخطاء الفكرية والمنهجية التي وقع فيها ـ أو يحتمل أن يقع فيها ـ الباحثون والمحققون على السواء ، مسترسلاً في عرض الأمثلة وشرحها والتعليق عليها ، حتى كاد أن ينقلب كتابه في كثير من المواضع إلى ركام من المعلومات التاريخية والأدبية ، التي تفيد كل باحث ، ولكنها في الوقت نفسه تسيء بعض الشيء إلى منهجية الكتاب ، مثلما أساء إليها إغفاله ذكر أيّ من مصادره أو مراجعه ، سواء في هوامش الكتاب أو ملحقاته ، وهذا أدى ، بوجه من الوجوه ، إلى اختلاط مادة المصادر بعضها ببعض في الكتاب ، ساعد على ذلك ايراد المؤلف لآراء الباحثين ـ على تناقضها أو تباعدها أحياناً ـ مختلطة بأرائه ، من غير أن يضعنا أمام الاتجاه الأكثر صواباً ، أو يدلنا على الرأي الذي يرجح على الآراء الأخرى ٠

---

(١) والمنشور هنا هو الجزء الأول منه ٠

إن أهمية الكتاب كانت جديرة بأن يظهر خلواً من تلك الهنات . وبأن يلحق به المؤلف فهارس بأسماء الكتب والأعلام والقضايا . لكثرة ما ورد وما تداخل في ثنايا فصوله من كل ذلك ، ممّا تضيع درره بين ركام من التفصيلات والاستطرادات المتنوعة التي تحجب عنا الإفادة السريعة الميسورة من معظم الحقائق التي يسوقها إلينا في تلك الفصول .

٢ ـ **« منهج البحث في الأدب »** : أملية جامعية أصدرها الدكتور شكري عياد لطلاب الدراسات العليا بمعهد الاداب والثقافة العربية في جامعة قسنطينة (الجزائر) عام ١٩٧٧ . تدارك المؤلف فيها مافات الآخرين غالباً فيما يتعلق بالتحقيق أو بالدراسة الأدبية وعلاقاتها بالدراسات التاريخية . فدرس جوانب جديدة في هذا الاتجاه بعمق لم تعرفه أي من الدراسات العربية التي وضعت حتى الآن في هذا الباب ، وأضاء كثيراً من الكوى حول كتب المصادر العامة والموسوعات ، وطبيعة المنهج ومادته ، وتحقيق كل من النصوص المروية أو المخطوطة أو المطبوعة ، وكذلك فحص الوقائع التاريخية وتحقيقها والتأكد من صحتها من خلال الاستعانة بالموسوعات المتخصصة وكتب التراجم وكتب الفهارس ، وكشف أيضاً جوانب من الدراسة الخارجية والدراسة الداخلية للنص . لم تزل مظلمة عند كثير من باحثينا .

٣ ـ **« منهج البحث الأدبي »** : ألفه الدكتور علي جواد الطاهر وطبع لأول مرة في بغداد عام ١٩٧٠ . وهو كتاب يمتاز بمقدمته وتمهيده الخصبين اللذين يعّرفان البحث والمنهج تعريفاً مفصلاً يقّدم للقارىء ـ طالباً ومدرساً لمادة منهج البحث ـ كثيراً من الإضافات المفيدة المتعة ، كما يمتاز بـ « المراجع النافعة » التى ألحقها بكتابه ساردا فيها أسماء أهم الكتب العربية والفرنسية والانجليزية مما يمكن أن يعود بالفائدة على القارىء في هذا الباب . ولكن ما ينحصر بين فاتحة الكتاب وخاتمته من فصول ، لا يزيد عن دروس في آداب البحث ، يتناول فيها اختيار الموضوع وتبييضه وطبعه على الآلة الكاتبة ثم في المطبعة ، وهي دروس سبق أن بحثت في أكثر من كتاب عربي كما سنرى ، وإن كان يسجل للمؤلف هنا تخصيصه جزءاً من أحد فصول الكتاب لحديث مفصّل مفيد عن الدرجات العلمية وأنواعها وأسمائها واختلافها بين أهم جامعات العالم .

٤ ـ **« منهج البحوث العلمية »** : وضعته ثريا عبد الفتاح ملحس ونشر في بيروت عام ١٩٦٠ . تدرس المؤلفة فيه وسائل البحث وأدواته وخطواته دراسة علمية ، مستعينة بأمثلة توضيحية كثيرة ، ويمتاز بمراجعه الأجنبية الكثيرة التي اعتمدتها المؤلفة وكلها انكليزي . ومع ذلك فهو كتاب لا يضيف جديداً إلى كتاب الدكتور أحمد شلبي (كيف تكتب بحثاً أو رسالة) الذي نشره في القاهرة عام (١٩٥٢) والذي يعد رائد الكتب العربية في هذا الباب ،

وهذا رغم حرص المؤلفة على أن تذكر في مقدمتها انها تسعى إلى إضافة جديد في مكتبة مناهج البحث .

٥ ـ « **الاستقراء والمنهج العلمي** » : للدكتور محمود فهمي زيدان . نشر في الاسكندرية عام ١٩٧٧ . وهو كتاب غزير الفائدة في معرفة تاريخ الاستقراء وتطوره وأنواعه وطرق استخدامه في البحوث العلمية ، وقد أفاد كثيراً من كتاب الدكتور محمود قاسم (المنطق الحديث ومناهج البحث) كما أفاد من كثير من المراجع الإنجليزية غير المترجمة إلى العربية . ولكن لغة الكتاب ، التي كانت قاصرة في كثير من الأحيان عن التعبير بوضوح وسلامة عن أفكاره المترجمة ، والأخطاء المطبعية الكثيرة التي وقعت فيه ، تنال كثيراً من قيمته العلمية ، وتحدّ من درجة الإفادة منه والتعويل عليه .

٦ ـ « **أصول نقد النصوص ونشر الكتب** » : محاضرات ألقاها المستشرق الألماني برجستراسر (Bergstraesser) على طلبة كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٣١ ، ثم نشرها وقدم لها الدكتور محمد حمدي البكري في القاهرة عام ١٩٦٩ ، وهو أول مؤلف يوضع بين أيدي المحققين العرب ، يرشدهم إلى أصول تحقيق الكتب ونشرها ، وينبههم إلى الأخطاء الكثيرة التي رافقت تحقيق الرواد من العرب لكتب التراث . ولكن الدكتور البكري ارتكب خطأ منهجياً كبيراً للكتاب حين أضاف إليه اضافات عديدة في الهامش وفي المتن ، ليست من أصل الكتاب ، دون أن يشير إلى ذلك في اماكنه أو في مقدمة الكتاب ، ولولا معرفتنا تاريخ وضع الكتاب أو المحاضرات وتاريخ وفاة المؤلف (١٩٣٢) لظنناها جزءاً من أصل الكتاب

٧ ـ « **منهج البحث في الأدب** » (تأليف غوستاف لانسون) « و « **منهج البحث في اللغة** » (تأليف انطون ماييه) : وكلا المؤلفين فرنسي استجاب لطلب ناشر كتاب (De la methode sciences) فأعدّ كل منهما دراسة عن منهج البحث في اختصاصه لتكون جزءاً من الكتاب الموسوعي الكبير الذي خرج في جزءين من نحو ألف صفحة . وقد ترجم الدراستين إلى العربية الدكتور محمد مندور ونشرها في بيروت عام ١٩٤٦ ، ثم الحقها في الطبعات المصرية التالية بكتابه (**النقد المنهجي عند العرب**) .

والكتاب الأول (**منهج البحث في الأدب**) أكثر استحقاقاً لاسمه لأنه يتحدث باستيفاء وتركيز شديدين عن منهج البحث بوصفه علماً بحتاً ، مع التركيز على الباحث التاريخي والباحث الأدبي خاصة ، مما لا غنى عنه للدارس العربي إذ لا يحّل محلّه كتاب آخر وضع بالعربية أو ترجم إليها . أما الكتاب الثاني (**منهج البحث في اللغة**) فهو في

حقيقته أقرب إلى التمهيد لقواعد علم اللغة ونظرياته منه إلى وضع منهج عام للبحث اللغوي ، وهذا على الرغم من أن الكتابين أعدّا لهدف عام واحد في الأصل كما قدمنا (١) ٠

ويجدر بنا هنا أن نميز بين أنواع الدراسات التي وضعت في موضوع منهج البحث ، فبعضها انصرف إلى البحث العلمي ، وبعضها إلى البحث التاريخي وآخر إلى البحث اللغوي ، وكثير منها إلى البحث الأدبي ، وانصرف بعضها إلى تحقيق الكتب والنصوص القديمة أو الحديثة ٠ ولكن ما هو أكثر أهمية من ذلك اختلاف طبيعة هذه البحوث حتى ضمن الفرع العلمي أو الانساني الواحد ، فمن الضروري أن نميز فيها أيضاً بين ما كتب في (طرائق البحث) وما كتب في (آداب البحث) وما كتب في (أصول البحث) وهي مصطلحات لابد من التمييز بينها ، خلافاً لما ذهب إليه الدكتور علي جواد الطاهر حين ساوى بينها وجعلها أسماء لمسمى واحد (٢) ٠ (فطرائق البحث) : وهو المصطلح الأجدر بأن يساوي مصطلح (منهج البحث) ـ تعني المناهج النظرية والفكرية والفنية التي يتبعها الباحث في إنشاء بحثه ، والمنهج ، لغوياً ، هو الطريق ، فللباحث ان يتبع منهجاً نظرياً : فرضياً ، أو استقرائياً تقليدياً ، أو استقرائياً معاصراً ، أو منهجاً فكرياً : تأثرياً ، أو موضوعياً أو مادياً أو إسلامياً أو تقريرياً ، أو منهجاً فنياً : وصفياً أو تاريخياً أو نقدياً أو نفسياً أو اجتماعياً أو جمالياً أو بنيوياً أو تكاملياً ... الخ ٠

أما (آداب البحث) فهي القواعد التنظيمية التي لابد من مراعاتها حين ممارستنا للمناهج المذكورة نظريا أو فكرياً أو منهجيا ، وهي قواعد تهدي الباحث في جمعه لمادته وسعيه وراء مصادرها ، ثم في طريقة الإفادة منها وتنظيمها وتبويبها وصياغتها واخراجها بعد ذلك في بحث مخطوط فمطبوع ٠ وأما (أصول البحث) فتعني القواعد السلوكية والأخلاقية التي يتخلّق بها الباحث في تعامله مع مصادره البشرية وغير البشرية ، وكذلك قواعد الأمانة العلمية والتاريخية التي لابد أن يأخذ نفسه بها خلال كتابته للبحث ٠

---

(١) اكتفينا هنا بالتعريف بالكتب التي لم تعرَف بها الدراسات السابقة . أما الكتب والدراسات الأخرى ، العربية والمترجمة ، فنشير هنا إلى أشهر مواضع التعريف بها : الكتب **(مصطلح التاريخ)** لأسد رستم ، و **(منهج البحث التاريخي)** لحسن عثمان ، و **(نحن والتاريخ)** لقسطنطين زريق ، و **(كيف تكتب بحثا أو رسالة)** لأحمد شلبي ، عرفت بها ثريا ملحس في كتابها **(منهج البحوث العلمية)** ، ثم **(منهج البحث الأدبي عند العرب)** رسالة دكتوراة لأحمد جاسم الفجيري عرف بها علي جواد الطاهر في كتابه **(منهج البحث الأدبي)** ، ثم **(الأدب وعلم النفس)** لسامي الدروبي ، و **(مناهج الدراسة الأدبية)** لشكري فيصل و **(مناهج النقد الأدبي)** لديفيد دنيشس ـ ترجمة محمد يوسف نجم ، و **(تحقيق النصوص ونشرها)** لعبد السلام هارون و **(نظرية الأدب)** لرينيه ولك وأوستين وارن ـ ترجمة محي الدين صبحي ـ وقد عرف بها شكري عياد في أمليته ـ وستصدر في كتاب ـ ثم مقدمة كتاب **(الأدب الجاهلي)** لطه حسين وقد عرَف بها شوقي ضيف في **(البحث الأدبي)** ٠

(٢) في مقدمة الطبعة الثالثة لكتابه (منهج البحث الأدبي) ص ١٢ ٠ بغداد : ١٩٧٦ ٠

(البحث الأدبي) لشوقي ضيف مثلاً كتاب في طرائق البحث وآدابه وأصوله معاً بينما ينصرف بحث شكري عياد إلى طرائق البحث وأصوله دون آدابه · أما مؤلفات أحمد شلبي وثريا ملحس وعلي جواد الطاهر فتنصب على آداب البحث خاصة دون الجانبين الآخرين ·

أما هذا البحث فليس في طرائق البحث ولا في آدابه ولا في أصوله ، بل هو في (طرائق المنهج) أو هو في (علم المنهج) بتعبير أصح · ومع ذلك فأنا لم أضع نصب عيني في كتابة بحثي استقصاء طرائق المنهج ، وإنما أردت أن أقترح طريقة في دراسة المنهج أو تدريسه ، وإن كانت هذه الطريقة قد قدّمت عملّياً ـ ومن غير القصد المباشر إلى ذلك ـ كثيراً من الخطوط الرئيسية ، وأحياناً ، الفرعية ، لاصول البحث وطرائقه ·

ولعل لدعوة الدكتور علي جواد الطاهر في مقدمة كتابه (منهج البحث الأدبي) إلى أن « ينهد الأساتذة إلى نشر خبراتهم الخاصة . والحديث عن المناهج التي ساروا عليها في جامعاتهم التي درّسوا فيها » لعل لهذه الدعوة أثرها غير المباشر في انصرافي إلى صياغة هذا البحث الذي جاء ثمرة لتدريس مادته لطلاب الدراسات العليا في جامعة قسنطينة (الجزائر) ومن قبلها في جامعة اللاذقية (سورية) · وقد أردت في بحثي أن أضع بين يدي الباحثين ـ طلاباً وأساتذة على السواء ـ حصيلة تجربة متواضعة في هذا المجال ، دون أن اسمح لنفسي بأن أردد ما سبق إلى ترديده ونشره الباحثون الآخرون ·

إنها طريقة وجدت أنها الأصلح في تدريس مادة « منهج البحث » وأنها الأكثر فائدة لطلاب هذه المادة لأنها تعينهم على اكتساب قدر وافر من المنهجية التنظيمية والفكرية والتعبيرية في صياغة بحوثهم · وقد انتهيت إلى ذلك لعلمي أن الطالب الذي دفع به تفوقه إلى الدراسات العليا لا بد أن يكون :

١ ــ قد قرأ جيداً في الماضي ·

٢ ــ قادراً على أن يقرأ جيداً في المستقبل ·

وإذن كان على المدرس أن يشحذ فيه الطاقة الكامنة التي اكتسبها من خلال تلك القراءة الوافرة ، ليس بإلقاء المعلومات القديمة أو الجديدة عليه ، فبإمكان القراءة أن تغنيه إلى إلى حد شبه تام عن ذلك كله ، ولكن بطريقة تفجير الفكرة تلو الفكرة في رأس الطالب ، ومساعدته على تخليقها وبلورتها ثم تنظيم هذه الأفكار ووضعها ـ عن طريق الطالب نفسه ـ في السياق المنهجي الذي ينتظمها جميعاً ·

فمن المهم لأستاذ الدراسات العليا ـ وهو غالباً ما يُدرِّس طلاب الدراسات الجامعية الدنيا في الوقت نفسه ـ أن لا يقدم لطلابه من خلال المواد التي يُدَرِّسها المعلومات نفسها التي سبق للطالب أن تلقاها ـ جزئياً أو كلياً ـ في دراساته الجامعية الأولى ، بل من المهم أن لا تكون محاضرته مجرد محاضرة في المعلومات « محاضرة إعلامية » إذ من السهل على الطالب أن يعود إلى هذه المعلومات حيث يحيله المدرس إليها ، وإذا كان من معلومات جديدة لدى المدرس لا تتوفر في الكتب ، فبإمكانه أن يخرجها في أملية يضعها بين يدي طلبته . ولكن الأهم من ذلك كله أن يعمل أستاذ الدراسات العليا على صياغة محاضراته بشكل يستطيع معه تغذية ملكة البحث والتفكير لدى الطالب ، فيحاول أن يستنبط مادة المحاضرة من ألسنة طلابه بعد أن يطرح عليهم موضوعه ، وتكون طريقة طرح هذا الموضوع قادرة على تفجير الأفكار في نفوسهم ، وقدح زناد ملكتهم التفكيرية والابداعية ، ثم ، إذا ما انتهى من « نتح » ما عندهم حول هذا المحور الذي طرحه ، انصرف وإياهم إلى « منهجة » أفكارهم ومناقشتها ، ثم ترتيبها وتبويبها تبويباً منهجياً منطقياً بحيث يمكن أن تكون عناصرها في النهاية عناصر لموضوع أو بحث أدبي صغير هو جماع المحاضرة في الحقيقة .

إن الغاية الأساسية لأستاذ الدراسات العليا هي بذلك تلقين طلابه ـ من خلال محاضراته ـ تلقيناً عملّياً تطبيقياً ، ما أمكن ، أصول « المنهجية » وطرائق التفكير العلمي الموضوعي ، وكذلك التعبير بدقة وموضوعية عن أفكارهم التي تعتمل في أذهنتهم دون أن يجدوا القدرة في كثير من الأحيان ، على إخراجها إلى حيز الوجود في الشكل اللغوي الصحيح وفي البناء المنطقي السليم ، مما لا يمكن أن يحصل عليه هؤلاء الطلاب من المكتبة أو غيرها بمفردهم .

و « المحاضرة الإعلامية » توازي في كثير من بحوثنا الأدبية المعاصرة « التأليف الوصفي » أو « التاريخي » في دراسة الأدب ، وهي بحوث يعفي المؤلف نفسه فيها من أي إبداع أو كشف جديد ، فينصرف إلى صياغة الواقع التاريخي للأدب ـ ماضياً أو حاضراً ـ صياغة وصفية أفقية ، فيها من الزخرف الانشائي ـ أحياناً ـ أكثر مما فيها من الفكر والابداع . ولعل كثرة هذه البحوث التاريخية ـ الانشائية كانت وراء التقسيم المفتعل الذي فرض على مادة الأدب في معظم الجامعات العربية ، فجعلها في مادتين : واحدة في تاريخ الأدب ، وأخرى في نصوصه ، مما شجع الاتجاه التاريخي أو « الإعلامي » لدى كثير من أساتذة الأدب في محاضراتهم الجامعية ، سواء على مستوى الدراسات الجامعية الدنيا أو على مستوى الدراسات العليا ، فرأينا كثيراً من المحاضرات في مادة الأدب تسرد على الطلاب تاريخ أدبهم سرداً أجوف تغني الطالب عنه عشرات من الكتب التي تؤرّخ لهذا الأدب ، فيستعيض بها أو ببعضها عن مدرسه الذي يتجشّم عناء السرد عليه ومشقة المحاضرة فيه .

إن تجاوزنا لمرحلة الدراسة الوصفية أو التاريخية للأدب تدفعنا إلى تجاوز هذا التقسيم المفتعل لمادة الأدب من ناحية، وإلى تجاوز «المحاضرة الإعلامية» ـ حتى على مستوى الدراسات الدنيا ـ من ناحية أخرى.

والطرائق لتجاوز الأسلوب «الإعلامي» كثيرة. لعل أبرزها وأقربها متناولاً طريقة طرح الأسئلة المحيطة بالموضوع الذي يريد المدرّس أن يحاضر فيه. ولطريقة طرح الأسئلة هي أيضاً طرائق متعددة، فهناك السؤال الجزئي، والسؤال الكليّ، والسؤال المباشر، والسؤال غير المباشر، والسؤال المفرد، والسؤال المزدوج. وهذا النوع الأخير من الأسئلة ـ الأسئلة المزدوجة ـ هو الذي تبنّيناه في تدريس هذه المادة، ومن ثم في صياغة هذا البحث، وهو الذي نراه أكثر مقدرة على تفجير طاقة الطالب الكامنة، لأنه يقوم على قطبين: سالب وموجب ـ إذا استعملنا لغة الفيزيائيين ـ يمكن بالتقائهما أو تصادمهما أن يثيرا الشرارة الغنيّة التي نسعى للحصول عليها من ذهن الطالب.

وهكذا لم أشأ أن ألقي درساً إعلامياً على طلابي في منهج البحث، الصحفي، أو العلمي، أو التاريخي، أو اللغوي، أو الأدبي. بل كنت أضع الطلبة في كل محاضرة أمام سؤال مزدوج يشدّ عقولهم باستمرار إلى محور الموضوع الأساسي للمحاضرة، ويدفعهم إلى أن يعطوا من بنات أفكارهم أكثر مما كانوا يتوقعون، مهما كان ظنهم بأنفسهم حسناً. وهكذا بدأت معهم محاضراتي بإلقاء هذا السؤال عليهم:

ـ ما الفرق بين الصحفي والباحث.

وتتالت أجوبتهم الذكية ـ غالباً ـ بعد أن قدح السؤال المزدوج زناد أفكارهم: إن على أذهانهم الآن ـ تبعاً لطبيعة السؤال ـ أن تبحث، في وقت واحد، عن حقيقة الصحفي، وعن حقيقة الباحث، ثم أن توجد المعادلة إثر المعادلة في إيضاح الفروق الأساسية بينهما، ثم أن تبحث عن صياغة مقبولة سليمة لهذه المعادلات يمكن أن تعبر بدقة عن المطلوب منهم: الفرق بين الطرفين.

وكانوا ـ في البداية ـ كثيراً ما يخلطون بين «الفروق» وغيرها، فيأتون بصفة للصحفي لا تقابل تماماً الصفة التي قدموها للباحث، مما يخرج بهم عن «المعادلة» المطروحة، ثم لا يزالون يصقلون إجابتهم ويهذبونها حتى يستقيم لهم طرفا المعادلة، فأسجّل الاجابة أمامهم، بعد أن قسمت اللوح المخصص للكتابة إلى قسمين: الأول للصحفي، والآخر للباحث.

وتظل الإجابات تترى ، ثم لا يلبث نوع من هذه الإجابات أن يدفعني إلى تعديل لا بد منه على السؤال ، إذ يتبين من خلال طرح الإجابات ومناقشتها وجود أكثر من نوع واحد من الصحفيين في أذهان الطلاب ، فهناك « الصحفي اليومي » أو « الإخباري » الذي لا يهمه - في كثير من الأحيان - أن يمحّص الخبر ، وأن يدقق كثيراً في صحته ، وهناك « الصحفي السياسي » الذي يهمه إبراز أخبار معينة وإخفاء أخرى ، أو يستخدم أساليب ذكية في عرضها يجعل من الخبر الأول، خبراً ثانوياً ، أو العكس ، هذا إذا لم يصطنع الأخبار أو يزيفها بنفسه ، ثم هناك « الصحفي الشهري » أو « الفكري » والذي هو في حقيقته باحث أيضاً . وإنما تقوم مقارنتنا هذه على « الصحفي اليومي » خاصة دون « الصحفي الفكري » حتى نحقق التباعد بين الطرفين إلى أقصى حد ، ولكي نصل من خلال هذا التباعد ، في اذهان الطلاب ، إلى ما يمكن أن نصل إليه من ملامسة القطبين الكهربائيين السالب والموجب ، من قوة أو طاقة . وهكذا نعيد صياغة السؤال بشكل أكثر دقة فيكون : ما الفرق بين الصحفي اليومي والباحث ؟

وإذا تجمع أمامنا عناصر عديدة تكاد تستقصي الفروق بين هذين الطرفين - ومعظمها من صنع الطلاب أنفسهم - نعود إلى دراستها عنصراً عنصراً : من الناحية الفكرية ، والتعبيرية ، والمنهجية ، فنحذف منها ما أغنى عنه غيره ، ونعدّل منها ما استدعت موضوعية الفكرة أو دقتها تعديله ، ونعيد صياغة ما قصرّت لغته عن الوفاء بالمعنى المقصود بدقة ، ويجري هذا كله على أيدى الطلبة أنفسهم - مع المساعدة الضرورية من المدرس أحياناً - ونفصّل ، خلال ذلك ، الحديث عن هذه العناصر ، دارسين جوانب كل عنصر منها على حدة ، وملمين ، عبر هذا التفصيل ، بشوارد العنصر وروافده .

وتأتي الخطوة الأخيرة ، في إعادة ترتيب العناصر التي توصل إليها الجميع ، من قبل الجميع أيضاً ، ترتيباً منهجياً يراعي تسلسل الأفكار واطرادها ، متصورين أن هذه العناصر ما هي إلا عناوين فقرات في موضوع أو فصول في كتاب ، فإذا ما توصّلنا إلى ترتيبها على هذا الشكل كان أمامنا مخطط كامل لموضوع أو بحث .

ثم لا تلبث المحاضرات التالية أن تضع الطلاب أمام أسئلة أكثر دقة ، ومن ثم تكون الإجابة عليها أكثر صعوبة ، وأشدّ إثارة للفكر ، وتفجيراً للطاقة ، فكلّما قلّت المسافة بين قطبي المعادلة ازدادت صعوبة تحديد الفروق بينهما ، وفي الوقت نفسه ازداد العمق الفكري للمحاضرة ، وازدادت إجابات الطلاب دقة وتركيزاً . وهكذا يجد الطلاب أنفسهم في المحاضرة التالية أمام هذا السؤال :

ـ ما الفرق بين الباحث العلمي والباحث الإنساني ؟

فيدخل بهم السؤال الجديد عالماً أكثر ضيقاً : عالم الباحثين وحدهم ، فإذا كان الفرق بين الباحث وغير الباحث كبيراً وواضحاً ، فهو بين الباحث والباحث دقيق وأقل وضوحاً . ولكن أن يكون الطرف الأول من المعادلة هو (الباحث العلمي) والطرف الثاني هو (الباحث الإنساني) ـ وبينهما مسافة لا يخفى امتدادها ـ يجعل الانتقالة بين السؤالين ، الأول والثاني ، انتقالة بسيطة ميسورة .

ولكن بالانتقالة التالية ، ثم ما بعدها ، نشدّد الحصار أكثر فأكثر على الطالب ، حين نضعه في المحاضرات المتوالية أمام هذه الأسئلة المتطورة عمقاً والمطّردة دقة وتركيزاً .

ـ ما الفرق بين الباحث والمحقق ؟
ـ ما الفرق بين الباحث الأدبي والباحث التاريخي ؟
ـ ما الفرق بين الباحث الأدبي والباحث اللغوي ؟
ـ ما الفرق بين الناقد الأدبي والمؤرخ الأدبي ؟
ـ ما الفرق بين دارس الشعر ودارس النثر ؟

ومع اشتداد الحصار عليه تزاد العمليات الذهنية لديه قوة وعمقاً ، وتزداد أجوبته دقة وإحكاماً ، ويصل مع أستاذه إلى السؤال الذروة وقد أصبح ملّماً بمعظم عناصر المنهج ومقومات البحث من ناحية ، وممتلكاً لمقدرة أكبر على التفكير و « المنهجية » واصدار الاحكام العميقة الجادة ، من ناحية أخرى .

إنها أسئلة اخترتها تبعاً لاتجاهات طلابي الدراسية وطبيعة اهتماماتهم وحاجاتهم ضمن هذه الاتجاهات ، ولكل مدرس أن يختار الأسئلة التي يعتقد أن الإجابات ستقدم لطلابه أهم ما يحتاجونه من مادة منهج البحث . وعلى هذا فالأبواب مفتوحة أمام المدرس في وضع مثل هذه الأسئلة المزدوجة ، واتجاهاتها كثيرة ، وألوانها مختلفة ، تبعاً لاختلاف المادة ، أو نوعية اختصاص الطلبة ، كما في هذه النماذج المتباعدة من الأسئلة مثلاً :

ـ الفرق بين الباحث الديني والباحث العلماني .
ـ الفرق بين الباحث الإسلامي والباحث الماركسي .
ـ الفرق بين المؤرخ اللغوي والباحث اللغوي .
ـ الفرق بين المحقق في الغرب والمحقق في الشرق العربي .
ـ الفرق بين الباحث الشرقي والباحث الغربي .

- الفرق بين تحقيق كتاب في العربية وآخر في اللاتينية .
- الفرق بين محقق الكتاب القديم ومحقق الكتاب الحديث .
- الفرق بين طباعة الكتاب في الشرق العربي وطباعته في الغرب .
- الفرق بين عمل الباحث وعمل المترجم .
- الفرق بين منهج المقالة الصحفية ومنهج الخبر الصحفي ..
- الفرق بين منهج الخبر الصحفي ومنهج الاعلان الصحفي .
- الفرق بين المنهج الاجتماعى والمنهج النفسي في دراسة الأدب .
- الفرق بين المنهج التكاملي والمنهج البنيوي ... الخ .

وهي أسئلة ما تزال تحتاج إلى من يجيب عنها من الدارسين - ولا أدري إن كنت سأفعل ذلك في المستقبل - وأنا أرجو أن يسبقني إلى ذلك الباحثون الآخرون ، وأن يطرحوا على أنفسهم - ومن ثم على قارئيهم - أسئلة كثيرة أخرى تستطيع اجاباتهم عليها ان تستوعب قدراً كبيراً من المادة الفكرية لمنهج البحث عن طريق هذه الفروق التي نتصورها بين أنواع البحوث والمناهج ، ثم تفريع الفروع والعناصر من تلك الفروق ، تفريعاً نعمد خلاله إلى قتل اطرافها بحثاً ودراسة وتمحيصاً .

علـم وعمـــل

أنظر في سير الأولين وأخبار الماضين . فكم فيها من جليل وغنى . وكبير . كانت تسير له المواكب ، ويقف له على كل باب حاجب قد انقضى بموته خبره ، ومحى في غياهب الحقب أثره . فلا نعرف له اليوم ذكراً . ولا نقيم له قدراً . وكم من عالم أو شاعر . أو قائد أو ناثر . كان من خدام بابه . وسدنة أعتابه لا يزال ذكره بيننا حاضراً . وفضله في أيدينا ناضراً . ولا سبب لهذا إلا انه كان لهذا (علم وعمل) وأما الأول فكان خلواً منهما . إن هى إلا زخارف وشارة وأبهة وامارة . تذهب كالزبد جفاءً إن حان لصاحبها القضاء .

الاتجاه الإسلامي

في شعر أحمد محرم

للدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب
أستاذ بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

من فضل الله على هذه الأمة أن القرون تمر عليها تلو القرون ورسالة الإسلام لم تخمد ولن تخمد أبداً في نفوس وقلوب المسلمين .

وكيف تخمد رسالة الإسلام وكتاب الله بين المسلمين يتلى ؟ وكيف تخبو عزيمة المسلمين وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في أسماعهم يدوي : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ... كتاب الله وسنتي) ؟ ..

أجل .. إنه لم يمر عصر من عصور الإسلام منذ انبثاق هذا الدين القيم حتى عصرنا الذي نعيش فيه إلا وقد برزت عظمة الإسلام معلنة عن جوهر هذا الدين وصدق دعوته إلى الحق وإلى الخير، ومعلنة كذلك عن إخلاص دعاته وإيمانهم برسالتهم لأنها رسالة الحق والخير ..

ولقد يتراءى لبعض الناس أحياناً أن مظاهر الضعف أو الفتور قد تغلب على حياة المسلمين مما يهددهم بالتوقف أو الجمود .. ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها أن دعوة الإسلام لم تخب ولن تخبو أبداً - والله غالب على أمره - مهما تألبت قوى البغي والشر على هذا الدين ، وإذا كانت هناك من غفوة ألمت بالمسلمين فإنما ليعقبها صحوة ، صحوة تعيد للدين مجده وللرسالة إشراقها وبهاءها وللمسلمين قوتهم وعزتهم ، فالدين لم يمُتْ ، والمسلمون المُعتزّون بدينهم - وهم كثرة - بحمد الله ما زالوا به متمسكين وأولاً وقبل كل شيء فإن منزل الكتاب - جل في علاه - قد ضمن له الحفظ والبقاء ، وصدق الله العظيم : **(إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** .

وليس أدل على ذلك من أن كتاب الله - بعد هذه القرون منذ نزوله - ما زالت آياته تتلى وتملأ الأسماع وستظل بحكمها وأحكامها تعلن للأجيال المتعاقبة أنها الآيات المحكمات ..

وليس أدل على ذلك أيضاً من أن لغة الكتاب قد اتسع نطاق درسها وانتشر التعامل بها على كافة المستويات حتى دوت في الآفاق كلمات هذا اللسان العربي المبين ..

ثم ليس أدل على ذلك أيضاً من أن الأدب العربي الإسلامي لم تنطفيء جذوته بعد أربعة عشر قرناً من الزمان ، وسيظل أبداً بإذن الله يهتف بالإسلام ويمسك بمبادئه ، ويذكر المسلمين بتاريخ أسلافهم حتى يكونوا دائماً خير خلف لخير سلف .

أجل .. ما زلنا بعد هذه القرون المتعاقبة نرى أدب الدعوة الإسلامية بيننا يعلو نداؤه وتتردد أصداؤه ليملأ الأسماع والأبصار ، فتخفق له القلوب ، وتستجيب له النفوس ، وهو يصل حاضرها بماضيها التليد .

وإذا كانت الأمثلة كثيرة في عصرنا الحديث ، تلك التي تؤكد أن أدب الدعوة الإسلامية إلى وقتنا هذا لم يمت ولن يموت ما بقيت رسالة الإسلام ودعوته ، فإن المثل الذي بين أيدينا جدير بالإشادة والتقدير لأنه يبعث على الأمل ويؤكد أن نور الله لا يمكن أبداً أن ينطفيء من القلوب ..

إنه ديوان (**مجد الإسلام**) للشاعر المسلم أحمد محرم ، الذي شاء الله لمؤلفه أن ينظمه ليستعيد شباب الأمة أمجاد أسلافهم ثم ليكونوا امتداداً من بعد لأولئكم السالفين .

أما عن أحمد محرم فقد **ولد في القاهرة** سنة سبع وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية ونشأ منذ البداية نشأة عربية أزهرية ، وبرز في الشعر منذ صباه حتى أنه نال شهادة الامتياز بين « شعراء النيل » من لجنة التحكيم التي تولت أمر النظر في القصائد المقترحة على كبار الشعراء فيما كان يسمى عيد جلوس الخديوى سنة عشر وتسعمائة وألف (ميلادية) ونال عدة جوائز في مسابقات شعرية ونثرية أخرى اقترحتها الصحف والمجلات في فنون شتى وموضوعات مختلفة من سياسة الممالك وتربية الأمم ، وما تصدى كاتب ولا أديب لتعيين طبقات الشعراء إلا عرف له مكانه ووضعه في الصف الأول (١) .

وأما عن العصر الذي عاشه أحمد محرم فقد سادت فيه نزعة إسلامية ظهرت بوضوح في كتاب العصر وقادته ومفكريه وانعكست آثارها على الشعر ولم يكن هناك بين الشعراء المعاصرين وقتذاك - على اختلافهم وتباين نزعاتهم - من

---

(١) راجع مشاهير شعراء العصر لأحمد عبيد الجزء الأول ص ١١٥ .
و (شعراء العرب المعاصرون) للدكتور أحمد زكي أبو شادي - ص ٤٨ الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٥٨ .

يخلو شعره من تلك النزعة ، من مدح للخليفة التركي ، والاشادة بفضله على المسلمين ، وحرصه على إعلاء كلمة الدين ، وهم يرون أن الخليفة هو الجامع لشمل المسلمين ، وأنه حين يحارب فإنما يحارب دفاعاً عن الإسلام وتمسكاً باعلاء كلمته بين الدول التي تتربص به ، وهم - يدعون إلى اتحاد كلمة المسلمين في ظل راية الخلافة ، محذرين من الإصغاء إلى دعوة التفرقة التي لا تصيب الأمم الإسلامية جميعاً إلا بالشر (١) .

وكان طبيعياً أن يهبَّ الشاعر أحمد محرم - وهو المسلم الغيور - ليقوم بدوره في مجال الدعوة الإسلامية ، وكانت فكرة ديوانه (مجد الإسلام) كامنة في نفسه ولكنها لم تخرج إلى مجال التنفيذ إلا بعد أن بعث أحد رجال الإسلام الغيورين - وهو الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة (الفتح) إلى صديقه الشاعر أحمد محرم رسالته في الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ثلاثة وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة يقول فيها : سيدي الأستاذ الجليل مفخرة البيان العربي وشاعر مصر الكبير الأستاذ أحمد محرم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فإن من دلائل رضا الله عز وجل عن حركة الجهاد الضئيلة لوقف هذا الطغيان على الفضائل انشراح صدركم لتأييده ، وتصدقكم ببعض الوقت للوقوف في صفوفه ، ورب فارس واحد خير من ألف .. وكنت هممت أكثر من غير مرة أن أكتب إليكم أقترح عليكم مشروعاً كنا نحاول اقناع شوقي بك رحمه الله به ولكن خشيت أن يصرفكم ذلك عن معاني الجهاد الأخرى .. وهذا المشروع هو إرسال نظركم الكريم بين حين وآخر إلى مفاخر التاريخ الإسلامي الخلقية والعمرانية والسياسية والاصلاحية والحربية ... الخ . ونظم كل مفخرة منها في قطعة خالدة تنقش في أفئدة الشباب ، فإذا زخر أدبنا بكثير من هذه القطع ، على اختلاف أوزانها وقوافيها ، أمكن بعد ذلك ترتيبها بحسب تاريخ الوقائع : وتأليف (إلياذة) إسلامية من مجموعها .. أليس من العار أن يكون للفرس الذين حفل تاريخهم زمن جاهليتهم بالشنائع ديوان مفاخر يغطى فيه البيان على العيوب ، ويشير الكاتب بذلك إلى (شاهنامة الفردوس) .. ثم يردف قائلاً : وأن يكون لليونان زمن وثنيتهم وأوهامهم الصبيانية ديوان مفاخر (كالإلياذة) تتغنى بها الإنسانية إلى يوم الناس هذا .. ؟ .

ثم يواصل الكاتب حديثه إلى الشاعر أحمد محرم مبيناً أن الإسلام هو الأولى بذلك (وهو الذي لم تفتح الإنسانية عينيها على أعلى منه رتبة ، وأعظم منه محامد) ..

---

(١) راجع الفصل الأول م (الجامعة الإسلامية) من كتاب (الاتجاهات الوطنية ، في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين جـ ١ ص ١ - ٤٩ .

وما دام المؤرخون - في نظر الكاتب - قد قصدوا في جانب التاريخ الإسلامي ولم يعطوه حقه من التصحيح والإنصاف ، فإن (ما قصّر فيه) المؤرخون لا يستطيع أن يستدركه إلا الشعراء) .

وكان هذا الخطاب هو الشرارة التي أججت شعلة الحماس في نفس الشاعر أحمد محرم .. فإذا به يقدم على ديوانه يعرض فيه خلاصة نقية للتاريخ الإسلامي في قالب شعري ، مكتمل الفن ، واضح الأداء ، قوى التعبير ، حتى يلفت شباب الإسلام إلى مفاخر تاريخهم وعظمة آبائهم وأسلافهم ، ويدفع عنهم عقدة النقص التي جعلتهم ينظرون إلى آثار الأمم الأخرى كما ينظر الأقزام إلى العمالقة .

وحشد أحمد محرم كل طاقاته الفنية ، وعكف على التاريخ الإسلامي يستخلص حقائقه ، ويستوعب مفاخره ، ويسجلها فناً عالياً عالياً يسنده الواقع وتؤكده حقائق التاريخ .. (١) .

وكان أول ما بدأ به أحمد محرم في ديوانه الذي بلغت قصائده تسعاً وستين ومائة قصيدة كلها في تاريخ الإسلام والمسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت أولى القصائد تحت عنوان : (مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية) ، وفيها يقول الشاعر :

املأ الأرض يا محمد نوراً ... وأغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سراً تجلى ... يكشف الحجب كلها والستورا
عب سيل الفساد فى كل واد ... فتدفق عليه حتى يغورا(٢)

ويستمر الشاعر في قصيدته إلى أن يقول :

أنت أنشأت للنفوس حياة ... غيرت كل كائن تغييرا
أنجب الدهر فى ظلالك عصرا ... نابه الذكر في العصور شهيرا

ثم يقول مبيناً كيف كان العالم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم حتى جاء دين الله :

أنكر الناس ربهم وتولوا ... يحسبون الحياة إفكا وزورا
أين من شرعة الحياة أناس ... جعلوا البغى شرعة والفجورا ؟

---

(١) راجع مقدمة ديوان مجد الإسلام .

(٢) غار الماء : ذهب .

تلك أربابهم : أتملك أن تشـ ـفع مثقال ذرة أو تضيرا ؟
قهروها صناعة ، أعجب الأر باب ما كان عاجزا مقهورا
مالدى (اللات) أو (مناة) أو (العز ى) غناء لمن يقيس الأمورا
جاء دين الهدى وهب رسول الله يحمي لواءه المنشورا

ثم يمضي الشاعر مستذكراً ذلك الموقف الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواجهة عمه أبي طالب فيقول حاكياً :

جاءه عمه يقول : أترضى أن يقيموك سيداً أو أميراً ؟
ويصبوا عليك من صفوة المال حياً ماطراً وغيثا غزيرا
قال ياعم ما بعثت لدنيا أبتغيها وما خلقت حصورا (١)
لو أتوني بالنيرين لأعرضت أريهم مطالبى والشقورا (٢)
إن يشيروا بما علمت فأنى لأدع الهوى وأعصى المشيرا
دون هذا دمى يراق ونفسى تطعم الحتف رائعا محذورا (٣)

وفي قصيدة أخرى يذكر صاحب ديوان مجد الإسلام ذلك الموقف الذي أراد فيه المشركون قتل الرسول صلى الله عليه وسلم · ثم ما كان من أمر الهجرة إلى المدينة فيقول في مطلع قصيدته :

أجمعوا أمرهم وقالوا : هو القتل يميط الأذى ويشفي الصدورا

ثم يمضي الشاعر في تصوير ما حدث للمتآمرين الذين وقفوا بباب الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

مالهم ؟ هل رمى النبى ترابا أم عمىً في عيونهم مذرورا ؟
ذهلوا مدة ، فلما أفاقوا أنكروها دهياء عزت نظيرا
ينفضون التراب ، من مسَّ منا كل وجه فرده معفورا ؟
أين كنا ؟ ما بالنا لا نراه ؟ ما لأوصالنا تحس الفتورا ؟
أين وَلّى ؟ لقد رمانا بسحر فسكرْنا وما شربْنا الخُمورا

---

(١) من معاني الحصور : الضيق الصدر ، والهيوب ، المحجم عن الشيء ·
(٢) الحاجات والأمور المتصلة بالقلب المهمة له ، جمع شقر ·
(٣) ديوان مجد الإسلام ص ٣ – ٦ ·

يالـــه مــصــعــبا لو أنّا أصبــنا ... ه على غرة لـــخر عـــقيرا ؟
راح في غــبــطة ورحــنا نــعانى ... أملا ضائـــعا وجدا عـــثورا
خــيــبة تــترك الــجوانــح حرى ... يالــها حــسرة تــشــب وتورى (١)

وفي قباء يقول الشاعر من قصيدة له يشير فيها إلى رسالة المسجد في الإسلام :

يا حــياة الــنـفوس جــئـت قــبــاء ... جــيـئـة الروح تــبـعـث المقــبـورا
ارفع المسجد المبــارك واصــنـع ... للبرايـــا سنيعـك المشكــورا
معـقل يعصم النفوس ويــأبى ... أن يميــل الهوى بهـا أو يجـورا
أوصـــها بالصــلاة فهى عــلاج ... أو سيـــاج يذود عـنهـــا الشرورا
غرس الله دوحـة الـدين قدما ... وقـضـــاها أرومـــة وجــذورا .. (٢)

وفي المؤاخـاة بين المهاجرين والأنصار يقول الشاعر مشيدا بـدور الإسلام فيها :

هى الأواصر أدناها الدم الجـارى ... فلا مـحالـــة مـن حـب وإيــثــــار
الأسرة اجتمعت في الدار واحـدة ... حييت من أسرة بـوركت من دار
مشى بهـا من رسـول الله خير أب ... يـدعو البنين فلبوا غـير أغمار (٣)
تــأكــد العهد مما ضم ألـفتهم ... واستحصـد الحبل من شـد وإصرار (٤)
كل لـه من سراة المسلمـين أخ ... يحمى الذمار ويرعى حرمـة الجـار
يطـوف منـه بحق ليس يمنعـه ... وليس يعطيـه إن أعطى بمقـدار
يجـــود بالدم والآجــال ذاهلــة ... ويبذل المـال في يسر وأعســار
هـم الـجـمـــاعة إلا أنـهـم برزوا ... في صورة الفرد فانظـر قدرة البـارى
هـذا هو الدين ، لا ماهاج من فتن ... بين القبائل دين الجهـل والعـار (٥)

وعندما تدور رحى الحرب بين المسلمين والمشركين في بـدر ويسقط أبو جهـل صريعاً في أول معركة يـدافع فيهـا المسلمون عن دينهم ، ويعزهم الله بعد أن حسبهم الكافرون أذلـة ..

(١) تشتعل ٨ - ١٠ .
(٢) الأرومة : الأصل . ديوان مجبة الإسلام ص ١٥.
(٣) غير حاقدين .
(٤) استحصد : قوى ، والامرار : الفتل .
(٥) ديوان مجد الإسلام ص ٢٧ - ٣٠ .

يقـــول الشاعر :

بسيفك فيما اخترت من عاجل القتـل	سقيت زعاف الموت فاشرب أبـا جهـل
شهدت الوغى تبغى على الضعف راحـة	لنفسك من حقـد مذيب ومن غـل
أصابك فيها ما أصابك من أذى	وفاتك ما نال الرويعى من فضـل
دع الهزل يا ابن الحنظليـة إنـه	هو الجـد كل الجـد لو كنت ذا عقـل
هى اللات والعزى أضلتك هـذه	وزادتك هذى من ضـلال ومن خبـل
فلو كنت ترجـو أن ترى الهبل الذى	رضيت بـه ربا يفـوز ويستعلى
أصبت ابن مسعـود سناء ورفعـة	وبـاء عـدو الله بالخزى والـذل
فخـذ سيفـه ثم ارفع الصـوت شاكرا	فمـا بعد ما أعطـاك ربك من سؤل

ويمضي الشاعر يسجل في ديوانه (**مجد الإسلام**) مواقف مشرفة للمسلمين وجهادهم في سبيل الدعوة الخالدة ... وكلها من النماذج الرفيعة التي يعتز بها المسلمون أينما كانوا وحيثما حلوا .. ومع كل نموذج من هذه النماذج الرائعة دعوة تهيب بكل مسلم ومسلمة على وجه هذه الأرض أن يكون واقع حياتهم على نمط ما كان عليه المؤمنون السابقون حتى يصل المسلمون حاضرهم بماضيهم فتكون حياتهم كلها حياة العزة والشرف والكرامة والإباء ..

وينهي الشاعر ديوانه الكبير بحادث جلل في تاريخ الإسلام والمسلمين وهو يوم انتقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى رحمة ربه راضياً مرضياً ...

ومع شدة وقع هذا الأمر على نفوس المسلمين .. فقد ذكره الشاعر في معرض حدث آخر ، كانت بدايته في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم كانت نهايته المشرفة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام وكأن الشاعر يريد أن يقول : لئن كان الرسول قد مات .. فإن رسالته كانت وستظل ماضية ، ودعوته بإذن الله ستكون باقية قوية ما حرص المسلمون على بقائها وقوتها ..

أما هذا الحدث الهام الذي أنهى به الشاعر ديوانه فقد كان حول سرية أسامة بن زيد ابن حارثة رضى الله عنهما .. والتي كانت آخر سراياه صلى الله عليه وسلم إلى بلاد الشام للتهيئة لحرب الروم ..

وهناك أمر آخر في هذه السرية حرص الشاعر على أن يلفت الأنظار إليه وهو أن إرسال أسامة بن زيد على رأس هذه السرية إن دل على شيء فإنما يدل على إمكانية الاعتماد على الشباب المؤمن الغيور على دينه في عظائم الأمور .. فقد كلف أسامة لقيادة الجيش ولم تتجاوز سنه العشرين وقيل إن سنه كانت سبعة عشر عاماً .. الأمر الذي جعل بعض كبار القوم

يستنكفون من الانقياد تحت إمارته ويقولون : غلام !! فلما بلغت النبي صلى الله عليه وسلم مقالتهم غضب ثم صعد المنبر وقال : أما بعد أيها الناس ، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ ولئن طعنتم في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله ، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة ، وإن ابنه من بعده لخليق بالإمارة ، وإن كان من أحب الناس إلى ، وإنه لمظنة كل خير ، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم » ·

ثم تكون وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ·· وينفذ أبو بكر رضى الله عنه إرسال سرية أسامة · ويصدق ظن الرسول بهذا القائد الشاب الذي نصره الله وأيده في جهاده ضد أعداء الإسلام والمسلمين ··

وكانت هذه الحادثة هى ختام ديوان (مجد الإسلام) للشاعر أحمد محرم ·· وفيها يقول : (١)

سر يا أسامة ما لجيشك هازم ... أنت الأمير وأن تعتّب واهم
قالوا : غلام للكتائب قائد ... وفتى على الصيد الخضارم حاكم
غضب النبى وقال : إنى بالذى ... جهل الغضاب الساخطون لعالم
إن يجهلوه فقد عرفت مكانه ... والعدل عندى لا محالة قائم
ولئن رموه بما يسوء فقد رموا ... من قبل والدَهُ ولجَّ الناقم
نقموا الإمارة فيهما وهما لها ... أهل فكل أحوذىٍّ حازم
الخير فيه وفي أبيه فآمنوا ... يا قوم وأنطلقوا كما أنا عازم
ساروا وظل مع النبى خليله ... والخطب بينهما مقيم جاثم
ينتاب مضجعه وينظر ما الذى ... صنع القضاء فهمه متراكم
مرض النبى طغى عليه ، فقلبه ... يغشاه موج للأسى متلاطم
ودرى أسامة فانثنى في جيشه ... والحزن طام والدموع سواجم

ثم يعقب الشاعر بعد ذلك مشيراً إلى ذلك الحدث الجلل فيقول :

مات الرسول المجتبى مات الذى ... أحيا نفوس الناس وهى رمائم
مات الرسول فكل أفق عابس ... أسفا عليه وكل جو قاتم
مات الذى شرع الحياة كريمة ... والناس شر والحياة مآتم

(١) ديوان مجد الإسلام ص ٤٤٩ – ٤٥٢ · وراجع سيرة ابن هشام ص ٢١٩ جـ ٤ ط شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة – ١٩٧٤ ·

مات الذى كانت عجائب طبه ... تشفى العقول وداؤها متفاقم
صلى عليك الله إن قضاءه ... حتم وإن زعم المزاعم حالم

وينتهي ديوان (**مجد الإسلام**) **للشاعر أحمد محرم** على هذا النمط من صدق العاطفة وحرارة الإيمان وإشراق الديباجة ونصاعة البيان .. وهو بذلك يضارع شعراء عصره في تلك النزعة الإسلامية إن لم يكن قد فاق الكثير منهم بهذه الملحمة الرائعة التي استلهمها من مجد الإسلام ومفاخر المسلمين منذ أن أعزهم الله بهذا الدين القويم .

شكوى .. !

قال أبو العيناء : كان لى خصوم ظلمة فشكوتهم إلى أحمد بن أبى داؤد ، وقلت له : إن القوم قد تضافروا علىَّ وصاروا يداً واحدةً علىّ ، فقال : يد الله فوق أيديهم ، فقلت : إن لهم مكراً ، فقال : ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . فقلت : إنهم كثير وأنا واحد ، فقال : كم من فئة قليلة غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله ، والله مع الصابرين ...

أوصيك بثلاث ...

دخل أبو جعفر محمد بن الحسين بن على رضى الله عنهم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وقد ولاه . فقال له أبو جعفر : أوصنى ، فقال له : أوصيك بثلاث : أن تتخذ صغير المسلمين ولداً ، وأوسطهم أخاً ، وأكبرهم أباً ، فارحم ولدك ، وصل أخاك ، وبِرَّ والدك ، وإذا صنعت معروفاً فرَّبه .

اللسانية العربية
بين الأصالة والتعريب

للدكتور محمد منذر عياشي

ما تزال اللسانية كعلم غريبة على فهم بعض الناس . ولا نزال نسمع هنا وهناك من يفسر أهدافها تفسيراً يخالف العلم وقوانينه . ونحن نعتقد أن لهذا ما يعلله من الأسباب . ويمكننا أن نختار منها سببين رئيسيين :

١ - سبب خارجي :

أ - الاستعمار .

ب - الموقف المعادي الذي تجلى عند كثير من رجالات العلم في الغرب ، ومن والاهم من العرب إزاء الحضارة الإسلامية واللغة العربية .

٢ - سبب داخلي :

أ - الانحطاط العلمي كنتيجة للانحطاط السياسي .

ب - مقاومة غريزية لكل كشف علمي جاء من الغرب المستعمر .

١ - ١ - نظرة الغرب إلى اللغة العربية :

- لقد اخترنا ، لهذه الفقرة ، اثنين من المفكرين الغربيين يمثلان - في رأينا - السبب الأول ويحملان كل الأفكار التي يحملها الغرب تجاه :

- الحضارة الإسلامية والإنسان العربي .
- الحضارة العربية وآدا بها .

أما عن **النقطة الأولى** فقد اخترنا « المفكر » المستشرق **(شارل بلا) وهو أستاذ في جامعة السوربون بباريس . إنه يقول :**

« هذا العربي البدائي ، الظريف في بعض النواحي من شخصيته ، الفخور الكريم ، وصل به الأمر أن يحتفظ بعنجهية عشائرية وشخصية في منتهى العنف ، وهو يعتبر أن ليس هناك شيء آخر بالنسبة إليه غير القبيلة والأنا . وفوق ذلك ، فقد ظهر كتاب من أصل إلهي يحث العربى على التعجرف ويدفعه إلى الاحتقار ، أي إلى تجاهل كل غريب أجنبي . ومنذ ذلك الوقت أصبح مستنداً إلى القرآن في حياته اليومية . أما عن الأدب ، فإن العربي يحتفظ بتقاليد شعرية قديمة وهذا كل ما يكوّن القاعدة الجوهرية لنشاطه الأدبي » (١) .

أما عن **النقطة الثانية** ، فقد اخترنا « أندريه مارتينه » ، وهو واحد من أكبر علماء اللسانية في فرنسا ، وصاحب شهرة واسعة في العالم . ومع ذلك سنراه في الفقرة التي سنأخذها من أحد كتبه يقف من اللغة العربية موقفاً غير علمي . إنه يقول :

« ربما تكون اللغة قبل كل شيء ، لغة تقليدية ، أدبية ، أو مقدسة ثم تكون سيئة التأقلم بحيث لا تلبي مجموع الحاجات المنوعة للأمة ، كما هو الحال بالنسبة للغة العربية « الكلاسيكية » في البلدان الإسلامية » (٢) .

هل المقصود من ذلك هو الطعن في القرآن ؟ يعلم كل عالم موضوعي ونزيه أن هذا الكتاب ، منذ أنزله الله وحتى يومنا هذا ، يمثل الضمير اللغوي للأمة العربية . كما يعلم كل عالم أن القرآن ما دام حياً بين أظهر معتنقيه ، ويعيش في مشاعرهم ، فإن اللغة العربية ستبقى حية .

إذا كان الطعن في القرآن لإبعاد الناس عن لغة القرآن هو قصدهم ، فإن هذا ليس من أهداف البحث العلمي اللساني ولا من أغراضه . وقد كان الأجدى بهم كعلماء في اللغة وآدابها أن يتجهوا إلى دراسة العلاقة بين القرآن من جهة والعربية من جهة أخرى .

أ - ٢ - إن مناقشة هذين الرأيين توقعنا في حرج شديد . ولذا فإننا نرى أن لا نناقش الأول ، لأن صاحبه لا يمثل في عالم العلم أية قيمة كما يدل عليه قوله . وأما الثاني ، فنرى في مناقشته بعض الفائدة لا لأنه موضوعي وعلمي ولكن لأن لصاحبه في عالم العلم مؤلفات - في اللسانية - ذات قيمة علمية معترف بها .

---

(1) Charles pellat : langue et litterature arabe . p 227 .

(2) Andre Martinet : Element de linguistique genevale. p 155 .

قبل أن نبدأ نود أن نسوق خمس ملاحظات إلى كل مفكر غربي لها أهميتها الإنسانية :

١ - إن على المفكرين في الغرب أن يدركوا أن العالم الغربي لا يملك الحق من وجهة نظر علمية أن يعتبر نفسه المركز الوحيد لحركة الفكر في العالم ٠

٢ - إن على هؤلاء أن يعلموا أن النظريات التي تنطبق على عالمهم قد لا تنطبق على غيرهم بشكل آلى ، وخاصة في ميدان العلوم الإنسانية ٠

٣ - إن عليهم أن يعترفوا بأن النتاج العلمي الفكري والإنساني عند غيرهم من الأمم لا يقل أهمية عما أنتجوه ٠

٤ - إن عليهم أن يعلموا أن عهد السيطرة الثقافية قد انقضى ، وأن الشعوب قادرة على ابداع ما يتناسب ومستواها الحضاري من علم وفكر ٠

٥ - أخيراً ، نريد أن نقول لهم بأن الحضارات يَأخذ بعضها من بعض ٠ عندما نلفظ كلمة « لسانيّ » ، فإنه ينزل في تفكيرنا مباشرة أن الباحث في هذه الأمور يمتاز بموضوعية مطلقة يستمدها من طبيعة البحث ومنهجيته ٠ والعلم لا ينفصل عن الحقيقة ٠ ولذا فإن الإغتصاب الذهني ، والعنصرية الثقافية ، وتشويه الحقائق ... كل هذا لا يدخل في ميدان البحث العلمي ٠ ومع ذلك فإن هذا لم يمنع « أندريه مارتنيه » أن يخوض مع الخائضين ، فينسب إلى العربية ما ليس منها ولا فيها ٠ وقد نعجب من هذا المفكر إذا نظرنا إليه وهو يتكلم عن لغته القومية ، وكيف يمتدحها في نفس الكتاب المذكور آنفاً ٠ إنه يقول :

« إن اللغة الفرنسية ، كأداة ، يستعملها عدد من الكائنات الحية بنجاح للإتصال فيما بينهم » ص (147) ٠

لننظر إلى كلمة « نجاح » هنا ، وإلى « سيئة التأقلم » هناك عندما تكلم عن اللغة العربية ٠ وربما زال عجبنا إذا علمنا أن « أندريه مارتينه » لم يتكلم ، ولم يتعلم ، ولم يتصل بالعربية لا من قريب ولا من بعيد ٠

ب - ٢ - لكي نحدد موقفنا ونبين الحقائق ونكشف المغالطات ، لابد لنا من تصنيف الأفكار التي تدور حول اللغة ٠ وإننا نرى أنها تنقسم عموماً إلى ثلاثة أقسام :

● - الأفكار التي تعتبر لغة من اللغات الحية كلغة سيئة التأقلم ٠

● - الأفكار التي تسعى أن تقيم علاقة بين إحدى اللغات وإيديولوجية سياسية معينة ٠

● – الأفكار التي تنطوي على أحكام غير صحيحة كأن تعتبر أن لغة الشعب الفلاني أغنى وأرفع وأفضل من لغات الشعوب الأخرى · دون أي دليل علمي ·

وبما أننا نريد أن نعالج الأمر من الناحية اللسانية ، فمن الأفضل أن نبقى ضمن مناهجها وطرقها العلمية ، وأن نبين اهتماماتها · ونعتقد أن هذه هي الوسيلة المثلى لرد أقوال أولئك الذين لم ينظروا إلى اللغة إلا من خلال أفكار إن صلحت في فترة من الفترات لطمس الحقائق العلمية ، فهي لا تصلح أن تكون علماً يدرس ويستفاد منه في تعميق وتثبيت الأطر المنهجية التي تتبناها اللسانية في أبحاثها :

١ – إن الدراسات اللسانية تهدف إلى بناء أسس نظرية تنطبق على جميع اللغات · وتنقسم هذه الأسس قسمين :

● – أما **القسم الأول** فإن الإتجاه فيه يقوم على تزويد المنهج التحليلي بالأدوات اللازمة لاستخراج القواعد المكررة ضمن الكلام الإنساني ، وذلك لدراسة الفوارق التي تميزها عن غيرها من القواعد التي تبنى عليها وسائل التعبير والإتصال الأخرى عند الإنسان ، كالموسيقى وإشارات المرور ، أو الموجودة عند الحيوان كرقصات النحل مثلاً ·

● – أما **القسم الثاني** فالإتجاه فيه يهدف إلى شرح نص من النصوص مع افتراض عدة طرق تأويلية له ·

إذا كانت كل اللغات الإنسانية تنطبق على هذه الأسس ، لا لشيء إلا لأنها وسائل اتصال مرتبطة بنشاط البشر في حياتهم اليومية والفكرية ، فلا يجوز أن ينظر إلى العربية أو إلى غيرها إلا بهذا المنظار ·

٢ – عندما تعمد اللسانية إلى دراسة لغة من اللغات ، فإنها تدرسها لذاتها ، وتغض الطرف عن الإعتبارات الفلسفية والسياسية والمذهبية والطائفية ، ذلك لأنها علم والعلم منهج ، وبالإضافة إلى أنه مجرد من هذه النزعات فهو موضوعي ·

يجب أن لا تكون الدراسات اللغوية موطن صراعات إيديولوجية · فاللغة – كحد أدنى من التعريف – أداة · ومن شأن الأدوات أن لا تفكر ، ولكن تستخدم وتستعمل ·

إن اللغة نظام ، ونظامها القواعد · وإن شئنا فإننا نستطيع القول أن نظام القواعد فيها هو نظام الاستعمال والاستخدام ، وبما أنها كذلك ، أي أنها أداة توصيل ، فإن الفكرة الواحدة ونقيضها تأخذ فيها طريق الظهور · وبمعنى آخر ، إن الأفكار لا تنقل اللغات ولا تعكسها ولكن اللغات هي التي تنقل الأفكار وتعكسها ·

ب ٣ – إن ما ذكرناه آنفاً يحتم علينا أن ننظر إلى اللغة كأداة ، وأن نجرد نظرتنا عن النزعات غير العلمية . ومما لا يدخل في مجال الدرس العلمي قولنا مثلاً بأن لغة البلد الفلاني لغة ثورية وان لغة البلد الآخر لغة رجعية ، أو قولنا بأن اللغة الفلانية لغة مؤمنة على حين أن باقي اللغات تعتبر كافرة ، أو قولنا – والقول هنا لأندريه مرتينه – بأن هناك لغات « مقدسة » وأخرى « سيئة التأقلم » ونحن نعني ضمنياً بأن هناك لغات غير مقدسة وأخرى جيدة التأقلم ·

إن كل هذه الأقوال ، وقول (مارتينه) من ضمنها لا تدخل في إطار الدراسات اللسانية تماماً ، ككل من يجعل اللغة مولوداً لإيديولوجية معينة · ولو أن « مارتينه » درس علاقة الحضارة الإسلامية باللغة وأثرها في تطوير العربية لقبل منه وحمد مسعاه ، ولكنه لم يفعل · وهنا نود أن نقف على كلمة « مقدسة » لشرح المقصود منها في ذهنية وفكر الغربيين حين يطلقونها على لغة من اللغات :

١ – عندما عكف الغربيون على دراسة اللغات الشرقية عثروا في بعض جهات الهند على لغات خاصة بالصلوات والشعائر الدينية ، وتستعمل فقط من قبل رجال الدين لهذه الغاية · ولقد وقفوا عند هذا الحد من الملاحظة ولم يعنّوا أنفسهم جهد البحث عن أصولها – في الحقيقة إن عالم الشرق وحضاراته لا يزال مغلقاً على أفهامهم – واكتفوا بتسمية هذه اللغات بلغات « مقدسة » ، أي لغات خاصة بالعبادة · وكعادة بعض منهم ممن لا يرون إلا القشور دون اللباب جاء « مارتينه » بحكمه السريع ، وصنف اللغة العربية في عداد هذه اللغات · وإننا نعتقد أن الذي أوحى له ولغيره بهذه الفكرة هو نزول القرآن المجيد باللغة العربية وأن الصلاة عند المسلمين لا تصح إلا بنطق الآيات باللغة العربية · ولقد نسي « مارتينه » أو تناسى أن العربية سابقة على نزول القرآن ، وأن العرب يستخدمونها كأداة للإتصال بينهم في حياتهم اليومية والأدبية والعلمية وفي مساجلاتهم الفكرية ، وأن المكتبات تعج بملايين الكتب العربية ، وأن المطابع لا تزال تطبع يومياً أعداداً كبيرة منها في كل مجالات العلم ·

٢ – إن كلمة « مقدسة » تعود ببعض الغربيين إلى المفهوم المسيحي للغة · وهم يرفضونه لسببين : أولاً ، لأنه لا يتفق ومناهج البحث العلمي · ثانياً ، لأن تفكيرهم المادي يحول بينهم وبين أي تصور ديني لأي أمر من الأمور · أما فيما يخص السبب الأول فنحن لا نملك إلا أن نشاركهم الرأي ، لأن المفهوم المسيحي للغة يقوم على مغالطتين : المغالطة الأولى من وجهة نظر علمية ، والمغالطة الثانية من وجهة نظر إسلامية · ويمكننا أن نعرض هذا المفهوم لنرى ذلك :

لقد استمد علماء الغرب والدارسون للغة في العصور « الكلاسيكية » مفاهيمهم العلمية واللغوية من الإطار الثقافي الذي كان يحيط بالحياة الذهنية ويهيمن على كل النشاطات الفكرية . وقد كان هذا الإطار يقوم أساساً على الإنجيل . وكان من نتيجة تبنيهم للتصور الإنجيلي ميلاد المفهوم اللغوي الذي يعتبر كجدول من الكلمات ومجموعة من المفردات ، وليس كنظام قائم على قوانين . ولما ظهرت اللسانية في العصر الحديث رفضت هذا المفهوم وتخلت عنه . وهنا لابد لنا من طرح السؤال التالى : إذا كان هذا المفهوم غير العلمي قد وجد في المسيحية فهل يعني هذا أن له ما يقابله في الإسلام ؟ لكي لا نطيل نقول إن المفهوم الإسلامي للغة يخالف المفهوم المسيحي لها . وإن الرأي الذي سنقدمه من خلال القرآن مقارناً مع الإنجيل يبين ذلك :

اللغة العربية ، كشأن لغات الأرض جميعاً ، لغة طبيعية وإنسانية . ولها خصائصها التي تنفرد بها ككل لغة لها خصائصها . وإن القرآن لا يعارض هذا المفهوم في شيء ، بل على العكس ، إنه يؤكده ويدعمه . ففي مواضع متعددة منه يشير إلى وجود لغات منوعة . ولا يقف القرآن عند هذا الحد بل يوسع الدائرة بما يضيف من لغة الحيوان إلى اللغات الإنسانية . وإنه ليخبرنا بأكثر من ذلك إذ ما من شيء إلا ويسبح بحمد الله :

• - لغة الإنسان .

أما عن اللغات ، فيجب أن لا نتصور أن القرآن يحصيها عدداً . إنه يشير إلى وجودها واختلافها . يقول تعالى :

« ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم . إن في ذلك لآيات للعالمين » . الروم / ٢١ / .

إن الإشارة إلى تعدد الألسنة لها أهمية من وجهة نظر لسانية ، لأنها تنفي فكرة الأصل الواحد للغة والوارد في الإنجيل . ونعني بالأصل الواحد اعتبار الإنجيل أن الله لم يخلق إلا لغة واحدة ، وأنه سبحانه جعلها كمجموعة من الكلمات التي هي مسميات للأشياء ، أو كأنما هي جدول رصفت في داخله المفردات . ويدلـ على هذا ما ورد في الإنجيل :

« لقد سمى الله النور نهاراً والظلمات ليلاً » . (Genese 5)

« لقد سمى الله الفضاء سماء واليابسة أرضاً ،

وسمى مجامع المياه بحاراً » (١) (Genese 8)

---

(1) La Bible : Traduction en Francqis : louis segond .

● - **لغة الحيوان .**

وأما عن لغة الحيوان فإن القرآن يشير إليها في آيات كثيرة . ونكتفي هنا بالآية :

« **قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم** » النمل / ١٨

بالطبع لا يفصح القرآن عن الطريقة التي عبرت بها النملة ، ولكن الدارسين لحياتها يعلمون أن لها نظاماً من الإشارات تستخدمه كأداة للإتصال .

ومن يقرأ القرآن يجد أن الله قد ركز على اعتبار رسالة الأنبياء تذكرة ، وفي هذا دلالة على اعتبار اللغة أداة توصيل واتصال :

« **ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته** » فصلت / ٤٤

« **إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون** » يوسف / ٢ /.

« **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** » **سورة ق ٤٥ .**

هذه الآيات وغيرها كثير تبين هذا المعنى ، أي تعتبر اللغة أداة اتصال بين البشر . وقد نزداد عجباً إذا علمنا أن الإسلام يذهب إلى نفي اللغة المقدسة كلية إذ لا يوجب على الناس اختيار لغة معينة للتوجه إلى الله ، بل لا يوجب عليهم الكلام في ذلك أصلاً . وإن قراءة القرآن في الصلاة بلغة عربية لا يغير من هذا شيئاً ، الأمر الذي يجعلنا نستيقن أن القرآن يعتبر اللغات على حد سواء ، وأن استعمال اللغة إنما هو من طبيعة الإنسان .

لم يطلع « مارتينه » على القرآن ، لذا فهو لا يستطيع أن يبني أحكاماً صائبة . ونعتقد أنه أراد أن يندد بمفهوم تقليدي للغة ، فسار على عادة بعض الغربيين في النظر إلى الأمور ، أي أنه استوحى مما يعرفه عن الإنجيل ليحكم على العربية . ولكن العجيب عند هذا اللساني أنه قد حمل حكماً على اللغة ذاتها لا على الفكرة أو على المفهوم اللغوي ، وكل يدري أنه بين اللغة وبين جملة المفاهيم التي نبنيها حول اللغة فرقاً وبعداً ، أو على الأقل هما شيئان لا شيء واحد .

لو عمدنا إلى حصر الأخطاء التي وردت في قوله فإننا نستطيع أن نبرز ثلاثة :

● - لقد وضع اللغة العربية تحت ما سماه بـ « اللغة المقدسة » حتى يتمكن من تضييق مجالاتها فلا تكون مستعملة إلا في الصلاة والشعائر الدينية . وهذا خطأ شنيع يكذبه أو يصححه الواقع . فاللغة العربية مستعملة في الصلاة وفي كل مجالات الحياة .

● – لقد أطلق حكمه على اللغة وكان أولى به أن يطلق حكمه على المفهوم اللغوي · وهذا يعني أن « مارتينه » لم يفرق بين ما يسمى « بالنظرية اللغوية » واللغة ·

● – لقد أغفل « مارتينه » الواقع اللساني للغة العربية · ومن البديهي أننا إذا أنكرنا وجود لغة ما ، فإننا ننكر وجود الشعب الذي يتكلمها · فكيف تأتي له ذلك ؟ وهل للعرب وجود أو لا ؟ ·

جـ ١ – إن اللغة تحتفظ بسيطرتها كاملة على المجموعة الإجتماعية مادامت تملك القدرة على تسجيل المشاعر وأداء أغراض من يستعملها ويتكلمها · وإن قدرة اللغة تدل على حيويتها · وتتجلى هذه القدرة في احتواء اللغة – كلما دعت الحاجة – للعناصر الجديدة التي تنبع من حاجة الأمة وتطورها ، لذلك ، فإن اللغة عندما تكون حية لا تشكل نظاماً مقفلاً يحول بينها وبين التأقلم · وإن مانعنيه بالتأقلم هنا هو مجموع الإمكانات اللغوية التي تسمح

إن اللغة ليست إنعكاساً للفكر · ومن العبث أن نظن أن مثل هذا القول يضفي على اللغة أهمية خاصة · فاللغة تستمد أهميتها الإجتماعية أولاً وأخيراً من الدور الذي تضطلع به ضمن المجتمع كأداة للتوصيل والتفاهم ، والتعبير والتخاطب ، إلى آخر ذلك من الأغراض التي تلبيها ·

نود أن نضيف عنصراً جديداً إلى جملة ما قلناه سابقاً ، ألا وهو دور الجماعة في إغناء اللغة : إنه مما لا جدال فيه ، أن الجماعة التي تؤلف أمة تعطي اللغة قوة الثبات وتدفع بها نحو التجديد في آن واحد · وما دامت هناك جماعة فهناك لغة · ومن المعروف أن كل جماعة تبحث لنفسها عن مثل لغوي أعلى ينطوي تحته كل الأفراد الراغبين في العيش ضمن مجتمع واحد · وإن من شأن هذا البحث عن المثل اللغوي الأعلى أن يقوي وحدة الأمة · وانطلاقاً من هذه النظرة نستطيع أن ندرس أثر اللغة في الحدث القومي ، كما لا نريد أن تكون مفاهيمنا مستوحاة من هذه النظرة · وذلك لأن مفهوم القومية ، أو قومية اللغة لا يفيد في دراسة اللغة باعتبارها مجموعة من القواعد التي تؤلف نظاماً · ونحن حين نقف على دراسة لغة من اللغات ، فإنه لا يدخل في حسابنا موضوعياً الشعب الذي يتكلمها ، لأن هذه الناحية لا تدخل في مجال الدراسات اللسانية ، ومن الأفضل إحالة مثل هذه النواحي إلى ميادين علمية أخرى تعنى بمثل هذه الدراسات كالعلوم السياسية والإجتماعية مثلاً · إن العلم يقتضي منا أن نقف إزاء اللغة موقفاً مجرداً دون خلط بين عدة ميادين · وكما يقف الكيميائي من المواد التي يحللها ويجري تجاربه عليها بمعزل عن الأفكار غير الكيميائية ، فإن على اللساني أن يقف هذا الموقف من مادته ، وأن لا يستعير من الميادين الأخرى إلا ما يسمح به موضوع البحث نفسه ·

• قبل أن نغادر هذا الأمر إلى أمر آخر نحدد فيه موضوع اللسانية ، نرى أن نقدم الأسباب التي تدفعنا إلى اتخاذ هذا الموقف :

إن مفهوم قومية اللغة – في رأينا – مفهوم خاطئ تماماً · فاللغة ككل أداة تمتاز بخصال ثلاث :

١ – **اللغة هي حصيلة لتجربة إنسانية** عاشها الأفراد ضمن جماعة وليست حصيلة لتجربة قومية بالمعنى الحديث لهذا المصطلح ·

٢ – **اللغة كتجربة لا تختلف عن باقي التجارب** ، يشارك فيها المجتمع الذي يتكلمها بشكل مباشر ، وتشارك فيها الإنسانية جمعاء بشكل غير مباشر ·

٣ – **إذا كانت اللغات كلها إنسانية ، فهي ملك لمن يتكلمها** لا ملك لقوم بالذات · ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم : « من تكلم العربية فهو عربي » (١)

يدرس اللساني في اللغة مجموع الرموز الصوتية والبنى القواعدية ، ويعني بدراسة المعاني · وهذا هو موضوع اللسانية · وإذا كنا نلح على هذه الناحية فلأن اللسانية تريد أن تكون علماً أولاً وأخيراً · أما إذا تدخلت الأهواء القومية ، والنزعات المذهبية ، فإن العلم – مهما كان نوعه – يفقد أهم خصائصه الموضوعية ، ونعني التجرد والبحث الدقيق للوقوف على القوانين التي يسير بموجبها الأحياء والأشياء · ولو نظرنا في تاريخ الفكر الإنساني لوجدنا أن هذه الأهواء وهذه النزعات قد اتخذت طريقها – في بعض الأحيان – ضمن البحث اللغوي حتى كادت أن تودى بمفاهيمه العلمية الأصيلة · ونستطيع أن نضرب مثلاً بأحد أعلام الفكر الغربي من المتعصبين لنرى بعد ما يقوله عن التجرد والبحث الدقيق والحقائق العلمية · يقول « ديورو » الفرنسي في حديث عن لغته وعن باقي اللغات ما يلي :

« إن الحكمة تقضي باختيار الفرنسية لغة · ويجب استعمال الفرنسية في المجتمعات الراقية ، والمدارس الفلسفية · وإن لغتنا ستكون لغة الحقيقة إذا قدر لها أن تعود إلى الأرض ، على حين أن اليونانية واللاتينية واللغات الأخرى ستكون لغات الخرافة والكذب ·

---

(١) ورد شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الفقرة في حديث عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ثم علق عليه بقوله : هذا الحديث ضعيف ... لكن معناه ليس ببعيد ، بل هو صحيح من بعض الوجوه ·
أنظر (.اقتضاء الصراط المستقيم) ص ١٦٩ ج ١ ط مكة ١٣٨٩

لقد جعلت الفرنسية للتثقيف والإيضاح والإقناع ، وأما لمخاطبة الشعب فلا بأس من استعمال اليونانية واللاتينية والإيطالية ، ولكن لمخاطبة الحكماء يجب استعمال الفرنسية » (١) ٠

إن مثل هذه الأقوال توجد في كل الحضارات وعند كل الشعوب ، ولكن هل يمكن اعتبارها براهين علمية ؟ ولكي ننتهي من هذه الفقرة ، نعود مرة أخرى إلى « مارتينه » ونقول : إذا كانت اللغة الفرنسية مستعملة بنجاح ، فإن كل اللغات الحية ، ومن ضمنها العربية ، مستعملة بنجاح أيضاً ٠ وحول هذا الأمر يقول Christion Nigue

« إن لكل اللغات وظائف منتظمة وقوانين عامة للكلام ، وإن كل اللغات الواقعة تحت الملاحظة منتظمة ومباشرة ، ولكن بشكل مختلف ٠ لذا فإنه من غير الصحيح أن نقول بأن هناك لغات غنية وأخرى فقيرة ، وأن هناك لغات متطورة وأخرى بدائية ، كما أنه لا توجد لغة قريبة من الإتصال الحيواني وأخرى بعيدة ٠ إن كل لغة تنطبق على حضارة الشعب الذي يستعملها وعلى أنماط حياته وعاداته » (٢) ٠

٢ - اللغة العربية - نظرة من الداخل :

١ - موقف سلبي :

لقد ذكرنا سابقاً في بداية هذا المقال ، أن الدراسات اللسانية العربية ما تزال غريبة على فهم بعض الناس ٠ وقد يكون قولنا هذا من قبيل المبالغة ، فهناك من الأعمال والمؤلفات ما هو جدير بالذكر ، ولكن مجموع هذه المؤلفات ما زال قليلاً ولا يسد الحاجة ٠ وإذا أردنا أن نبحث عن الأسباب التي أدت إلى هذا ، فإننا نستطيع أن نحصرها في سببين :

- ● - السبب الأول خاص **بالبُحَّاث العرب** ٠
- ● - السبب الثاني خاص **بظروف الاحتلال** ٠

● - البحاث العرب :

أ - تتجلى أولى سلبيات البحاث العرب في العصر الحديث في وقوفهم على ما أبدعه القواعديون العرب القدماء دون السعي إلى تطويره ومتابعته وتعميقه ٠ وإذا كان القدماء قد فجروا عبقريات لغوية ، فلأن حضارتهم الإسلامية كانت وراء ذلك ، وكان الباحث منهم

(1) Di derot : lettre sur les sourds et les muets . p 371 – 372 . EJ j , Assezat, ceuvres Completes da Diderot, vol (1) Franier Freres . 1875 . paris .

(2) Initiation methodique'a la grammaire generatice . p 10 . Ed . Armand Colin . 1974 .

يستفيد منهجياً وذهنياً من تلك الحضارة . وعندما وصل إلينا ما تركوه لنا ، أخذناه نريد درسه ، غير أننا لم ننجح تمام النجاح ، وظل هذا العلم مغلقاً على أفهامنا في معظم نواحيه ٠ وللحقيقة نقول بأن هذا الفشل يعود إلى أننا قد عزلنا هذا العلم عن الحضارة التي أنشأته وولدته ، فإذا هو يصبح في أيدينا جثثاً هامدة لا حياة فيها ، أو أوراقاً تلقى على الأسماع دون أن تعيها العقول ، وتحفظ عن ظهر قلب لتردد في بعض المحافل أو في امتحانات آخر السنة الدراسية ٠

ب - وإذا كنا لم ننفذ إلى أعماق التراث - إلا من رحم ربي وهم قليل - فإننا لم نتابع بفهم جيد ما جد في ميدان البحث العلمي ٠ وربما يكون الأمر كذلك لنفس السبب الذي ذكرناه آنفاً ، أي لأننا لا نعير العنصر الحضاري اهتماماً في دراستنا ، مع العلم أن كل تقدم مهما كان نوعه إنما هو حصيلة للحضارة التي أنشأته ٠ ونحن إذا لم نعتمد العنصر الحضاري كأساس في كل أبحاثنا العلمية فسنبقى عالة على غيرنا لانتاج لنا ولا عطاء ٠

● - ظروف الاحتلال :

من الأسباب التي أدت إلى خلق السلبيات عند البحاث العرب ، نجد الاستعمار بمختلف أشكاله . وباعتبار أن الغرب هو مصدر الاستعمار فقد وقفوا منه موقف العداء ٠

لقد رأى القواعديون العرب في العصر الحديث ، وغيرهم من العلماء ، ما أنزله الغرب المستعمر ببلادهم من البلاء ، حيث انطمست الحركة العلمية ، وخمد النشاط الذهني الخلاق ٠ وشاهدوا أيضاً مدى ما ألحقه باللغة العربية من ضرر عند متكلميها ، حتى كان من عاقبة ذلك :

أ - الابتعاد عن منبع اللغة ومصدرها الحضاري ٠

ب - الابتعاد عن اللغة نفسها وذلك عن طريق :

● - إغلاق المدارس ومنع التعليم باللغة العربية في كثير من مناطق العالم الإسلامى ٠

● - إحلال لغة المستعمر وفرضها في الدوائر الرسمية والتعليم كبديل للغة العربية ٠

● - العمل على توليد طبقة متأثرة بثقافة المستعمر ، تتكلم لغته وتحتقر أصولها الثقافية واللغوية ٠

ت - انقطاع الصلة في بعض البلدان بين اللغة المتكلمة واللغة العربية الفصحى مما أدى إلى فقر الأولى واختفاء الثانية بعد أن كانت مصدراً يغنيها ويثريها باستمرار ٠

ث - احتجاب اللغة الأم ، فصحى ومتكلمة ، في بلدان المغرب عند معظم المثقفين ٠

ولقد قامت حركة التبشير، والإستشراق بدور هام في دعم خطة المستعمر : أما البعثات التبشيرية فقد تجلى دورها في الإلحاح على قطع صلة الشعوب المستعمرة بماضيها الحضاري الإسلامي · وأما حركة الإستشراق فقد سعت حثيثاً لتحريف وتشويه تاريخ الفكر الإسلامي والتشكيك فيه، كما أنها ركزت جهوداً جبارة للتقليل من أهمية اللغة العربية ودورها الحضاري حتى بدت هذه في عيون بعض (المثقفين) العرب كلغة ميتة لا علاقة لها بالعصر الحاضر، ولا تفي بحاجات التطور العلمي ·

٢ - موقف إيجابي :

● - اتجاه نحو التراث :

أ - لقد اتجه بعض البحاث العرب في العصر الحديث إلى نقل التراث · وكانت هذه خطوة إيجابية بحد ذاتها، لأنها أيقظت حماسة كثير من العلماء · وينقسم هذا الإتجاه - حسب اعتقادنا - أربعة أقسام رئيسية :

١ - اتجاه عني بنقل التراث ونشره ·

٢ - اتجاه عني بشرح المنقول وتفسيره والتعليق عليه ·

٣ - اتجاه عني بتأليف الكتب على غرار كتب الأقدمين ·

٤ - اتجاه اعتمد التراث، فألف كتباً مبسطة حتى يسهل على أبناء الجيل الجديد تناول المادة المطروحة واستيعابها ·

ب - إذا كان هذا الإتجاه قد نجح نسبياً، فإنه قد أخفق نسبياً أيضاً · وإذا كان من أهداف هذا الإتجاه نقل التراث، فإن هذا لا يعني أن الإفادة من التراث ستتم بطريقة آلية · والتفسير الممكن لهذا هو أن الذهنية التي أنتجت التراث هي غير الذهنية التي تلقته · وإننا لا نملك، بالإضافة إلى ذلك، لا الإستعدادات العقلية لذلك، ولا الاستعدادات النفسية، ومناهج التربية وأساليب البحث العلمي عندنا تحول بيننا - في معظم الأحيان وعند معظم المثقفين - وبين بلوغ النضج العقلي الذي يسمح بالإفادة الكلية · وإذا كنا نحكم بأن إفادتنا جزئية، فمن الأفضل أن نعدد الأسباب بشكل أوضح :

١ - إن المكونات الحضارية التي وَلَّدت هذا الفكر تختلف عن المكونات الحضارية للمجتمع الذي نعيش فيه، والتي من خلالها ننظر إلى التراث ·

٢ - إذا كان هذا التراث هو نتاجاً حضارياً لمجتمع متحضر، فإن المجتمع الذي نؤلفه لا يمت إلى الحضارة بصلة، هذا إذا اعتبرنا الحضارة فكراً وروحاً · إن مجتمعنا في أحسن

أحواله مجتمع « متقدم مادياً وتقنياً » . ولو عدنا إلى العلامة ابن خلدون لرأيناه يربط تطور الذهنية العلمية بالحضارة ربطاً لا انفصام فيه . إنه يقول :

« وأما العلوم العقلية أيضاً فلم تظهر في الملة إلا بعد أن تميز حملة العلم ومؤلفوه » (١) .

وهو يعزو ذلك كما قلنا إلى الحضارة :

« فلم يزل كل ذلك في الأمصار مادامت الحضارة ، .

فلما ضربت تلك الأمصار وذهبت منها الحضارة التى هي سر الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم » (٢) .

٣ - إن هذا التراث يقوم على الديمومة لأنه يتمثل في المجتمع المتحضر الذى أبدى لسان الحقيقة . وهذا يعني أن جوهر التصور الذهني والفكري للذين أوجدوه كان مبنياً على اليقين . أما المجتمع الذي نعيش فيه ، فيقوم على عكس ذلك تماماً : لا ديمومة تمثل الحقيقة ، ولا ثبات يرافق النمو الفكري والإبداع العقلي ، ولقد حل الشك محل اليقين . إن مجتمعنا ، كتصور ذهني ، قد بني على الفرضية ونقيضها في نفس الوقت .

٤ - كان المجتمع العلمي الذي ولَّد هذا التراث ، في كل ميادين أبحاثه ، يعمد إلى تفكيك العناصر ثم تركيبها وفق قوانين مستقاة من سنن صدرت عنها هذه العناصر . والإتجاه العلمي المعاصر يعمد فقط إلى تفكيك العناصر إلى وحدات ، ثم يعمد إلى هذه الوحدات فيفككها إلى وحدات أخرى أصغر ، ثم أصغر حتى تفقد كل صلة لها بأصولها الأولى ، أو بالقوانين التي بنيت عليها والنظم التي جمعت بينها . ولقد عبر ابن خلدون عن الرؤية العلمية التي كانت عند أصحاب هذا التراث فقال :

« وأما العلوم التي هي آلة لغيرها (......) ، فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ، ولا تفرع المسائل لأن ذلك مخرج لها من المقصود ، إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير . فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود » (٣) .

نستخلص من كل ما سلف أن الإفادة من التراث تستدعى منا تأمين شروط معينة بدونها لا نستطيع استيعاب كل الأبعاد الحضارية لهذا الفكر . وقد تثير هذه النظرة حفيظة « المغتربين » ، أي الذين طوتهم معايير المقاييس الغربية ، ولكن لا بأس علينا منهم .

---

(١) المقدمة ص / ٥٤٤ .

(٢) المقدمة ص / ٥٤٥ .

(٣) المقدمة ص / ٥٣٧ .

أخيراً نستطيع القول أن الذين نقلوا التراث - بصورة عامة - والذين علقوا عليه أو ألفوا وكتبوا على غراره لم يكونوا على مستوى الشروط الحضارية ، أي لم يكونوا عقلياً وذهنياً مشبَّعين بها - هناك استثناءات قليلة - ولذا فإنهم لم يستطيعوا أن يثيروا بالتراث ما كان يثيره في بيئته الطبيعية · وهذا ما قصدنا عندما عزونا إليهم الإخفاق النسبي ·

● - اتجاه نحو الغرب :

إلى جانب الإتجاه الأول ، نجد اتجاهاً ثانياً يكاد يكون معزولاً عنه · فهو لا يؤمن بالتراث ولا يعيره أي اهتمام إنه اتجاه نحو الغرب · ومن العجيب الغريب في هذا الاتجاه هو ما يضفيه عليه أصحابه من صفة العلمية دون أن يكلفوا أنفسهم أي جهد علمي للتحقق من ذلك أو النظر إلى التراث قبل رفضه ·

إذا أنعمنا النظر في هذا الإتجاه ، فإننا سنقف فيه على حركتين تسيران معاً بآن واحد ، وفي نفس الاتجاه :

أ - أما الحركة الأولى فتعنى بترجمة ونقل المؤلفات الغربية إلى العربية ·

ب - وأما الحركة الثانية ، فتستلهم من المؤلفات الغربية وتحاول أن تزرع المفاهيم المستوردة في حقل الذهنية العربية ·

إن النقد الذي وجهناه للاتجاه الأول يصلح ، في بعض نواحيه ، أن يكون موجهاً للاتجاه الثاني · وإذا كان الاتجاه الأول قد أخفق نسبياً كما بينا ، فإن الاتجاه الثاني لم يحقق في مقابل ذلك ، نجاحاً يذكر · ومع ذلك ، نريد أن نبين ما حققه من خلال نقطتين :

١ - لقد مكن هذا الإتجاه الباحث العربي من الإطلاع على ما يجري في الغرب ، وكشف له عن التقدم العلمي الهائل الذي تم إحرازه · وهذا الأمر إيجابي في ظاهره ، سلبي في حقيقته وجوهره كما سنرى ·

٢ - لقد أدى تضاعف هذا النشاط إلى « تغريب » في الحياة العقلية لبعض البحاث العرب وبعض المثقفين ، فنتج عن ذلك انفصال بين ذهنية هؤلاء والمجتمع الذي يعيشون فيه ·

٣ - أدى هذا الإتجاه إلى ميلاد شيئين خطيرين :

● - « المسخ » ، أي التحول إلى شيء لا شكل له ولا هوية ·

● - « التبعية » ، وتبرز هذه الظاهرة عند من رأى في ثقافة الغرب شخصية جديدة له فتقمصها وأخذ يعمل على أساسها ·

نستخلص من هذا كله أن كلاً من الاتجاهين ، على مافيه من إيجابية ، لم يؤد الفرض المطلوب منه ، كما نلاحظ أن كلاً من الإتجاهين أيضاً لم يؤد إلى كشف علمي يذكر لا من وجهة نظر حضارية ، ولا من وجهة نظر تقنية ·

لقد كان لقدماء العرب من المسلمين ميزان دقيق يزنون به لك أعمالهم وأبحاثهم العلمية ، كما كانوا في كل دراساتهم يقفون على وجهين من وجوه البحث :

١ - الوجه الداخلي أو الروحي ·

٢ - الوجه الخارجي أو المادي ·

لو أن الدراسات العربية الحديثة اعتمدت هذا المفهوم ، وسعت لكشف القوانين الداخلية والروحية ، والقوانين الخارجية والمادية والتداخل القائم بينها لحققت الأمل المنشود دون نقص · ونحن نعتقد أننا إذا أدخلنا هذا المفهوم في أبحاثنا فسنسد ثغرة تركها الشرق والغرب مفتوحة · ولو عدنا للمرة الأخيرة إلى ابن خلدون نستنطقه ، فسنجد أنه يعيد العلوم إلى هذين الأصلين دون أن يفصل بينهما · إنه يقول :

« إعلم أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين :

علوم مقصودة بالذات ، وعلوم هي وسيلة آلية لهذه العلوم »

أخيراً ، يجب أن نوفق بين الأصول الحضارية لتراثنا ، والتقدم الحادث ، ويكون ذلك بجعل العنصر الثاني ، أي التقدم بالمفهوم الذي شرحناه ، من منتجات العنصر الأول ووسائله ، أي الحضارة · وهذا يتطلب منا أن نبني تصورنا الذهني والفكري على ما قامت عليه حضارتنا ، ثم ننظر في كل ما جد من تطور فنأخذ به من خلال ما استقر عندنا من مفهوم حضاري ·

والله الموفق والمستعان

تسابيح

للشيخ عبد المحسن حليت مسلم

إلهي أيـن أمـضي والخطـايا ... تصـارعني وتُمِعْـنُ في الصـراعِ
فـكم أبحـرتُ في دنيـاي لهـواً ... وكـم في الجهـلِ سـافر بي شراعي
وبعـد هُنيهـةٍ أيقنتُ أني ... قضـيتُ العمـرَ في طلبِ الخـداع
إلهي قد كشفتُ إليك ضري ... وأظهرت الذي وارى قناعي
وجـئتُ تسـوقني هفوات عبـدٍ ... غـوى وأتـاكَ من بعد الضيـاع
وقـدمتُ الـذى قـد كـان مـني ... إليـكَ وخـانني فيـه دفـاعي
ومـا في هذه الدنيـا شـقاء ... أشـد لظى منَ العمـر المضـاع

******

مـددتُ يـديَّ نحـوكَ يا إلَهي ... وإني في حمـاك لمسـتجيرُ
غنيٌ أنت عـن مثـلي وإني ... إلى رحمـاكَ يـا ربي فقـيرُ
إلهي مـا أقـول إذا دعـاني ... لعـرض حسـابي اليـوم العسـير
وكـل صحـائفي سـودٌ وفيهـا ... ذنـوبٌ ليسَ تمحـوها البحـور
فهـلْ أُوتى كتـابيَ في يميـني ... أم العُقـبْى عـذابٌ مسـتطِير
فحاسـبني بجـودكَ لا بفعـلي ... فأنتَ بمـا أتى مثـلي بصـير
لقـد ضيعتُ هـذا العمـر لهـواً ... وغـرتني من الدنيـا القشـورُ

******

مع المجاهدين الأفغان

للدكتور محمود أحمد عبد المحسن

أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

ومجاهدو الأفغان صار قتالهم   مثلا كأروع ما تكون قويه

هجموا هجوم الليث ديس عرينه   فغدا يصول بغضبة مضريه

صمدوا صمود الراسيات شهامة   في وجه أشرس قوة همجيه

شعب أباة الضيم أبطال الوغى   لم تثنهم نذر ولا وحشيه

باعوا لربهم النفوس سخية   لا يطلبون سوى الجنان هديه

قد طار بين الخافقين حديثهم   اعلى واسمى ما تكون قضيه

وقضية الإسلام خير قضية   مهج النفوس فدىً لها وضحيه

لله در المؤمنين وحبذا   همم تضيق بوصفها العربيه

يستبشرون بفتح كابل عنوة   في كل يوم بكرة وعشيه

وجهاد أهواء النفوس فريضة   ووسيلة لرضى الإله سنيه

إن الذنوب هزيمة كبرى تد   مر صرح كل فضيلة دينيه

وتدك صرح النصر من عليائه   وتحط من قدر الرجال رديه

أتغاضب المولى الكريم جهالة   تبا لها من شهوة نفسيه

اكبح جماح النفس عنك وقل لها   الرب لا تخفى عليه خفيه

يا إخوة الدين الحنيف تعاونوا   بالبر والتقوى بكل رضيه

يا إخوة الدين الحنيف تآلفوا   إن التآلف طاقة ذريه

ولم الخلاف ؟ وفيكمو قرآنكم   إن الخلاف هزيمة وبليه

كونوا على الأعداء صفا واحدا   مثل البناء مودة أخويه

أجدادكم لما تجمع شملهم   فتحوا البلاد وأصلحوا البشرية

لا تيأسوا فاليأس شر هزيمة   والصبر للنصر المبين مطيه

إن الثبات على القتال تجشما   مثل الجهاد فريضة حتميه

رَمَضَان.. وَالجرح.. والأمَل..

شعر : عبدالرحمن صالح العشماوى

جئتَ بعد الغياب يارمضانُ ... وفؤادي — كما ترى — وَلْهانُ

أيُها القادم الحبيبُ ، وفي عينيـ ... ـكَ نورٌ، وفي خطاكَ اتزانُ

لَكأنى أراكَ ، والكونُ يُصغى ... خاشعاً ، حين أُنْزلَ القرآنُ

نبتتْ فى حماك راحةُ نفسي ... وتجلى فى ظلك الإيمانُ

الرُؤى من وراء أُفقكَ لاحتْ ... وفؤادى فى أمرها حيرانُ

كيف ألقاكَ أيُها القادم الفذُ ... ونفسى تذيبُها الأحزانُ

قيّدتنى هموم عصرٍ غريقٍ ... وتخلى عن مركبى الرُبانُ

وتمادى محيط حزنى فما للبحر ... حدٌ يُرى ، ولا شطآنُ

تاه في لجّة الحياة شراعى ... مثلما تاه فى نشيدى البيانُ

بم أفضى اليك من نبأ القوم ... وماذا أقولُ ، يا رمضانُ ؟

أعن القدس ، والضحايا ، فهذا ... نبأ قد مشى عليه الزمانُ

شغلونا عن شأنها بقضايا ... جمدت دون حلها الأذهانُ

أبدلونا بجرحنا ألف جرحٍ ... كلَّ يومٍ يجتاحنا عدوانُ

صبِّر القلب أيها القادم الفذ ... فأحداث أمتي ألوانُ

كنتُ ، فيما مضى ، أقول لك ... القدسُ يعانى ، وتشتكى لبنانُ

فيلوح الأسى على وجهك الغضّ ... وتشقى بِدَمْعِهَا الأجفانُ

مزّقتْ أمتى الخلافات حتى ... صار يلهو بأمرها الشيطان

إنها الحرب أيها القادم الفذُ ... دمارٌ ، وحسرةٌ ، وهوانُ

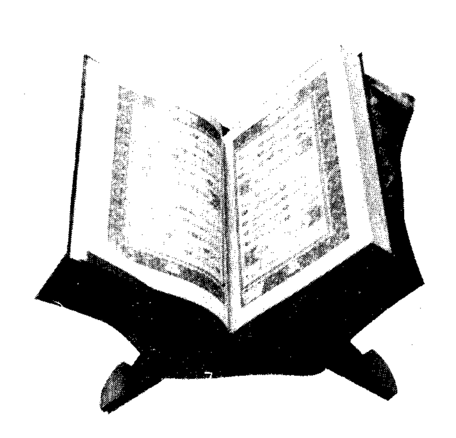
أيَّ شئ تقوله حين تأتى ... فيلاقيك مأتمٌ ، ودخانُ

نحن في عالم غدا مثل سجن ... تاه فيه السجينُ والسجّانُ

وانبرى كلُ فارسٍ فيه يجري   في طريق ، وماله عنوانُ
تائهاً في العباب ليس يرى النو   ر وقد حال دونه الطوفانُ
ألف بوق يشدو بأمجاده الغرا   ء وهو المماذق الخوانُ
وتماديه في الغواية هدىً   وصلاحٌ ، وظلمةُ إحسانُ
لا تسلني من بعدها كيف أضحى   فارساً ، ذلك الغبيُ الجبانُ
جهل الناسُ كل شئ وهم   يدرون ، واختلَّ فيهم الميزانُ

● ● ●

أيها القادم الحبيبُ أقلني   إنْ يكنْ زلَّ في حديثي اللسانُ
ربما جئتَ منقذاً ، فعلي   وجهك نورٌ ، يبثهُ القرآنُ
موسمٌ أنت للهدى ، ومجالُ   للتآخى ، وفى رؤاكَ أمانُ
نادِ قومي فإنّ ليل المآسي   سيولىّ ، لو أشرق الإيمانُ
كلُّ خطبٍ يهون إلا عداءً   يتلظّى بناره الإخوانُ



رحم الله المحلقين

للشيخ يوسف الظهراني الشافعي
مدرس بالمعهد الثانوي بالجامعة

ما أبرَّ النفسَ قد لبَّت وفيه | وسعت لله لا تألو حفيه
صدَّق المكنونَ أعمالٌ جليه | فيض آيات ولاء وتحية
راح يُزْجيها إلى رب البرية | ذلك الحاج إلى خير بَنِيَّة
قد أتاه صاغرا صادق نية | ناصح التوبة قد أنكر غيّه
فأتى الإطلاق والمن عطية | أعتق المولى بها اليوم وليه
وتجلت صفحة الرأس سوية | ليس فيها غير نبتات خفية
حلق الشعر فلم تبق بقية | إن للسابق في الفضل سنيه
وتهاوى يسبق الشعر هُوِيَّه | كل ما أثقل نفسا من خطية
وغدت تُكتب للنفس الرضية | صفحة في العمر بيضاء نقية
تولد النفس بها وهى فتية | أى ميلاد سعيد لِزَكية
عزمات في الهدى تَمَّت قوية | خير زاد لحياة سرمدية
من هموم العيش قد باتت خلية | وبفيض النور قد أضحت غنية
خلصت لله جهرا وطَوِية | وخلت من كل أعلاق دنية
حُرِّرت من غلها فهى نجية | أى فوز أى أيام هنية
أىُّ عين لحياةٍ ذهبية | بِمُنى النفس من الخير سخية
ماؤها يبعث في الميت الحمية | ويَرُد النفس حسناء صبية
حُلُم الماضين أزمانا خلية | كم طوى ركب إليها من ثنية
وأضاعوا العمر بحثاً كل طِية | وهى ليست ببعيد أو خفية
إنها العود إلى رب البرية | ذلك العود خلاص البشرية
حرمات الله في الأرض علية | عُظم المولى بها فهى المطية
حق للمالك أن تعنو الرعية | ورضا الله لنا أبقى بقية

حوار حول الأدب الإسلامي ومناهج دراسته

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة عقدت كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية حواراً حول الادب الإسلامي ومناهج دراسته في المدة من ٥ إلى ٩ رجب ١٤٠٢ هـ .

فكرة الحـــوار

إن طبيعة الجامعة الإسلامية الدعوية ، وحرصها على تلمّس حاجات المسلمين وبذل الجهد في تلبية ما تستطيعه منها ، والإحساس المتزايد بين المسلمين كافة بأنهم في حاجة إلى أدب جميل ونظيف يصدر عن تصور إسلامي وينمّي الأذواق ويربي الأجيال ويسهم في واجب الدعوة إلى الله . لا سيما وأن قسما من آدابهم قد تحول بفعل الغزو الفكري إلى أداة تهديم للعقيدة والسلوك ؛ .

ولكي تؤدي كلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بعض واجبها في خدمة الإسلام والمسلمين ؛ .

لذلك كله :

دعت الجامعة عددا من رواد الأدب الإسلامي المعاصر ودارسيه ومدرسيه في جامعات المملكة وبعض الأقطار العربية الأخرى إلى حوار يناقشون فيه أهم قضايا الأدب الإسلامي لتأصيلها وتعميقها ودعم مناهجها .

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز

أمير منطقة المدينة المنورة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،
فضيلة نائب رئيس الجامعة الإسلامية ، إخواني الأساتذة أعضاء ندوة حوار الأدب الإسلامي ؛

أيها الحاضرون جميعاً :

أنه ليطيب لى أن ألتقى بكم في هذه المناسبة المحببة إلى قلبي التي تعد من أهم المناسبات الإسلامية في القضايا المعاصرة التي تهم الغيورين على دينهم ولغتهم العربية وهى ارتباط الأديب المسلم بدينه وعقيدته وولائه لكتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته الإسلامية حيث يكون بيانه وثقافته وأدبه مسخراً لخدمة هذا الدين ملتزماً بعقيدته ·

وإذا كانت العقائد والأفكار والمذاهب المعادية للإسلام تجد من يدعمها بالمال والقلم والقوة واللسان من دول ومؤسسات وأحزاب وأفراد فإن على المسلمين أن يهبوا لنصرة دينهم امتثالاً لقوله تعالىٰ : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ·**

وإن عقد مثل هذا الحوار الذي يقصد به إبراز مفهوم الأدب الإسلامي وتعميقه في نفوس أبناء الإسلام من ذوي الطاقات والمواهب الذين لا تستغني الأمة الإسلامية عما أوتوا من بيان وجمال وأسلوب وصدق رؤية مع التزام بمنهج هذا الدين الشامل لكل جوانب الحياة ·

إن عقد هذا الحوار بهذه الصفة لهو من الجهاد في سبيل الله الذي أرجو أن تجني الأمة الإسلامية ثماره من خلال أفكار أعضائه وتوصياتهم البناءة الهادفة ·

كما أرجو أن توفق الجامعات العربية والإسلامية والمؤسسات الأدبية أن تبرز هذا الأدب الملتزم بالخط الإسلامي إلى حيز الوجود وأن تطبقه عمليا لتنير لشباب الإسلام الصراط المستقيم في مناهج الأدب ·

وإني أهنيء الجامعة الإسلامية على ما تقوم به من نشاط في كل مجال من المجالات المفيدة ومنها عقد هذا الحوار الذي تنظمه كلية اللغة العربية وأتمنى لكم أيها الأعضاء كل نجاح وتوفيق ·

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته·

كلمة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن نزغات الشياطين ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى اتباعهم بإحسان إلى يوم الدين ٠

صاحب السمو الملكي الأمير عبد المحسن ، أصحاب الفضيلة والسعادة ، أيها الحضور الكرام ٠

إنه من دواعي سرورنا واغتباطنا في هذه الجامعة أن نجد الاستجابة التامة من العلماء والأدباء والمفكرين لحضور هذا المنتدى الكريم الذي ستناقشون فيه ما يتصل بتأكيد إعادة الحق إلى نصابه بربط الأدب بالإسلام وهذا الموضوع وإن بدا لبعض الأفكار غريباً إما لكونه من باب تحصيل الحاصل وإما لأن الأدب له مناهجه المتحررة من قيود الدين والالتزام بقوانينه التي قد يرى الأديب نفسه مكبلاً بقيود حديدية لا يستطيع تجاوزها إلى الرحب من آفاق الأدب ومجالاته المتعددة فإنا على أي حال من الحالين لا بد أن نعنى في الجامعات العربية الإسلامية بتبيان الحق وتأكيد ارتباطه بمنبعه وأصله ٠

إن الأدب في أصدق معانيه هو ذلك الأسلوب التعبيري الرفيع بشتى صوره خدمة للإنسان وللأمة ٠

أو هو ذلك البيان المؤثر على السامع بأي نوع من أنواع البيان أو لنقل ما شئنا فإنه لن يخرج عن هذه الدائرة الإنسانية ومن هنا كان لا بد أن يعلم الناس حقيقة الأدب من حيث هو أدب يخدم عقل الإنسان وفكره وحياته ذات الجوانب المتعددة وهذا يتطلب لعمر الحق جهوداً مضنية توازي تلك الجهود التي بذلت بكثافة عبر فترات من التاريخ خلا فيها المقام من قائم للحق بحجة كافية ٠

ولعل الله قد اختاركم لتنالوا شرف القيام بهذه الحجة لتعيدوا إلى الصواب ما ند عنه من أفكار ومفكرين ٠

فإن اللسان ما خلقه الله تعالى إلا ليكون عبداً له وحده قريباً من كل ما يحقق هذا الأكيد بعيداً عن كل ما يعيق مسيرته في تحقيقه ، يقدم الخير للناس ويدعو إلى المثل والقيم وعمارة الحياة الإنسانية بالهدى والحق ٠

إن الذين يظنون الأدب هو ذلك الأسلوب الناد عن الأدب البعيد عن الالتزام بالمبادئ الأخلاقية يظلمون أنفسهم بالباطل من الظن قبل أن يكونوا معتدين على الحقيقة والحق ·

ويقيني أن الباطل لا يدوم وأن الحق هو الذي سيظل طوداً شامخاً على مر الأجيال والعصور (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) ·

إننا إذ نؤكد ترحيبنا بكم لعلى آمل أن يسفر حواركم عن النافع والمفيد لنا في هذه الجامعة الإسلامية ولسائر الجامعات العربية والإسلامية والمؤسسات الثقافية في سائر الوطن الإسلامي والعربي بإذن الله · وفقكم الله وسدد خطاكم ·

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·

كلمة الأعضاء المشاركين في الحوار

ألقى الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا نيابة عن الأعضاء المشاركين في الحوار الكلمة التالية :

الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه ، والصلاة على محمد سيد خلقه ، وخاتم رسله ثم التقدير كل التقدير لهذه الجامعة الإسلامية التي ملأت ديار المسلمين خيراً وبراً ، وأفعمت أقطارهم دعاة وهداة ·

وضراعة إلى الله العلي القدير أن يجمعنا معشر المسلمين - على الخير والبر ، وأن يحقق على أيدينا ما يرضي الله ورسوله ·

وبعد : فباسم الاخوة القادمين إلى هذا البلد الأمين وجامعته الغالية للإسلام في مجال من مجالات نشاطها المتعدد المتنوع المتواصل ألا وهو الدعوة إلى الأدب الإسلامي والعناية به ، ومحاولة نشره في الأرض ·

باسم هؤلاء الاخوة نشكر هذه الجامعة والقائمين عليها ، وعلى رأسهم معالي نائب رئيسها الدكتور عبد الله الزايد أجزل الشكر وندعو له ولمن معه أوفر الدعاء ، ونسأل الله أن يهب ملك هذه البلاد الغالية الصحة والقوة والعون ، وأن يسبغ على ولى عهده الخير للإسلام ، والبر بالمسلمين · وأن يكرم أمير المدينة المنورة كما أكرم هذه الندوة برعايته لها ·

والله جلت قدرته هو أعز من يسأل وأغنى من يجيب ·

برنامج الحـــوار التفصيلى

الأربعـــاء ٥ رجب ١٤٠٢ هـ :

الســـــاعـة	
١١٫٣٠ ـ ١٢٫٠٠ صباحاً	حفل الافتتاح في قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة ٠
١٢٫٠٠ ـ ١٢٫٣٠	استراحـــة والانتقـال إلى الكلية ٠
١٢٫٣٠ ـ ١٫٣٠	جلســـة الإجراءات ٠
١٫٠٠	صـــلاة الظهر وراحــــــــة ٠
٥٫٠٠ ـ ٦٫٤٥ مساءً	جلسة الحوار الأولى (مدير الجلسة الأستاذ محمد قطب) ٠
	مناقشـــة مفهـوم الأدب الإسلامي ٠
٦٫٤٥ ـ ٧٫١٥	صـــلاة المغرب ٠
٧٫١٥ ـ ٨٫١٥	بقيـــــة الجلســـــة ٠
٨٫١٥	صـــلاة العشـــــــاء ٠

الخميس ٦ رجب ١٤٠٢ هـ :

٨٫٠٠ ـ ١٠٫٠٠ صباحاً	جلسة الحوار الثانية (مدير الجلسة الدكتور زاهر عوض الألمعي) ٠
	مناقشة العلاقـــة بين الأدب والعقيـــدة ٠
١٠٫٠٠ ـ ١٠٫٣٠	راحــــــــــــــة ٠
١٠٫٣٠ ـ ١٢٫٣٠	جلسة الحوار الثالثة (مدير الجلسة معالى الشيخ عبد العزيز الرفاعى) ٠
	مناقشـــة وظيفـــة الأدب ٠
١٢٫٣٠	صـــلاة الظهر وراحــــــة ٠
٥٫٠٠ ـ ٦٫٤٥ مساءً	جلسة الحوار الرابعة (مدير الجلسة الدكتور عماد الدين خليل) ٠
	مناقشـــة مقاييس تقـــويم الأدب ٠
٦٫٤٥ ـ ٧٫١٥	صـــلاة المغرب ٠
٧٫١٥ ـ ٨٫١٥	بقيـــــة الجلســـــة ٠
٨٫١٥	صـــلاة العشـــــــاء ٠

الجمعـــة ٧ رجب ١٤٠٢ هـ :

٥٫٠٠ ـ ٦٫٤٥ مساءً	جلسة الحوار الخامسة (مدير الجلسة الدكتور عبد القدوس أبو صالح) · مناقشـــة منهج دراسة الأدب الإســـلامى ·
٦٫٤٥ ـ ٧٫١٥	صـــلاة المغرب ·
٧٫١٥ ـ ٨٫١٥	بقيـــــــة الجلســـــــة ·
٨٫١٥	صـــلاة العشـــــــاء ·

السبت ٨ رجب ١٤٠٢ هـ :

٨٫٠٠ ـ ١٠٫٠٠ صباحاً	جلسة الحوار السادسة (مدير الجلسة الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشـــا) · مناقشة قضايا متنوعة في الأدب الإسلامي ·
١٠٫٠٠ ـ ١٫٠٠	زيارة معالم المـــدينــــــــة ·
٥٫٠٠ ـ ٦٫٤٥ مساءً	جلسة الحوار السابعة (مدير الجلسة الدكتور نجيب الكيلاني) · مناقشـــة وســـائل تدعيم الأدب الإســـلامي ·
٦٫٤٥ ـ ٧٫١٥	صـــلاة المغرب ·
٧٫١٥ ـ ٩٫٠٠	بقيـــــــة الجلســـــــة ·
٩٫٠٠	صـــلاة العشـــــــاء ·

الأحـــــد ٩ رجب ١٤٠٢ هـ :

٩٫٠٠ ـ ١١٫٠٠ صباحاً	مناقشـــة التوصيـــــــات ·
٢٫٠٠	حفـــــل غـــــــداء ·
٧٫٣٠ ـ ٩٫٣٠ مساءً	الحفـــــل الختـــــــامى ·

العاملون في الحوار

اللجنة التحضيرية

الدكتور / عبد الباسط بدر - أمين الحوار
الدكتور / مصطفى عليان
الدكتور / صالح ادم بيلو
الدكتور / عمر الساريسي
الدكتور / نزيه عبد الحميد
الدكتور / جلال حجازي

لجان العمل

لجنة التنظيم والمتابعة :

الشيخ / عبد الله أحمد قادري
الشيخ / عبد العزيز الصاعدي
الدكتور / عبد الفتاح بحيري
الدكتور / عبد الباسط بدر

اللجنة الإدارية :

الدكتور / مصطفى عليان
الدكتور / عمر الساريسي
الدكتور / صالح آدم بيلو

لجنة الاعلام :

الشيخ / محمود سالم
الشيخ / محمد عوض السهلي

لجنة البحوث والطبع :

الدكتور / جلال حجازي
الدكتور / نزيه عبد الحميد
الشيخ / عائض نافع العمري

لجنة الاستقبال والمرافقة :

الشيخ / عبد الرحمن الحجيلي
الشيخ / جبران أحمد صالح
الشيخ / عمر باحاذق
الشيخ / كامل أحمد سعيد

المشاركون في الحوار :

أ - منّ خارج المملكة :

١ - الدكتور نجيب الكيلاني
أديب إسلامي ·
الإمارات العربية المتحدة - دبي

٢ - الدكتور عماد الدين خليل
أديب إسلامي
وأستاذ سابق في جامعة الموصل - العراق ·

٣ - الدكتور محمد حسن عبد الله
الأستاذ في كلية الآداب بجامعة الكويت ·

٤ - الدكتور النعمان القاضي
الأستاذ بكلية الآداب بجامعة صنعاء ·

٥ - الدكتور مصطفى يونس
عميد كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - أسيوط ·

وقد دعي الأستاذان :

أبو الحسن الندوي

الأديب والداعية ومدير جامعة ندوة العلماء بلكنهو - بالهند .

ويوسف العظم

الأديب الإسلامي المعروف

واعتذرا لارتباطهما المسبق بمؤتمرات تعقد في موعد الحوار نفسه .

ب - من داخل المملكة :

أساتذة من جامعة أم القرى :

الأستاذ محمد قطب

الكاتب الإسلامي المعروف والأستاذ بقسم الدراسات العليا .

الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة

الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين .

أساتذة من جامعة الملك عبد العزيز بجدة

الدكتور كامل الدقس

الأستاذ بكلية الآداب .

ودعي كل من :

الدكتور أبو بكر أحمد باقادر

والدكتور عبد الرحمن بارود

الأستاذين بكلية الآداب ولم يحضرا .

أساتذة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية :

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

رئيس قسم النقد والبلاغة ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية بالرياض .

الدكتور عبد القدوس أبو صالح

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض .

الدكتور عبد الله الحامد

عميد معهد اللغة العربية بالرياض .

الدكتور عبد الله العسيلان

عميد شئون المكتبات بكلية اللغة العربية بالرياض ·

الدكتور زاهر عوض الألمعي

الشاعر والأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالرياض

الدكتور محمد على الهاشمي

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض

الأستاذ أحمد براء الأميري

الأستاذ بمعهد اللغة العربية بالرياض

الدكتور موسى ريحان

الأستاذ بكلية الشريعة واللغة العربية بالقصيم

الأستاذ محمد عادل الهاشمي

الأستاذ بكلية الشريعة واللغة العربية بأبها ·

وقد دعي أيضاً كل من :

عميد كلية الشريعة واللغة العربية بأبهـا ·

والدكتور عبد الله بريمه

الأستاذ بكلية الشريعة واللغة العربية بالقصيم ·

واعتذرا عن الحضور لانشغالهما بارتباطات أخرى ·

أساتذة من جامعة الملك سعود :

الدكتور محمد الصباغ

الأستاذ بكلية الآداب بالرياض ·

شخصيات من جهات مختلفة :

معالي الشيخ / عبد العزيز الرفاعي

المستشار بمجلس الوزراء « سابقاً » والأديب المعروف ·

٢ – الدكتور / محمد عبد الله الهرفي

مدير كلية البنات بفرع الرئاسة العامة لتعليم البنات – الدمام ·

٣ – الأستاذ محمد حسن بريغش

الباحث في شعبة الرئاسة العامة لتعليم البنات – الرياض ·

٤ - الأستاذ / حيدر الغدير
المدير التنفيذي للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض والمسؤول الثقافي فيها ٠

٥ - الشيخ عبد الله بن محفوظ
نائب رئيس جمهورية موريتانيا الإسلامية سابقاً ٠

٦ - أبو الحسن صالح
من اريتريا -بناء على طلبه

أساتذة من الجامعة الإسلامية -المدينة المنورة

١ - الشيخ / عبد الله أحمد قادري
عميد كلية اللغة العربية ٠

٢ - الشيخ / عبد العزيز الصاعدي
وكيل كلية اللغة ٠

٣ - الدكتور / عيد الفتاح بحيري
٤ - الدكتور / عبد الباسط بدر ٠
٥ - الدكتور / مصطفى عليان ٠
٦ - الدكتور / عمر الساريسي ٠
٧ - الدكتور / صالح ادم بيلو ٠
٨ - الدكتور / نزيه عبد الحميد ٠
٩ - الدكتور / جلال حجازي ٠
١٠ - الدكتور / أحمد بسام ساعي ٠
١١ - الشيخ / محمد المجذوب ٠
١٢ - الدكتور / محمد حرب عبد الحميد ٠

الأبحاث التي قدمت للحوار

١ - الشعر والنقد الأخلاقي .

د . مصطفى هداره .

٢ - الأدب الإسلامي المعاصر - المعضلات ووسائل الدعم .

د . عماد الدين خليل .

٣ - وظيفة الأدب .

د . عماد الدين خليل .

٤ - من منهج الأدب الإسلامي .

د . عبد الباسط بدر .

٥ - مقدمة لنظرية الأدب .

د . عبد الباسط بدر .

٦ - الالتزام والأديب المسلم .

محمد حسن بريغش .

٧ - العودة لكتابة تاريخ الأدب .

محمد حسن بريغش .

٨ - جاهلية أو إسلامية .

د . أحمد بسام ساعي .

٩ - منهج الأدب الإسلامي .

د . صالح آدم بيلو .

١٠ - قراءة إسلامية في قصص محمد عبد الحليم عبد الله .

د . محمد حسن عبد الله .

١١ - نقد الشعر الحديث - القاعدة والمنهج والواقع الإسلامي .

د . أحمد بسام ساعي .

١٢ - آثار عدم وضوح الرؤية الإسلامية في الأدب .

د . محمد حرب عبد الحميد .

١٣ - اقتراح لخدمة الدعوة والاعلام الإسلامي .

د . عبد الرحمن حبنكة .

١٤ - الأدب في إطار التصور الإسلامي .

د . عبد الله عسيلان .

١٥ - **من قضايا الأدب الإسلامي - قضية المرأة ٠**

د ٠ عبد القدوس أبو صالح ٠

١٦ - **نحو قصة إسلامية ٠**

د ٠ عبد الرحمن رأفت الباشا ٠

١٧ - **الأدب الإسلامي ، المصطلح ودلالاته ٠**

د ٠ النعمان القاضي ٠

١٨ - **مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ٠**

د ٠ مصطفى عليان ٠

١٩ - **وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي ٠**

د ٠ مصطفى يونس

٢٠ - **الدعوة المعاصرة إلى إسلامية الأدب وجذورها التراثية ٠**

د ٠ جلال حجازي ٠

٢١ - **ملامح الأدب الإسلامي في بعض أعمال على أحمد باكثير ٠**

د ٠ عمر الساريسي ٠

٢٢ - **قراءة إسلامية في شعر الحروب الصليبية ٠**

د ٠ مصطفى عليان ٠

٢٣ - **لماذا الأدب الإسلامي ٠**

د ٠ نجيب الكيلاني ٠

٢٤ - **الأدب بين الإسلامية والقومية ٠**

د ٠ محمد علي الهاشمي ٠

٢٥ - **قيثارة الشعر في موكب النصر**

د ٠ موسى ريحان ٠

٢٦ - **خواطر حول منهج الأدب الإسلامي ٠**

الأستاذ / محمد حسن بريغش ٠

٢٧ - **مشروع لمنهج الأدب الإسلامي ٠**

الأستاذ / محمد عادل الهاشمي ٠

مقطع من جلسات الحوار

مدير الجلسة : معالي الشيخ عبد العزيز الرفاعي .

موضوع الجلسة : وظيفة الأدب .

مدير الجلسة : هناك ورقة عمل تتطلب إنجازاً وهناك أفكار جديرة بأن تتبلور وأن نضع بها مفاهيم معينة لنستطيع أن نخرج بنتائج من هذه الندوة المباركة . فحبذا لو بدأنا بورقة العمل ، فنقسم الوقت بين ورقة العمل المقترحة للمناقشة وبين المحاضرتين اللتين ستعقبان ورقة العمل . وكنت أتصور أن الوقت سيتسع لمزيد من الحوار ولكن للأسف ولأن بعض الأخوة سيغادرون المدينة هذا اليوم ، حبذا أن ننتهز الفرصة ونناقش ورقة العمل ثم نستمع إلى المحاضرين الباحثين .

« وتساءل مدير الجلسة عن ضرورة قراءة ورقة العمل فطلب نائب الرئيس قراءتها » .

وقرأها مدير الجلسة وهي :

أولاً – توظيف الأدب عالمياً .

ثانياً – توظيف الأدب والقيمة الجمالية للنص .

ثالثاً – وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي .

رابعاً – المقترحات التي تجد في هذا الميدان .

« وسجل مدير الجلسة أسماء الأساتذة الذين يرغبون المشاركة في المناقشة . ثم طلب الدكتور عماد الدين خليل أن يقوم أمين الحوار د . عبد الباسط بدر بشرح المقصود بالفقرة الأولى « توظيف الأدب عالمياً » وأن تؤجل الفقرة الثالثة « وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي » إلى ما بعد قراءة ملخص بحثه الذي يحمل العنوان نفسه فوافق المجتمعون .

ثم قدم أمين الحوار د . عبد الباسط بدر توضيحاً للفقرة الأولى فقال : المقصود بتوظيف الأدب عالمياً ما وصل إليه الأدب في العالم شرقيه وغربيه والإتجاه الذي يسود الأدب الآن وهو توظيف الأدب في صياغة صورة للحضارة سواء الشرقية أو الغربية ، أو خدمة أهداف محددة ، أو إبراز مبادئ مُعينة ، تمهيداً لفهم وظيفة الأدب . ونحب أن يوضح الإخوة الذين لهم معلومات عميقة في هذا الجانب وأن يبينوا هل خدش هذا التوظيف القيمة الجمالية للأدب . وهل استطاعت هذه التجربة التي قامت في العالم قديمه وحديثه أن تتوصل إلى مواءمة بين الأدب بجمالياته وشروطه والتوظيف بشكل ناجح ؟ .

بعد ذلك أعطيت الكلمة للدكتور نجيب الكيلاني لمناقشة القضية الأولى « توظيف الأدب عالمياً » فقال :

د · نجيب الكيلاني – الرسالة العالمية لأي أدب من الآداب لا تتم بإتخاذ قرار أو توصية . وإنما بالعمل الأدبي الناجح المستوفي للشروط الفنية والذي يستطيع أن يشق طريقه إلى أية بيئة وأي مجتمع ·

النقطة الثانية : أن إيصال أدبنا الإسلامي أو إعطائه الصفة العالمية يتم عن طريق وسائل في مقدمتها تنشيط حركة الترجمة · والواضح حتى الآن أننا نترجم من اللغات الأخرى الانكليزية والفرنسية والألمانية إلى العربية · لكن كم من تراثنا الأدبي الإسلامي ترجم إلى تلك اللغات الحية التي يتكلم بها ملايين من البشر · وأرى أن تبرز هذه النقطة في التوصيات ·

الترجمة من العربية أو لغات الشعوب الإسلامية · هذه النقطة فيها تقصير كبير · ونتساءل فيما بيننا كم كتاباً من القصة أو الشعر أو المسرح أو التشريع الإسلامي ترجمت إلى اللغات الأجنبية · إن حركة الترجمة مصابة بضعف وقصور شديدين وهي بحاجة إلى استعدادات مادية ومكتب فني يشرف عليها دون النظر إلى عوائدها المادية · فقد ندفع لها الدعم كما ندفع للرز والسمن · لننشر فكرنا وأدبنا في الخارج ·

القضية الثانية في ورقة العمل : توظيف الأدب والقيمة الجمالية للنص : إن قارئ الأدب لا يعرف المجاملة . يقرأ العمل الجيد فإذا اقتنع به أخبر عنه أصدقاءه ومعارفه أو تحدثت به الصحف أو تناوله النقاد بالشرح والتعليق ، ومن هنا ينتشر العمل الأدبي الناجح وأحياناً توضع دعايات ضخمة لبعض الأعمال الأدبية ولكن لا يتحقق الهدف لعدم قدرتها على النجاح ·

النقطة التالية : إن اختيار النصوص للترجمة لا يصح أن يخضع لأي معايير سياسية أو صداقة أو مجاملة · وإنما نختار العمل الجيد الذي يعبر عن الأدب الإسلامي والمستوفي للقيم الجمالية والأدوات الفنية · ومهما كان النص يحتوي على مضامين إسلامية ممتازة فإن هذا لا يكتب النجاح إن لم تكن القواعد الفنية متحققة بشكل جيد · وعلينا أن ننقل نماذج جيدة وأن تكون الترجمة محددة وموجهة تقوم بها مؤسسات لها ميزانية وتقوم باختيار ناجح ومتفق عليها ·

بعد ذلك يستطيع القارئ المسيحي والأجنبي أن يتقبل أي عمل جيد مهما كانت العقيدة التي فيه طالما أنها تؤثر فيه وتقنعه · بل إن بعض الغربيين بدأ يدرس البوذية

والمذاهب الشاذة أو المنقرضة وعندما يقتنع بها يحاول ترويجها . واخواننا الذين يعيشون في أوربا وأمريكا يرون أن تلك الأرض خصبة جداً للإسلام .

وعلينا أن نلاحظ أن الأدب يمكن أن يكون جزءاً من الاعلام فنستطيع بالأدب أن نقدم للعالم قضايانا بحيث يفهمها ويقتنع بها . وليس كل اعلام أدباً . إنما يمكن أن يكون الأدب نوعاً من الاعلام .

الإعلام يمكن أن يستعمل الأرقام . يأتي بقضية من القضايا ويضع لها أرقاماً ويقنعنا بهذه الأرقام . وتكون هذه الأرقام ذات ثقل وتأثير جماهيري كبيرين . ولكن الأدب لا نستعمل فيه الأرقام إنما نستعمل فيه القيم الجمالية . والإعلام العالمي الآن اتسع لدرجة كبيرة وأصبح يستعمل السينما والشعر وألوان الأدب الأخرى وكل شيء لذلك يمكن أن نوظف الأدب بالأسلوب الأمثل وأن تراعى القيم الجمالية لكل نص وشكراً .

د. موسى ريحان : قضية ترجمة أدبنا إلى اللغات الأجنبية ، وتقصيرنا فيها .

إننا لحاجتنا أو ما خيل إلينا وحبب إلينا نترجم ما عند غيرنا وبأموالنا . وقد نستفيد وقد يكون عملنا دعاية لهم . أما الأوربيون فلديهم المستشرقون وهم يعرفون ما عندنا . ولو وجدوا حاجة لهم في أدبنا لترجموها على حسابهم كما يؤلفون في آدابنا وتراثنا وينقبون بلغتنا وينقلون إلى لغتهم . هذه قضيتهم لا قضيتنا . فأن ينقل أدبنا إليهم فهذه قضية الذين يحتاجون إليه وليست قضيتنا الأولى .

عبد الرحمن حبنكة : موضوع توظيف الأدب عالمياً كما فهمت . هو أن العالم يوظف الأدب لخدمة مبادئه ، فالوجودي مثلاً كجان بول سارتر وظف أدبه لخدمة الوجودية والإلحاد . والآداب المسرحية توظف اليوم لنشر الإباحية والرذيلة للأسف ، أفنكون – ومعنا الحق – منعزلين انعزالاً تاماً عن توظيف أدبنا الإسلامي في خدمة قضيتنا ؟ . سواء أكانت قضية عقيدية أو حضارية أو أمة ... الخ ولا بد أن تدخل هذه الوظائف .

إذن فالقياس مع غيرنا في أنهم يوظفون آدابهم لخدمة قضاياهم وقد أثروا فينا تأثيراً وغزونا في عقر دارنا . علينا أن نرد الكيل بالكيل ونغزو العالم بالآداب الإسلامية .

د. عبد الله العسيلان : توظيف الأدب عالمياً ؛ أرى أنه ينبثق عن التصور الإسلامي ، ذلك لأنه تصور خلاق مبدع يشمل الكون كله . وجاء الإسلام ليكون للناس كافة . ومن هذا المفهوم يتبين لنا سعة الأدب الإسلامي الذي ينبثق من التصور الواسع سعة الكون والحياة والإنسان الذي يرتضي الإقليمية المقيتة التي ينادي بها بعضهم في عصرنا . إن وظيفة الأدب

الإسلامي واسعة الحدود . وحينما ينبثق الأدب من هذه المنطلقات ليتحدث عن هموم الإنسانية عامة وآلامها وآمالها في إطار المفهوم الإسلامي تكون وظيفته وظيفة عالمية ·

وهذه الوظيفة ، حينما تتوفر لها الأدوات الفنية ، التي تتمثل في القيم التعبيرية والجمالية ، نشعر أنها قد تحققت وأن الأدب الإسلامي أصبح قادراً على أن يؤدي دوره المأمول عالمياً ·

د· أحمد بسام ساعي : أجدني مضطراً للتفريق بين الأدب الإسلامي العربي والأدب الإسلامي غير العربي – فكيف يمكن أن نوظف الأدب الإسلامي العربي لخدمة المسلمين من العرب ؟ ، وكذلك العكس ؟ ·

علينا – مبدئيا – أن نترجم أدب هؤلاء إلى لغة أولئك ، وبالعكس · ولكن نحن بهذا نقضي على ما يسمى أدباً ، لأن الأدب ليس فكراً وحسب · إنما هو فكر وشكل أيضاً · ما العمل إذن ؟؟ عندما نترجم شعر إقبال إلى العربية فهل نسمع شعر إقبال حقاً · يقول أحد النقاد : الشعر هو الجزء الذي نفقده عند الترجمة ، وعندما يحصل العرب على شعر إقبال مترجماً يفقدونه قبل أن يصل إليهم ·

إذن كيف نوظف الأدب مع المحافظة على وصفه بالأدب · هذه مشكلة لا حل لها إلا أن ندعو إلى لغة إسلامية موحدة وهي الطريق إلى أدب إسلامي موحد يوظف في خدمة الإسلام والمسلمين · وهذه اللغة الإسلامية هي لغة القرآن الكريم وأقترح على حوارنا المبارك أن يتخذ توصية بإطلاق اسم اللغة الإسلامية على اللغة العربية · وهي لغة الإسلام والمسلمين · وهذا يعطيها صفة أكثر اتساعاً وشمولاً · لأن العروبة أضيق من الإسلام ·

وعندما أنزل القرآن بالعربية كان الإسلام لا يزال عربياً · ولكن تحول الإسلام وشمل غير العرب وصار هؤلاء أكثر من العرب أنفسهم فجدير بالعربية أن تكون اللغة الإسلامية · ونحن بهذا نشعر إخواننا المسلمين من غير العرب بمسؤوليتهم تجاه هذه اللغة ، والتي لن يستطيعوا أبداً أن يكونوا مسلمين حقاً من غير أن يتعلموها · فكيف إذا لم يفهم القرآن الكريم · ولم يفهم ما يقوله في صلاته ولا ما يقوله في آذانه ودعائه وحجه ·

المسلم التام هو الذي تعلم العربية · والعربية هنا جزء من الدين ولا يمكن أن ينفصل عنه ·

ستقولون إن هذه مسألة صعبة لا تتحقق ، ولكني أذكركم أن الصهيوني الأول قبل مئة عام فقط دعا اليهود إلى إحياء لغتهم وكانت اليهودية « اللغة العبرية » لا تعرف إلا في الكتب

الدينية · ولم يكن اليهود يتكلمونها في أية بقعة في العالم · والآن لليهودية قوام اللغة وقوام الدولة ·

إذن يجدر بنا أن نبدأ ولو من نقطة الصفر بتعريب الألسنة الإسلامية للوصول إلى لغة إسلامية حقيقية تكون لغة توحد المسلمين ·

د · نعمان القاضي : قضية وظيفة الأدب الإسلامي شائكة لأنها تقع بين الفن والدعاوة وهذا أمر لا يمكن أن نصل إليه بقرار ·

إن القول بتوظيف الأدب لابد أن يسبقه إيمان بأن الأدب يلزم أموراً معينة · القول بتوظيف الأدب يسبقه القول بالالتزام · أي أن الأديب المسلم يجب أن يلزم بأشياء معينة، وأن يوظف الأدب في سبيلها · لذلك أرى أن نناقش في ظل قضية الوظيفة في ظل التوظيف لأن الوظيفة تتناسق مع الالتزام، أما التوظيف فلا بد له من إلزام · والأدب العالمي ليست له مواصفات محددة · فإذا قلنا إن الأدب الإسلامي يمكن أن يكون أدباً عالمياً · فما معنى هذا ؟ هل معناه أن يناقش القضايا التي تشغل العالم الآن ؟ وهل يناقش القضايا التي تهم بعض المسلمين الذين يعيشون في أصقاع مختلفة · وهل معنى هذا أن يتزيّا بالأزياء العالمية ليصل إلى هؤلاء الناس ويعبر عنهم ؟ ·

في الحقيقة لا أفهم معنى العالمية هنا ؟ هل المقصود أن نصدره إلى العالم ؟ أم أنه يصدر عن مشاكل العالم · فالقضية ليست واضحة في ذهني حتى الآن · لكنني أفهم أن يرقى الأدب الإسلامي حتى يصبح عالمياً، وإذا كانت القضية على هذا النحو فإنه لا يكون أبداً بتوظيفنا له · بل بأن يوجد الأديب صاحب الموهبة العالمية التي يستطيع بها أن يخدم الإسلام ويقدمه للعالم · فإذا ما دخلنا هذا المدخل فإنني أرى أن قضية الترجمة تصبح قضية هامة وعاملاً معيناً ولا بد أن يسبقها اختيار دقيق لما يقدم للعالم ·

إن أول نص أدبي هو القرآن الكريم · وقضية ترجمته وترجمة معانيه ما تزال بحاجة إلى كثير من الاهتمام والنقاش · فقد لاحظ كثير من العلماء أنه مع اطراد وكثرة التراجم القرآنية يقل الاهتمام بالعربية - التي يجب على كل مسلم تعلمها - ويخشى من كثرة الترجمات أن تشغل الناس عن القرآن نفسه فهذه قضية تحتاج إلى كثير من التدبر ويمكن أن يلتحق بها الأدب الإسلامي ·

ثم هل الأدب الإسلامي هو ما كتب بالعربية فقط ؟ ·

ثم هل الوسائل التي تقدم الأدب كالسينما والمسرح والتلفزيون والكتاب والمجلات والصحف - وهذه وسائل اتصالنا بالعالم - هل يستطيع الأدباء المسلمون أن يطوعوا الأدب الإسلامي كي تحمله هذه الوسائل ؟ ٠

هذا جانب لا بد من الاهتمام به ٠

مدير الجلسة : إذا صح لي أن أتحدث عن فهمي لتوظيف الأدب عالمياً فهو في ذهني أن نحشد الجهود لنخرج أدبنا الإسلامي إلى العالم لنستطيع أن نوصل أصواتنا إلى العالم كله ٠

ولى تعليق حول ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى ٠ حبذا لو جرى الإهتمام بهذا الموضوع في ندوة خاصة تتبناها هذه الجامعة لما لهذا الموضوع من أهمية كبرى ٠

وكما فهمت من كلمة د٠ بسام ساعي أنه يرمي إلى تعميم اللغة العربية لتكون لغة عالمية على المحيط الإسلامي ٠

الأستاذ عادل الهاشمي : أود أن أتقدم باقتراح بتكريس عالمية الأدب الإسلامي ٠ فهل الأدب الإسلامي مهيأ لهذه العالمية ؟ ٠

إن الأدب الإسلامي ذو صفة عالمية حقاً ٠ ولأن المسلمين في كافة أقطار الأرض خوطبوا بهذا الإسلام ٠ وخوطبوا ليدعوا الأقوام جميعاً بهذا الدين « **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** » فما أثر ذلك وما إيحاءاته وإلهاماته لأدبنا ؟

يتجلى هذا الإيحاء والإلهام في أننا استطعنا أن نترك آثاراً في اداب الأقوام والبلاد التي فتحناها ٠ وهناك من يقول إننا سبقنا إلى فن القصة في الأندلس قبل ظهورها في أوربا - كما تركنا آثاراً هي شاهد على عالميتنا ٠

إن من خصائص الأدب الإسلامي الكبرى إنه أدب إنساني عالمي لأنه يخاطب البشرية من خلال الآثار الأدبية المنبثقة عن التصور الإسلامي ٠

والتصور الإسلامي يضع حقلاً كبيراً جداً للإنسان ٠ إذن الأدب الإسلامي يخاطب في الإنسان البشرية قاطبة ٠

بناء على هذا نقول : إن تيار التقليد الذي عرى أمتنا الإسلامية هو حاجز بيننا وبين العالمية . هذا التقليد هو الذي يقيد أصالتنا ٠

وهو الذي وزع شعرنا العربي إلى مدارس تقلد المدارس الغربية : الاتباعية والإبداعية والواقعية والرمزية ٠٠ الخ ٠

أما الأدب الإسلامي الذي نقدم به زاداً جديداً للعالم · ونقدم به تصوراتنا فهو الذي ينبغي أن نقدمه ، لا أن نقدم للعالم الغربي رجع عطائه ·

إن الزاد الجديد الأصيل يمكن أن يرغد العالم بنتاج رفيع يسيغه العالم بوصفه زادا أصيلاً نابعاً من أكبر تجمع بشري في العالم ، ومن تطلعات الأمة المسلمة في كل مكان بينما التقليد هو الذي يقيد خطانا ·· وأضرب مثالاً على الأصالة من أدبنا الإسلامي والعالمي هو الشاعر الإسلامي إقبال · إن إقبالاً بنهله من التصور الإسلامي وإرتقاء أداته استطاع أن يقدم أدباً عالمياً وأخذ مكانه في صلب الأدب العالمي ·

نحن أمام مسؤوليات كبرى في هذه الندوة وعلى مستوى العالم الإسلامي بأسره لأن الأدب الإسلامي لن يكون نتاجه حبيس ديار الإسلام أو البلاد العربية ، ولكنه سيعرض تصوره وتجاربه على العالم كله بما فيه من تيارات كبرى في العالم وهذا ما يوقفنا أمام مسؤوليتنا على المستوى العالمي ويضخمها ·

قضيَّة مِنْ قضَايا الحِوَار

أهمية الأدب الإسلامي

الأستاذ محمد قطب : افتتح الأستاذ محمد قطب الجلسة الأولى التي يديرها بالحديث عن أهمية الأدب الإسلامي ، وكان موضوع الجلسة : مفهوم الأدب الإسلامي ·

وفيما يلي نص حديثه المرتجل :

إن هذه الأمة لا تستطيع أن تفكر ولا أن تعبر إلا من خلال الإسلام إذا أرادت أن يكون وجودها صحيحاً · فكما انها ينبغي أن تحكّم منهج الله وشريعة الله في حياتها فكذلك هذا المنهج ذاته هو الذي ينبغي أن يحكم الفكر ويحكم التعبير عن هذا الفكر ·

ولا نستطيع أن نكون مسلمين حقاً إذا تحاكمنا لغير شريعة الله ولغير نهج الله كذلك لا نستطيع أن نكون مسلمين حقاً إذا فكرنا تفكيراً غير إسلامي أو عبرنا تعبيراً غير إسلامي · فأهمية الأدب الإسلامي « أو الفكر الإسلامي » لا تقل في نظري عن أي جزئية من جزئيات هذا الدين أو هذا المنهج الرباني ، والأمة الأولى أو الجيل الأول من هذه الأمة الذي استحق وصف الله تعالى له « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** » ·

كانوا يعيشون الإسلام كل لحظة من لحظات حياتهم · يعيشون في السلم والحرب ، يعيشون نظام حكم ونظام تفكير ·

إلا أن التعبير عن هذه الحياة لم يأخذ في نظري مجاله الذي كان ينبغي أن يأخذه لأن التعبير يأتي متأخراً · فالجيل الأول شغل ببناء نفسه وبناء المجتمع الإسلامي وبناء الدولة الإسلامية والجهاد في سبيل الله كل هذا من التعبير عن هذه المعاني · وهذا أمر طبيعي غير مستغرب ، فإنه لابد أن تمضيّ فترة من الوقت بين الحدث وتمثله في النفس تمثلاً يعبر عنه في صورة أدبية · هذه الفترة التي انقضت في الإنشاء لم يكن فيها كثير من التعبير من جانب المسلمين لأنهم كانوا مشغولين بعملية الإنشاء لأن أثر القرآن في نفوسهم كان من الفخامة بحيث يغنيهم عن التعبير ، فكل ما في الحياة يجدونه معبراً عنه في كتاب الله · فيغنيهم هذا عن أن يعبروا بأنفسهم ولكن كان لابد أن يأتي الوقت الذي يعبر المسلمون فيه عن تجربتهم الجديدة هذه ويخرجونها في ثوب فني ·

حين جاء هذا الوقت كانت قد حدثت أحداث فخام في العالم الإسلامي ردت المسلمين إلى بعض المعاني السابقة على الإسلام من قبلية ومن نزاعات ، فحين بدؤوا يتكلمون ، حين بدؤوا يعبرون عن أنفسهم رجعوا مع الأسف إلى قوالب التعبير الجاهلية وفي كثير من الأحوال إلى معاني التعبير الجاهلية في الفخر والهجاء وأيضاً فيما نهى الله عنه ·· وصار الأدب ·

وسار أدب المسلمين مسيرة طويلة خلال أربعة عشر قرناً يقترب أحياناً من المفهوم الإسلامي ويبتعد أحياناً كثيرة ، حتى أننا في كثير من الأحيان لا نكاد نجد فرقاً واضحاً بين التعبير العربي في الجاهلية والتعبير العربي الذي أنتجه المسلمون وإلا فالخمريات والمجون والمدح والهجاء وكل هذه الأبواب التي جاء الإسلام ليبطلها وليضع مفاهيم جديدة للحياة وللتفكير والتعبير قد عادت إلى الظهور في أدب الأدباء خلال أربعة عشر قرناً ·

أقصد بهذا أن التجربة الإسلامية – في الأدب – لم تكن قد أخذت نضجها الذي ينبغي أن تأخذه · وركن الأدباء إلى صور التعبير الجاهلية ووضعوا عليها عنواناً إسلامياً في كثير من الأحيان ·

ونحن اليوم إزاء تجربة جديدة · والتجربة الجديدة قد نشأت من أن المجتمع الإسلامي كله قد ابتعد بعداً شديداً من الإسلام ثم عاد إليه مرة أخرى في حركة الصحوة التي يمارسها المسلمون اليوم وهذه التجربة الجديدة هي التي نريد أن تعبر عنها بالصورة الإسلامية · وليس من الضروري أن نتقيد فيها بما جرى خلال الأربعة عشر قرناً السابقة من محاولات تعبيرية قد لا تكون وافية بالغرض إنا نريد إن استطعنا – تجربة جديدة كاملة نستمدها من الإسلام مباشرة ، لا من التراث الذي يحمل اسم الإسلام إنما من حياتنا الواقعة من تجربتنا نحن ، من معاناتنا ، من تفاعلنا مع المعاني الإسلامية في أزمتنا الحاضرة · وليست الأزمة هي التي تؤدي إلى التعبير ، فإن الوجود ذاته هو الذي يؤدي إلى التعبير · الوجود

الإسلامي في نفوسنا هو الذي يؤدي إلى أن نعبر تعبيراً إسلامياً . ولكن الأزمات دائماً حافز قوي من حوافز التعبير ونحن اليوم نعيش أزمة ونعيش أزمة داخل مجتمعاتنا ، ونعيش أزمة في التفاعل أزمة في التفاعل مع العالم المعادي للدين . والمعادي للإسلام بصفة خاصة ، يضغط على مفاهيمنا بحضارته وبأفكاره وبتعبيراته وبفنونه فلا يجعل الرؤية واضحة بالنسبة للأديب المسلم ، كيف يعبر ، وعن أي شيء يعبر ؟ هل يقلد ذلك الأديب الغربي أم انه يجب أن يختط طريقاً خاصة له ؟

وما الطريق الخاص ، من أين تحدد معالمه ؟ لا بد لنا في كل أمر عظيم أن نعود إلى الكتاب والسنة ، فهذا هو أصل حياتنا الإسلامية ، وهذا هو الذي يرسم لنا منهج الحياة . لكن في الفن بصورة خاصة (والأدب لون منه) كيف يكون الرجوع إلى الكتاب والسنة ؟ كيف نستفيد منه ؟ هل نستوحيها في الموضوعات ؟ أم نستوحيها في الروح العامة ، أم نستوحيها في المفاهيم ؟

لقد ألفت كتاباً منذ سنوات طويلة أيام كنت أشتغل بالأدب ويجب أن أعترف لكم أنني بعدت بعداً شاسعاً عن الأدب ومفاهيمه وطرائقة تعبيره وأنتم الآن تشدونني شداً إلى الأدب وما أدري هل أفلح في ذلك أم لا ؟

إن في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مفاهيم كاملة يعيش فيها الأديب المسلم والفنان المسلم – يستمد إيحاءاته كلها من مفاهيم هذا الدين . ليس من الجزئيات لكن من المفاهيم العامة .

ثم إنه أيضاً يستطيع أن يستمد الجزئيات من كتاب الله . ومثلت في الكتاب لأمر لفتني في كتاب الله وهو العناية الشديدة بإبراز مشاهد الطبيعة . حتى في التمثيل للمعاني المجردة . فيمثل الإنفاق عن إيمان ولمرضاة الله بجنة بربوة أصابها وابل ويمثل للإنفاق رياء بصفوان عليه تراب أصابه وابل فتركه صلداً .

إن استخدام القرآن لمشاهد الطبيعة في التعبير عن معاني نفسية بحتة يجعل المسلم يتفاعل مع هذا الكون الحي الذي خلقه الله ، تفاعل صداقة ، وتفاعلاً حيوياً ، تحس أن هذا الكائن الذي خلقه يتجاوب معه ، وهو يتجاوب معه فهناك صلة بين هذا الإنسان وبين الطبيعة .

هذا نموذج من النماذج في الجزئيات التي يمكن أن نستمدها من كتاب الله . وأذكر أنني قد أشرت إلى أنه حتى فيما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى وردت هذه الآية الكريمة «**الله نور السموات والأرض . مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في**

زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » . هذا فيما يتعلق بذات الله تجيء به مشاهد الطبيعة . فما أحرانا نحن قبل أي فنان في العالم أن يبرز هذه المعاني .

هذا موضوع وهناك موضوع آخر .

وفي موضوعات الإسلام سعة كبيرة جداً للفنان المسلم ، يتحدث عن الجمال ، يتحدث عن العدل ، يتحدث عن النظافة النفسية ، عن الإنسان وتفاعلاته مع هذا الكون حين يكون ملتزماً بمنهج الله . وحين يكون عاصياً لمنهج الله . موضوعات كثيرة جداً يمكن أن تدخل في حيز الأدب الإسلامي والفن الإسلامي .

أما طريقة التعبير . كيف تكون . هذه تجربة . وكل تجربة جديدة . لاحظنا في تاريخ الأدب : أن كل تجربة نفسية جديدة أحدثت في الأدب لوناً جديداً من التعبير هو بذات اللغة . لكنه يأخذ صيغة جديدة .

ما صورة التعبير الإسلامي ؟

لن أجيب عن هذا السؤال لأنني بعدت عن ساحة الأدب ، ولكني أطرحه ، كان المفروض أن يستحدث المسلمون في إطار اللغة العربية صوراً جديدة من التعبير تتناسب مع التجربة الإسلامية الجديدة ، ولا يعودوا لعهد الشعر الجاهلي ولا يعودوا إلى الصورة الجاهلية ، لأنهم انتقلوا من حياة إلى حياة . ومن جو نفسي إلى جو نفسي آخر .

ولست أزعم من هذا الكلام أن الإنتاج الإسلامي لم يكن إسلامياً أبداً . لا . أنا بعيد كل البعد عن هذا الزعم ففي إنتاج المسلمين كثير من المعاني الإسلامية التي أخذت الشروة الإسلامية كاملة أو أخذت المضمون الإسلامي كاملاً . ولكني أقول : إن نسبتها إلى حجم الإنتاج الذي كتبه المسلمون ما تزال أقل مما يجب . وما يزال المسلمون في حاجة إلى تجربة تعبيرية جديدة يبلورون فيها المفاهيم الإسلامبة في صورة إسلامية كاملة .

إننا حين نقول أدب إسلامي أو فن إسلامي يرد إلى الخاطر أنه مجموعة من المواعظ أو تعبير مباشر عن المعاني الإسلامية . وأحب أن أقول في إن الموعظة قد تكون فناً . ولكن هذا نادر . لأنها تعبير مباشر يقصد بها العبرة . والفن لا يحب التعبير المباشر إنما يحب التعبير من خلال الخلجات النفسية من خلال الذهن . لا من خلال المعاني المجردة ولا المعاني المدورة في صورة حكم أو في صورة مواعظ .

هذه قد تكون على هامش الفن ولكن الفن الحقيقي - الذي يؤثر عن غير الطريق المباشر - عن طريق عرض نفس بشرية تتفاعل فيها المعاني · هذا هو الفن وهذا هو الذي نريد أن نصل إليه ·

ليس الفن الإسلامي مجموعة مواعظ وقد يتحدث الفن الإسلامي في قصة الاقتصاد، وقد يتحدث في الحرب، وقد يتحدث في المعصية التي تقع لبني آدم، وقد يتحدث في أي موضوع من الموضوعات، لكنه لا يعطينا صياغة ذهنية باردة مدورة · إنما يعطينا خلجات نفس حية تتفاعل فيها المشاعر فتأتينا من خلال التأثير غير المباشر، ما يريد الكاتب أن يمضي إليه السامع أو القارئ ·

حَدِيثٌ عَنِ ٱلحِـــوَار

أمين الحوار : د. عبد الباسط بدر

لمـاذا الحـوار ؟

ليس التساؤل عن الحوار مشكلة، أياً كان الذي يجابهك به وأياً كانت دوافعه، لأن العمل الذي لا يملك مسوغات مقنعة يسقط في أول الطريق ·

وفي ظني أن الجواب عن هذا السؤال يبدأ بالحديث عن الكلية التي دعت إلى الحوار واحتضنته، وعن الدوافع التي جعلتها تتبنى الأدب الإسلامي وقضاياه وتقطع في سبيله دروباً بكراً وشائكة ·

ولعل الذين يعرفون هذه الكلية يعلمون أنها جزء من المؤسسة الدعوية الكبيرة : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة · وأنها تحمل خصائصها الدعوية، وتحرص على أن يكون خريجها نموذجاً للداعية الواعي المثقف، والذي يجسد في ثقافته وعمله التلازم الأصيل بين العلوم العربية والعلوم الإسلامية. فالعربية وعاء الإسلام اللغوي، بها تنزل القرآن، وبها يقرأ ويصلى، وستبقى إلى ما شاء الله لصيقة به، تستمد ثباتها وقوتها من حفظ الله لكتابه ومن بقاء جذوة الإسلام متوهجة على الأرض · والإسلام هو الذي دفع أمتنا إلى إبداع ما أبدعوه في النحو والصرف والبلاغة والعلوم اللغوية كلها ·

هذه الحقيقة كانت حاضرة عند إنشاء كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية · تبدي حضورها في التلازم الكبير بين العلوم اللغوية والعلوم الإسلامية في مناهجها، وفي اهتمام الكلية

بالتراث ، وفي قائمة العلوم الإسلامية اللازمة لكل داعية والتي تجاور العلوم اللغوية المستله من المؤلفات الرائعة التي وضعها سلفنا من العلماء خدمة لكتاب الله ·

أما الأدب فأمره مختلف عن العلوم اللغوية كلها ، ذلك أن تاريخه المدون لا يخلو من دخن كثير ، وصورته الماثلة في دواوين الشعراء وكتب التراجم والأخبار منذ العصر الجاهلي إلى مشارف العصر الحديث تتراوح بين الارتباط بالأخلاق والعقيدة – أو مراعاتها على أقل تقدير – والتفلت في صحاري الجاهلية وأودية الهبوط · وقد حملت قصيدة المدح مع قصيدة الغزل الماجن مهمة تشويه جزء من الأدب العربي ، وساعدتا المستشرقين وتلامذتهم من المتغربين على طمس الحقيقة ، إلى درجة جعلت الدكتور طه حسين يعد أبا نواس في مجونه صورة للعصر العباسي · والدكتور طه حسين يعلم قبل غيره أن أبا نواس وشعره جزء صغير من العصر العباسي وأن هذا العصر لم يكن ماجناً ولا داعراً على النحو الذي يصوره شعر أبي نواس ·

وقد انسحبت هذه الصورة الشوهاء المزيفة على النقد وأثرت في المعايير النقدية · وذلك عندما أخذ بعض الدارسين مقولات نقدية لا تهتم بالجانب الخلفي أو العقيدي وعدوها صورة للنقد العربي كله · وكان الانصاف يقتضي منهم أن يعترفوا بأن النقد الذي لا يعبأ بالأخلاق موجود عند عدد قليل من النقاد وبأن القواعد الخلقية والعقيدية موجود أيضاً وبكثرة تنافس النوع الأول ·

أما الأدب العربي الحديث ونقده فأمرهما أدهى وأمرّ · فقد توزع معظمها أمشاجاً تقلد مدارس الأدب الغربي ، وتدخل إلى مفهوماتنا الأدبية ومقاييسنا أشياء غريبة عنا ومجافية لأصولنا وأذواقنا · وطبيعي – هذا شأنهما – أن يسقطا كل ارتباط بين العقيدة والأدب بل وبين القيم الخلقية في أدنى صورها والأدب ·

وأما التيار الأصيل الذي سلم من التعبيه وحافظ على قدر من الضوابط الخلقية ، أو ارتبط بالعقيدة وصدر عنها فقد حورب بوسائل شتى ، أهونها الإهمال والتعتيم والتجاهل ··

لذلك ليس من الغريب أن يقل بين نقادنا ودارسينا من يقتنع بأن للإسلام علاقة حميمة بالأدب ، وأنه بحكم شموله لظواهر الحياة كلها ينبغي أن يأخذ دوره في تمحيص الأدب في بيئتنا ، وليس غريباً أن نجد في أدبنا الحديث تياراً أدبياً كاملاً – يعضده تيار نقدي كبير – يشتغل بالتجديف وشتم الحضارة الإسلامية وعقيدتها ، وبإثارة الغرائز الجنسية وجعلها قضية القصيدة أو القصة أو المسرحية ··· كل هذا باسم الرفض والتمرد والتجديد والعصرية ···· الخ ···

وطبيعي أن تقف كلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية موقفاً « عقيدياً » من الأدب ونقده ، وأن يكون موقفها نابعاً من طبيعتها وأهدافها وظروف تكوينها ، فتهتم بإبراز التيار الأخلاقي والعقيدي في الأدب العربي القديم وتشارك في دعم التيار الإسلامي في الأدب العربي الحديث ، وتقف معه في مواجهة تيارات الإلحاد والفساد ، وتعمل جاهدة على تحقيق وئام أكبر بين الإسلام والأدب ، وقد بدا موقفها واضحاً في المناهج وفي النصوص المختارة وفي تحليلها وتقييمها ، ومن ثم في البحث الجاد عن صيغة أقوى للارتباط بين الأدب والإسلام ٠

ولم يكن هذا البحث وذلك الموقف مقتصراً على كلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية وحدها ، بل شاركتها فيها كليات أخرى في جامعات مختلفة ، ودارسون متفرقون في أنحاء العالم الإسلامي ٠ ذلك أن وحدة الفكر الإسلامي ، وتشابه الظروف التي يمر بها المسلمون في كل مكان ، وتماثل الآلام والآمال بينهم ٠٠ كل ذلك أوجد مشاعر متشابهة ومشاريع متقاربة عند المسلمين في مناطق مختلفة ، فإذا موقف الجامعة الإسلامية هنا يتكرر في الجامعات الإسلامية في الهند والباكستان ، وإذا المساعي التي تقوم بها كلية اللغة العربية في المدينة المنورة تشابهها مساع تقوم بها كليات اللغة العربية في الرياض والقصيم وأبها ومكة المكرمة ٠٠٠ الخ ٠٠ وإذا الرغبات الموجودة عند الدارسين هنا تماثلها رغبات موجودة عند الدارسين في الرياض وعليكرة ولكنهو ٠٠ الخ ٠٠ يظهرها بعضهم في مقالات وكتب تخطط للأدب الإسلامي ، ويبقيها بعضهم الآخر في أحاديثه الخاصة ومحاضراته التي يلقيها على قلة من الطلاب ٠

وهكذا يبحث الجميع عن حلقة تبدأ الربط الحقيقي والفعال والعلني بين الأدب والعقيدة ، في ظل قاعات الدرس وفي سطور البحث المنهجي وفي النماذج الأدبية الجميلة والمقنعة ٠

ويشاء الله أن يكون الداعية الأديب الشيخ أبو الحسن الندوي صاحب الريادة في هذا الميدان ، والسابق إلى أول خطوة عملية ٠ فقد دعا إلى ندوة عالمية للأدب الإسلامي يلتقي فيها المهتمون بهذا الأدب ، ويبحثون مجتمعين عن الطريق الصحيحة لإنصافه وتخليصه من الإهمال والتقييم ، والأخذ بيد الأديب المسلم الملتزم ومساعدته على الارتقاء بأدبه النظيف فناً وفكرةً

وقد لاقت الدعوة استجابة طيبة ، وخف عدد من الدارسين وأساتذة الجامعات إلى مجلس أبي الحسن ، وكان اللقاء الميمون ، أول لقاء يعلن بقوة ووضوح عن الأدب الإسلامي ، ويحض الجامعات والباحثين على الاهتمام به وإبرازه للوقوف به في وجه الأدب الزائف والمنحرف ٠

وعلى الرغم من غياب ورقة العمل عن جلسات تلك الندوة ، فقد كان في الأبحاث التي قدمت إليها ما يتصل بالقضايا الأساسية والملحة للأدب الإسلامي ، وأهمها قضيتا : مفهوم

الأدب الإسلامي ، وخصائصه • وخرجت توصيات الندوة لتكون البيان العالمي « المانفستو » الأول لهذا الأدب ، والإعلان الدولي عن مفهومه وخصائصه ، ولتكون نداءً صادقاً إلى الجامعات لإدخال « الأدب الإسلامي » في مناهج الدراسة ، وتوجيه الدارسين لبحث قضاياه والكتابة فيها ، وتكوين هيئات ومراكز علمية لجمع هذا الأدب وتشجيع مبدعيه وتعهدهم بالتقويم والتوجيه •

وقد تلقت الجامعة الإسلامية توصيات الندوة ، ودرستها بعناية كبيرة ، ووجدت في سطورها ما يتوافق مع رغبة كلية اللغة العربية في تقوية الروابط بين الأدب والعقيدة الإسلامية ، وقررت أن تضيف إلى المواد الدراسية في هذه الكلية مادة اسمها : « منهج الأدب الإسلامي » تعرض فيها نماذج من الأدب الذي يتأطر بالعقيدة الإسلامية وتعمل على جمعه ودراسته ، وترسم الطريق إلى بناء نظرية نقدية خاصة به ، فنبدأ خطوة عملية في طريق طويل ، غايته تأصيل الأدب الإسلامي وإظهار نظريته النقدية •

وقد بدأ تدريس هذه المادة في مطلع العام الدراسي ١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ بمنهج لوحظت فيه تجربة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وما توصلت إليه في هذا الصدد ، مع إضافات مهمة أملتها التجربة السابقة والأبحاث الجديدة التي قدمها دارسون من داخل الكلية ومن خارجها •

ولما كان الأديب الإسلامي بعيداً عن دائرة الضوء غالباً ، وأدبه في حاجة إلى من يبحث عنه ويجمعه من صفحات المجلات الإسلامية وزوايا الصحف المنتشرة في أنحاء العالم العربي ، فإن دراسات هذا الأدب قليلة جداً ، وقضاياه مغمورة معه ، تقف على حدود الأعراف والقواعد الفنية ، وتنتظر من يحولها إلى مقاييس نقدية وأعرافٍ أدبية •• ولن يتمكن من ذلك فرد بعينه ، ولا من آراء عدة واجتهادات تنال موافقة جماعية وقبولاً عند المختصين والمهتمين اهتماماً صادقاً بالأدب الإسلامي وقضاياه •

لذلك ، ولفتح الباب أمام الدراسات والاجتهادات •• دعت الكلية عدداً من رواد الاتجاه الإسلامي في الأدب المعاصر ، والمهتمين بتأصيل قواعد النقد الأدبي برؤية إسلامية ، وأساتذة الأدب الإسلامي في الجامعات السعودية وبعض الجامعات العربية الأخرى ، ليديروا حواراً هادئاً وعميقاً حول أبرز قضايا الأدب الإسلامي وأكثرها إلحاحاً •

وعقد الحوار ، ودام خمسة أيام كاملة ، وكانت قضاياه كثيرة تتشقق منها محاور جانبية أكثر - وكلها بكر في حاجة شديدة إلى من يقول فيها كلمة صادقة - وقدمت للحوار أبحاث ترفد هذه القضايا ، بعضها تدرس قضية من تلك القضايا ، وبعضها تفرع قضايا أخرى

وتطرح أسئلة مهمة ، لتزيد من الشعور بالحاجة إلى البحث والدرس ·· ودارت مناقشات عميقة وجادة ، وطرحت آراء خصبة ملأت فراغاً في حقل الأدب الإسلامي ووضعت معالم واضحة لأسس النظرية النقدية المرتقبة ٠

وبعد :

فمن غير المنطقي أن أحكم على هذا الحوار بعيداً عن حصيلته ، وقد كان بودنا أن نضع بين يدي القارئ غلة الحوار من بحوث ومناقشات ونتائج وتوصيات ·· غير أن البحوث وسعة المناقشات وضيق المجال في هذا المكان ·· جعلت المسؤولين في الجامعة يؤثرون أن تخرج هذه البحوث وتلك المناقشات في كتاب مستقل ، يقدم الآراء النقدية الجديدة والمقاييس التي توصل إليها المتحاورون ، والمناقشات التي دارت حولها وأسهمت في صقلها وتوجيهها توجيهاً حسناً ٠

ونأمل أن يصدر هذا الكتاب قريباً إن شاء الله ٠

غير أننا - كي لا نحرم القارئ من صورة مبسطة عن الحوار - وضعنا هذه الصفحات القليلة على عجل ، لتعرض في لمحات خاطفة مشاهد متفرقة يمكن أن تكوّن انطباعاً أولياً عن الحوار وقضاياه ، على وعد أن نضع بين يديه الصورة الكاملة قريباً بإذن الله ٠

والله نسأل أن يسدد خطانا وهو ولي التوفيق ٠

كلمـــة الوفـــود

في اختتام الحوار وألقاها د ٠ نعمان القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة نائب رئيس الجامعة

أساتذتي وإخواني أعضاء الحوار الأول حول الأدب الإسلامي ؛

أبنائي الطلاب ؛

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛

أحمد الله الخالق المبدع الرحمن الذي خلق الإنسان وعلمه البيان وأصلي وأسلم على أفصح ولد عدنان ، الذي أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ٠

أما بعد :

فقد شرفني إخواني أعضاء الوفود إلى هذا الحوار أن أندب عنهم في التعبير عن مشاعرهم بمناسبة اختتام أعمال هذا اللقاء وها أنذا أصدع بما كلفوني به فأتقدم بادئ ذي بدء بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عنهم جميعاً حاملاً أرفع آيات الشكر والامتنان إلى مقام جلالة الملك خالد بن عبد العزيز المفدى خادم الحرمين الشريفين وإلى سمو ولي عهده الأمين الرئيس الأعلى لهذه الجامعة المباركة ، وإلى سمو الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير المدينة المنورة الذي رعى هذا الحوار وتفضل بافتتاحه ٠

كما أتقدم بالشكر إلى فضيلة نائب رئيس الجامعة الإسلامية وإلى فضيلة عميد كلية اللغة العربية وأسرتها وإلى اللجنة التحضيرية للحوار ٠

أشكر لهم جميعاً ما بذلوه وما قدموه لنا من كرم الضيافة وكريم الحفاوة وحسن الاستقبال ٠ وما أتاحوه لنا من الإمكانيات والوسائل الكفيلة بإنجاح هذا الحوار ٠

لقد اجتمعت هذه النخبة من العلماء والأدباء والمختصين بالأدب الإسلامي بناء على دعوة كريمة من الجامعة الإسلامية حول فكرة نبيلة وخطيرة في ذات الوقت ، نبيلة لأن الغاية من هذا الحوار تجنيد الأدب العربي في معركة بناء الإنسان المسلم وتسديد خطاه على طرف الحياة الكريمة ، وخطيرة لأن سلاحها في ذلك هو الكلمة الجميلة النظيفة التي تفعل في النفوس وتؤثر في الوجدان ٠ وليست هذه الفكرة من ابتداع أفكارنا ولا من القائمين على أمور الجامعة الإسلامية ، ولكنهم مشكورين ومأجورين يستنون بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ ويتبعون توجيهاته إلى أدباء المسلمين وشعرائهم في صدر الإسلام الأول ، وهي توجيهات تكشف عن عنايته صلى الله عليه وسلم بالأدب وتقديره لأثره وخطره ٠

إن الأدب استجابة مباشرة للحياة بوسائل غير مباشرة ٠ وقد يظن بعض الطيبين أنه طالما كان ديننا الإسلام أعظم الأديان فإن أدبنا لابد بالضرورة أن يكون أرقى الآداب ٠ بينما الحقيقة أن حياة المسلمين هي المحك ، فإذا كانت هذه الحياة راقية ، وكان الأدب استجابة لهذه الحياة الراقية ، ولكن حياة المسلمين لما تصل بعد إلى المستوى الذي أراده لها الإسلام ، ومن ثم تعود اليوم إلى ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فنجند الأدب لتحقيق هذه الغاية ٠

إن المسؤولية الملقاة على عواتق المفكرين المسلمين وأدبائهم لمسؤولية جسيمة ، وعليهم الاطلاع بها في ثبات وصبر وجد ٠ وقد أتاحت الجامعة الإسلامية لهم بهذه البادرة منطلقاً قوياً نرجو ألا تتراخى قواه ٠

وإحساساً بجسامة هذه المسئولية ، فقد رغب إليَّ بعض الزملاء - ما دمت آخر المتكلمين قبل أن نعلن التوصيات - أن أقترح استدراك توصيتين هامتين :

أولاهما : أن تظل اللجنة التحضيرية للحوار مستمرة لمتابعة التوصيات وتتصل بجميع العاملين بحقل الأدب الإسلامي على مستوى العالم بأسره تتبادل معهم المشورة حول الوسائل الكفيلة بخروج هذه التوصيات إلى حيز التنفيذ . وحبذا لو دعت اللجنة الأدباء المسلمين ليتخذوا من هذه الكتابات صدى وعلامات في كتاباتهم .

ثانيها : العمل على تخصيص منح تفرغ للأدباء الإسلاميين في سائر فروع الأدب الإسلامي لإبداع إنتاج إسلامي رفيع والله نسأل أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة ختامية لنائب رئيس الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم : إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن نزغات الشياطين ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وإمامنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فإنني أكرر شكري لله عز وجل تكراراً لا ينتهي مدى الحياة ، وأحمده عز وجل أن يسر هذا اللقاء لهذه الصفوة من الأدباء ، والمفكرين ، ثم أشكر لأركان الحوار من أدبائنا ومفكرينا وعلماء المسلمين لاستجابتهم الخيرة لحضور هذا الحوار الذي قصدت به الجامعة وضوح الرؤية وتأكيدها لإشاعة منهج دراسة الأدب الإسلامي في الجامعات العربية والإسلامية جميعاً بإذن الله عز وجل .

إن اهتمامنا بالأدب الإسلامي ينبع من اهتمامنا بالإسلام والدعوة إلى الإسلام . وربنا عز وجل يوضح أهمية هذا الجانب في كتابه العزيز إذ يمتن على الإنسان بقوله عز وجل : الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان » .

فبدون بيان لا يمكن أن يتأثر المبيَّن له ، والأدب في أصدق معانيه هو ذلكم التعبير البياني ، ورسول الهدى عليه الصلاة والسلام يقول : إن من البيان لسحراً . وإذا كان البيان سحراً حلالاً فإنه خليق بالجامعة الإسلامية والجامعات الأخرى أن تهرع بكامل طاقاتها

وعزمها إلى تأصيل ما يكون به هذا البيان متأصلاً وتضع له المناهج وتتبنى تدريسه ، لا في مادة في قسم ، ولكن فيما يجعله أكبر تأثيراً على مسيرة الدعوة والتعليم ، بإنشاء قسم مستقل يعني بهذا الأدب وتراثه .

ونحن في هذه الجامعة الإسلامية معنيون – أشد العناية – بذلك ، وقد سبق أن عقد حوار مصغر في هذه الجامعة منذ سنة تقريباً بين أساتذة الجامعة نفسها ، فنشأ من ذلك الاجتماع الشعور بالحاجة الماسة لتوسيع هذا الحوار ليكون على مستوى أشمل ، فدعت الجامعة الإسلامية إلى هذا الحوار الذي أنتم أركانه .

وإنني لا أنسى جهود السابقين : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تبني مادة الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية وكذلك ندوة العلماء بلكنهو ، حيث دعا صاحب الفضيلة أميرها الشيخ أبو الحسن الندوي إلى ندوة للأدب الإسلامي .

إننا أيها الأخوة نعدكم بأننا سنبذل قصارى جهدنا بإذن الله عز وجل وعونه على تبني ما وضعتموه من توصيات وستقر أعينكم بإذن الله في لقاء مقبل في هذه الجامعة الإسلامية بأن توصياتكم لم تذهب أدراج الرياح لكنها أصبحت واقعاً تلمسونه وتحسون آثاره .

أشكركم مرة أخرى ، وأستعين الله عز وجل على بلوغ الأهداف التي نطمح وتطمحون إليها لتأصيل هذا الأدب الذي اعتنى به القرآن الكريم حتى شكل مجموعة كبيرة من الآيات القرآنية التي تعني بعرض الدعوة في أسلوب قصصي رائع .

« وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

« نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك » .

فالأدب هو الأدب الإنساني الرفيع ، الذي يصل الإنسان بخالقه ، ويصل الإنسان لأداء واجبه في هذه الحياة ، وهو الأدب الإسلامي الذي حضرتم للحوار من أجله وانتهيتم به إلى هذه التوصيات التي ستكون موضع التنفيذ إن شاء الله .

أشكركم وأسأل الله أن يوفقكم دائماً لفعل كل خير وإبعاد الناس عن كل شر فإن البشرية تحتاج إلى جهودكم الخيرة في مثل هذا الحوار .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة فضيلة عميد كلية اللغة العربية عبد الله أحمد قادري ، في اختتام الحوار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن ما ابتلى به العالم الإسلامي في القرون المتأخرة من مذاهب ونظريات أثرت على عقيدة شبابه وأخلاقهم وسلوكهم ، فانحرف بذلك كثير من أبناء المسلمين في تلك التيارات وأعجبوا بها حتى أصبح بعضهم حرباً على دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم .

وكانت هناك صحوة بدأت على يد دعاة قلائل أول الأمر ، وقد أهاب هؤلاء بشباب الإسلام أن يعودوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم . وتوجه كثير من الشباب إلى هذه الدعوة ، وتبينوا الخطر الذي يحيط بهم من الشرق والغرب على السواء وأخذوا يفكرون ويبحثون عن مخلص من المآزق التي انزلقوا إليها ، وعرفوا أن المخلص هو بالعودة إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

وما كان المسلمون في عصورهم الأولى في حاجة إلى أن ينادوا إلى أدب إسلامي لأن أدبهم مثل حركاتهم وسكناتهم وعقيدتهم كلها نابعة من مصدرين أساسيين هما كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما اضطر دعاة الإسلام في هذا العصر إلى أن ينادوا بأدب إسلامي واقتصاد إسلامي لأنهم رأوا قلوب الشباب قد أفرغت من عقيدة الإسلام ومثله وأخلاقه وملئت بغير ذلك . فأرادوا مرة أخرى أن يفرغوها من تلك المفاسد ويملؤها بدين الإسلام .

لذلك كانت الدعوة إلى الأدب الإسلامي في هذا العصر كغيره من الأنشطة الإسلامية ضرورة لا بد منها .

لذلك كتب الكتاب ودعا الدعاة إلى هذا الأدب الإسلامي ليؤثر في نفوس المسلمين بدلاً من أن يؤثر فيهم الأدب الجاهلي .

ولقد كان لجامعة الإمام محمد بن سعود فضل في تقرير مادة الأدب الإسلامي في مناهج دراستها . وظهرت نتيجة لذلك كتابات وبحوث طيبه ، ثم تلا ذلك دعوة ندوة العلماء

بالهند ورئيسها فضيلة الشيخ أبي الحسن الندوي حفظه الله إلى الندوة العالمية الأولى للأدب الإسلامي ، وقد حضرها وفد من الجامعة الإسلامية وكانت نواة لمثل هذا الحوار .

وقد سعت كلية اللغة العربية إلى إيجاد مادة منهج الأدب الإسلامي ووافق عليها وتحمس لها فضيلة نائب رئيس الجامعة ، وأقرها مجلس الجامعة وهي تدرس الآن في كلية اللغة العربية .

وظهر أن الحاجة ماسة لمناقشة مثل هذا الموضوع الخطير ، وظهرت فكرة هذا الحوار وقُدّم اقتراح به فوافق عليه فضيلة نائب رئيس الجامعة ، ودعي إليه عدد من الأدباء والدارسين الذين لهم اجتهاد وتحمس في هذا الباب وعقد هذا الحوار الذي نرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون ثماره طيبة في الجامعة الإسلامية في جميع كلياتها ، لأن الأدب الإسلامي - إذا أقرّ في كلية اللغة العربية - سيؤثر على بقية الكليات . وكذلك على بقية الجامعات الإسلامية إن شاء الله

وأسأل الله أن يجعل الأدباء المسلمين والمفكرين المسلمين هم الطليعة والقادة الذين يقودون شباب المسلمين إلى الطريق الصحيحة .

وإذا كانت المقاييس قد اختلت في هذا الزمان ، وأصبح الناس يكرّمون من لا يستحق التكريم من الذين يلعبون بعقول الشباب ويضعون لهم السموم في غذائهم ليخرجوهم من دينهم ، فإننا نأمل أن يكون التكريم لدعاة الإسلام ولأدباء الإسلام وليس لغيرهم .

وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

توصيات ندوة الحوار حول الأدب الإسلامي

التي عُقدت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله وبعد :

فقد عقدت هذه الندوة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المدة الواقعة بين الخامس والتاسع من شهر رجب عام اثنين وأربعمائة وألف للهجرة ، وذلك بدعوة من نائب رئيس الجامعة فضيلة الدكتور الشيخ عبد الله الزايد .

وإن أعضاء الندوة يتوجهون بجزيل الشكر ووافر الثناء إلى فضيلة نائب رئيس الجامعة وعميد كلية اللغة العربية فضيلة الشيخ عبد الله بن أحمد القادري على مالاقوه من اهتمامهما بالأدب الإسلامي ، وعنايتهما به كما يشكرونهما على الحفاوة البالغة التي قوبلوا بها .

هذا وإن أعضاء الندوة ينتهزون هذه الفرصة ليتوجهوا بالثناء على جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ومعالي مديرها الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي للسبق في تبني الأدب الإسلامي وجعله عنصراً أساسياً في قسم من أقسام كلية اللغة العربية وتوجيه عدد من المعيدين للتخصص به كما يثنون على ندوة العلماء بدار العلوم في لكنهؤ بالهند على تبني الأدب الإسلامي وتدريسه ، وعقد الندوة العالمية الأولى للأدب الإسلامي في شهر جمادى الثانية من عام واحد وأربعمائة وألف للهجرة ٠

ويتمنون على الجامعات الإسلامية عامة والعربية منها خاصة أن تتبنى هذه المادة العلمية الأساسية رعاية للإسلام وأدبه وعناية بآداب الشعوب الإسلامية ، هذا وإن أعضاء الندوة قد انتهوا إلى التوصيات التالية :

أولاً – تبني الأدب الإسلامي والعناية به :

١ – دعوة الوزارات المختصة والجامعات إلى تبني هذا الأدب ، والعناية به وتدريسه في المراحل الثانوية ، والجامعية ليعبر عن الإسلام وتعاليمه وينشر دعوته في الأرض وذلك عن طريق الكلمة الطيبة المؤثرة ٠

٢ – إدخال مادة الأدب الإسلامي بصفة عامة وأدب الدعوة بصفة خاصة في أقسام الدعوة والأعلام وفي السنوات التمهيدية من الدراسات العليا وإعداد الرسائل الجامعية التي تبرز هذا الأدب وتقعّد له ، وتخرج الباحثين المختصين فيه ٠

٣ – دعوة الباحثين من علماء المسلمين عامة وأدبائهم ونقادهم خاصة إلى إعداد البحوث في هذا الأدب ، ووضع قواعده في النقد ٠ وحضّ الجامعات على تبني ما يكتب في هذا المجال وطباعته ونشره وبذل المكافآت السخية لكتابه ٠

٤ – دعوة الجامعات في الأقطار الإسلامية لإنشاء فروع في مكتباتها للآثار الأدبية الإسلامية القديمة والحديثة المكتوبة باللغة العربية ولغات الشعوب الإسلامية وما كتبه المستشرقون في هذا الموضوع لتكون مراجع لدارسي هذا الأدب ٠

٥ – والعمل على ترجمة هذه الآثار من العربية وإليها وذلك للإفادة من الطاقات الأدبية في العالم الإسلامي ، وتفاعل هذه الطاقات ورفد بعضها لبعض والسعي لطباعتها ونشرها بالوسائل المختلفة ٠

٦ – حض الجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية والنوادي الأدبية على تشجيع ذوي الطاقات الأدبية المبدعة ، وإعداد المسابقات لكتابة القصص المسرحية والمسلسلات النابعة من

الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته ومنح الجوائز السخية لأصحاب الآثار الفائزة ، والعمل على نشرها والكتابة عنها ، وعن أصحابها في الصحف والمجلات ٠

٧ - وضع منهج متكامل للأدب الإسلامي تتفق الجامعات المتناظرة في العالم العربي على تبنيه وتدريسه في المرحلتين العالية والعليا ٠

٨ - إنشاء مجلة متخصصة بالأدب الإسلامي عامة وأدب الأطفال واليافعين والشباب خاصة ٠

٩ - أن تعمل المعاهد والكليات التي تدرس المذاهب الأدبية من كلاسيكية ورومنسية وواقعية وغيرها على عرض هذه المذاهب وبيان أنها كانت نتيجة لفلسفات واتجاهات أجنبية ثم الاهتمام البالغ بتفنيد وجوه مخالفة هذه المذاهب للإسلام ، وتناقضها الشديد مع قيمه وتعاليمه وأن يعهد بتدريس هذه المادة إلى ناقد إسلامي بصير ٠

١٠ - أن تكون الموضوعات والنصوص الأدبية التي تدرس في المعاهد والكليات خالية من كل ما يخالف الإسلام ، وأن تختار من الآثار الأدبية المفعمة بالحضّ على المثل التي تنبع من الفطر السليمة ، وتتفق مع دين الله ٠

١١ - أن تهتم الجامعات اهتماماً كبيراً بالأدب الإسلامي للأطفال وذلك بتدريس هذا الأدب في المرحلتين العالية والعليا ، وإعداد البحوث المتعمقة فيه لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه ٠

١٢ - أن تشتمل كتب الأدب والمحفوظات في المراحل الدراسية كلها على نصوص مختارة مؤثرة للشعراء المبدعين من القدماء والمحدثين الذين صوروا نكبة المسلمين في أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وبكوا ما حل بفلسطين على أيدي الصليبيين ، واليهود ودعوا إلى تحريرها ، كما تشتمل على نصوص تصور فرحة المسلمين باستعادة الديار المقدسة على يدى صلاح الدين ٠

١٣ - أن يكون الأدب الإسلامي الذي نقدمه للطلاب في مراحل الدراسة جميعها وثيق الصلة - مادة ومعنى - بكتاب الله ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان لما في ذلك من روعة بيانية ، وعمق إيماني وروح نابضة بالخير والبر وتغذية مستمرة لأدبنا الإسلامي المعاصر ٠

١٤ - التنديد بالأعمال الأدبية المكتوبة باللهجات العامية ومناهضة الدعوات للمحافظة على التراث الشعبي (الفولكلور) ، وبيان ما فيهما من خطر على لغة القرآن ، وقطع لأواصر

القربى بين المسلمين عامة، والعرب منهم خاصة ·

١٥ - دعوة الجامعات إلى إقامة مراكز للأدب الإسلامي تعني بجمع مصادر هذا الأدب ومراجعه والموضوعات التي كتبت فيه والمقالات التي حضت عليه والرسائل الجامعية التي أعدت فيه ·

١٦ - دعوة القائمين على الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة إلى إنشاء فرع للدراسات العليا في الأدب الإسلامي وقواعده في النقد وذلك لتكوين فئة من المختصين بهذا الأدب الداعين إليه عن دراية وتعمق وخبرة ·

١٧ - تخصيص منح دراسية للأدباء الإسلاميين من غير العرب في المعاهد والمراكز التي أنشأتها الدول العربية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وذلك لتوسيع رقعة الأدب الإسلامي وتبادل الخبرات الأدبية عن طريق الترجمة من العربية وإليها ·

١٨ - إهتمام العاملين في مجالات الأدب الإسلامي بتأصيل علم الجمال وتوجيهه وجهة إسلامية والإفادة منه في الأعمال الأدبية الإسلامية ليتآزر الشكل مع المضمون ·

١٩ - يتوجه أعضاء الندوة بجزيل الشكر إلى الجامعات التي أنشأت معاهد ومراكز لتعليم لغة القرآن للمسلمين من غير العرب، ويأملون منها أن تضاعف جهودها في هذا المجال الخيِّر، وأن توجه التعليم في هذه المعاهد والمراكز وجهة تعتمد على قراءة القرآن الكريم والتحلي من الحديث الشريف، ومعرفة أداء الشعائر على أكمل وجه ·

كما يأملون من هذه الجامعات أن تعمل على افتتاح المدارس في تلك البلاد الإسلامية لتعليم الأطفال والناشئين لغة القرآن ودين الإسلام وتثقفهم بالثقافة التي تربطهم بإخوانهم العرب وأن تؤلف لهم الكتب الإسلامية التي تلائم مستوياتهم ·

ثانياً - رسم بعض الخطوط العَريضة للأدب الإسلامي الذي ننشده :

تقترح الندوة لتأصيل هذا الأدب وإغنائه ما يلي :

١ - تعميق النظرة في مفهوم هذا الأدب القائم على التصور الإسلامي الصحيح، والربط المحكم المتوازن بين قيمه الشعورية والمعنوية وبين قيمه التعبيرية ·

٢ - دراسة النظريات والمذاهب النقدية عند القدماء والمحدثين من نقادنا الإسلاميين، وذلك لاستخلاص السمات التي يجب أن تتوفر في الأدب الإسلامي والوصول إلى مذهب أصيل في الأدب الإسلامي ونقده ·

٣ – العناية بدراسة طائفة من النصوص المختارة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وخطب الراشدين دراسة متعمقة وذلك لاستجلاء مكامن الروعة الفنية فيها ، وجعلها موجها ومقوما لإنتاج الأدباء الإسلاميين ٠

٤ – الاهتمام بوضع القواعد والضوابط للفنون الأدبية الحديثة من قصة وأقصوصة ومسرحية ومقال وخاطرة وترجمة وغيرها لتكون هادية للأدباء في إنتاج أدب إسلامي سليم ٠

٥ – دراسة منهج القرآن الكريم والحديث الشريف في القصة والحوار والتصوير الفني والتملي من خصائص هذا المنهج ومزاياه للإفادة منهما في النتاج الأدبي الإسلامي ٠

٦ – دراسة فنون الأدب الإسلامي في عهودها الأولى وذلك كأدب الدعوة إلى الله ، وأدب الغزوات والفتوحات ورصد تطورها في الخطابة وأدب المواعظ وشعر الجهاد والحماسة الإسلامية ٠

٧ – دراسة الشعراء والأدباء الإسلاميين المغمورين من القدماء والمحدثين لتغذية الأدب الإسلامي وتقويته وتنويعه ٠

٨ – العمل الجاد على جمع الأدب الإسلامي الحديث ونقده وذلك لتقويمه وتوجيهه ولفت الأنظار إليه ٠

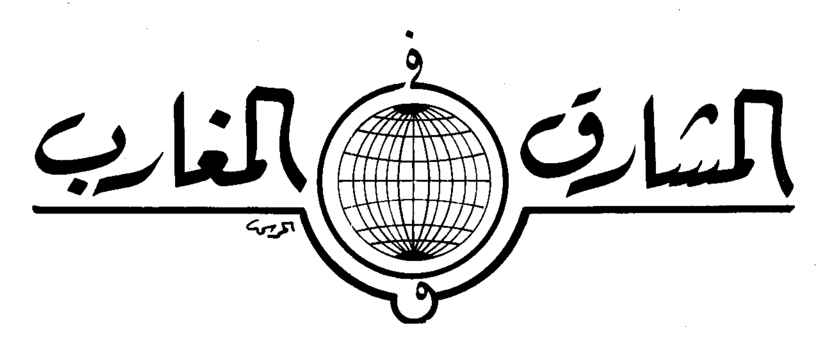
ثالثاً – توصيات عامة :

١ – طباعة البحوث التي أعدت لهذه الندوة وتعميم توصياتها وإرسالها إلى سائر الجامعات في البلاد الإسلامية عامة ، والعربية منها خاصة مع الدعوة إلى تبني الأدب الإسلامي الذي تبنته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وجامعة دار العلوم الإسلامية في الهند ، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وغيرها من الجامعات ٠

٢ – أن تعقد هذه الندوة المباركة في بلد من البلدان الإسلامية مرة كل عامين ٠

هذا وأن أعضاء الندوة ليهيبون بجميع المسئولين في وزارات المعارف والتربية والثقافة والإعلام وبالمجامع العلمية والنوادي الأدبية والمؤسسات الإسلامية ذات العلاقة أن يبذلوا كل ما في وسعهم لتأييد هذه التوصيات ، وتهيئة جميع السبل المكنة لتنفيذها والله من وراء القصد ومنه يستلهم العون والسداد ٠


مع جولات عالمية



الشيخ عبد الله بن أحمد قادري

هذا هو البحر الذي تريده :

واصلنا السير إلى ذلك الشاطيء ، ودخلنا في سبخة فنصحت السائق ألا يدخل بالسيارة في هذا المكان ، لأني رأيت آثار النذير في أماكن منه فاغتر بمكان ظاهره فيه الرحمة جاف أبيض ، وباطنه فيه قبور لعجلات السيارات وشد بقوة على مدعس البترول فالتقى أسفل السيارة بالأرض وأصبحت العجلات في مأمن من دفع طاقة البنزين فنزلنا وأخذنا نجمع بعض الحشائش ولففنا ثيابنا وحاولنا دفع السيارة إلى الأمام أو إلى الوراء وما زادها ذلك إلا تمكناً في الأرض ، فاتجه إليّ الشيخ عبد القوي قائلاً : هذا هو البحر الذي تريده ؟ - لأني كنت ألح في كل مدينة تقع بجانب البحر أن نذهب إلى الساحل لنتمتع بجمال البحر - قلت : الحمد لله نحن الآن في البر والبحر قريب منا فذهبنا إلى الشاطىء حيث وجدنا بعض الفقراء يصطادون بطريقة بدائية ولا يحصل الواحد منهم على سمكة صغيرة إلا بعد جهد وبقينا هناك حتى تعبنا ننتظر الإسعاف الذي كان السائق قد طلبه من الفندق فتأخر فذهبنا إلى بعض الأشجار ذات الظلال القليلة فانتظرنا حتى جاء الفرج ورجعنا إلى الفندق وكان عبد البر يرى أن نذهب إلى حديقة الحيوان وعبد الله ... يرى أن نذهب إلى المتحف فغلبناهما لأن كل واحد منهما صوت ضد الآخر وكان اختيارنا موحداً .

أحزاب الفواكه :

وفي طريقنا إلى الفندق شرى عبد الله لنا فواكه متنوعة نعرف منها النارجيل الذي يضمن لصاحبه الطعام والشراب معاً حيث توجد بداخل ثمرته بحيرة من الشراب الصافي الذي لا يحتاج إلى صبه في الإناء ليشرب ، وكذلك فاكهة البا باى وهى فاكهة قشرتها قد تكون

حمراء مشربة بخضرة وقد تكون لينة وفي داخل القشرة لب أحمر يوجد بداخله حبوب صغيرة شبيهة ببعر الغزال وهذه الثمرة قد تكون طويلة وقد تكون كروية وتصغر وتكبر على اختلاف شجرها وتسمى في بعض مناطق اليمن العمبرود وكانت فاكهتي المفضلة في صغري ووجودها في أرض الحجاز نادر ولذلك كنت في هذه الرحلة من حزبها وكان الشيخ عبد القوي من حزب الموز وكنت أفوز عليه في الانتخابات . وكان الشعب الذي له حق الانتخاب عبد الله باهرمز والابن عبد البر فإذا لم يوجد إلا الموز كنا جميعاً من حزب عبد القوي وإن لم يوجد إلا البا باي كان عبد القوي معنا وهذا دليل على التسامح والتعاون والديمقراطية النظيفة وقد قلت مسجلاً المعنى التام لهذا التعاون .

وفي ثمر البا بـاي والموز راحـة　　　لعبـد القوي والقادري على السـوا

وفواكه أخرى أنعم الله بها على أهل تلك البلدان يصعب علينا حصرها وحفظ أسمائها وفي الفندق عوضنا أجسامنا ما فقدته من الطاقة في هذه الرحلة على ساحل مدينة جاكرتا من تلك الفواكه الطيبة وأسلمنا أنفسنا لربنا حتى أرسلها وله الحمد والشكر .

وفي عصر هذا اليوم طلب مني بعض الطلبة الأندونيسيين زيارة إحدى الجمعيات النشيطة في الدعوة حيث التقينا ببعض زعمائها الذين كانوا في حاجة إلى تصحيح بعض المفاهيم عن الإسلام فحصل من الاجتماع معهم خير كثير والحمد لله .

في مسجد : (سوندا قلابة)

في الساعة السابعة والنصف ذهبنا إلى مسجد : (سوندا قلابة) لصلاة العشاء والتراويح وعندما اقتربنا من المسجد رأينا الشوارع المؤدية إليه غاصة بالمشاة إليه قد أوقفوا السير لكثرتهم وأغلبهم من الشباب طلبة الجامعات والمدارس من سن العشرين فأقل إلى سن السابعة بل وأقل أيضاً وبأيديهم السجادات وهم من الجنسين ذكور وإناث وعندما دخلنا إلى الساحة المحيطة بالمسجد - وهى واسعة مزروعة بالعشب وعلى يسار المسجد ساحة واسعة مخصوصة بالنساء ويحيط بها حجاب من القماش والمسجد يتكون من طابقين - وقد امتلأ المسجد بطابقيه وازدحمت الساحة وأخذنا نبحث عن مكان في الساحة الخارجية فلما رآنا بعض الشباب بلباسنا العربي تعاونوا فيما بينهم وتفسحوا حتى أفرغوا لنا مكاناً يتسع لنا الأربعة وأعطونا سجاداتهم بإلحاح شديد منهم على قبولها . وبعد أن صلينا ركعتين أقيمت الصلاة وصلى الإمام صلاة تميل إلى التخفيف المجزي وقراءته جيدة . وبعد صلاة الفريضة ألقى موعظة بلغته استغرقت نصف ساعة تقريباً ثم صلى التراويح والوتر بثلاث تسليمات : أربع ركعات وسلم ثم أربعاً وسلم وكان يقرأ في كل ركعة مع فاتحة الكتاب بآيتين من سورة يوسف . ثم الوتر ثلاثاً بتسليمة واحدة . ثم أخذ يدعو والناس يؤمنون تأميناً ترتج معه الحارة التي بها المسجد .

نفع التحريك فأين التفقيه ؟

كنا سمعنا قبل زيارة هذا المسجد أن هناك عناية خاصة بالشباب وأن جمعية قد أنشئت لربط النشء بالمسجد وعندما حضرنا هذا المسجد رأينا أثر ذلك التحريك واضحاً فقد تحرك الشباب واستجاب لنداء الله وغصت به المساجد ولكن تلك العواطف الملتهبة والفطرة المستجيبة ينقصهما التفقه في دين الله (ومن يرد الله به خير يفقهه في الدين) والذي دلنا على نقص الفقه في الدين .. ومما يدل على الجهل بالدين أن الفتاة تأتي إلى المسجد وهى لابسة اللباس الأفرنجي لا فرق بين لباسها ولباس الفتاة غير المسلمة . ولكن هذه الفتاة التي تأتي لأداء الصلاة تكون حاملة كيساً فيه فوطة (ازار) وخمار . وسجادة . فإذا دخلت المسجد وأخذت مكانها للصلاة لبست الفوطة أسفل جسمها . وألقت خمارها على رأسها وبسطت سجادتها وصلت . فإذا انتهت من الصلاة خلعت الفوطة والخمار وطوتهما مع السجادة ووضعتهما في الكيس وخرجت في الشارع بلباسها غير الإسلامي وهكذا تكون في المنزل والمدرسة .

وهكذا تجد الفتى لابساً سراويل قصيرة وفوطته بيده فإذا أراد الصلاة لبس الفوطة وإذا فرغ منها خلعها ومشى مكشوف الفخذين .

لقد عرفت الفتاة – وعرف الفتى كذلك – إن ستر العورة في الصلاة واجب فعلاً . هذا الواجب عرفاه وجهلا – في أغلب الظن – وجوب ستر العورة – أو جهلا العورة – خارج الصلاة فلم يستراها .

وهكذا تجد كثيراً من المسلمين عندهم عواطف إسلامية طيبة ولكنهم يجهلون كثيراً من أمور دينهم فيرتكبون المحرمات ويتركون الواجبات ولو فقهوا دينهم لكان لهم شأن غير هذا .

الجيش الشعبي أو النفير العام

عندما خرجنا من المسجد رأينا السيارات في الشوارع واقفة والمصلون قد ملأوا الشوارع كلها فلم يقدر أهلها على تحريكها من أماكنها وابتعدنا مسافة عن المسجد فاستأجرنا سيارة وحاول قائدها السير فلم يقدر لأن المصلين انتشروا في الشوارع كلها فوقفنا مدة ننظر إلى هذه الأعداد الهائلة . والظاهر أن مسجداً آخر في حارة أخرى خرج المصلون منه فالتقت الجموع وزاد الزحام والهدوء يخيم على الأندونيسيين . بنظام ولو كانت هذه الجموع من بعض الشعوب الأخرى لكان الصخب والضجيج والتدافع مسيطرة على الشوارع .

عندئذ قلت للأخ عبد الله باهرمز : هكذا مساجد أندونيسيا كلها قال : نعم وهذا المسجد من المساجد المتوسطة وليس من الكبيرة قلت : لو ربى هذا الشباب تربية إسلامية سليمة كما أراد الله في منهجه : الكتاب والسنة لكانت هذه الأعداد كلها نفيراً عاماً أو جيشاً شعبياً يرهب أعداء الله . وأعداء الله يرهبون هذا المظهر على الرغم من ضعف التربية وهنا تذكرت المسجد النبوي الذي كان المصلون فيه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه كلهم جنود دعوة وجهاد ·

أجمع بينهما على سنة الله ورسوله :

عندما رجعنا إلى الفندق كنت مشغولاً بالكتابة فنبهني الشيخ عبد القوي إلى التليفزيون فالتفت فإذا تلك الفتاة الأندونيسية ترتل كتاب الله بصوتها ، وهي محتجبة ما عدا وجهها وكفيها وتقرأ في المصحف لم ترفع عينها عنه قلت لعبد الله باهرمز هذه قارئة وهذا قارئ فاجمع بينهما على سنة الله ورسوله ليتعاونا معاً على حفظ كتاب الله وتلاوته وتعليمه فهش الشيخ وبش ولكنه أحجم خوفاً من جو الزوجتين وقد رآه من بعدٍ فأخافه ·

٢ /٩ /١٤٠٠ هـ · في منزل الدكتور رشيدي :

إتصل الدكتور الرشيدي هاتفياً يطلب مقابلتنا في منزله لمناقشة منهاج زيارتنا لمدينة يورك جاكرتا فزرناه في الساعة الحادية عشرة وبعد أن فرغنا من مناقشة ما دعينا من أجله زرنا السفارة السعودية حيث التقينا بالقائم بالأعمال الأستاذ أمين مدني الذي قابلنا ببشاشة وعرض علينا استعداده لتسهيل أي أمر نحتاجه مما يقدر عليه . وكان السفير غير موجود آنئذ في جاكرنا ·

أحرام على بلابله الدوح ؟

وفي الساعة الثانية بعد الظهر طلب مني بعض الطلبة زيارتهم لمذاكرة بعض شئون الدعوة وأخذ التوجيهات في ذلك ، وبقى الشيخ عبد القوي في الفندق يراجع القرآن الكريم فذهبت وعندما رجعت بعد صلاة العصر أخبرني الشيخ أن ضابطاً زاره في الفندق وسأله بعض الأسئلة التي تنبيء عن المضايقة :

متى جئتم وما مهامكم وكم تبقون وإلى أين تسافرون من جاكرتا ومن تعرفون ····

وتعجبنا من هذه الأسئلة توجه لاثنين جاءا من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لا هدف لهم سوى التعرف على إخوانهم في شعب مسلم هو أكثر الشعوب الإسلامية عدداً وفي نفس الوقت يجتمع في هذا الشعب المسلم ستة آلاف وفد من نصارى العالم (البروتستانت) في

مدينة تومو هنغ للتخطيط لتنصير أبناء المسلمين في هذا الشعب أو إخراجهم من إسلامهم ويحتفي بهؤلاء الوفود على أعلى مستوى في الدولة قلت للشيخ عبد القوي : لقد انطبق علينا وعلى أعدائنا النصارى في شعبنا المسلم « أندونيسيا » بيت الشاعر :

حـرام على بـلابله الـدوح　　حـلال للطـــير من كـل جنس

وقلت لقد نجح أعداء الإسلام من الغربيين في أمريكا وأوروبا في إشعارنا بالراحة وعدم المضايقة في بلدانهم عندما نزورها وبالقلق والمضايقة في كثير من بلداننا ، ولعل هذا الضابط نصراني أو عميل للنصارى .

وكل ذلك لا يهمنا لأننا ما جئنا إلا لهدف واضح وعليهم أن يتحركوا معنا في كل الجهات التي سنزورها ليروا ذلك .

أين من يغـار على حمل الأمانة

١٤٠٠/٩/٣ هـ .

أخبرنا بعض الطلبة الأندونيسيين - وهو من طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ومن أصل عربي - أن جده أسس خمسمائة وخمسين مدرسة في شرق أندونيسيا وأنه أوقفها كلها على بعض المؤسسات الإسلامية التي كانت قائمة آنذاك حرصاً على استمرارها وحمايتها وإنه عندما حضرته الوفاة أوصى أن يصلى عليه أمام المدرسة القريبة من منزله إشعاراً للمسلمين بأن هذه المدرسة هى مدرستهم وليست مدرسته وأن عليهم أن يتحملوا هم مسئوليتها بعد أن لقى ربه .

واسم هذا الرجل عيدروس بن سالم الحضرمي وكان قد طرده الإنجليز من حضرموت فقام بهذا العمل الجليل . فأين من يغارون على حمل أمانة هؤلاء العظماء الذين سجلوا في التاريخ هذه الصفحات المشرقة بجهود شخصية مخلصة زكاها الله وجعلها تؤتى أكلها بإذنه ، ليت المسلمين حافظوا على هذه الأمانة - ولو بدون المزيد عليها لا بل ليت الحكام تركوها للشعوب تحافظ عليها ولم يهدموها .

إلى يورك جاكرتا

٤ / ٩ - ١٤٠٠ هـ .

غادرنا الفندق إلى المطار استعداداً للسفر إلى مدينة يوك جاكرتا عاصمة أندونيسيا الأولى ومدينة الطلاب التي تضم خمساً وثلاثين جامعة ، عدا المدارس والمعاهد الحكومية والأهلية ، ومدينة المنافسة الشديدة بين المسلمين وبين النصارى .

ورأينا لطف المعاملة في المطار من الموظفين المسلمين الذين كانوا يظهرون لنا البشاشة والسرور ويعفوننا من التفتيش الدقيق الذي يفعلونه مع غيرنا والشعوب شبيهة - في فطرتها - بالمواليد « وكل مولود يولد على الفطرة » ٠

وأقلعت بنا الطائرة في الساعة العاشرة والدقيقة الأربعين وأخذت أنظر إلى منازل جاكرتا من الجو وهى تقع في داخل غابات وأحجامها صغيرة وهي في أشكالها شبيهة بالعرش التي تبنى في الجزيرة من الخشب والقشاش إلا أن منازل الأندونيسيين تبنى بالحديد والاسمنت والآجر (مسلح) وإن كانت منازلهم في الأرياف تبنى بنفس الشكل ولكن من الخشب والقصب القوي والأرض كلها خضراء إلا أنها أقل من ماليزيا وسنغافورة وهبطت بنا الطائرة في مطار يوك جاكرتا في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين ، وكان بعض الأساتذة والطلاب في انتظارنا وعندما دخلنا قاعة القادمين رأينا صوراً مجسمة مصنوعة من الخشب وهى ترمز إلى ما قبل الإسلام وهذه المناظر يراها المسافر أمامه في كل مكان ، والقصد منها ربط الأندونيسيين بالعصور الجاهلية كالحال في بعض الشعوب العربية التي يحاول زعماؤها ربط أهلها بالجاهلية القديمة كالفرعونية والأشورية والكلدانية وغيرها ٠

وكان الاخوة قد حجزوا لنا غرفتين في فندق (سريمانجانتي) وهو يتكون من طابقين ومسنم مثل المنازل السكنية ويغلب عليه الطابع المحلي في أثاثه ٠ وفي قاعة الاستقبال صورة منحوتة من الحجارة : رجل عليه عمة وبيديه مضربا دف وأمامه الدف قال لنا الاخوة هذه صورة السيد الشهيد أول من دخل هذه المنطقة ودعا إلى الإسلام عام (١٣٠٠ م) وكانوا يحكون ذلك بعاطفة تدل على حبهم للرجل ٠

قالوا وكان أول ما جمع الأندونيسيين بالضرب على الدف وعندما اجتمعوا دعاهم إلى الإسلام ٠

قلت للأخوة الصور المجسمة محرمة باتفاق العلماء . ولا سيما صور الصالحين وما عبد قوم نوح الأوثان إلا عن طريق الصور وكثير من مساجدهم القديمة إذا جاء وقت الأذان بدأوا بضرب الدف ثم يؤذن المؤذن ٠ وطبيعة الأندونيسيين طبيعة طرب والذي يريد أن يدعوهم إلى الله ينبغي أن تكون عنده بعض النكات المباحة يدغدغهم بها عندما يخاطبهم وهذا ما يجري عليه علماؤهم معهم ٠

أطلعنا الأخوة على منهاج الزيارة الذي أعدوه لنا مستغرقاً لأوقاتنا لها ما عدا وقت الراحة وتركونا لنرتاح بعد أن وافقناهم على ذلك المنهاج ٠

في مؤسسة تثقيف المكفوفين الإسلامية

هذه المؤسسة أنشئت في عام (١٣٨٤ هـ) بعد أن رأى المسلمون بعض أبنائهم من المكفوفين وغيرهم من ذوي العاهات تتلقفهم أيدي التبشير النصراني ومنهم من يتنصر أظهاراً للاعتراف بالجميل لأهله . وهذه المؤسسة تقوم بتثقيف المكفوفين وخدمتهم وتدريبهم على مستوى الإبتدائي والثانوي . وتتبع المؤسسة مكتبة وبها قاعة اجتماعات ضيقة للمدرسين والمدرسات .

كان أول لقاء في هذه القاعة بعد صلاة العشاء . وقد ألقى مدير هذه المؤسسة كلمة باللغة العربية شرح فيها ما تقوم به الجمعية من أعمال البر وذكر أن الحاضرين مدرسون ومدرسات يقومون بالتدريس في داخل الجمعية وفي الأسر .

ثم قرأ الشيخ عبد القوي ما تيسر من القرآن . وألقيت كلمة في العقيدة وطرحت بعض الأسئلة وبعد المناقشة عدنا إلى الفندق .

عودة إلى مكتبة مؤسسة تثقيف المكفوفين :

٥ / ٩ صلينا الفجر في مسجد الشهداء الذي غص بالمسلمين المصلين وألقيت كلمة بعنوان الغاية من خلق الإنسان . وفي صباح هذا اليوم زرنا هذه المكتبة وهي عامرة بالكتب إلا أن الكتب الإسلامية لا تتجاوز ثلاثين في المائة من الكتب الموجودة بها لأن أغلب الكتب الموجودة فيها جاءت هدايا من النصارى . وهدايا المؤسسات الإسلامية قليلة وذكر المسئولون أن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث أهدى لهم من قبل النصارى وكذلك دائرة المعارف الإسلامية وهم يستغربون عدم اجتهاد المسلمين في نشر كتبهم للمؤسسات الإسلامية واجتهاد النصارى في نشر كتبهم بين المسلمين وسلينا الأخوة بأننا سننقل هذه المشاعر ورغبتهم في الحصول على مراجع إسلامية للمكتبة فسروا بذلك .

قــرود حــلوة :

ذهبنا بعد زيارة المكتبة إلى حديقة الحيوان . فلم نر فيها جديداً . إذ توجد بها الحمر الأهلية والوحشية والثعابين وبعض الطيور والقرود . وكان الإبن عبد البر . وعبد الله بن سعيد باهرمز تأخرا عنا عندما قفلنا راجعين إلى بوابة الخروج فانتظرناهما وعندما جاءا قال عبد البر : والله يا أبويه وجدنا هناك قرود حلوة فكانت نكتة اليوم . وله نكتة أخرى مع القرود ستأتي في مكان آخر إن شاء الله .

جوامع في المنازل :

رجعنا من الحديقة ذات القرود الحلوة إلى الفندق فاسترحنا إلى الساعة الخامسة (قبل أذان المغرب بساعة) وانتقلنا إلى منزل عمري يحي الذي طلب من اللجنة المنظمة لزياراتنا أن نتناول طعام الإفطار والعشاء عنده . وعندما وصلنا استقبلنا هو وبعض أصدقائه وعرفنا بنفسه وانه رئيس منظمة الرسامين الأندونيسيين التي أغلبها مسلمون (٩٠٪) وفي داخل منزله قاعة كبيرة قدمت فيها سفرة الطعام وصلينا المغرب وطلب منا أن نبقى لنصلي العشاء عندهم وكذلك التراويح وكانت مناسبة للتحدث معهم بين المغرب والعشاء لا سيما ما يتعلق بمهنة الرجل فقد نصحناه أن يلتزم في رسمه برسم المباحات التي تذكر الناظر بالله تعالى كالغابات والأشجار والفواكه والبحار الأنهار وكذلك المساجد وبيت الله الحرام وغيرها مما تكون فيها معان طيبة تدعو إلى العاطفة الإسلامية فأظهر الرجل الإستجابة .

وعندما اقترب وقت صلاة العشاء رأينا الناس - وأكثرهم من الشباب بنين وبنات يفدون إلى هذا المنزل . فسألنا ماذا يريد هؤلاء قالوا أهل الحارة يصلون العشاء والتراويح في هذه القاعة بداخل المنزل طيلة ليالي رمضان وتوجد قاعات في كثير من الحارات في منازل بعض كبار السكان . لأن المساجد لا تتسع لجميع المصلين . وعندما أذن المؤذن كانت القاعة قد غصت بالمصلين وامتدت الصفوف خارجها في حوش المنزل إلى الشارع فصلى بنا إمامهم العشاء وصلى الشيخ عبد القوي التراويح وطلب مني إلقاء حديث في الحاضرين فألقيت كلمة مختصرة شرحت فيها معنى الصراط المستقيم وان سلوكه يتضمن العلم به والعمل ونصحت الآباء والأمهات والمصلين أن يجتهدوا في تعليم الأبناء والتلاميذ مضمون هذا الصراط ويحثوهم على العمل بما علموا وأن يكونوا لهم قدوة كما نصحت الأبناء والتلاميذ أن يجتهدوا في التعليم من آبائهم وأمهاتهم وأساتذتهم وأن يسألوهم عن أمور دينهم ويعملوا بما يعلمون لينالوا ثواب الله وينجو من عقابه يوم الصراط الذي ينصب في الآخرة .

الإيمان بالوحي :

ثم ذهبنا إلى مركز تثقيف المكفوفين لإلقاء محاضرة أخرى للمعلمين والمعلمات وكانت بعنوان الإيمان بالوحي . استغرق إلقاؤها ساعة ونصف الساعة تقريباً ثم أجيب على بعض الأسئلة التي ألقاها الحاضرون وانتهينا في الساعة الحادية عشرة .

كأنا في المشعر الحرام

٦/٩/١٤٠٠ هـ :

في الساعة السادسة صباحاً كنا على موعد مع جمعية الحجاج التي يرأسها الحاج مطري وهم أكثر من أربعة آلاف من الرجال والنساء وأغلبهم من كبار السن وممن وفقهم الله لحج

بيت الله الحرام . وكنا نظن أننا سنجد أمامنا عدداً لا يتجاوز خمسمائة شخص ولكن عندما أقبلنا إلى المكان ذكرنا مظهر هذا الحشد الضخم وهم أعضاء هذه الجمعية كلهم بحشود الحجاج الذين يتجمعون في المشعر الحرام يوم النحر والذي كنا نخشاه أن يصر هذا العدد كله على مصافحتنا بعد الفراغ من إلقاء المحاضرة . كما هى عادة الناس هناك معنا .ومع كل مسلم يأتي من البلاد العربية وكان هذا اليوم هو يوم الجمعة وهو موعد اجتماعهم كلهم في هذا المكان يتذاكرون أمورهم ويتبرعون بما يقدر عليه للجمعية · رحب الحاج مطري بالضيوف ثم قرأ الشيخ عبد القوي بعض الآيات القرآنية ثم ألقيت كلمة موضوعها إنما الأعمال بالخواتيم وتضمنت – مع الحث على التوبة والاستغفار الحث على تربية الأولاد ·

في معهد المكفوفين :

في الساعة السابعة والنصف قمنا بزيارة معهد المكفوفين إلتقينا فيه بالطلبة والطالبات والمدرسين والموظفين ورئيس المعهد وأمينه قدم بعض الطلبة فقرأ آيات الصوم من سورة البقرة عن طريق اللمس وألقى رئيس المعهد كلمة رحب فيها بالضيوف وطلب من المؤسسات الإسلامية مساعدة هذا المعهد لأنه يحتضن فئة لو تركت بدون عناية من المسلمين لكانت هدفاً للنصارى وقال إن هؤلاء المكفوفين يتمنون أن يدرسوا في مدارس المملكة العربية السعودية ويؤدوا فريضة الحج . ثم تقدم أمين المعهد فشرح ما يقوم به المعهد لهذه الفئة . ثم قرأ الشيخ عبد القوي بعض الآيات القرآنية وألقيت بعده كلمة تضمنت تهنئة المسئولين في هذا المعهد بهذا العمل الإجتماعي الجليل ووصية الطلبة والطالبات بأن يصبروا على فقد هذا العضو الحبيب وأن في ذلك الصبر نيل ثواب الله وأن لا ينظروا إلى أنفسهم نظرة إحتقار وازدراء بل عليهم أن يتطلعوا إلى أن يكونوا قادة علم وهدى وضربت لهم أمثلة ببعض من فقدوا بصرهم من المسلمين ولكنهم كانوا أئمة خير في الماضي والحاضر . ثم ألقى بعضهم أسئلة أجيب عليها وبعد ذلك غادرنا المعهد إلى الفندق ·

العبـــد نـــام :

كان مقرراً أن نصلي الجمعة في مسجد الجهاد وكان المصلون على علم بذلك . ولكن النوم غلبنا مع التعب والسهر في الليل وتأخر الأخوة الذين كانوا يرافقوننا وعندما جاءوا ونحن نائمون علموا أننا لو قمنا نتوضأ لا ندرك الصلاة فذهبوا إلى المسجد وكان الناس ينتظرون بعد الصلاة فأعلن لهم تأخرنا فانصرفوا نادمين ·

وبهذه المناسبة فإنني أسجل إعترافنا بأن عواطف المسلمين في هذا الشعب ملتهبة وقلوبهم غامرة بحب اخوانهم المسلمين في الشعوب الأخرى ولا سيما العربية منها وبخاصة بلاد

الحرمين الشريفين . تظهر تلك العواطف في حرارة الإستقبال من جموع كثيرة في كل مؤسسة زرناها تضيق بها الأماكن والساحات . كما تظهر في حرص جميع الحاضرين من الرجال على مصافحة الزائر حيث يقفون صفوفاً يتلو بعضهم بعضاً في زحام شديد فيضطرون هم ويضطر الزائر للوقوف مدة طويلة حتى يفرغ الجميع من المصافحة وهم من الشيوخ والشباب والأطفال ويحرص أطفالهم مع ذلك الزحام أن يأخذوا توقيع الزائر في كراساتهم للذكرى ويفرحون فرحاً شديداً عندما يأخذون توقيع زائر قدم من مكة أو المدينة .

وكنا في كثير من المعاهد والمساجد نسمع الأطفال وهم ينشدون عند قدومنا أناشيد ترحيب . وعند مغادرتنا ينشدون أناشيد وداع بعضها باللغة العربية وبعضها بلغتهم وإذا قام أحدنا لإلقاء كلمته في تلك الجموع فقال السلام عليكم اهتز المكان بصوت مرتفع فيه تظهر العاطفة الجياشة (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) .

ولكن هذه العاطفة لا يصحبها فقه في الدين . ولذلك ترى بعض المظاهر في السلوك أو الصور المجسمة في المنازل . والرسومات التي لا تليق بهذه العاطفة والسبب هو الجهل وعدم التربية السليمة أو قلتها .

في مسجد جامعة قاجة مادة :

وفي الساعة السابعة مساء ذهبنا إلى مسجد جامعة قاجة مادة وهى إحدى الجامعات الحكومية الكبيرة في هذه المدينة . ويمتلىء المسجد بطلبة الجامعة بنين وبنات . صلى العشاء بالناس أحد طلبة الجامعة . ثم تقدم مدير الجمعية المحمدية فألقى كلمة عن صيام رمضان وقيامه باللغة الأندونيسية – وكنت أفهم مضمون كلامه بالنصوص التي يستدل بها من القرآن والسنة : وكان الطلبة منسجمين معه غاية الانسجام . وترتفع صيحاتهم بالضحك في بعض الأوقات . فسألت عن السبب فقيل لي أنه يأتي ببعض النكات المضحكة أثناء حديثه لاجتذاب انتباههم له . وهذه عادة علمائهم معهم عرفوا نفسياتهم فأتوهم من الباب الذي عرفوا أنهم يستطيعون الولوج إليهم منه . وقد سمى الشيخ المجذوب عندما التقينا به – كما سيأتي – سمى الأندونيسيين « الشعب الضاحك » وقلت أنا مرة الذي لا يستطيع أن يُضحك الأندونيسيين لا يستطيع أن يبكيهم وأن تأثير الواعظ في نفوسهم يتوقف على دخوله إلى تلك الأنفس من باب الدعابة ولكني في نفس الوقت أنصح الوعاظ الأندونيسيين وغيرهم عن الإكثار من النكات المضحكة لأن ذلك سيحول بين الواعظ وبين التأثير المطلوب الذي تضمنه قوله تعالى : « **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** » .

ثم صلى بنا الشيخ عبد القوي صلاة التراويح فأعجبتهم قراءته فطلبوا منه أن يقرأ بعد ذلك على المنبر ففعل وكانوا جداً متأثرين بقراءته ثم طلب مني إلقاء كلمة – وهمس إليّ الأخ عبد الله باهرمز أنهم يرغبون أن يسمعوا مني رأيي في حالة المسلمين في أندونيسيا .

فقلت ما مضمونه :

١ – أن الوقت الذي قضيناه في بلدكم قصير واختلاطنا بفئات الشعب غير متيسر حتى نستطيع الحكم عليه .

٢ – لقد سررنا بإقبال الشباب على المساجد لأداء الصلاة وسماع المواعظ والدروس ، ولكن لا أدري أهذا الإقبال مستمر في غير رمضان كرمضان أم لا . فإن كان مستمراً فأنتم على خير وإلا فعليكم أن تداوموا على هذا الخير لأن أحب العمل عند الله أدومه وإن قل .

٣ – أرى الشباب يزدحمون صفوفاً طويلة على أبواب السينما فهل هذا الشباب هو الشباب الذي تغص به المساجد في أوقات الصلاة أو غيره فأن كان هو هو فإن هذا لا يسرني ولا يليق بشباب المساجد الذي وفد إليها ليتزود بالتقوى أن يفد إلى قاعات السينما ليمحو إيمانه وعاطفته الإسلامية وإن كان غيره فإن على شباب المساجد أن يضاعفوا جهودهم لاجتذاب شباب السينما إلى المساجد .

٤ – هل يقبل هذا الشباب الذي يملأ المساجد إلى تعلم دينه والتفقه فيه أو أنه يعبد الله على جهل ولا يعلم حلالا ولا حراماً فإن كانت الأولى فالشباب الأندونيسي إلى خير وإن كانت الثانية فعليكم أن تبدأوا حياة جديدة هي حياة تعلم الدين والتفقه فيه والعمل به .

٥ – ثم وجهت نصيحة للفتاة المسلمة فقلت : هل هذا اللباس الذي أراه في المسجد بالنسبة للمرأة – وهو لباس حشمة ووقار – هو لباسها في الجامعة والشارع إن كان كذلك فهذا ما يسرنا وهو دليل على الإلتزام بالإسلام وإن كان لباسها خارج المسجد مشابها للباس غير المسلمة لا حشمة فيه ولا وقار فإنها يجب عليها أن تتوب وأن تقتدي بنساء الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يليق بالفتاة المسلمة أن تلتزم بالإسلام في المسجد وتتحلل من أوامره خارج المسجد بل يجب أن تكون مسلمة في المسجد والجامعة والبيت والشارع . وهنا أخذ الشباب من الفتيان في التصفيق حتى ارتج المسجد إعجاباً بهذه النصيحة على الرغم من أنا كنا نوصيهم بعدم التصفيق .

وبعد الفراغ أخذ المصلون يزدحمون علينا لمصافحتنا وكانوا عدداً كثيراً فصبرنا حتى أعاننا الله على الفراغ من استقبال ذلك العدد .

نـدوة المجادلة والمنـاظرة

كان هذا العنوان ضمن منهاج زيارتنا لمدينة يوك جاكرتا وهو الذي سيتم اللقاء من أجله مع بعض أعضاء هيئة التدريس وعمداء الكليات في الجامعة الإسلامية الحكومية ٠

وكان هذا العنوان مخيفاً ، كنت أقول في نفسي : في أي شيء يريد هؤلاء أن يجادلونا ويناظرونا وهم في بلادهم وفي جامعتهم وعندهم مراجعهم ونحن ضيوف بعيدون عن المراجع والوقت ضيق وكنت سألت الأخ عبد الله باهرمز عن هذا المعنى فلم يشف لي غليلاً لأنه كان مثلي يجهل ما وراء الأكمة ٠

وعندما وصلنا إلى مقر الجامعة استقبلنا العمداء والأساتذة استقبالاً حاراً وأدخلونا إلى قاعة : « المجادلة والمناظرة » ٠ وأقعدونا في واجهة الحلقة وبعد قليل جاء شيخ أظهر الجميع احترامه فرحب بنا وقعد بجانبنا - وكان هو مدير المجادلة والمناظرة ٠

تقدم أحد الأساتذة إلى المنصة وألقى كلمة ترحيب وعرفنا بهذه الجامعة فقال أنها أسست سنة (١٩٥٠ م) وبها خمس كليات وهى : التربية ، والشريعة ، والدعوة ، وأصول الدين ، والآداب ٠ وأن عدد طلابها بلغ أربعة آلاف طالب نسبة الطالبات ثلاثون في كل مائة ، وتخرج في الجامعة سبعة آلاف طالب منهم ثلاثة آلاف دكاترة وأربعة آلاف حملة بكالوريوس ٠

ثم أحال إلى الأستاذ عبد المعطي علي - الشيخ الذي سبق ذكره - إدارة الندوة والشيخ عبد المعطي على كان وزيراً للشئون الدينية سابقاً وكرر معالي الوزير الترحيب وشرح لنا ما تقوم به هذه الندوة فقال إن هذه الندوة تقام كل ليلة سبت يقدم بها بعض الأساتذة بحوثاً في موضوعات معينة وتناقش مناقشة تظهر أثرها نتائج طيبة وأن هذه البحوث يمكن أن تطبع قريباً ٠ فعرفنا بذلك معنى المجادلة والمناظرة وهدأت النفوس وسكنت القلوب ٠

ثم طلب مني معاليه أن أعطي الحاضرين معلومات عن الجامعة الإسلامية فتحدثت عن الجامعة : نشأتها وسبب إقامتها وأهدافها وأقسامها التعليمية وثمارها التي ظهرت في العالم الإسلامي ومناهجها وعدد طلبتها وعدد الشعوب الممثلة فيها وما يناله الطلبة فيها من مساعدات مالية ومادية ومعنوية ٠

ثم فتح الباب فتقدم كثير من الحاضرين بأسئلة في مجالات متعددة ودار النقاش حولها وفي الختام طلب العمداء والأساتذة أن نحاول ربط الجامعتين وتهيئة الجو للزيارة المتبادلة

وكذلك تبادل المناهج للاستفادة منها وألحوا علينا في أن تزودهم الجامعة الإسلامية بالمراجع الإسلامية والكتب العربية وقال أحدهم لقد أكثرتم في محاضراتكم من دعوتنا إلى القراءة في الكتاب والسنة والتمسك بهما وهذا حق ولكنا نود أن تعلموا أنا فقراء من مراجع كتب التفسير والحديث والتاريخ الإسلامي فعليكم أن تساعدونا بذلك ·

واستمر النقاش والمذاكرة بلا جدال ولا مناظرة إلى الساعة العاشرة والنصف تقريباً طلبوا من الشيخ عبد القوي أن يختم الندوة بتلاوة القرآن الكريم ففعل ·

ولقد كانت هذه الندوة بحق من أمتع اللقاءات وأكثرها فائدة لأنها كانت على مستوى عال من الثقافة والفكر وكان لمدير الندوة أثره في إنجاحها ·

مـا أجمل هـــذا المنظر :

٧ / ٨ / ١٤٠٠ هـ :

في ساحل المحيط الهندي (جنوب غرب يوك جاكرتا) في الساعة السادسة صباحاً ذهبنا إلى ساحل المحيط الهندي (ويصر الأندونيسيين على تسميته بالمحيط الأندونيسي) وهو الذي يفصل بين الجزر الأندونيسية وقارة استراليا من الجنوب وكان معنا الأستاذ سلامة سيف المسلمين أحد أعضاء اللجنة المنظمة لزيارتنا . وهو أحد مدرسي المدرسة الثانوية وكان سيرنا وسط أرض مزروعة بالأرز والموز وقصب السكر وأشجار النارجيل . والبامبو وغيرها من الأشجار والغابات . وتتخلل تلك الغابات قرى الفلاحين ومنازلهم التي بنى بعضها مسلحاً وبعضها أساسه مسلح وسقوفه . وجدرانه من شرائط قصب البامبو القوى والموجود بكثرة ويستعمل في منافع كثيرة وكان الشارع غاصاً بالطلبة والطالبات الذاهبين إلى مدارسهم . وبالفلاحين الذاهبين إلى مزارعهم هذا راكب وهذا ماش . وكأنهم في مظاهرة في كل إتجاه لكثرتهم ·

وعندما اقتربنا من البحر رأيناه من بعد وأمواجه ترتفع إرتفاعاً هائلاً حتى كنا نظن في أول الأمر رشاش الموج المتصاعد في الجو سحاباً · وصلنا إلى الشاطئ الذي تقع على جانبه دكاكين صغيرة شعبية يبيع أهلها بعض المأكولات الخفيفة وشراب البيبسي وغيره · تركنا السيارة وذهبنا إلى قرب تلك الأمواج فوقفنا نشاهد عجباً من المباريات والمناورات بينها . فكانت الموجة ترتفع إرتفاعاً مذهلاً ثم تنقسم وتكر راجعة فتأتي أختها في حالة هياج فتصطدم بها فيدفع الله بالسابقة اللاحقة ·

وأخذت أفكر قائلاً في نفسي لو كانت هذه الأمواج مستمرة في هياجها وقوتها ماشية إلى الأمام الأولى تسير والثانية تتبع وتدفع هل تستطيع الجبال الشاهقة أن تصد قوافلها عن إغراق اليابسة بأكملها ؟ ! ·

وكانت السحب تتكون فوق البحر وكأن تلك الأمواج تتسابق لامدادها ، وأخذ رذاذ المطر يتساقط علينا من تلك السحب وكأنها تكرمنا برش الطيب علينا .

ولقد وقفت في هذا المكان أمام هذه المناظر متأملاً هذا الهياج من البحر وتلك الأمواج التي تصطرع بقرب الجبل الذي اشتقت للاقتراب منه لأرى الأمواج وهى تنطحه الواحدة تلو الأخرى ، وصخوره تصمد مدة من الزمن ثم تضعف فتصرع متكسرة ورأينا آثاراً تدل أن البحر قد أكل كثيراً من هذا الجبل موسعاً أمام موجه المساحة ليجول ويصول أكثر .

وكنت أود أن أقف كثيراً أمام البحر الهائج . بل كنت أحب أن لا أدعه – وهذه عادتي مع البحر – ولولا خوفي من هياجه وعدم رحمة أمواجه لتربعت ذلك الموج أصعد بصعوده وأهبط بهبوطه . وقلت للاخوة : ما أجمل هذا المنظر الذي يصعب عليّ فراقه !

وكان موعد لقائنا مع الجمعية المحمدية قد اقترب فقررنا العودة وكنت أتقدم نحو السيارة خطوتين ثم التفت لأملأ عيني بالنظر إلى تلك الصورة العجيبة التي لا أظن أنها تمحى من ذاكرتي .

ولات ساعة منـــدم :

عندما كنا واقفين على شاطئ البحر وكنا لابسين اللباس العربي وهو غريب على كثير من الناس وكان المكان فارغاً إلا من أشخاص قليلين هنا وهناك ، وشاهدنا شخصين بعيدين عنا في جهة الشمال على يميننا وأخذا يسرعان الخطى إلينا وعندما اقتربا منا عرفنا أنهما رجل وامرأة وكان لباس المرأة غير لائق وحاولا أن يقربا منا مظهرين لنا البشاشة إلا أنهما قوبلا منا بالصد والابتعاد فاقتربا من الأخ سلامة ، لأنه يلبس بنطلوناً وقميصاً والظاهر أنهما سألاه عنا وهو سألهما من أين فأخبراه أنهما استراليان وعندما رأيا ابتعادنا عنهما ذهبا بعيداً عنا .

وبعد أن ركبنا السيارة وقفلنا راجعين أخذت أفكر في تقصيرنا نحو هذين الشخصين الذين أقبلا إلينا بتلك البشاشة أليس الأجدر بنا أن نشرح لهما مبادئ الإسلام ونرغبهما في الدخول فيه ؟ فندمت ندماً شديداً على ذلك التقصير ولكن وقت الندم قد فات والسبب الذي جعلنا نصد عنهما هو مظهر المرأة بذلك اللباس الذى يخشى الإنسان على نفسه من الإثم من النظر إليها إضافة إلى وجود بعض الشباب معنا . والله المستعان .

الرصـــــد الرسمي :

وعندما كنا راجعين – بعد مسافة قصيرة من الساحل – وجدنا شابين بجانب الطريق وبيد أحدهما مكبر صوت وهو يتحدث مشيراً إلى قائدي السيارات الذاهبين والعائدين بالوقوف ، قلت : ماذا يريد هذان ؟ قال الأخ سلامة : هؤلاء موظفون من قبل الحكومة يأخذون ضريبة السير في هذا الطريق ، لأنه سياحي وكان الطريق تحت الإصلاح .. فأخذ المبلغ المقرر ، وأظنه آلاف الروبيات الأندونيسية ، وإن كانت آلافها غير مخيفة بعد معرفة قيمتها وسلم القائد بطاقة تثبت انه تسلم المبلغ ·

الرصـــــد الشعبي :

ومضينا إلى أن قطعنا ما يزيد عن خمسة كيلو ترك قائد السيارة الطريق الذي كنا جئنا منه ومال إلى اليسار مفضلاً أن يكون الرجوع في طريق آخر من أجل أن نرى مناظر جديدة ، وهذا الطريق أفضل من الآخر أيضاً · ويجب أن يمر على جسر فوق النهر والجسر مصنوع من قصب البامبو ، فإذا شاب واقف يطلب من السائق الوقوف وأخذ كل منهما يرطن للآخر وفهمت أن نزاعاً حصل بينهما ، لأن طبيعة الأندونيسيين هادئة لا يرفع أحد صوته على الآخر في المخاطبات العادية فسألت ماذا حصل فقيل لى أن هذا الجسر صنعه أهل هذه القرية ولذلك عينوا لهم مندوباً هنا يأخذ من المارة ضريبة · فسألت : كم روبية يأخذون منا الآن قالوا خمسمائة روبية ، أي ما يعادل ريالين بالعملة السعودية ، قلت : أعطوهم فأعطوهم ومررنا ، وهذا الجسر يبقى في الفترة التي يكون فيها ماء النهر قليلاً أما إذا جاءت الأمطار وفاض النهر فإنه يحمل الجسر مع أول قافلة من قوافله القوية ·

حركـــة دائبـــة :

وكنا – ونحن نسير في الطريق – نرى كثرة الناس : فلاحين يحملون على ظهورهم قصب البامبو أو أنواعاً أخرى من الفواكه والثمار ومنهم من يحمل على دراجة عادية ومنهم من يحمل العربة التي تجرها الخيول أو البقر ، وقد يحملون الدراجة العادية بحمل ثقيل ثم يتعاون إثنان أو ثلاثة في دفع هذه الدراجة ·

ورأينا عجائز من النساء طعن في السن وهن يقدن الدراجات العادية لمسافات طويلة – أما الفتيات فالأمر طبيعي بالنسبة لهن – وقد لا يفرق الإنسان بين الفتاة والعجوز إلا إذا اقتربت منه لأن الأحجام متقاربة وكذلك الألبسة ، وعندما دخلنا المدينة مررنا بالفندق لاصطحاب الابن عبد البر معنا ، لأنه فضل النوم ولم يرافقنا إلى البحر وقد ندم على ذلك ·

اقبــــال شديــــد من الألمـــــان على اعتنـــاق الـدين الاســـلامى

أصبح الـدين الاسـلامى في المانيـا الاتحـاديـة يحتـل المرتبـة الثـالثـة « بعـد اتبـاع الكنيسـة الانجيليـة والكنيسـة الكاثوليكيـة » ويبلغ عـدد المسلمين هنـاك ١٫٧ مليون نسمة « منهم ١٫٤ مليـون من الاتراك و ١٢٠ ألفـا من اليوغوسلافيين وحوالى ٨٠ ألفـا من العرب ، و ٤٠ ألفـا من الايرانيين و ١٥٠٠ المانى اعتنقـوا الاسـلام ، وبهذا تكـون المانيـا الاتحـاديـة في المرتبة الثانية من ناحيـة كثرة عـدد المسلمين فيهـا ، وتعتبر « حريـة الأديـان » في المانيـا عامـلا أسـاسيـا في اقبـال الناس على الاسـلام ، بحيث لا تكـاد تخلو ايـة مدينـة المانيـة من مسجـد اسلامى يمارس فيه المسلمون شعائر دينهم بسماحة وحريـة ، كما أصبحت ترجمـة معانى القرآن الكريم الى اللغـة الالمانيـة من أكثر الكتب انتشـارا ورواجـا في المـانيـا .. ومن الأخبـار التى ترددت أخيرا : العزم على تشييـد « مركز للثقـافـة والـدين الاسـلامى » في العـاصمـة « بـون » بعـد أن بلغ عـدد المعتنقين للدين الاسـلامى من الالمـان نحوا من ألف وخمسمائـة مسلم المانى .

« المدينــة »

ردود و مناقشات

حقيقة القات
في ضوء العلم والدين

للشيخ محمد المجذوب
كلية الدعوة وأصول الدين

عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » (١) فقد نصب بهذا الحديث الجامع مَعْلَماً منيراً لأولي العلم . يعالجون به العشرات من المشكلات الطارئة مما لم يرد به حكم حاسم عن الله ورسوله ٠

وفي ضوء هذا المعلم جرى كبار فقهاء الإسلام في مواجهة هذا الضرب من الأحداث ، فلا يزالون يدققون في جوانبه وأعماقه حتى يتحقق لهم قربه من الضرر والمضارَّة أو بعده منهما فينتهون إلى القرار المتفق مع مقاصد الشريعة ٠٠

ولقد يكون المشكل العارض متردداً بين الحل والحرمة ، فيلجئون إذ ذاك إلى الحل النبوي الصّريح في قوله صلى الله عليه وسلم « الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام » (٢) ٠

ولا جرم أن وقوف أولي العلم عند هذه المعالم الصحيحة كاف لجمعهم على الحق إذا تجرد كل منهم من أهواء النفس التي كثيراً ما تفسد رؤية الفقيه ٠٠

ولنضرب لذلك مثلاً قريباً من مشكلة التدخين التي طرأت على العالم الإسلامي في العصور المتأخرة ، فإذا علماؤه مختلفون في أمره : أهو من الملحقات بالخبائث المحرمة بالنص ، أم هو من الطيبات المباحات ؟ ٠٠٠ وتسلل الهوى إلى بعضهم فإذا أحدهم يقول « إن كان حلالاً

---

(١) رواه ابن ماجه ومالكي وأحمد ٠

(٢) من حديث متفق عليه ٠

فقد شربناه ، وإن يكن حراماً فقد أحرقناه » .. وطبيعي أن مثل هذا القول أقرب إلى اللغو منه إلى العلم .. وكان الأحرى بهذا الفريق المتردد في تحريمه أن ينظر إلى الموضوع على ضوء التوجيه النبوي الذي يقضي بأنه من المشتبهات التي يتنزه أولو الأحلام عن مقارفتها .. فكيف إذا تذكر قول ربه القاطع المانع : « **ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا** » (الاسراء ، آية : ٢٦ ، ٢٧) .. وهو مقر من أعماقه بأن التدخين من أنواع التبذير الملحق لأهله بأشياع الشيطان ..

هذه مقدمة لعل فيها ذكرى لإخوة لنا في الله فرق بيننا وبينهم الاجتهاد في شأن القات ، فذهبنا يمينا وذهبوا يسارا ، والمتوقَّع من أهل الإيمان إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا .

● إن موضوع القات كموضوع التدخين ونحوه من الأحداث العارضة بعد خير القرون ، ولا بد من الرجوع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله للتحقق من شأنه وحكمه ..

وقد شاء الله أن يسلط على موضوع القات مزيداً من الأضواء بما انتهى إليه خبراء الطب والمخابر التحليلية من معلومات جديدة عنه تبين على وجه القطع أنه من الخبائث التي لا تتجاوز نطاق الضرر والضِرار .. وبذلك ينتقل حكمه من دائرة المشتبهات إلى دائرة المحرَّمات ..

ولقد أيد هذه الرؤيةَ الحكيمةَ العشراتُ من فقهاء الإسلام وذوي التخصصاتِ العلمية المختلفة ، والذين شاركوا في (المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات) المنعقد في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة خلال ٢٧ - ١٤٠٢/٥/٣٠ هـ وتناول موضوع القات أثناء ئذ العديدُ من مؤلفي البحوث المقدمةِ إلى المؤتمر .. أكتفي بنقل الفقرات التاليات منها : -

١ - في عرض لأنواع المخدرات الطبيعية يقول الدكتور حامد جامع - عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة من الجامعة الإسلامية - في ص ١٠ و ١١ من بحثه :

« هى المخدرات المشتقة من نباتات الخشخاش والقنب والكوكا والقات وغيرها .. والقات نبات مخدر يزرعه أهل اليمن ..... الخ الخ .

٢ - وفي ص ٥ من بحث الدكتور عادل الدمرداش أخصائي الطب النفسي بمستشفى الطب النفسي بالقاهرة يقول :

« أما القات الذي ينمو نباته في اليمن والحبشة والصومال فتمضغ أوراقه .. ويسبب مضغ القات عدمَ الشعور بالتعب والشعور بالنشاط وفقدانَ الشهيةِ وضعفَ مقاومة الجسم للأمراض .. » .

٣ - ويقول الدكتور صلاح الدين أحمد عثمان أستاذ ورئيس قسم الكيمياء والنبات بجامعة الملك فيصل في بحثه « التصنيف الكيميائي للمسكرات والمخدرات وتأثيرها البيوكيميائي » ص ٢١ « المخدرات الطبيعية هى مجموعة من المركبات بعضها عبارة عن قلويات طبيعية في ثمرة الخشخاش أو القنب الهندي أو أوراق القات ..

إلى أن يقول : « وينتج عن تعاطي هذه المخدرات تغييرات سلوكية للأفراد تظهر في صورة انتعاش ظاهري مع بلادة فكرية ، وكذلك الشعور بالخوف والميل إلى النعاس ..

وعن تأثيره يقول : يشابه تأثير الحشيش حيث يؤدي إلى الخمول الجسدي والبلادة الفكرية ، وعدم القدرة على التصرف .. يحول الشخص إلى فرد غير منتج وبليد ومتحجر وخامل ، حيث يؤثر على المجتمع محوّلاً اياه إلى مجتمع مستكين » .

وفي هذه الفقرة تفسير دقيق لما يريده الدكتور الدمرداش (بعدم الشعور بالتعب والشعور بالنشاط) على أنه حالة ظاهرية فقط بدليل كون القات مؤدياً إلى فقدان الشهية ومضعفاً للجسم عن مقاومة الأمراض .. وهو بذلك يشارك المخدرات الأخرى في تغيير السلوك وايهام الضحية بالنشاط الكاذب ..

هذا مع اتفاق هؤلاء الفضلاء جميعاً على اعتبار القات من زمرة المخدرات .

وبناء على هذه المعلومات الحاسمة صدر قرار (المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات) بشأن القات في التوصية التاسعة عشرة كما يلي :

« يقرر المؤتمر بعد استعراض ما قدم إليه من بحوث حول أضرار القات الصحية والنفسية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية أنه من المخدرات المحرمة شرعاً ولذلك فإنه يوصي الدول الإسلامية بتطبيق العقوبة الإسلامية الشرعية الرادعة على من يزرع أو يروج أو يتناول هذا النبات الخبيث .... » .

● وما أراني مغالياً إذا قلت بأن في هذا القرار نوعاً من الإجماع الملزم للمسلم ، إذ هو منبثق من التوافق التام بين الدين والعلم ، لأن المقرين له صفوة من فقهاء ومفكري العالم الإسلامي على امتداده وعلى اختلاف مذاهبه ..

فمن حقه على أهل العلم أن يتلقوه بالقبول والرضى لأنه حَسَمَ كل خلاف بينهم في شأن هذه المادة التي استهوت الكثيرين منهم حتى جعلتهم أسوة غير حسنة لعامة الناس .

ومن هنا كان مثار الدهشة أن يأتي الاعتراض على هذا القرار الرصين من جانب فئة من إخوتنا في اليمن الشمالى . وكلهم من أهل الفضل .. ولا حجة لهم في ذلك من نقل ولا

عقل ، بعد أن تلاقى العقل والنقل على إصداره .. فلم يبق مسوغاً لاعتراضهم سوى حكم العادة التي ألفوها ، فتعذر عليهم التحرر من ربقتها فهم بذلك أشبه بالمُدْمِن على التدخين تعرض لعينه آثاره في اتلاف أجهزة الحياة من خلال الشرائح البشرية التي خربها التدخين فلا يزيد على القول : إني أدخن منذ عشرات السنين وها أنذا لا أزال على قيد الحياة ! .

وإن هذا الموقف ليذكرني بذلك الحوار الطريف الذي دار ذات يوم بين طبيب للعيون وأحد المرضى ..

قال الطبيب لصاحبه وهو يحاوره : إن ما تشكوه من ضعف بصرك سببه الخمر ، فعليك بالاقلاع عنها وإلا فقدت بصرك كله في النهاية ..

وأجاب المريض وعلى فمه ابتسامة السخرية : إنك لمخطئ أيها الطبيب بدليل أن الخمر يضاعف من قوة بصري حتى لأرى الرجل في حالة السكر اثنين بدل الواحد .. !!

ولعل إخوتنا الأفاضل أصحاب الاعتراض انما يدافعون عن القات من خلال أُلفتهم إياه ، التي تحجب عنهم مساوئه ، فلا يرون منه إلا الجانب السار .. ولا عجب :

فعين الرضـا عن كـل عيب كليلـة ولكن عن السخط تُبـدي المسـاويـا

ولعل أطرف ما في اعتراضهم المنشور في (السياسة) الكويتية بعنوان (فتوى دينية) ذلك الادعاء الغريب بأن العلماء الذين أفتوا بتحريم القات انما أُخذوا ببعض الاشاعات ، وكان عليهم أن يتصلوا بالعلماء (الذين يعايشون القات منذ دخوله اليمن) .. !

وقد نسي مُوَقِّعا هذه الفتوى أصلحنا الله وإياهما أنهما بانتصارهما للقات قد رضيا أن يكونا موضع الاتهام ، فلا يُلتفت إلى دفاعهما عنه ، لأنه دفاع عن الهوى .. وآفة الرأى الهوى . أما المُفتون بتحريمه فهم المحايدون الذين بتجردهم عن الهوى يملكون القدرة على الرؤية السليمة التي تفرق بين مختلف الادعاءات فتعطي كل شيء وزنه الحق ..

هذا مع العلم بأن قراء تلك الفتوى لا يسلمون لهما بأن رأيهما هو رأى علماء اليمن جميعاً في شأن القات ، لأنهم لا يتصورون أن كل أولئك العلماء من المتعاملين معه .... لسبب هام وهو ثقتهم بالحكمة القائلة : الإيمان يمان والحكمة يمانية ..

● وأخيراً لقد استوقفني بين هؤلاء الإخوة المعترضين على قرار المؤتمر في قضية القات اسم سماحة المفتي الشيخ أحمد زبارة ، فلهذا الرجل في نفسي ذكرى لا تمحوها الأيام .... ذلك أني سمعت ذات ليلة صوته الكريم يتدفق باطراء الحياة الشيوعية التي شاهدها في موسكو عقب عودته من زيارة لها ساقته إليها الجواذب السياسية التي يحسنها ساسة الكرملين ، والتي طالما ساقوا إليها غيره من (المفتين) و (رجال الدين) في مصر وسورية فلقوا من إكرامهم

ما أطلق ألسنتهم بفنون الثناء عليهم ، حتى ليكاد سامعوا إطرائهم يتساءلون ·· وهل أصبحت موسكو حامية الإسلام بعد أن كانت مَباءةَ الإلحاد في العالمين !! ···

وما أحسبني اليوم بملوم إذا أنا أعربت عن خشيتي أن تكون شهادة الشيخ أحمد بجانب القات من طراز شهادته السابقة لمصلحة الشيوعية ··

·· والله نسأل أن يجنبنا وإخواننا الزلل ، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ··

·· ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ··· انه خير المسئولين ··

··· والحمد لله رب العالمين ···

في محاورة شعرية دارت بين الشيخين حافظ أحمد الحكمي ·· ويحيى بن محمد المهدي حول القات يقول الشيخ حافظ رحمه الله ··

أئمةُ الديـن في إحـيائـه جـهـدوا ... ليـلاً نهاراً وما احتاجوا إلى القات

وقسموا الليل في تسبيح خالقهم ... وبـحـث عـلـم وفي أنواع طاعات

فما توانوا ولا ملوا ولا كسلوا ... ولا استعانوا بمضغ للنباتات

أسلاهم الشوقُ والذوقُ الذى وجدوا ... عن طيبات لهم حلَّتْ ولذات

واستغرقوا الوقت في خيرٍ به اشتغلوا ... في جل أوقاتهم عن بعض أقوات

أولئكم حفظ اللهُ العظيمُ بهم ... معالم الشرع من كل النقيصات

ما أبعد الفرق بين القوم في صفة ... وبيننا باحثالات الحثالات

ملاحظات :

حول كتاب عقيدة السلف والخلف

للشيخ عبد القادر السندي

-٢-

تتمة الحلقة الأولى السالفة في ملاحظاتي حول كتاب (عقيدة السلف والخلف) ، أكمل ما بدأت فأقول :

إن الأمة قد انحرفت بعد ما حكمت عقلها وتركت التحكيم إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه المسائل العلمية فتأثرت بما جاءها من فلسفة اليونان ونظرياتها المادية حسب الخطة المحكمة المدروسة وذلك بعد مضي وقت ضئيل من تلكم الانتصارات الرائعة التي أبهرت العقول البشرية جمعاً في الخلافة الإسلامية الراشدة العظيمة في تلك القرون المفضلة التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح المبارك : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث .

نعم : قال الإمام الذهبي قال مؤمل بن إسماعيل : رأيت همام بن يحي في النوم فقلت : ما صنع الله بك ؟ قال : غفر لى ؛ وأدخلني الجنة ، وأمر بعمرو بن عبيد إلى النار « وجاء عن محمد بن عبد الله الأنصاري أنه رأى في النوم عمرو بن عبيد قد مسخ قرداً » .

قال أحمد بن زهير : سمعت يحي بن معين يقول : كان عمرو بن عبيد رجل سوء من الدهرية ، قلت وما الدهرية ؟ قال : الذين يقولون لا شيء انما الناس مثل الزرع ، وكان يرى السيف .

قال المؤلف – أي الذهبي –لعن الله الدهرية فإنهم كفار وما كان عمرو هكذا » اهـ (١) .

قلت كلام يحي بن معين الذي هو إمام في الجرح والتعديل الذي نقله الإمام الذهبي في ميزانه وإسناده صحيح فكيف يرده بعد ثبوته ؟ .

---

(١) ميزان الإعتدال ٣ / ٢٨٠ .

هذه السلسلة الشيطانية التي أدخلت الشر العظيم في الإسلام ولها أثرها البارز في تغيير هذا الخط الواضح الذي ترك النبي صلى الله عليه وسلم أمته عليه ولا تزال في الأمة بقية تنهج هذا المنهج وتسلك هذا الخط ٠

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمة هذا الزنديق عمرو بن عبيد ما نصه :

« وعمرو بن عبيد القدري : وهو عمرو بن عبيد بن ثوبان ويقال ابن كيسان التيمي مولاهم أبو عثمان البصري ، من أبناء فارس ، شيخ القدرية والمعتزلة » ٠

ثم قال : قال « الإمام أحمد بن حنبل : ليس بأهل أن يحدث عنه ، وقال علي بن المديني ويحي بن معين : ليس بشيء ، وزاد ابن معين ٠ وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون : إنما الناس مثل الزرع ٠ وقال النسائي : ليس بثقة وقال شعبة عن يونس بن عبيد : كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث ، قال حماد بن سلمة : قال حميد : لا تأخذ عنه فإنه يكذب على الحسن البصري ، وكذا قال أيوب وعون وابن عون ، وقال أيوب : ما كنت أعدله عقلاً ٠ وقال مطر الوراق : والله لا أصدقه في شيء ٠ وقال ابن المبارك : إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر » (١) اهـ ٠

قال السندي : أي في إثبات القدر تفريطاً وإن العبد مجبور على فعل القبائح وليس له ذنب في ذلك ، هذا مذهب قبيح وإلى هذا أشار الإمام ابن حبان بإسناده الصحيح في كتابه « المجروحين » في ترجمة هذا الفاسق الفاجر إذ قال رحمه الله تعالى : سمعت أحمد بن الخشرم بمرو يقول : سمعت عبد الحميد بن إبراهيم يقول : سمعت أبا عبيدة يقول : سمعت معاذ ابن معاذ يقول : كان عمرو بن عبيد يقول : « إن كان » (تبت يدا أبي لهب) في اللوح المحفوظ فما على أبي لهب من عتب » (٢) اهـ ٠

قلت هذا هو الكفر الصريح والشرك الأكبر وسببه تحكيم العقل ، ونقل هذه العبارة القبيحة العلامة ابن كثير في البداية والنهاية (٣) وعزاها إلى ابن حبان ٠

وترجم له الإمام البخاري في تاريخه الكبير قال : « مات (سنة) ثلاث أو اثنتين وأربعين ومائة في طريق مكة » ثم قال رحمه الله تعالى : « قال عمرو بن علي سمعت أبا

---

(١) البداية والنهاية : (١٠ / ٧٨ - ٨٠) ٠

(٢) المجروحين : (٢ / ٦٩) ٠

(٣) البداية والنهاية : (١٠ / ٧٩) ٠

داود حدثنا همام قال : سمعت الوراق يقول : عمرو بن عبيد يلقاني فيحلف لى على هذا الحديث فأعلم أنه كاذب » (١) اهـ .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في « البداية والنهاية »وقد روي عنه أنه قال : إن كانت (تبت يدا أبي لهب) في اللوح المحفوظ فما تعد منه على ابن آدم حجة » .

قلت : نقله الإمام الذهبي في الميزان بغير هذا اللفظ وقال : « لم يكن لله على العباد حجة » وقال الخطيب في تاريخه وساق إسناده الصحيح بقوله : أخبرنا محمد بن أحمد بن حسنون النرسي ، أخبرنا على بن عمر الحربي حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا معاذ بن معاذ قال : سمعت عمرو بن عبيد يقول : إن كانت (تبت يدا أبي لهب) في اللوح المحفوظ فما لله على ابن آدم حجة (٢) .

قلت : هكذا رواه ابن حبان في المجروحين وإسناد الخطيب رجاله كلهم ثقات ، وقد أثبت الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في ترجمة هذا الضال بأسانيده الكثيرة غيه وكفره وإنكاره لعدة آيات (من) الكتاب الحكيم وكذا السنة النبوية الصحيحة ومنها إنكاره حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والخطيب في تاريخه وهذا نصه :

قال الخطيب بإسناده هكذا : أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال : سمعت أبا عامر عبد الوهاب محمد بن أحمد بن إبراهيم العسال يقول : سمعت أبي يقول : سمعت عمرو بن عبيد يقول وذكر حديث الصادق المصدوق فقال : لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته ، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته . ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته ولو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا لرددته ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلت له ليس على هذا أخذت ميثاقنا » .

قلت هذا الحديث لم يذكر في النسخة المطبوعة من تاريخ بغداد في أصل الكتاب إلا أن المعلق على الكتاب أورد هذا الحديث على هامش الكتاب وقال هو حديث ابن مسعود الذي رواه البخاري ومسلم قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع إلى أن قال : إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ...... الحديث .

قلت : هكذا أورد هذا المعلق هذا الحديث في هامش الكتاب فإذا كان الحديث موجوداً في أصل الكتاب ثم حذفه هذا المعلق من الأصل وأورده في الهامش فهذه خيانة عظيمة ،

(١) التاريخ الكبير : (٦ / ٣٥٢ - ٣٥٣) .

(٢) تاريخ بغداد : (١٢ / ١٦٦ - ١٨٨) .

وإذا كان ساقطاً من أصل النسخة المخطوطة فالعلم عند الله تعالى ، ولكن الذي يغلب على الظن أن الخطيب لا يفعل هكذا بل يورد الحديث بتمامه إذا كانت لديه رواية في ذلك . فلا أستطيع أن أحكم على هذا العمل الآن إلا بعد الاطلاع على المخطوطة الأصلية من تاريخ بغداد .

وقد أخرجه الحافظ أبو نعيم في كتابه الحلية (١) وهذا إسناده : :

حدثنا محمد بن خنيس ، ثنا يوسف بن اسباط ، عن حبيب بن حيان عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود : ثم ذكر الحديث . وقال الحافظ أبو نعيم في نهاية الحديث : صحيح ثابت متفق عليه من حديث زيد بن وهب غريب من حديث حبيب لم نكتبه إلا من حديث يوسف معاهدة أبي الحسن الدارقطني هكذا في النسخة .

وأخرجه أيضاً في موضع آخر (٢) وهذا إسناده .

حدثنا محمد بن أحمد ، ثنا محمد بن أسلم ثنا قبيصة وحسين بن حفص ومحمد بن كثير قالوا : ثنا سفيان عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود ثم ذكر الحديث فهذه الرواية المخرجة في الحلية بإسنادين عن زيد بن وهب تدل على أن الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى أخرجها في تاريخ بغداد في ترجمة عمرو بن عبيد ولكنها حذفت من قبل النساخ أو المعلقين والعلم عند الله تعالى . والحديث أخرجه الأئمة البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي وابن ماجه في سننهم والإمام أحمد في مسنده وهذا تفصيل التخريج :

أخرجه الإمام البخاري في كتاب بدء الخلق باب رقم (٦) عن شيخه الحسن بن ربيع البجلى أبو على الكوفي البوراني المتوفى سنة ٢٢١ هـ .

وأخرجه في كتاب الأنبياء باب رقم (١) عن شيخه عمر بن حفص بن غياث الكوفي المتوفى سنة ٢٢٢ هـ .

وأخرجه أيضاً في كتاب القدر باب رقم (١) عن شيخه هشام بن عبد الملك الباهلي البصري المتوفى سنة ٢٢٧ هـ .

وأخرجه أيضاً في كتاب التوحيد باب رقم (٢٨) عن شيخه آدم بن أبي اياس عبد الرحمن العسقلاني المتوفى سنة ٢٢١ هـ .

---

(١) حلية الأولياء : (٨ / ٢٤٤) .
(٢) الحلية : (٩ / ٢٤٩) .

وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح وعقد الإمام النووي عليه باباً « باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته » وساق الإمام مسلم إسناده بقوله : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو معاوية ووكيع ، وحدثنا محمد بن عبد الله نمير الهمداني واللفظ له حدثنا أبي وأبو معاوية ووكيع قالوا : حدثنا الأعمش عن زيد ابن وهب عن عبد الله – ثم ذكر الحديث – .

وأخرجه الإمام الترمذي في جامعه في كتاب القدر عن شيخه هناد بن السري – بكسر الراء الخفيفة – ابن مصعب التميمي المتوفى سنة ٢٤٣ هـ .

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (١) عن شيخه أبي معاوية : محمد بن خازم الضرير الكوفي المتوفى سنة ١٩٥ هـ .

وأخرجه أيضاً (٢) عن شيخه حسين بن محمد بن بهرام التميمي المتوفى سنة ١١٣ هـ .

وأخرجه أيضاً (٣) عن شيخيه : يحي بن سعيد القطان البصري ووكيع بن الجراح الرؤاسي الأول توفى سنة ١٩٨ هـ والثاني قبله في سنة ١٩٧ هـ .

وأورده الإمام ابن كثير في البداية والنهاية وقال : « فقال عمرو بن عبيد لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته ، ولو سمعته من زيد بن وهب لما أجبته ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته : ولو سمعته من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت : ما على هذا أخذت الميثاق » ثم علق على هذا الكلام بقوله : وهذا من أقبح الكفر لعنه (الله) إن كان قال هذا وإذا كان مكذوباً عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه » (٤) اهـ .

قلت رواه ابن حبان في كتابه المجروحين بإسناده الصحيح كما مر آنفاً كما أثبت ذلك الخطيب في تاريخه والله تعالى أعلم بالصواب .

فكل من أنكر هذا القرآن الكريم أو بعض آياته في كونه كلام الله تعالى أو حكم عليه بأنه مخلوق حادث محدث ضرورة كما تفوه به الكوثري في مقالاته الكبرى فإن سلفه في ذلك

---

(١) المسند : (١٠ / ٣٨٢) .
(٢) المسند : (١ / ٤١٤) .
(٣) المسند : (١ / ٤٣٠) .
(٤) البداية والنهاية : (١٠ / ٧٩) .

إما أن يكون الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري أو تلميذه جهم بن صفوان أو تلميذ هذا الأخير وزوج أخته عمرو بن عبيد الباب ·

ولا أزال في بحث هذا الإسناد الفلسفي الإلحادي الذي أدخل في الإسلام بدعة جديدة وعقيدة كفرية فاسدة حتى لا يبقى هذه الأمة المجيدة على أصالتها ومحور حياتها ·

نعم قال الإمام العلامة القاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان (١) : « كان جده من باب سبى كابل من جبال السند وكان أبوه يخلف أصحاب الشرط بالبصرة فكان الناس إذا رأوا عمراً مع أبيه قالوا : هذا خير الناس ابن شر الناس فيقول أبوه : صدقتم هذا إبراهيم وأنا آزر ·

قلت كلاهما فيهما شر ·

ثم قال ابن خلكان : قيل لأبيه عبيد : إن ابنك يختلف إلى الحسن البصري ولعله أن يكون فقال : وأي خير يكون من إبني وقد أصبت أمه من غلول وأنا أبوه ؟ وكان عمرو شيخ المعتزلة في وقته » ·

وقد أطال القاضي في ترجمته وفيها من البلايا والمصائب التي انتشرت فيما بعد في المتأخرين ·

وترجم له الإمام الذهبي في العبر (٢) ترجمة مختصرة جداً وقال مات سنة ١٤٣ هـ ووصفه بأنه قدري معتزلي · وهكذا قال الحافظ ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء (٣) وقال : وردت عنه في حروف القرآن · روى الحروف عن الحسن البصري ، وقال : مات (سنة) مائة وأربع وأربعين في ذي الحجة ·

وترجم له الحافظ في التهذيب (٤) ترجمة طويلة لأنه من رجال أبي داود في كتابه القدر وابن ماجه في كتابه التفسير · وقال في التقريب (٥) : المعتزلي المشهور كان داعية إلى بدعة اتهمه جماعة مر إنه كان عابداً من السابعة مات سنة ١٤٣ هـ وقال الذهبي في المغنى في الضعفاء (٦) : شيخ المعتزلة كذبه أيوب ويونس وتركه النسائي ا هـ وقال المعلق الشيخ نور الدين العتر على المغنى بعد ما نقل كلام الحافظ من تقريب التهذيب : (قلت : الاتهام غلو ناشيء عن اختلاف المذهب) ·

---

(١) وفيات الأعيان : (٣ / ٤٦٠ – ٤٦٢) ·
(٢) العبر : (١ / ١٩٣) ·
(٣) غاية اتلنهاية لابن الجزري : (١ / ٦٠٢) ·
(٤) التهذيب : (٨ / ٧٠ – ٧٥) ·
(٥) التقريب : (٢ / ٧٤) ·
(٦) المغنى في الضعفاء : (٢ / ٤٨٦) ·

قلت دفاع الشيخ نور الدين العتر عن عمرو بن عبيد لا يفيده بل يضر الشيخ العتر نفسه ·

وقال ابن العماد في شذرات الذهب (١) : قال الحسن : رأيته في النوم يسجد للشمس وقال ابن الأهدل : لما اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن وطرده تحول إليه عمرو فسموا معتزلة ، توفى بمران (بتشديد الراء) على طريق مكة وهو راجع منها · ثم قال : وقال في المغنى : عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة سمع الحسن ، كذبه أيوب ويونس وتركه ابن أبي شيبة » اهـ ·

ثم قال صاحب الشذرات : وكانت له جرأة فإنه قال عن ابن عمر هو حشوى « فانظر هذه الجرأة والإفتراء عامله الله بعدله » اهـ·

قال الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموعة فتاويه (٢) : « وأما قول القائل : حشوية فهذا اللفظ ليس له مسمى معروف لا في الشرع ولا في اللغة ولا في العرف العام ولكن يذكر أن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد وقال : كان عبد الله بن عمر حشوياً » ·

وأصل ذلك أن كل طائفة قالت قولا تخالف به الجمهور والعامة ينسب إلى أنه قول الحشوية ، أي الذين هم حشو في الناس ليسوا من المتأهلين عندهم ·

فالمعتزلة تسمي من أثبت القدر حشوياً ، والجهمية يسمون مثبتة الصفات حشوية ، والقرامطة - كأتباع الحاكم - يسمون من أوجب الصلاة والزكاة والصيام والحج حشوياً » اهـ ·

وقال القاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي في كتابه « المحدث الفاصل بين الراوي والواعي المتوفى سنة ٣٦٠ هـ وهو أول كتاب في فن أصول الحديث ، يقول هذا الفذ مندداً بما قيل في عصره من أهل الجهل والضلال في حق المحدثين « فتمسكوا - جبركم الله - بحديث نبيكم صلى الله عليه وسلم وبينوا معانيه ، وتفقهوا به وتأدبوا بآدابه ، ودعوا ما به تعيرون من تتبع الطرف وتكثير الأسانيد وتطلب شواذ الأحاديث ، وما دله المجانين ، وتبلبل فيه المغفلمون ، واجتهدوا في أن توفوه حقه من التهذيب والضبط والتقويم لتتشرفوا به في المشاهد وتنطلق ألسنتكم في المجالس · ولا تحفلوا بمن يعترض عليكم حسداً على ما أتاكم الله

---

(١) شذرات الذهب : (١ / ٢١٠ - ٢١١) ·

(٢) مجمع الفتاوى : (١٢ / ١٧٦) ·

من فضله . فإن الحديث ذكر لا يحبه إلا الذكران ونسب لا يجهل بكل مكان . وكفى المحدث شرفاً أن يكون اسمه مقروناً باسم النبي صلى الله عليه وسلم وذكره متصلاً بذكره وذكر أهل بيته ، وأصحابه . ولذلك قيل لبعض الأشراف : نراك تشتهي أن تحدث فقال : أولاً أحب أن يجتمع اسمي واسم النبي صلى الله عليه وسلم في سطر واحد . وحسبك جمالاً عصبة منهم : على بن الحسين بن على عليهم السلام ، ومن يليه من ذريته وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبناء المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأهل الزهادة والعبادة . والفقهاء أكثر الخلفاء . ومن لا يدركه الإحصاء من العلماء والنبلاء والفضلاء والأشراف وذوي الأخطار . فكيف بمن يسميهم الحشوية والرعاع ويزعم أنهم أغثار وحملة أسفار والله المستعان .

وقال المعلق أخونا وصاحبنا العلامة الدكتور محمد عجاج الخطيب رعاه الله تعالى وحفظه عن كل سوء وجزاه الله تعالى عن هذه الخدمة الجليلة التي قدمها للسنة النبوية خير الجزاء وبارك فيه . قال معلقا على كلمة الحشوية في التعليق ما نصه : فما رأيك بمن يسمي أهل الحديث – وحالهم كما عرفت وأئمتهم كما وصفت – الحشوية لأن بعض أتباع الفرق كان ينعت أصحاب الحديث بأنهم يحملون التناقض من الأخبار وبأنهم حشوية وحملة أسفار . وقد ناصب هؤلاء العداء لأهل الحديث ، لأن كثيراً من المحدثين تصدوا لآراء هذه الفرق وأبطلوها على ضوء السنة الطاهرة . فما كان من أعدائهم إلا توجيه التهم المغرضة إلى أهل الحديث دفاعاً عن ميولهم وأهوائهم وآرائهم المنحرفة ا هـ .

قلت : جزاك الله خيراً يا أخانا العجاج على هذه الكلمة الحقة الأمينة المخلصة التي ستكون لك إن شاء الله تعالى في الباقيات الصالحات من أعمالك .

وقال الشيخ محمد بن إسحاق بن النديم المتوفى سنة ٣٤٦ هـ في الفهرست وهو شيعي معتزلي كما قال عنه العلامة ياقوت في معجم الأدباء . قال هذا المعتزلي في كتابه الفهرست في ترجمة ابن كلاب : « من بابية الحشوية وهو عبد الله بن محمد بن كلاب القطان » ا هـ . وسوف تأتي ترجمته فيما بعد إن شاء الله .

والشاهد في هذه العبارة في قوله « من بابية الحشوية » والبابية نسبة إلى عمرو بن عبيد بن باب الذي سبقت ترجمته . فإذا تسمية بعض المعطلة من نفاة الصفات أهل السنة بالحشوية من باب تعكيس القضية وقلب الحقائق وتحريف الأخبار وهذا من أعمالهم الشنيعة .

وقد أثبت ابن النديم في ترجمة أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار بأنه من بابية الحشوية من متكلمي المجبرة القدرية . .

وسوف يأتي الكلام عليه بالتفصيل لتجلية هذه الحقيقة ولتوضيح هذا البيان الذي أنا بصدده وهو : كيف وقعت الأمة المجيدة بعد تكميل الشريعة الغراء في هذا الوادي الكفري الإلحادي على يد هؤلاء المارقين الفسقة من الجعديين الجهميين الواصليين والعبيديين من أهل الاعتزال ونفاة الصفات بعد أن أتم الله تعالى هذه النعمة الكبرى على رسوله صلى الله عليه وسلم ورضى بها عليهم جميعاً .

لله عليَّ أن لا أشرب خمراً ..

● قيل : إنه كان للإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله ، جَار إسكافي بالكوفة ، يسكر كل ليلة وينشد :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ، ويردد البيت ، إلى أن يغلبه السكر وينام ..

وكان الإمام يصلي الليل ، ويسمع حديثه وإنشاده ، ففقد صوته بعض الليالي ، فسأل عنه فقيل : أخذه العسس منذ يومين ، وهو في السجن .

فصلى الإمام الفجر ، وركب دابته ، ومشى واستأذن على الأمير ، فأذن له ، فلما دخل عليه ، أجلسه مكانه ، وقال : ما حاجة الإمام ؟

فقال : لي جار إسكافي ، أخذه العسس ، فتأمر بتخليته .

قال الأمير : نعم ، وكل من أخذ تلك الليلة ، ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين ، فركب الإمام ، وتبعه جاره الإسكافي ، فلما وصل إلى داره ، قال له الإمام : أترانا أضعناك ؟

قال : لا ، بل حفظت ورعيت ، جزاك الله خيراً ، ولِلّهِ عليَّ أن لا أشرب خمراً بعد اليوم ..

فتاب من يومه ، ولم يعد إلى ما كان عليه ...

بَابُ الفتاوى

هل كتابة التعاويذ من الآيات القرآنية وغيرها وتعليقها في الرقبة، شرك أو لا ؟

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم ولي الله صاحب زاده وفقه الله لما فيه رضاه آمين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فقد وصلني كتابكم الكريم وصلكم الله بهداه وما تضمنه من التي كان معلوماً ، وهذا نصها وجوابها ونسأل الله لنا ولكم التوفيق للفقه في دينه والثبات عليه ، كما نسأله سبحانه أن يوفقنا جميعاً لإصابة الحق في القول والعمل إنه خير مسئول .

(السؤال الأول) هل كتابة التعاويذ من الآيات القرآنية وغيرها وتعليقها في الرقبة شرك أو لا ؟

(والجواب) قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن الرقى والتمائم والتوله شرك) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه وأخرجه أحمد أيضاً وأبو يعلى والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)** وأخرجه أحمد من وجه آخر عن عقبة بن عامر بلفظ (من تعلق تميمة فقد أشرك) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة . **والتميمة في هذا هى ما يعلق على الأولاد أو غيرهم من الناس لدفع العين أو الجن أو المرض ونحو ذلك** (ويسميها بعضهم الجامعة) . وهى نوعان : أحدهما ما يكون من أسماء الشياطين أو العظام أو الخرز أو المسامير أو الطلاسم وهى الحروف المقطعة أو أشباه ذلك . وهذا النوع محرم بلا شك لكثرة الأدلة الدالة على تحريمه ، وهو من أنواع الشرك الأصغر لهذه الأحاديث وما جاء في معناها وقد يكون شركاً أكبر إذا اعتقد معلق التميمة أنها تحفظه أو تكشف عنه المرض أو تدفع عنه الضرر من دون إذن الله

ومشيئته . والنوع الثاني ما يعلق من الآيات القرآنية والأدعية النبوية وأشباه ذلك من الدعوات الطيبة فهذا النوع اختلف فيه العلماء فبعضهم أجازه وقال إنه من جنس الرقية الجائزة وبعض أهل العلم منع ذلك وقال إنه محرم واحتج على ذلك بحجتين ، إحداهما عموم الأحاديث في النهي عن التمائم والزجر عنها والحكم عليها بأنها شرك فلا يجوز أن يخص شيء من التمائم إلا بدليل شرعي يدل على ذلك وليس هناك ما يدل على التخصيص ، أما الرقى فقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن ما كان منها بالآيات القرآنية والأدعية الجائزة فإنه لا بأس به إذا كان ذلك بلسان معروف المعنى ، ولم يعتمد المرقي عليها بل اعتقد أنها سبب من الأسباب ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً ، وقد رقى النبي صلى الله عليه وسلم ورقى بعض أصحابه وقال ، (لا رقية إلا من عين أو حمة) والأحاديث في ذلك كثيرة . أما التمائم فلم يرد في شيء من الأحاديث استثناء شيء منها فوجب تحريم الجميع عملاً بالأدلة العامة . الحجة الثانية سد ذرائع الشرك وهذا أصل عظيم في الشريعة ومعلوم أنا إذا جوزنا التمائم من الآيات القرآنية والدعوات المباحة انفتح باب الشرك واشتبهت التميمة الجائزة بالممنوعة ، وتعذر التمييز بينهما إلا بمشقة عظيمة ، فوجب سد الباب وقفل هذا الطريق المفضي إلى الشرك ، وهذا القول هو الصواب لظهور دليله والله الموفق .

(السؤال الثاني) : يقول كثير من علمائنا انه من الممكن أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأن رؤيته في المنام حقيقة لأن الشياطين لا يستطيعون أن يتمثلوا بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهل مثل هذه العقيدة شرك أو لا ؟

(الجواب) هذا القول حق . وهو من عقيدة المسلمين ، وليس فيه شرك لأنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي) متفق على صحته ، فهذا الحديث الصحيح يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قد يُرَى في النوم ، وأن من رآه في النوم على صورته المعروفة فقد رآه ، فإن الشيطان لا يتمثل في صورته ، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون الرائي من الصالحين ولا يجوز أن يعتمد عليها في شيء يخالف ما علم من الشرع بل يجب عرض ما سمعه الرائي من النبي صلى الله عليه وسلم من أوامر أو نواهي أو خبر أو غير ذلك من الأمور التي يسمعها أو يراها الرائي للرسول عليه الصلاة والسلام على الكتاب والسنة الصحيحة فما وافقهما أو أحدهما قبل ، وما خالفهما أو أحدهما تُرِكَ ، لأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ،

فلا يجوز أن يُقبل من أحد من الناس ما يخالف ما عُلِم من شرع الله ودينه (سواء كان تلك من طريق الرؤيا أو غيرها) وهذا محل إجماع بين أهل العلم المعتد بهم . أما من رآه عليه الصلاة والسلام على غير صورته فإن رؤياه تكون كاذبة (كأن يراه أمرد لا لحية له . أو يراه أسود اللون . أو ما أشبه ذلك من الصفات المخالفة لصفته عليه الصلاة والسلام) لأنه قال عليه الصلاة والسلام) **فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي . فدل ذلك على أن الشيطان قد يتمثل في غير صورته عليه الصلاة والسلام . ويدعي أنه الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل إضلال الناس والتلبيس عليهم . ثم ليس كل من ادعى رؤيته صلى الله عليه وسلم يكون صادقاً . وإنما تقبل دعوى ذلك من الثقات المعروفين بالصدق والاستقامة على شريعة الله سبحانه وقد رآه في حياته صلى الله عليه وسلم أقوام كثيرون فلم يُسْلمُوا ولم ينتفعوا برؤيته كأبي جهل وأبي لهب وعبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين وغيرهم . فرؤيته في النوم عليه الصلاة والسلام من باب أولى .**

السؤال الثالث : هل الرسول صلى الله عليه وسلم حى في قبره أم لا ؟ وهل يعلم في قبره بأمور الدنيا ؟ وهل هذه العقيدة شرك أم لا ؟

(**الجواب**) قد صرح الكثيرون من أهل السنة بأن النبي صلى الله عليه وسلم حى في قبره حياة برزخية لا يعلم كنهها وكيفيتها إلا الله سبحانه وليست من جنس حياة أهل الدنيا بل هى نوع آخر يحصل بها له صلى الله عليه وسلم الإحساس بالنعيم ويسمع بها سلام المُسَلِّم عليه عندما يرد الله عليه روحه ذلك الوقت . كما في الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام) وأخرج البزار بإسناد حسن عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام**) وأخرج أبو داود بإسناد جيد عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **لا تجعلوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علّى فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وهذه الحياة البرزخية أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله عنها سبحانه بقوله (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون**) . وفي قوله عز وجل : « **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون** » . وروحه عليه الصلاة والسلام في أعلى عليين عند ربه عز وجل وهو أفضل من الشهداء فيكون له من الحياة البرزخية أكمل من الذي لهم ولكن لا يلزم من هذه الحياة أنه يعلم الغيب . ويعلم أمور الدنيا بل ذلك انقطع

بالموت بقوله صلى الله عليه وسلم (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**) أخرجه مسلم في صحيحه . وقوله عليه الصلاة والسلام (**يذاد رجال يوم القيامة عن حوضي فأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح « وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد »** متفق على صحته . والأحاديث في هذا الباب كثيرة . **وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب في حياته ، فكيف يعلمه بعد مماته ؟** وقد قال الله سبحانه (**قل لا يعلم مَنْ في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون**) وقال عز وجل آمراً نبيه أن يبلغ الناس (**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون**) وقال تعالى : (**قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون**) والآيات الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب كثيرة . وهكذا غيره من الناس من باب أولى ، ومن ادعى أنه يعلم الغيب فقد أعظم على الله الفرية كما قالت ذلك عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . ولما قذف بعض الناس زوجته عائشة رضى الله عنها في بعض غزواته وأشاع ذلك بعض المنافقين ومن قلدهم . لم يعلم النبي صلى الله عليه وسلم براءتها حتى نزل القرآن بذلك . ولو كان يعلم الغيب لقال لها وللناس أنها بريئة ، ولم ينتظر نزول الوحي في ذلك . وهكذا لما ضاع عقدها في بعض أسفاره بعث أصحابه يلتمسونه فلم يجدوه ، ولم يعلم النبي صلى الله عليه وسلم مكانه حتى أقاموا البعير الذي كانت تحمل عليه فلما أقاموه وجدوه تحته . والأحاديث في ذلك كثيرة وفيما ذكرنا إن شاء الله كفاية .

السؤال الرابع : هل يكون من الشرك إذا قال أحد في أي بقاع الأرض يا محمد يا رسول الله يناديه ؟ .

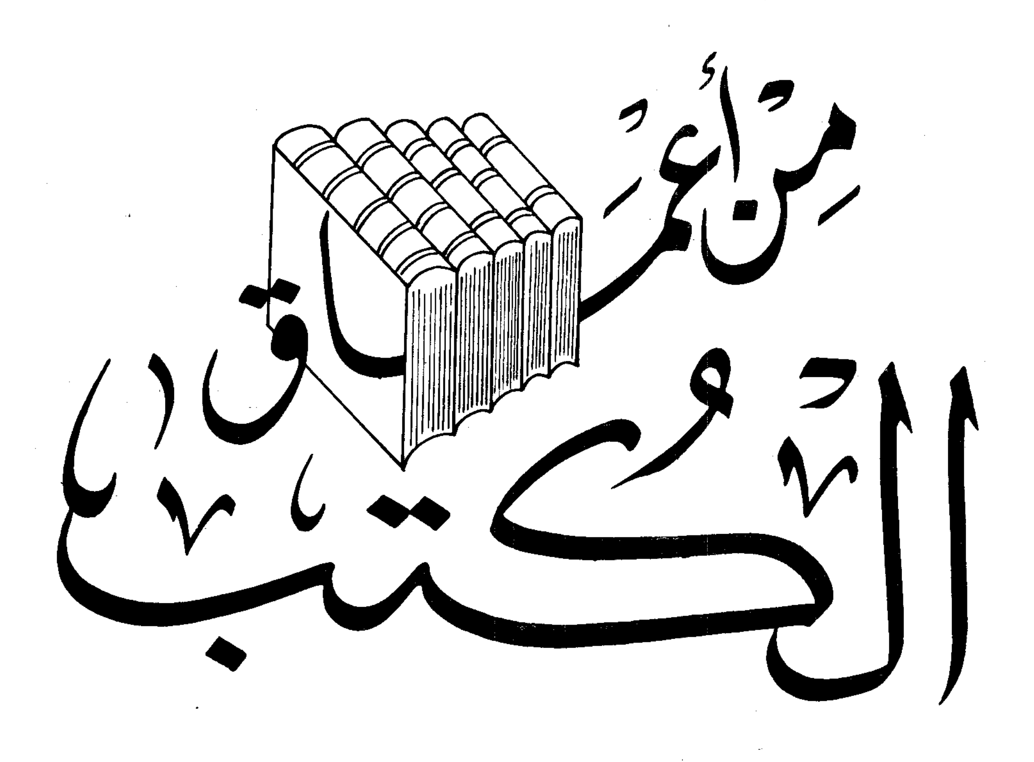
الجواب : قد بين الله سبحانه في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم أن العبادة حق الله ليس فيها حق لغيره وأن الدعاء من العبادة **فمن قال من الناس في أي بقعة من بقاع الأرض يا رسول الله أو يا نبى الله أو يا محمد أغثني أو أدركني أو انصرني أو اشفني أو أنصر أمتك أو اشف مرضى المسلمين أو اهد ضالهم أو ما أشبه ذلك فقد جعله شريكاً لله في العبادة . وهكذا من صنع مثل ذلك مع غيره من الأنبياء أو الملائكة أو الأولياء أو الجن أو**

الأصنام أو غيرهم من المخلوقات لقول الله عز وجل وما : « خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » وقوله تعالى : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وقوله في سورة الفاتحة « إياك نعبد وإياك نستعين » وقوله سبحانه « فادعوا الله مخلصين له الدين » وقوله عز وجل « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » ، فسمى الدعاء عبادة ، وأخبر أن من استكبر عنها سيدخل جهنم داخراً (أي صاغراً) وقال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) وقال سبحانه « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » وقال عز وجل : « ذلكم الله ربكم له الملك والذي تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير » وقال سبحانه : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين » . وهذه الآيات وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث كلها تدل على أن العبادة حق الله وحده وأن الواجب تخصيصه بها لكونه خَلَقَ العباد لذلك وأمرهم به كما تدل على أن جميع المعبودين من دون الله لا يسمعون دعاء من يدعوهم ولو فُرِضَ سماعهم لم يستجيبوا له ، كما دلت أيضاً على أن المعبودين من دون الله يتبرأون من عابديهم يوم القيامة وينكرون عليهم ذلك ويخبرونهم أنهم كانوا غافلين عن عبادتهم إياهم . وبين السياق في هذه الآيات أن دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء وغيرهم شرك به عز وجل وليس بعد هذا البيان بيان لطالب الحق وقد بعث الله الرسل عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يدعون الناس إلى عبادة الله وحده ويحذرونهم من عبادة ما سواه كما قال سبحانه « ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، وقال عز وجل « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » وقال عز وجل في سورة الرعد آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبلغهم ما أمره به « قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أدعو وإليه مآب » وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا

به شيئاً) متفق عليه من حديث معاذ رضى الله عنه · وفي الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من **مات وهو يدعو لله نداً دخل النار** وقال عليه الصلاة والسلام **(الدعاء هو العبادة)** وفى لفظ آخر **(الدعاء مخ العبادة)** وفي صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)** وفي صحيح مسلم أيضاً عن طريق ابن بشير الأشجعي رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل)** والأحاديث في هذا الباب كثيرة ولا شك أن المستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأولياء والأنبياء والملائكة أو الجن إنما فعلوا ذلك معتقدين أنهم يسمعون ذلك معتقدين أنهم يسمعون دعاءهم ويقضون حاجاتهم وانهم يعلمون أحوالهم وهذه أنواع من الشرك الأكبر لأن الغيب لا يعلمه إلا الله عز وجل ولأن الأموات قد انقطعت أعمالهم وتصرفاتهم في عالم الدنيا سواء كانوا أنبياء أو غيرهم ولأن الملائكة والجن غائبون عنا مشتغلون بشئونهم ·

وليس لنا أن نصرف لهم شيئاً من حق الله أو ندعوهم مع الله عز وجل لأن الله سبحانه أمرنا أن نعبده وحده دون ما سواه . وأخبر أنه خلق الثقلين لذلك كما تقدم ذكر الآيات في هذا المعنى . ولأن جميع المعبودين من دون الله لايستطيعون قضاء حاجات عابديهم ولا شفاء مرضاهم ولا يعلمون ما في نفوسهم وإنما الذي يقدر على ذلك ويعلم ما في الصدور هو الله وحده وسبق أن ذكرت الآيات الدالة على هذا المعنى مثل قوله سبحانه : « **ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير** » فسمى سبحانه في هذه الآيات دعاء غيره شركاً . وفي آية أخرى سماه كفراً . كما في قوله عز وجل : « **ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون** » وبين عز وجل في آية أخرى أن المعبودين دون الله من الأنبياء وغيرهم لا يملكون كشف الضر عن داعيهم . ولا تحويله من حال إلى حال ، ولا من مكان إلى مكان . أو من شخص إلى شخص آخر . كما قال عز وجل في سورة الإسراء « **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً** » والآيات في هذه المعنى كثيرة ·


من أعماق الكتب



الإيمان

من الدرر التي قرأتها كلمات عن الإيمان للإمام ابن قيم الجوزية في كتابه « الفوائد » .

والإمام ابن القيم من الأئمة الأعلام ، بلغ مبلغاً رائداً في النقد والتحليل ، والعمق في التفكير ، والبعد في النظر ، والذوق والشفافية بما لم يبلغه الكثير .

وإن من يطلع على كتابات هذا الإمام الجليل ، ليرى حقيقة ذلك ماثلاً في تجسيمه للمعاني ، وتصويره الصادق لما يعتمل في دخيلة نفسه ، حتى لتكاد تلمس تعبيره تنساب معانيه في قلبك كالنهر العذب الذي يروي ماؤه القلوب الظمآى .

وإليك بعض ما سطر قلمه عن الإيمان - فيقول :

ما الإيمان ؟ إن أكثر الناس أو كلهم يدعونه . (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) . وأكثر المؤمنين إنما عندهم إيمان مجمل ، وأما الإيمان المفصل بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة وعلماً ، وإقراراً ومحبةً ومعرفة بضده وكراهيته وبغضه ، فهذا إيمان خواص الأمة وخاصة الرسول ؛ وهو إيمان الصديق وحزبه . وكثير من الناس حظهم من الإيمان الإقرار بوجود الصانع وأنه وحده هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما ؛ وهذا لم يكن ينكره عباد الأصنام من قريش ونحوهم . وآخرون الإيمان عندهم هو التكلم بالشهادتين ، سواء كان معه عمل أو لم يكن ، وسواء رافق تصديق القلب أو خالفه . وآخرون عندهم الإيمان مجرد تصديق القلب بأن الله سبحانه خالق السموات والأرض ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإن لم يقر بلسانه ولم يعمل شيئاً ، بل ولو سب الله ورسوله وأتى بكل عظيمة وهو يعتقد وحدانية الله ونبوة رسوله ؛ فهو مؤمن . وآخرون عندهم الإيمان هو جحد صفات الرب تعالى من علوه على عرشه ، وتكلمه بكلماته وكتبه ، وسمعه وبصره ومشيئته ، وقدرته وإرادته ، وحبه وبغضه ، وغير ذلك ، مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله : فالإيمان عندهم إنكار حقائق ذلك كله وجحده ، والوقوف مع ما تقتضيه آراء المنهوكين وأفكار

المخرصين ، الذين يرد بعضهم على بعض وينقض بعضهم قول بعض ؛ الذين هم كما قال عمر ابن الخطاب . والإمام أحمد : (**مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، متفقون على مفارقة الكتاب**) وآخرون عندهم الإيمان عبادة الله بحكم أذواقهم ومواجيدهم وماتهواه نفوسهم من غير تقييد بما جاء به الرسول . وآخرون الإيمان عندهم ما وجدوا عليه آباءهم وأسلافهم . بحكم الإتفاق كائناً ما كان . بل إيمانهم مبني على مقدمتين : إحداهما أن هذا قول أسلافنا وآبائنا . والثانية أن ما قالوه فهو الحق . وآخرون عندهم الإيمان ؛ مكارم الأخلاق ، وحسن المعاملة . وطلاقة الوجه . وإحسان الظن بكل أحد . وتخلية الناس وغفلاتهم . وآخرون عندهم الإيمان التجرد من الدنيا وعلائقها . وتفريغ القلب منها والزهد فيها ؛ فإذا رأوا رجلاً هكذا جعلوه من سادات أهل الإيمان . وإن كان منسلخاً من الإيمان علماً وعملاً .

وأعلى من هؤلاء من جعل الإيمان هو مجرد العلم وإن لم يقارنه عمل ، وكل هؤلاء لم يعرفوا حقيقة الإيمان ، ولا قاموا به ، ولا قام بهم وهم أنواع : منهم من جعل الإيمان ما لا يعتبر في الإيمان ، ومنهم من جعله ما هو شرط فيه ولا يكفي في حصوله ، ومنهم من اشترط في ثبوته ما يناقضه ويضاده ، ومنهم من اشترط فيه ما ليس منه بوجه .

والإيمان وراء ذلك كله ، وهو حقيقة مركبة من : معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علماً ، والتصديق به عقداً ، والاقرار به نطقاً ، والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به باطناً وظاهراً ، وتنفيذه ، والدعوة إليه بحسب الإمكان ، وكماله في الحب في الله ، والبغض في الله ، والمنع لله ، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده ، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً ، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله ، وبالله التوفيق .

سعد ندا

ديانة النصرانية

للشيخ محمد رجب حميدو
المدرس في الثانوية الفيصلية بتنومة

عبارات قويـة وردت في كتاب « أضواء على حقائق » لفضيلة الشيخ محمد المجذوب تكشف عن حقيقة ديانة النصرانية التى لم تكن ملة المسيح عليه السلام بل ملة بولس ، واعتنقها أقوام كثيرون ـ هذه العبارات نصها كما يلى :

« إن هذه الديانة التى يطلق عليها اسم (النصرانية) ليست هى ملة المسيح ····· إلى ····· واليونان والمصريـون والفينيقيون والهنود وغيرهم ·

وقد أظهر الكاتب ما كان خافيا من حقائق تلك الديانة على كثير من الناس ، فجزاه الله خيرا ·

وتلك لمحة مما حوى ذلك الكتاب القيم الجدير بأن يطلع عليه كل طالب علم ، فيفيد منه كثيرا . ويضم إلى معلوماته كثيرا مما يجهله ·

« ان هذه الديانة التي يطلق عليها اسم (النصرانية) ليست هى ملة المسيح عليه السلام ، بل هى ملة بولس ، فأولى بها أن تنسب إلى بولس من أن تنسب إلى المسيح · لأن (عقيدة الفداء) (وعقيدة التثليث) كلتيهما دخيلتان على دين الإسلام الذي دعا إليه المسيح ، وإن بولسٌ هذا هو الذى أوحى بهما وأدخلهما على المسيحية تقليداً لعباد الوثنية : ومن العجيب حقاً أن عقيدة التثليث قد دان بها أكثر من قوم ، على حقب متباينة وفي أقطار متنائية :

فالهنود يؤمنون بالأقانيم الثلاثة : (برهما ـ فشنو ـ سيفا) ·
وبوذية الصين تدعو إلى ثلاثة أقانيم : (منبثقة عن (فاو) ·
وقدماء المصريين لهم ثالوث آخر يتألف من : (إيزيس ـ هورس ـ سيزابيس) ·
وفلسفة أفلوطين تقوم على ثالوث مختلف وتزعم :

١ ـ انه تعالى واجب الوجود بمعنى أن العقل لا يتصور الوجود خاليا من الله سبحانه · ويرمزون إليه (بمنشىء الكل) ·
٢ ـ إن أول شىء صدر من أعماله تعالى هو (العقل المنتج) ·
٣ ـ وعن العقل المنتج صدر (الروح الأعلى) ·

فإذا علمنا أن بولس كان تلميذا لهذه الفلسفة : سهل علينا أن نفهم من أين جاء بعقيدة الثالوث التي تقول بـ (الأب) و (الابن) و (الروح القدس) .

وإذا ولينا أبصارنا إلى عقيدة (الفداء وجدنا أنها هي الأصل الثانى لنصرانية بولس الوثنية . وأنها ليست إلا صدى لما جرى عليه عباد الأوثان منذ أقدم الأزمان . إذ أن جميع الوثنيين يقولون : بتقديم الذبيحة البشرية استرضاء لآلهتهم . يشترك في ذلك الرومان واليونان والمصريون والفينيقيون والهنود وغيرهم .

الكتب في تقريـــــر اليـــونسكـــو

صـــدر تقرير عن منظمة اليونسكو يشير الى التفــاوت بين الــدول المتقــدمة والناميــة في مجــال النشر والتأليف وقــد أشــار التقريــر الى أن كــل مليــون شخص خصص لهم ٦٠٠ كتــاب في أوربــا بينما يمثــل ٦٦ كتــابــا في آسيــا و٢٦ كتــابا في أفريقيــا بمعنى أن أوربــا تصدر أكثر من نصف الكتب التى تنشر في العــالم .

أحداث
العالم الإسلامي



وقائع اللقاء التاريخي ...

لصاحب الجلالة الملك فهد

مع أساتذة وطلبة الجامعة الإسلامية

جاء لقاء صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى مع أساتذة وطلاب الجامعة الإسلامية في اليوم الثالث من أيام زيارة جلالته للمدينة المنوّرة . وكان هذا اليوم مثل سابقيه حافلاً بالإنجازات واللقاءات التي ستظل أجيال أهل المدينة المنورة الحاضرة والقادمة تذكرها لأحقاب طويلة على امتداد الحاضر والمستقبل لما يتوقعه أهل المدينة من ثمار الخير والتقدم الذي ينتظرها وتنتظره من إنجاز المشروعات التي بدئ بها أو تم إنشاؤها في مختلف المرافق والمصالح ٠

وصل موكب جلالته إلى الجامعة الإسلامية في الساعة الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة قبل ظهر يوم الثلاثاء الموافق السادس من محرم ١٤٠٣ هـ وكان يرافق جلالته خلال هذه الزيارة المباركة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى . وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران . وصاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الأشغال العامة والإسكان ووزير الشئون البلدية والقروية بالنيابة . وعدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء والمعالي الوزراء ٠

وعند وصول موكب جلالته إلى مقر الجامعة كان في استقباله سعادة الشيخ سعد ناصر السديري وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة . وصاحب الفضيلة الدكتور عبد الله الصالح العبيد

نائب رئيس الجامعة الإسلامية ، وأمين عام الجامعة فضيلة الشيخ عمر محمد فلاته ، وعمداء الكليات وأعضاء هيئة التدريس وعدد من كبار المسئولين .

وبعد وصول جلالته إلى مقر الجامعة توجه إلى قاعة المحاضرات الكبرى لحضور الحفل الذي أقامته الجامعة بمناسبة زيارة جلالته وقد بدأ الحفل بتلاوة آيات مباركات من سورة الشورى رتلها أحد المعيدين في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية ، ألقى بعدها الدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب رئيس الجامعة كلمة أعرب فيها عن ترحيب منسوبي الجامعة بصاحب الجلالة فهد المفدى وسمو ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ، وصاحب السمو الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران وأصحاب السمو الأمراء والمعالى الوزراء وأصحاب الفضيلة العلماء والحضور الكرام . وقال فضيلته : إن تعدد زيارات جلالته للجامعة الإسلامية يدل على اهتمام جلالته الكبير بهذا الصرح الكبير . وأشار إلى ضرورة توجيه وترشيد الصحوة الإسلامية ، وسلامة المنهج ليمكن مواجهةُ واقع اليوم ، وقال :

إن الجامعة الإسلامية تعمل في هذا السبيل بصدق القول والفعل وأعرب فضيلته عن شكره لجلالة الملك فهد المفدى على تشكيل الهيئة الملكية لتطوير المدينة المنورة مما يعني الخير كله لهذا البلد الطيب .

وبعد ذلك ألقى الطالب في الدراسات العليا أبو بكر ديكوري من فولتا العليا كلمة نيابة عن طلاب الجامعة رحب فيها بجلالته وأصحاب السمو الأمراء والمعالي الوزراء ، ونوَّه بجهود جلالته في خدمة الأمة الإسلامية . وأشار إلى أن خريجي الجامعة يقومون بخدمة الإسلام في جميع بقاع المعمورة ، وأضاف :

إن الجامعة الإسلامية تعد من أكثر الجامعات شهرة في العالم وأن قيامها برهان صادق على أن المسلمين أمة واحدة وحَّدها الإيمان بالله الواحد وأنه يجب تضامنهم وبخاصةٍ في هذه الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية .

ثم تفضل جلالته بالإجابة على الأسئلة التي توجه بها بعض الحضور لهذا الحفل الكريم . فكان من الأسئلة وإجابات جلالته ذلك الحوار الرائع الذي فتح فيه الراعي قلبه لرعيته وألقى فيه الأضواء الكاشفة على القضايا المطروحة في هذا الحوار . وأبانت الكثير من الحقائق حول عدد كبير من الأمور التي تهم عامة المسلمين .

وقد أكد جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى من خلال هذا الحوار أن حكومة جلالته ستبذل كل جهدها لجعل مدينة الرسول تأخذ الوضع اللائق بها . وقال جلالته : إنه يشرفه أن يكون مشرفاً على الهيئة الملكية التي قرر إنشاءها مجلس الوزراء في جلسته التي عقدها في أول أيام هذه الزيارة للإشراف على تطوير المدينة المنورة . ثم تفضل جلالته فوجه كلمة توجيهية لطلاب الجامعة دعاهم فيها أن يواصلوا الجهود الخيرة . وأن يتبصروا في العقيدة الإسلامية . وأن يكونوا رسلاً لبلادهم الإسلامية التى أتوا منها حتى يشرفوا المملكة التي رحبت بهم في الجامعة ·

وبعد انتهاء هذا الحوار تفضل جلالته بتوجيه كلمة تناول فيها جلالته أن الانفاق على المشروعات التي تم إنشاؤها خلال السنوات الخمس الماضية سوف يحظى بمراجعة دقيقة من قبل جلالته تمهيداً لإعلان الكثير من المعلومات والأرقام التي تؤكد صحة مسار خطط التنمية والتطوير في المملكة ·

وقد قوبلت كلمات جلالته بحرارة وحماس بالغين ثم قدم فضيلة الدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب رئيس الجامعة هدية تذكارية عبارة عن المصحف الكريم · ثم تقدم عمداء الكليات بالتسليم على جلالته · وبعد ذلك غادر موكب جلالته الجامعة بمثل ما استقبل به من حفاوة وابتهاج وترحيب وتكريم ·

وقد أحدثت هذه الزيارة الملكية الكريمة للجامعة وما جرى فيها من حوار · وما طرح فيه من قضايا أصداء إعلامية واسعة من مختلف أجهزة الإعلام من الصحف والإذاعة والتلفاز حيث تناولتها بالتحليلات والتعليقات الهامة ·

كلمة نائب رئيس الجامعة :

الدكتور عبد الله الصالح العبيد

بمناسبة الزيارة الملكية

بسم الله ، والحمد لله . والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ·

صاحب الجلالة · سمو ولى العهد · سمو النائب الثاني . أصحاب السمو أصحاب الفضيلة والمعالى . أيها الحفل الكريم . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

مرحباً بكم يا صاحب الجلالة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرض الطهر والإيمان ، وأهلاً بكم في رحاب الجامعة الإسلامية رمز الوفاء والإحسان ، يا صاحب الجلالة لقد تعددت زيارات جلالتكم وسلفكم الراحل جلالة الملك سعود ، والملك فيصل ، والملك خالد رحمهم الله ، وأسكنهم فسيح جِنانه .

لقد تعددت هذه الزيارات لهذه المدينة في عدة مناسبات ، وكان الشيء الذي يتكرر في كل مناسبة هو زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليه ، ثم زيارة الجامعة الإسلامية التي أنشئت لنشر دعوته ، ولتقوم بجزء من دور ذلك المسجد الذي يمثل الجامعة الأولى في الإسلام ؛ ولأن واقع اليوم يختلف عن واقع الأمس ؛ ولمواجهة حاجة وواقع المسلمين على تباين الخلفيات ، وتفاوت النظريات ، ومواجهة التحديات كان لا بُدَّ من توجيه وترشيد للصحوة الإسلامية على أسس من صحة العقيدة ، وسلامة المنهج ، وسوف يساعد على ذلك – إن شاء الله – الانطلاق بها من هذا المكان الذي كان وعاءها ومصدر انتشارها ؛ لتواجه واقع اليوم بما واجهت به جهالة الأمس – وفي هذا السبيل سوف تعمل الجامعة على الاهتمام بالنوعية اهتمامها بالكمية انطلاقاً من مبدأ تحقيق القوة المتكاملة في العقيدة والعلم والسلوك ، استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى حيث يقول : « **وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** » ، **ولقول رسوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القويُّ خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف »** ، ولقول جلالتكم – وفقكم الله – « إن من أهدافنا أن نركز على مستوى التعليم – فنعني بالكيف عنايتنا بالكمِّ .

يا صاحب الجلالة :

إن لهذه المدينة حقاً ، وإن للدعوة حقوقاً ، وبين قداسة المكان وشرف الدعوة تقع ضخامة المسئولية وعظمة الواجب ومتطلباتُ حسن الجوار ، وبين هذه وتلك لكم منا الصدق في القول ، والإخلاص في العمل ، والدعاءُ بأن يكلِّل الله جهودكم بالعون والتوفيق لنصرة الإسلام ، وجمع شمل المسلمين ، وشكراً لجلالتكم على تشكيل الهيئة الملكية لتطوير المدينة المنورة . ولا شكَّ أن هذه اللفتة الكريمة على هذا المستوى لتَحملُ معانى الخير ، ودلالةَ الحاجة .

يا صاحب الجلالة :

باسم كافة منسوبي هذه الجامعة أحييكم وأرحب بكم ، وأشكر دعمكم وعونكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة طلاب الجامعة الإسلامية بهذه المناسبة

ألقى الطالب بالدراسات العليا أبو بكر ديكوري من فولتا العليا كلمة نيابة عن طلاب الجامعة الإسلامية بهذه المناسبة التاريخية قال فيها :

بسم الله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا . والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فياصاحب الجلالة :

فباسم أبناء العالم الإسلامي المثلين في هذه الجامعة أرحب بجلالتكم أجمل ترحيب . لقد أعطيتم مرة أخرى في زيارتكم هذه لنا دليلاً آخر على اهتمام جلالتكم البالغ بهذه الجامعة وعنايتكم الفائقة بأبنائها . كيف لا وهى هديتكم للأمة الإسلامية في وقت هى في أمسّ الحاجة إلى مثل هذه الهدية . حيث تأسست جمعيات وتكونت هيئات سواء في الشرق أو في الغرب لمحاربة الإسلام والقضاء عليه وذلك بافتعال المطاعن الوهمية وزرع الشبهات حوله بقصد عزل المسلمين عن دينهم . أو تشكيكهم فيه على الأقل . ليتسنى لهم هدم المقومات الأساسية للكيان الفردي والجماعى لهم . لأن من شأن ذلك أن يضعف شوكتهم . ويجعلهم هياكل هشة تذرو بهم أية ريح . ويجرفهم أي تيار .

لقد استطاعت الجامعة الإسلامية بفضل الله تعالى . ثم بدعم جلالتكم المستمر لها . وبفضل جهود القائمين عليها . استطاعت أن تحقق الهدف المرجو منها ؛ إذ ينتشر آلاف مؤلفة من خريجيها في كافة أرجاء المعمورة . دعاة إلى الله تعالى . وقضاة بأحكام شريعته . وهداة إلى القيم العالية . والمثل الكريمة مما جعل هذه الجامعة من أكثر جامعات العالم شهرة . وأعلاها منزلة في نفوس المسلمين .

إن المملكة العربية السعودية بتأسيسها لهذا الصرح العلمي العظيم تكون قد برهنت على إيمانها بأن المسلمين جميعاً مهما اختلفت أجناسهم . وتناءت أقطارهم فإنهم أمة واحدة وَحَّدَتْها أُخُوَّة الإيمان بالله الواحد . فيجب عليهم أن يتضامنوا ويعملوا يداً واحدة من أجل إقامة حكم الله على الأرض . وخاصةً في هذه الظروف التي يعيشونها حالياً . حيث تخلّى كثير من بلاد الإسلام عن تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تحت ضغط الاستعمار وغزوه الفكري لأبناء المسلمين مما أدَّى إلى ضعف شوكة المسلمين وتفرق شملهم .

يا صاحب الجلالة :

لئن كان الواجب الديني والعرف البشري يقتضيان تقديم الشكر إلى كل من يقضي معروفاً أو يبذل عوناً فإننا – معشر أبناء هذه الجامعة – لن نقتصر في شكرنا لجلالتكم على مجرد الألفاظ ، بل سنترجم الألفاظ إلى عمل إسلامي بناء ، مستعينين بقوله تعالى : « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هى أحسن** » ، وبذلك نعطي صورة حسنة لإسلامنا الحنيف ، وأنه دين سمح يحقق العدالة والسعادة للبشرية قاطبة . ونسأل الله تعالى أن يحفظ جلالتكم ، وسمو ولى عهدكم الأمين ، ويجزيكم عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء ، وأن يديم على هذه المملكة الغالية في نفس كل مسلم نعمة الأمن والاستقرار والرفاهية حتى تستمر دائماً في القيام بدورها القيادي المشرِّف في الوطن الإسلامي الكبير والسلام عليكم ورحمة الله .

نشاط علمي وثقافي واسع :

شهدت قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة نشاطاً علمياً وثقافياً متعدد الجوانب في خدمة أهداف الجامعة وتحقيق رسالتها .

ففى مجال النشاط العلمي نوقشت خلال هذه الفترة مجموعة كبيرة من الرسائل العلمية من قسم الدراسات العليا للحصول على درجتى الماجستير أو الدكتوراه . سوف ننشرها في العدد القادم .

وفي مجال نشاط الموسم الثقافي الذى تنظمه وتعد له عمادة شئون الطلاب ألقيت مجموعة من المحاضرات القيمة شهدها عدد كبير من الطلاب والأساتذة .

ومن هذه المحاضرات محاضرة لفضيلة الدكتور علي ناصر فقيهي عميد شئون المكتبات عن (أثر الدورات التدريبية في المجتمعات التى تقام فيها) .

ومحاضرة للشيخ عبد الفتاح عشماوي المدرس بكلية الحديث موضوعها : (غريب الحي) .

ومحاضرة للداعية الإسلامي الأستاذ محمد قطب موضوعها : (الإسلام ومستقبل البشرية) .

ومحاضرة ألقاها معالى الدكتور عبد الله الوصيف عميد كلية الزيتونة بتونس. موضوعها : (حركة التفسير ودلالاتها الاجتماعية في القرن الأول للهجرة) . وذلك في إطار برنامج الزيارة التى قام بها معاليه للجامعة الإسلامية والتى تمت في أواخر شهر صفر من هذا العام ١٤٠٣ هـ .

صياغة الشيخ محمود محمد سالم

ترجمة موجزة لفقيد كلية القرآن الكريم بالجامعة

انتقل إلى رحمة الله يوم الاثنين الخامس عشر من محرم سنة ١٤٠٣ هـ فضيلة الشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي العالم المشهور والمقرىء المحقق المعروف صاحب التصانيف العديدة في علوم القران الكريم، ورئيس قسم القراءات بكلية القران الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ولد فضيلته في مدينة دمنهور بمصر سنة ١٣٢٥ هـ، وحفظ القرآن على الشيخ على عياد وجوده على الشيخين : الشيخ محمود محمد غزال، والشيخ محمود محمد نصر الدين وذلك بمدينة دمنهور .

ثم أخذ القراءات العشر عن شيوخ كثيرين من الثقات الأثبات منهم : العلامة الشيخ محمود غزال، والعلامة الشيخ محمود محمد نصر الدين، والعلامة الشيخ همام قطب عبد الهادي . والشيخ حسن صبحي، وقد أجازه كل من ذكر .

وقد حصل فضيلته على الشهادة العالمية النظامية من جامعة الأزهر عام ١٩٣١ م، وعلى شهادة التخصص القديم (شعبة التفسير والحديث) عام ١٩٣٤ م .

وقد ولى كثيراً من الأعمال وكان له باع طويل في التعليم والتربية والاقراء .

عين رئيساً لقسم القراءات بكلية اللغة العربية بالأزهر .

ثم شيخاً للمعهد الأزهري بدسوق، ثم شيخاً للمعهد الأزهري بدمنهور، ثم وكيلاً عاماً للمعاهد الأزهرية، ثم مديراً عاماً لها .

كما عين فضيلته رئيسا للجنة تصحيح المصاحف بالأزهر .

وقد تولى فضيلته رئاسة قسم القراءات بكلية القرآن الكريم منذ إنشائها حتى توفى رحمه الله . وكان له دور كبير في تأسيس الكلية وتطويرها وتعليم أبنائها وإقرائهم وقد تخرج على يديه أجيال وأفواج من أهل القرآن ولفضيلته تصانيف عديدة من أهمها :

١ – الوافي شرح الشاطبية .
٢ – الإيضاح شرح الدرة المضيئة في القراءات الثلاث .
٣ – البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة .
٤ – نفائس البيان في عهد آى القرآن (منظومة) وقد شرحها الناظم .
٥ – منظومة في المواريث .
٦ – القراءات في نظر المستشرقين والملحدين .
٧ – النظم الجامع لقراءة الإمام نافع (منظومة) وقد شرحها الناظم .

رحم الله الفقيد وغفر له وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن طلابه ومحبيه وعن أهل القرآن خير الجزاء .

محتويـــات العــــدد

الموضـــــــوع		الصفحة

سيرة وتاريخ

لغة وأدب

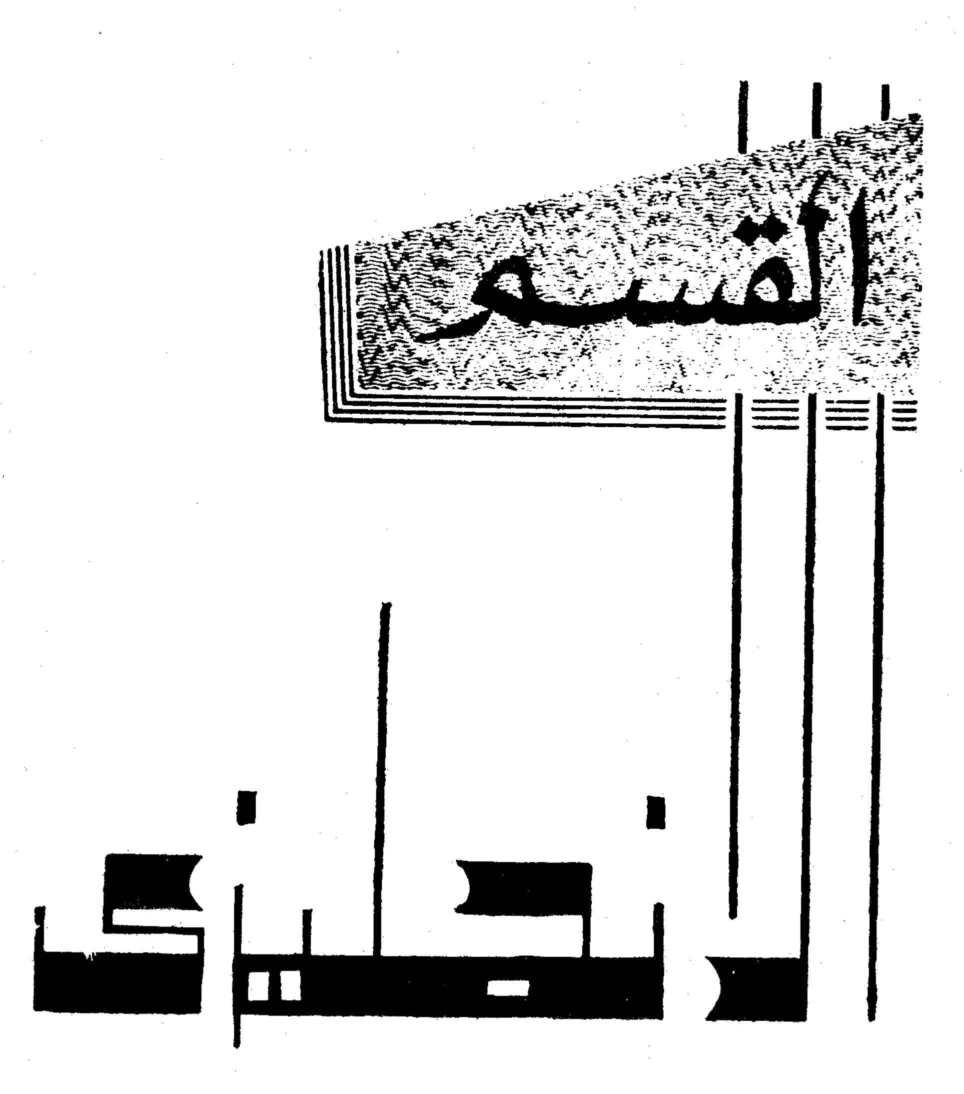
جولات عالميـــــــــة

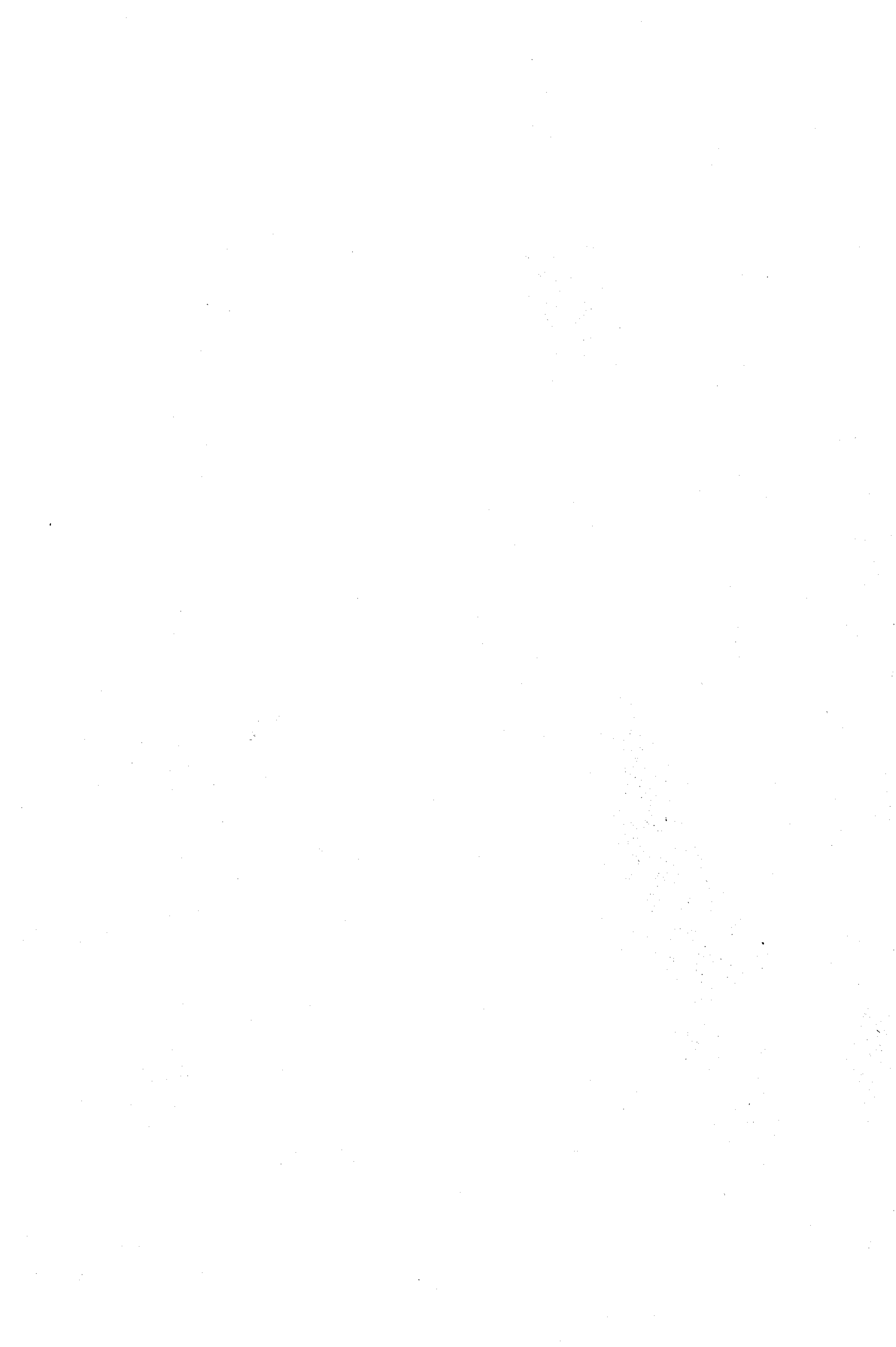
ردود ومناقشـــــــات

الفتـــــــــاوى

من أعماق الكتب

أخبـــار الجامعـــــة :


القسم
الانجليزى



The order of the complete Book had to be different from its chronological order to suite the requirenents of the Muslim community for all times.

Then the Quran had first of all, to acquaint the Muslims throughly with their duties concerning the regulations of their lives, to prepare them for carrying its message to others, and to warn them of the mischiefs and evils that appear among the followers of the former prophets so that they should be on their guard against them.

In order to avoid infirmity at any stage of its study it is essential that the Suras revealed at the earliest stages of the movement should come between those revealed in the later stages, and that the MAKKAH suras should intervene between the Madinah suras and vice versa so that the entire picture of the complate Islam should always remain before the reader. Above all these facts, it should also be noted that the present order of the Quran was done by the Prophet Mohammad himself under the guidance of Allah. Whenever a sura or verse was revealed the Prophet would dictate it word for word to his companions and direct them to place it after such and such before such and such sura and verse. Thus it is an established fact that the orders of the One, the Almighty Allah, were arranged in the present orders on the same day by the one whom it was revealed, that is the Messenger under the guidance of the One, the Almighty Allah, Who revealed it. The Quran, Which is now in use all over the world is the same Quran word by word which was presented to the world by the Prophet Muhammad. None can have any doubt whatsoever regarding its authority, immunity and purity from any and every kind of alteration, for there is nothing so authentic in the whole human history as this fact about the Quran that it is the same Quran that was presented by the Prophet Muhammad to the world.

Before the reader begins the study of the Quran, he must bear in mind the fact that it is a Unique Book, quite different from the book one usually reads. He should also keep in view the nature, the aim, the style and terms it adopted to explain things in different circustances and occasions to different people in which certain verse or sura was revealed.

In this stage they were so imbued with the spirit of sacrifice for this noble cause.

During this second MAKKAH stage of the movement it started to spread wider and wider, and the opposition to it became stronger and stronger. The movement came into contact with the people of different creeds and diffent ways of life and this gave rise to new problems. The discourses therefore, began to deal with various new topics as well. It must have become clear from the above that the style and background of the passages of this stage had to be different from that of the earlier one.

From the migration of the Prophet to Madinah, the movement entered its third stage under conditions, then it became possible to collect all its followers from the vareious parts of Arabia, where a new society had succeded in founding a regular state. It had also to deal with different communities; the Jews, Christians and others. In this stage, so Allah revealed to the messenger the kind of discourses required for any particular occassion in this changed condition. Some of these were in the form of a teacher, reformer and the principles and the methods of organising a community. Some adopted the method of the law – giver for the conduct of different affairs of life.

In short the background and style of the revelations during the ten years at Madinah had to be different from that of the MAKKAH stages. Now that some discourses taught the Muslims the kind of relations they should have with other nations. Others taught the moral lessons they needed in war, peace, defeat and victory. Then some discourses invited to Islam the People of the Book, and the unbelievers. Though it was to be the Book for all times, it had to be revealed in portions during twenty–three years according to the needs and requirement of the different stages through which the movement was passing.

The sequence of the revelation that suited the gradual evolution of the movement could not in any way be suitable after the completion of the Qran. In the early stages of the movement the Quran addressed those people who were totally ignorant of Islam and therefore naturally it has first of all to teach them the basic articles of faith. After its completion the Quran was primarily concerned with those who had accepted Islam and formed a community for carrying on the work entrusted to it by the Prophet.

Muhammad at very beginning of his mission. Moreover, it is not a literary work of the common conventional type.

The Quran adopts its own style to suite the guidance of the movement that was started by the messenger under the direct Command of Allah Who revealed the Quran in portions to meet the requirements of the movement in its different stages. When the Prophet was commanded to start his mission at MAKKAH, Allah sent down such instructions as the messenger needed for his own training for the great work that was entrusted to him. The Quran imparted also the basic knowledge of the reality, and invited people to accept the basic principles of morality, and gave brief answers to the common misunderstandings that misled them to adopt wrong ways of life.

The messages revealed to the Prophet in the early stage of the movement, consisted of short and concise sentences in a very fluent and effective language to suite the taste of the people to whom they were first addressed. Though universal truths were enunciated in these messages, in order to impress the early adresses effectively, they were dealt with the history, traditions, beliefs and morality of those people.

The excellent literary style of the passages was so appealing that it touched the very hearts of the people of MAKKAH, and attracted their attention and they began to repeat them. This early stage of the movement lasted for about four years. The Quraish began to oppose it because in their ignorance they thought that this movement hit hard at their vested interests and the old traditions of their fore – fathers. Then the movement entered its second stage which continued for about nine years. The message of the Quran went on spreading beyond the boundaries of MAKKAH and reached other clans. A fierce struggle began with the old order. The opponents of the movement rouse up to suppress it employing all sorts of weapons. They spread suspicions and false propaganda in order to alienate the common people from it. They also inflicted all sorts of cruelties on those who followed the Prophet. On the other hand the world could not help feeling the moral superiority of the movement that so throughly transforming the characters of its followers. All through this long and bitter struggle the revelation was continued according to the requirements of the occasion, consoling and encouraging them with promises of success in this world and of eternal happiness in the Hereafter. They were also instructed in their primary duties, and taught the ways of piety and high morality.

When the Quran is studied in the light of these basic facts, no doubt is left that the whole of it is a closely reasoned arguments and there is continuity of subject throughout the Book. There is no incongruity in the style, no gap in the continuity of the subjects and no lack of interconnection between its various topics.

The intimate connection of its different topics with its central theme, may be linked to the beautiful gems of the same necklace, with different sizes and colours.

We should also take into consideration the fact that the Quran is a Unique Book in the style of the revelation. The Revelation of the Quran began simultaneously with the beginning of the Islamic Movement, and continued for twenty-three years. The different portions of the Quran were revealed according to the requirements of the various phases of the Movement, in different occasions and circumstances.

It is thus obvious that the various portions of the Quran were not ment to be published in the Form of pamphlets at the time of their revelation but were to be delivered as addresses and promulgated as such. Hence they could not be in the style of a written work. The Prophet Muhammad was entrusted with a special mission and had to both to the amotions and to intellect. He had to deal with people of different situations during the course of his mission. He has also to train and reform his followers and to refute the arguments of opponents. That is why the style of the discourses that Allah sent down to His messenger had to be what the requirements of the movement. It is it therefore wrong to seek in the discourses of the Quran, the style which is followed in formal books on religion and the like.

As regards the order of the Quran we should note the following facts :

A movement and a mission naturally demand that only those things should be presented which are required at a particular stage. The same things are repeated as long as the movement remains in the same stage, but with different words and style to make them impressive and effective.

Of course, it repeats at suitable places its basic creed and principles in order to keep the movement strong at evey stage.

Another important fact we should know that one cannot understand fully many of the topic discussed in the Quran unless he is acquainted with the background of their revelation. For, the Quran was not revealed as a complete book at one time, nor did Allah hand over written copy of it to the Prophet

approaches the Quran with the common notions of a book, he rather puzzeld by its style and manner of presentation.

First of all we have to understand the real nature of the Quran, then it becomes easier to determine the subjects it deals with and its aim and objects. To understand the nature of the Quran as a Divine Guidance and a complete code of life we must start with the following Facts :

Whether one believes that Quran is a revealed Book or not he will have to consider the claim that is put forward by its self and its bearer, Prophet Muhammad, that this revealed from God as a Guidance for mankind. The subject it deals with is ' man '. Its aims and obiects are to guide him to the -Right Path, and to present clearly the Guidance of God.The central theme that runs throughout the Quran is the exposition of the real Truth and invitation of the people to the Right Way based on it. This is in conformity with real nature in which the Almighty God has created the entire universe.

As the aim of Quran is to guide mankind and not to teach nature study or history of philosophy or art or any other sciences, it does not concern itself with these subjects . The only thing with which it is concerned is to expound reality to remove misunderstanding and misconceptions about it, in order to impress the Truth upon the minds.

In this way it invites people to the right Path, and warns them of the consequences of wrong attitudes. The Quran keeps the same aim whether it is criticising of creeds, deeds and social systems of some communities, or discussing of the problems of metaphysics etc.

The same is true when it is relating the story of the creation of Earth and the Heavens, the man, or is referring to manifestations in the universe or stating events from human history.

From its very beginning to its end, the different topics it deals with are so intimately connected with its aims and objects, and its central theme. As a matter of fact, this Book is not irrelevant anywhere with regard to its aim and subject. That is why it states or discusses or cites a thing only to the extent relevant to its aims and objects, and leaves out unnecessary and irrelevant details and turns over to its central theme, and to its invitation round which every other topic revoles.

your witness beside Allah if ye are truthful. And if ye do it not – and ye can never do it then guard yourselves against the fire prepared for disbelievers, whose fuel is of men and stones " (2 : 23 – 24).

Thus , the challenge is so great, and it produced an effect, greater than that of any other miracle recorded of any Prophet; hence its claim to be a living miracle of Islam is incontestable and unapproachable .

In order to understand the nature of the Quran, it is essential to know the fact that it is a unique Book, quite different from the usual books in all aspects. Its style and method of explaining things, its central idea and its aim and object are also different from those of other books one commenly reads. The Quran does not contain information, ideas and arrangements about specific themes arranged in a literary order. That is why a common reader, on his first approach to it, finds the enunciation of its theme or its division into chapters and sections or separate instructions for different aspects of life, are arranged in an order not familiar to him before and which does not conform to his conception of a usual book.

When an unwary reader finds that the Quran deals with creeds, gives moral instructions, draws lessons from historical events, gives good tidings, lays down laws, and invites people to follow the Divine Guidance, all mixed together in a beautiful style, without any apparent connection. He begins to feel that the Quran is a Book without any order or inter – connection between its verses or continuity of its subject.

As a result of this, some ignorants rais strange objections against the Quran. This happenes when they do not take into consideration the fact that the Quran is a unique Book in all aspects.

One should bear in mind before – hand that the Book he is intending to study and understand is the only book of its kind in the whole world; its literary style is quite different from that of all other books, its theme is unique. He should also be well acquainted with its style, the terms it uses and the method it adopts to explain things.

He should also keep in view the background and circumstances under which a certain verse, or chapter was revealed. First of all he should know that his preconceived notions of any book cannot help him understand this Book, and then only he can understand the distinctive features of it. If he

There is one important point to be noted in respect of the miracles which are merely manifestations of God's power because certain people msy have witnessed performance of such a miracle, and their evidence may satisfy their contemporaries, but, with the laps of time their testimony loses much of its value. It is difficult to secure reliable evidence for them under all circumstances. Therefore a miracle stands in need of being proved before it may be used as evidence of a Prophet's claim. In most cases it is very hard to adduce any proof that the miracle ever actually took place. But the case is not so in respect to the Holy Quran, for Quran itself claims to be a miracle and has challenged the world to produce its like. This challenge is standing and general. The Holy Quran makes this challenge clear in the following verses :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (الاسراء ٨٨) .

It means : " Say ; Verily, though mankind and the Jinn should assemble to produce the like of this Quran, they could not produce the like thereof though they were helpers one of another " (17 : 88).

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله » (هود ١٣ ـ ١٤) .

It means : " Or they say : He hath invented it. Say : Then bring ten Surahs (chapters), the like thereof, invented, and call on everyone ye can beside Allah, if ye are truthful : And they answer not you, then Know that it is revealed only by kvowledge of Allah; and that there is no God save Him. Will ye then be (of) those who surrender ? " (11 : 13 – 14).

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » (يونس ٣٨) .

It means : " Or do they say : He has invented it. Say; then bring a ' Surah ' like unto it, and call (for help) on all you can besides Allah, if you are truthful " (10 : 38).

« وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » . (البقرة ٢٣ ـ ٢٤) .

It means : " And if ye are in doubt concerning that which We reveal unto Our servant (Muhammad), then produce a surah of the like therefor, and call

The Holy Quran – The standing Miracle Of Islam

By

Dr. Mohiaddin Alwaye
Prof. Islamic University

Madinah

The Holy Quran is indeed the greatest miracle ever granted to a Prophet because it stands in need of no other evidence whatever, but is itself a living proof of its own truth for all times. The word employed in the Holy Quran for miracle is " Ayah ", it means an ' apparent sign ' or ' mark ' by which a thing is known. The adoption of the same word (Ayah) to a verse of the Holy Quran is noteworthy. It shows that the message of the Quran itself is the proof of its own truth, and hens the Holy Quran has always been looked upon by Muslims as the greatest miracle of the Prophet Muhammad (peace be on him).

The real object for which prophets are raised up,is the bringing about of a transformation. The object is attained by several means, each of which, therefore, has but a secondary value. The conception of the miracle occupies not the highest place among the evidences of the truth of the Prophet. But the supreme object before the Prophet, is to effect a moral and spiritual transformation; the means adopted are an appeal to the reasoning faculty, an appeal to the heart of man to convince him that the Divine message is ment for his own uplifting.

The miracle has its own place in the Divine scheme to show that the source of the message of the Prophet is super natural and Divine.

The Quran is itself a greatest transformation that the world has ever witnessed. Another important miracle, the Holy Quran contains, is prophecy. In fact prophecy does, in some respects, enjoy a distinction beyond that attaching to other miracles. Miracles generally are manifestations of the powers of God, and prophecy gives prominence to God's Infinite Knowledge which comprehence the future as well as the past and present.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

Journal of

THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF

MADINAH MONAWWARAH

AL-MUHARRAM - SAFAR - RABI-UL-AWWAL
1403 A. H.
[QUARTERLY]

15th YEAR

57